

عنه النبي في اللغة العربية

Ch
91
W
C

American University of Beirut
University Libraries



Donated by
Amin al-Mumayiz

A.U.B. LIBRARY

7
.3
31
1^c

A.U.B. LIBRARY

مجلة التأليف والترجمة والنشر

جزيرة العرب

CA
915.2
W131
C.1^o

✓

١٩٤٥

القرن العشرين

طبيعة جزيرة العرب وحالتها الاجتماعية الحاضرة . قوة الوهابيين وتاريخهم ومبادئهم . الحكومات العربية التي تعاقبت على الجزيرة في العصور الحديثة . الثورة العربية . آل سعود وتاريخهم وأعمالهم . مؤتمرات الصلح والمعاهدات . الوثائق الرسمية التي دارت بين حكومة الأشراف وآل سعود وبريطانيا . الخ



تأليف

حافظ وهبة

الوزير المفوض والمندوب فوق العادة
للمملكة العربية السعودية بلندن

الطبعة الأولى

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

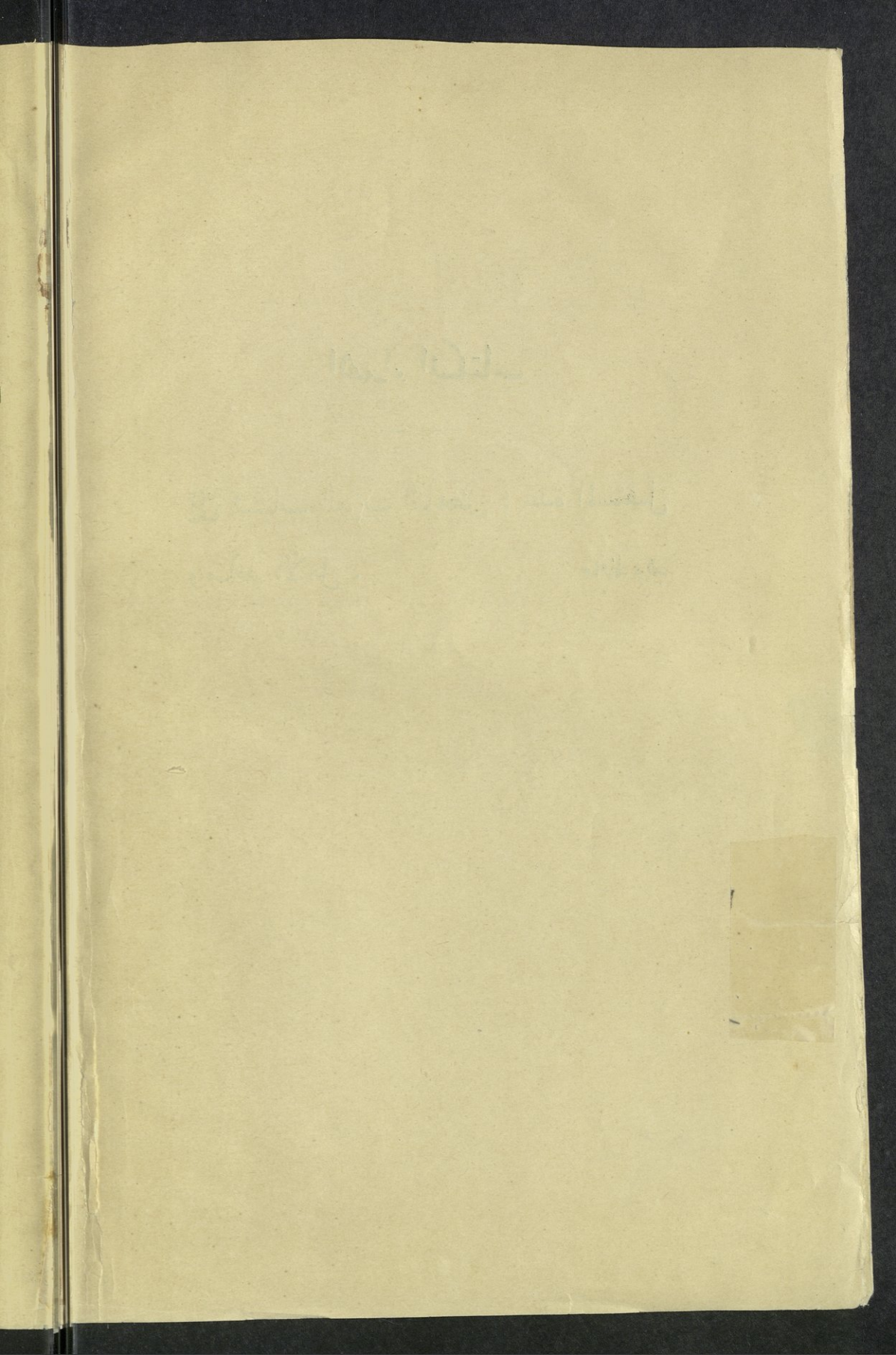
١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

1874



اهداء الكتاب

إلى شباب العرب الناهض ؛ عدة المستقبل
ومناط الأمل .
حافظ وهم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين

في يوم الخميس ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ - ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وصل بريد الحجاز إلى عظمة السلطان عبد العزيز ، وكنا على المصْلُوم^(١) أحد المياه النجدية في طريقنا إلى الحجاز ، فرأى عظمة السلطان أن نتقدم ركبهُ ، فتركنا المعسكر السلطاني في طريقنا إلى مكة ، وكُنَّا : الدكتور عبد الله الدملوجي بك وأنا والشيخ عبد الله السليمان « كسكرتير » ، وكان الغرض من تقدمنا أن ندرس أحوال مكة وحاجات أهلها والتفاهم معهم ، وإزالة سوء الأثر الذي تركته حملة الطائف كنا نتردد على دار الإمارة ومقر الحكم ؛ الذي أقام فيه الشريف خالد بن منصور بن لؤي أمير مكة من قبل السلطان عبد العزيز ، وكنا نتذاكر معه وتبادل وإياه الرأي فيما يجدر من الشؤون الإدارية ، ولفت نظري ما رأيته من أكذاس الورق المهملة في فناء دار الإمارة ، فدفعني حب الاستطلاع إلى معرفة ما تحويها ، وما كنت أعتقد أن من بينها أوراقا ذات أهمية تذكر ، غير أنني وجدت الأمر على خلاف ما ظننت

وجدت السجلات الإدارية للحكومة الهاشمية ، كما وجدت كثيراً من الأوراق السياسية الهامة التي لها علاقة بالثورة العربية والحركة العربية في أطوارها المختلفة

فرايت خدمة للتاريخ العربي أن أضع كتاباً أضمنه أهم الحوادث في جزيرة العرب من سنة (١٣٣٣ - ١٣٥٣) - (١٩١٥ - ١٩٣٤) أضمنه هذه الوثائق ومعلوماتي الخاصة في الانقلابات الخطيرة التي حدثت في هذه الحقبة من

(١) دعانا عظمة السلطان إلى خيمته لمباحثتنا في البريد الواصل اليه من مكة من قناصل الدول ومن الأمير خالد بن لؤي فرأى عظمته بعد البحث أن نتقدم الركب الى مكة

الزمن ، فأكون بذلك قد قمت بشيء من الواجب للحقيقة والتاريخ
ولقد رأيت بعد استعراض كثير من الآراء أن أضرم إلى هذه الفصول
التاريخية السياسية بعض الفصول الجغرافية ، وبضعة فصول أخرى عن عوائد
السكان — البدو والحضر — وطرق معاشهم ، والعلوم والمعارف في جزيرة
العرب ، والنهضة الدينية التي قام بنشرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأحيائها
في العصر الحديث الملك عبد العزيز وأحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب
كما رأيت أن أضرم إلى ذلك فصولاً أخرى عن الحكومات العربية ، وحكم
الأشراف في مكة ، وآل صباح في الكويت ، وآل خليفة في البحرين ، والصراع
بين آل سعود والأشراف قديماً وحديثاً لاتصال الحوادث بعضها ببعض ، ولشرح
بعض الحوادث الأخرى

إني أعتز أن تدوين التاريخ من أصعب الأشياء ، فالإنسان قد يتأثر
كثيراً بالمحيط ، وقد يكون حبه أو سخطه ذا أثر عظيم فيما يكتب
ومع هذا فيجب أن أقرر أنني لا أرمي بتدوين هذا السفر القيام بأية دعوة
لأى شخص ولا النيل من أحد ، فرائدى الأسمى خدمة التاريخ والحقيقة ، وكل
شيء سيقضى سوى الحق

وإني وإن لم أصل إلى درجة الكمال في البحث لنقص بعض المستندات
التاريخية ، فقد قمت بما يملية على الواجب نحو الشعب العربي الذي وقفت حياتي
لخدمته ، وأبرأت ذمتي نحو الجيل القادم الذي له في رقابنا الشيء الكثير من الواجبات
وفي الحديث : « من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »
ويجب على أن أذكر هنا مع مزيد الشكر ما أسداه إلى أصدقائي من العرب
والإنجليز من المعونة سواء بالصور أو إعارتي كثيراً من الكتب القيمة . وأسأل
الله أن يسدد خطانا ويعصمنا من الزلل

ماونظ وهم

لندن { رمضان ١٣٥٤
ديسمبر ١٩٣٥ }

فهرس الكتاب

صفحة

١ جزيرة العرب :

موقعها — أجزاؤها — مناخها — سكانها — التقسيمات الأدارية

١٦ الحجاز :

طبيعة البلاد — الجو — السكان — التجارة والصناعة — موانئها — الأقاليم الشمالية — المنطقة الوسطى — القسم الجنوبي — مكة — وصف شامل لها — تاريخ تشييد الكعبة

٤١ عسير :

موقعها — وديانها — سكانها — الزراعة — التجارة — أشهر مدنها — خلاصة تاريخية عن حكومتها

٥١ نجد :

موقعها — مناخها — سكانها — الأدوات المحلية والمصنوعات — إيالات نجد — العارض — أشهر بلدان العارض — وادي الدواسر — بلدات الوادي — القصيم — أشهر مدنها — جبل شمر — سكانه — المحصولات والتجارة — البلاد المشهورة

٧٨ الاحساء :

الوصف الطبيعي — الجو — أشهر البلدان — الهفوف — المبرز — سكان المبرز — أهم عشائر المنطقة — نبذة تاريخية — القصيم أشهر بلدان القصيم

٨٨ الكويت :

حدود الامارة — الوصف الطبيعي — الجو — السكان — الصناعة والتجارة — مقاطعات الكويت — جزر الكويت — بلدان الكويت — خلاصة تاريخية

١٠٣ إمارة البحرين :

موقعها — الجو — السكان — الصناعات والتجارة — جزيرة البحرين — بلدان البحرين — نبذة تاريخية — آل خليفة — الحكومة البريطانية والبحرين

١٢١ العوائد والأهملات :

- الألقاب -- المساواة -- السكرم -- الأكل
١٣١ المرأة في بلاد العرب
١٣٦ الطب في بلاد العرب
١٤٣ العلوم والمعارف في جزيرة العرب :
علماء الدين — الصناعات

١٥٥ الحكومات العربية :

- ١٦٤ السياسة الخارجية
١٦٦ أشرف مكة
١٧١ العرب والترك :
الجمعية القحطانية — جمعية العهد — حزب اللامركزية — المؤتمر العربي بباريس
١٧٦ الثورة العربية :
مقررات النهضة — الوثائق المتبادلة في سبيل ذلك
١٩٠ مؤتمرات الصلح :
موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح — الأمير فيصل بباريس — الأمير فيصل
في لندن — إعلان الملكية في دمشق
٢١١ أثر الثورة العربية في الحرب العامة
٢١٨ المعاهدة البريطانية مع الملك حسين
٢٢١ المسألة الفلسطينية
٢٢٥ العرب واليهود
٢٢٦ الملك حسين وجيرانه
٢٢٨ ابن سعود والملك حسين
٢٤٠ سياسة الملك حسين الداخلية

وفاة الامام عبد العزيز — صفات الامام — سعود بن عبد العزيز — بدأ الخلاف مع المصريين والأتراك — وفاة الامام سعود — عبد الله بن سعود — أسباب سقوط الدولة السعودية — رأى علماء نجد — أثر الدولة السعودية في نجد — الدولة السعودية الثانية — تركى بن عبد الله — فيصل بن تركى — صفاته — وفاته — الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود — الدور الثالث لآل سعود — عبد العزيز بن عبد الرحمن

٢٧٨ ابن سعود وجيرانه :

ابن سعود والكويت — ابن سعود والأشراف — مؤتمر الكويت — دور المؤتمر الأول — الدورة الثانية للمؤتمر

٢٨٦ غزوة الحجاز والمؤتمر الإسلامى

كيف نشأت فكرة الغزوة — العدول عن المؤتمر — فشل المؤتمر — ابن السعود وإمام صنعاء

٣٠١ حياة الملك عبد العزيز الشخصية

٣٠٦ أعماله الإصلاحية

٣١١ الإخوان :

أول مؤتمر للاخوان — فتوى علماء نجد — ابن بجاد يرسل رسولا إلى ابن سعود — الثورة — الدويش يطلب الصلح — مؤتمر خبارى واضحة — الدويش فى حضرة ابن سعود

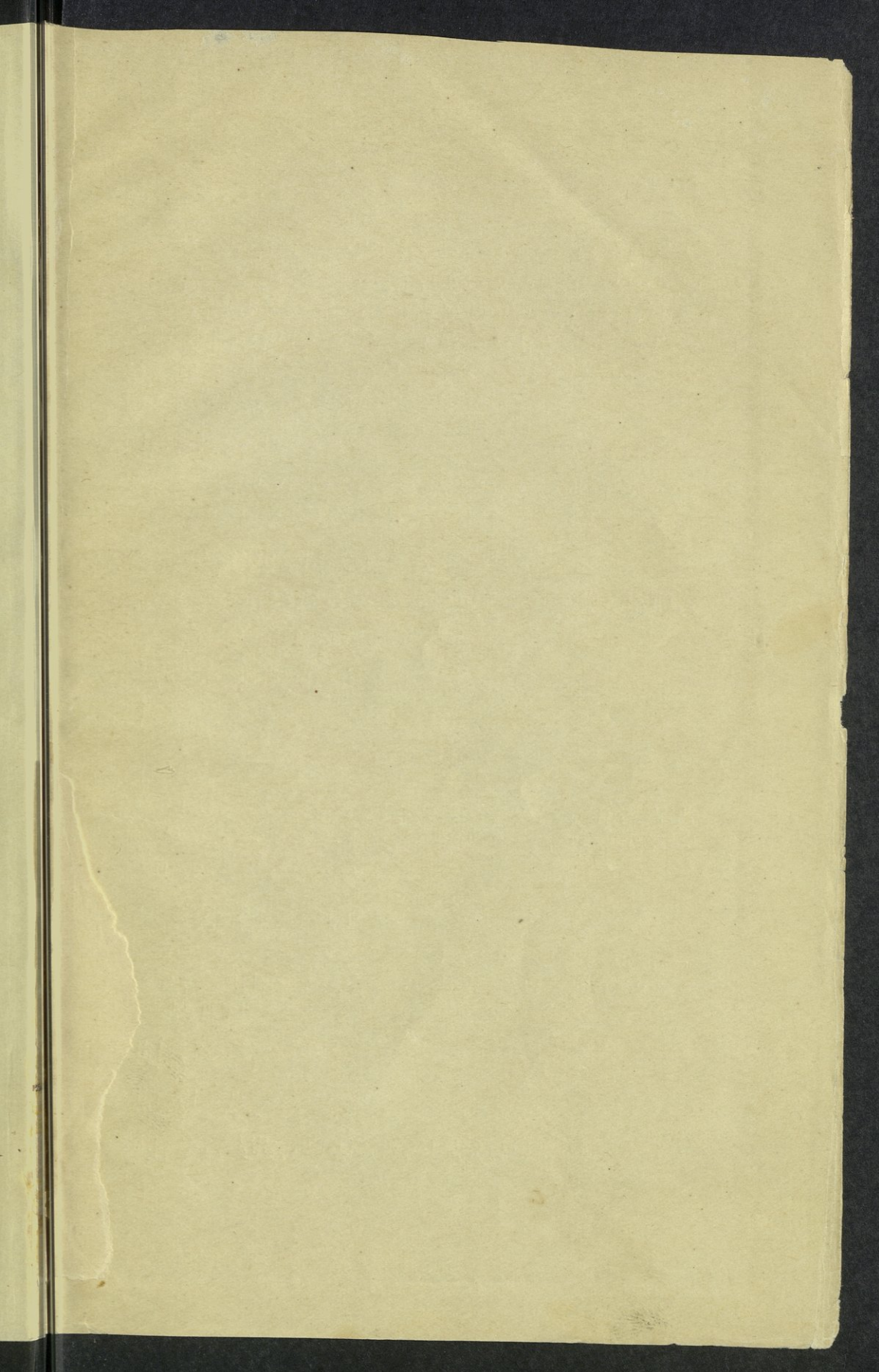
٣٣١ الدعوة الإصلاحية فى نجد :

الشيخ محمد بن عبد الوهاب — نجد فى أيامها الأولى — ماهى تعاليم الوهابية ؟ — ما ينسب إلى النجديين وهم أبرياء منه — أثر التمسك بالشريعة الاسلامية فى الحياة العامة

٣٤٨ المراجع العربية

٣٤٩ المراجع الإنجليزية

٣٥٠ ذيل خاص بالوثائق والمعاهدات التى جاء ذكرها فى الكتاب



جزيرة العرب

بلاد العرب أو جزيرة العرب كما تعرف عند علماء العرب هي الأراضي المحاطة ببحر الهند ، والبحر الأبيض المتوسط ، ثم دجلة والفرات ^(١) . أما علماء الفرنج فيجعلون النفود الشمالى الفاصل بين نجد الشمالية ، وصحراء سوريا هو الحد الطبيعي لجزيرة العرب من الشمال

يبلغ متوسط عرض الجزيرة ٧٠٠ ميل ، ومنتهى طولها ١٢٠٠ ميلا ، وتزيد مساحتها عن مساحة الهند ، وبلاد العرب من البلاد القليلة التي حافظت على تقاليدها وعاداتها وطرق معاشها منذ أقدم عصور التاريخ ، وإن ما انتابها من التغير لا يكاد يذكر ، وذلك بسبب العزلة التي يفضلها العرب على كل شيء سواها وجزيرة العرب مشهورة بصحاريها الواسعة ورمالها التي يقصر الطرف عن مداها ، وتشغل هذه الصحارى قسماً كبيراً من مساحتها

وأهم هذه الصحارى : الدهناء ، النفود ، الصحراء الجنوبية أو صحراء الربع الخالى ، وهذه الصحارى وإن كانت رملية إلا أن تربة بعضها خصبة بحيث تصبح بعد الأمطار من أفضل المراعى للحيوانات ، وقد اخترقنا الدهناء بضع مرار من الشمال فقطعتها في ١٣ ساعة على الأبل ، ومن جهة الاحساء فقطعتها في ست ساعات ، كما أنى قطعت النفود من بعض نواحيه من جنوب الزلفى إلى شقراء وهو أشق من عبور الدهناء ، وقد قطعت الدهناء في رحلتى الأخيرة إلى نجد في ثلاث ساعات بالسيارة (٢ يناير سنة ١٩٣٥)

ولست طبيعة التربة في الدهناء والنفود متجانسة من كل وجه ، فهناك بعض

(١) يسميه العرب بحر الشام . ياقوت : جزيرة العرب ، والقاموس : مادة جزر

الجهات لا ترى فيها غير الرمال المرتفعة التي تسكاد تبتلع المارة لنعومتها وعدم تماسكها ، فيتجنبها المسافرون ابتغاء سلامة أرواحهم وأمواهم ~~صالح~~ ويوجد ببلاد العرب هضاب يبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ثمانية آلاف قدم في شمالي وجنوبي منطقة البحر الأحمر — مدين واليمن — أما قلب الجزيرة فالارتفاع فيه تدريجي — فمستوى البلاد في نجد يبلغ حوالى ٢٥٠٠ قدم . بينما يصل في بعض الجهات كأجا في الشمال إلى خمسة آلاف قدم ، وفي نهاية الجنوب الشرقى توجد هضبة عالية يتكون منها الجبل الأخضر ، وفي الوسط الشرقى يوجد مرتفع طويل يقابل الغرب يسمى جبل طويق ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٦٠٠ قدم

الوديان

لا يوجد في بلاد العرب أنهار بالمعنى المعروف ، ولكن بعض مجار أو نهيرات صغيرة دائمة في عسير واليمن وجهات عدن والأحساء ، وعمان ونجد ، ووديان لا عداد لها مما تجرى فيها المياه إبان المطر ، وهى في الغالب طويلة وغير عميقة . وأطول هذه الوديان وادى الرُّمَّة الذى يبدأ قريباً من المدينة ويمر فى القصيم ، ثم إلى شط العرب . ووادى حنيفة الذى يبدأ من منحدرات جبل طويق الغربية إلى اتجاه الخليج الفارسى (وهو لا يصل إليه) فهذان الوديان يمكن أن يُعبر مجراها أثناء فيضانها الواطئ والمتوسط بدون صعوبة ، وهما يحفظان الماء فى باطن مجراها ؛ حيث يمكن الوصول إليه بحفر آبار تحتلف أعماقها باختلاف المكان ، وفي بعض الأماكن كما فى القصيم (وادى الرمة) والخرج ووادى حنيفة تعلو المياه سطح الأرض ، وهناك تتكون سلسلة من الواحات أما الوديان التى تتجه نحو البحر الأحمر ، فأنها ذات مجرى أعماق وأكثر انحداراً ، وهى تسكاد تكون معدومة النفع ، وهى عقبية فى سبيل المرور من الشمال

إلى الجنوب ، وهي لا تكوّن واحات مثل مياه الأودية الأخرى بسبب ما تجلبه المياه في انحدارها من الأتربة وغيرها مما يتراكم بعضه فوق بعض بسرعة ، بحيث لا تستطيع حرارة الشمس أن تؤثر في صلابته . ووديان غربي اليمن ومنطقة قسم البحر الأحمر من هذا النوع — من مدين إلى حضرموت

المناطق الداخلية الخصبة

بين الصحارى المترامية الأطراف ، وبين الأودية والمنحدرات توجد مناطق خصبة عامرة بالسكان ، تجود بقسط من حاجات السكان الضرورية وأهمها :

١ — جبل شمر :

هو إلى جنوبي النفود الشمالية ، وتنحدر إليه المياه من جبلي طى الشهيرين « أجا وسلمى » اللذين يمتدان من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وتشغل مدينة حایل ، ومدينة قيد^(١) القديمة ، وعدة قرى أخرى صغيرة وكبيرة في المنطقة المجاورة لسلسلتى الجبال

٢ — القصيم :

واقعة إلى ما بعد المنحدرات في جنوبي جبل شمر ، فالقسم المنخفض ترجع خصوبته إلى المياه الموجودة في باطن الأرض باستمرار ، وإلى المياه التي تفيض عليه أحياناً من وسط مجرى وادى الرّومة . وتمتد منطقة القصيم في خط يبلغ طوله أكثر من مائة ميل ، تتخلله بعض ألسنة النفود فتفصله عن بعضه . وفي هذا الخط تقع أكبر مدينتين تجاريتين في قلب الجزيرة ، وهما : عنيزة وُبُرَيْدَة ، وعداهاتين المدينتين يوجد أكثر من خمسين بلدة كبيرة وصغيرة

(١) أنظر ياقوت

والقسم المرتفع غنى بمراعيه الواسعة ، ويعتمد على الآبار التي توجد في أكثر من أربعين بلدة

٣ — نجد :

وهذه بلا نزاع أكبر مجموعة من المناطق الخصبة ، وتبلغ مساحتها بما في ذلك بعض المنحدرات أكثر من عشرة آلاف ميل ، وهي تتكوّن من سلسلة مناطق واقعة عند أطراف جبل طويق ، وتمتد سلسلة من البلدان والقرى من سُدير في الشمال وتنتهي في الجنوب إلى وادي الدواسر . ومجموعة المناطق الخصبة تحيط بها الدهناء شرقاً وجنوباً ، والنفود ، والمنحدرات من الشمال ، ومنحدرات من الغرب . ومنطقة الخصوبة أوسع على جانب شاطئ البحر الأحمر وفي الجنوب الشرقي ، ففي الشرق نجد أن هذه الحلقة رقيقة وتفصلها حواجز واسعة ، فثلت شاطئ الخليج الفارسي من الكويت إلى القطيف أرض جرداء ، وبعد ذلك تبدأ سلسلة عيون في الداخل حيث منطقة الاحساء ؛ ولا يوجد على الشاطئ إلا مناطق صغيرة قليلة الخصوبة . ومن نقطة رأس الجبل تبدأ عُمان التي تنحدر إليها المياه من مرتفعات الشاطئ الشرقي وجبال عمان غرباً ، كما ينزل المطر فيها في فصول معينة . كذلك الجبل الأخضر الممتد على الشاطئ تجاه رأس الحد . وكذلك في المنطقة الواقعة شمالاً خلف شاطئ الباطنة توجد وديان خصبة وغنية وسلسلة عريضة من الأراضي الخصبة ؛ وفي الجنوب توجد الصحراء ممتدة على طول الشاطئ حتى رأس الحد . ولكن لما كانت الأرض تأخذ في الارتفاع تدريجاً تجاه خط تقسيم المياه الغربي ، فإن ودياناً وأرضاً خصبة تبدأ في الظهور ولكنها غير متصلة . وبعد عبور مدخل وادي حضرموت تأخذ الأرض الخصبة في الظهور بشكل متقطع ومن مدخل وادي حضرموت فصاعداً يعتبر القسم الغربي من شبه الجزيرة ،

ونجد أمامنا عند ما ندور حول الزاوية الجنوبية الغربية للجزيرة منطقة ساحلية منخفضة خصبة في المواضع التي تنحدر منها الوديان من المرتفعات . ويوجد وراء هذه المرتفعات مرتفع خصب (صُنْعًا ٧٥٠٠ قدم) ، تكتنفه جبال عالية هي خط تقسيم المياه ، وتمتد هذه المناطق الخصبة إلى ٢٠٠ ميل من الشاطئ الغربي . ثم تأخذ المنحدرات تتلاشى حتى تختفي في الربع الخالي . وهذه المنطقة هي ما كان يطلق عليها قديماً العربية السعيدة ، والتي يطلق عليها الآن اسم اليمن ، وعدن والمكلا من جهة ، وعسير من جهة أخرى . وعلى أية حال فإن الخصوبة تنتهي عند مدينة الليث على شاطئ البحر الأحمر . ومن هذه النقطة شمالاً لا تشمل رياح الموسون هذه المنطقة ؛ ومن هنا تبدأ مناطق الواحات منفصلة عن بعضها وعليها قوام حياة السكان . وفي بعض المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة يوجد بعض مناطق خصبة صغيرة في باطن بعض الوديان ، وإلى مائة ميل شمالاً من المدينة تنتهي سلسلة المناطق أو الواحات المنعزلة بمنطقة خيبر والعلا . أما بالنسبة للشاطئ من جدة فليس فيه إلا مداخل الوديان التي عند ما تنحدر فيها المياه وتتخلل باطن الأرض تمكن بعض السكان من حفر آبار للارتواء

الجو

يعتبر الجو في الجزيرة على العموم ، ما عدا بعض نقط على الشواطئ صالحاً للحياة — فالحرارة التي تشتد نهاراً والبرودة التي تشتد ليلاً تقتل أغلب الميكروبات التي تحارب بني الانسان في جهات أخرى ؛ والحياة على وجه العموم في الجزيرة ، وبالأخص في المناطق الخصبة طويلة ، ولكن حياة البدو الرحل الذين يعيشون على المنحدرات شاقة تقصر الأجل ، وكذلك الحال في هضبة اليمن التي يبلغ ارتفاعها ما بين ٧ — ٨ آلاف قدم

والشئ الذى يميز الجو فى الجزيرة هو الجفاف ، فان بلاد العرب واقعة بين
البحار . ومع هذا فليس لها أى أثر فى جو الجزيرة ، وتستفيد اليمن من رياح
المونسون فى الصيف ، وينزل فى عمان قدر كاف من الأمطار بينا المنطقة الواقعة
إلى غربى خط تقسيم المياه لا ينزل فيها المطر إلا نادراً

أما باقى الأقسام فان أكبرها حظاً من المطر النفود الشمالى وجبل شمر ،
فالأمطار تهطل فى الشتاء ، وكذا رياح البحر الأبيض المتوسط تسبب المطر فتنبت
أعشاب الربيع . وأما الصحراء الجنوبية فربما لا يصيبها الرذاذ ساعة واحدة كل
ثلاث أو أربع سنوات

ومن ظواهر الجو أيضاً فى الجزيرة الحرارة : فالنصف الجنوبي من الجزيرة
تبلغ الحرارة فيه نهايتها فى شهرى يوليو وأغسطس . أما تأثيرها فى الانسان فيختلف
تبعاً لارتفاع المنطقة التى يعيش فيها
وأشد المناطق حرارة شاطئ عمان وتهامة اليمن ، ولكن الجو فى شاطئ
الخليج والمحيط الهندى ليس طيباً

السكان

عددهم — الحضرة والبدو

لم يعمل احصاء للسكان فى جزيرة العرب ؛ ولذا لا يمكن معرفة عددهم
بالضبط ، وإذا قلنا إن عدد السكان لا يقل عن سبعة ملايين ، فربما كنا إلى
الصواب أقرب . وهم موزعون فى مناطقهم كما يلى :
ثلاثة ملايين فى منطقة البحر الأحمر من مدين إلى اليمن ، ومليون ونصف
فى المنطقة الجنوبية والساحل البحرى ، بما فى ذلك حضر موت وعمان ومليونان
ونصف فى وسط الجزيرة

الحضر

إن كثرة ارتحال القبائل وغزواتها العديدة ، ترك عند الناس فكرة خاطئة عن عدم وجود مدن وبلاد في جزيرة العرب ومناطق زراعية ، وكثير من الناس من لا يعلم بوجود مدن سوى مكة والمدينة وجدة وصنعاء

إن المناطق الساحلية في الجنوب الشرقى والجنوب الغربى من الجزيرة أراض زراعية آهلة بالقرى والمدن ، والأهالى يشتغلون بالزراعة والتجارة ، ويوجد علاوة على ذلك مستعمرات أو واحات عديدة في وسط الجزيرة ، يتجاوز سكان الواحدة منها سبعة آلاف نسمة ، وهذا عدا الأماكن الأخرى المبعثرة الملوئة بالسكان . ومما لا شك فيه أن حياة الحضر في داخل الجزيرة متأثرة إلى درجة ما بحياة البدو الرحل لاتصال الفريقين في كثير من المرافق ، فان الفريقين كثيراً ما يتصلان بالمصاهرة والتجارة

والحضر تختلف طباعهم باختلاف المناطق التي يعيشون فيها ، وظروف الحياة التي تحيط بهم ، فأهل حایل أقرب مظهرًا إلى البداوة ، وأهل مكة والمدينة واليمن العالية أبعد مظهرًا عن البداوة من البلاد الأخرى العربية ، وأهل القصيم ألين عريكة من أهل العارض ، لأنهم كثيرو الأسفار ، كثيرو الاختلاط والتعامل مع البلاد الأخرى كالشام وفلسطين ومصر ، ولذا قترى موظفى ديوان الملك المكلفين بالمقابلات والتشريفات من أهل القصيم أو حایل

وأهل الرياض أرقب بكثير من أهل الدواسر الذين لم يفارقوا بلادهم ، ولم يعرفوا شيئًا عن أحوال العالم الخارجى

والحضر في تنافس وتفاخر دائم ، فأهل القصيم يفضلون أنفسهم على سائر سكان نجد بالعلم والمعرفة وسماحة الخلق والإحاطة بأحوال العالم . وأهل العارض

يفضون أنفسهم بالشجاعة والصبر على المكاره والمحافظة على شمائل العرب وأنهم
جند التوحيد الموأون لأهله فى أوقات الشدة

وأهل البحرين يفاخرون أهل الكويت بكرمهم فيقولون : إذا حضر عندنا
الكويتى دعونا وذبحنا له ولم تقبل له عذرا ، ودعونا معه أصدقاءه ومعارفه . أما
الكويتى فإذا قابلك فى بلده قال لك مرحباً ! متى الوصول ؟ كيف حالك ؟ فى
أمان الله ! ثم انصرف . وإذا لم يجد مفرّاً من الدعوة لروابط العمل والصدقة
المتينة فإنه يدعوك ويشترى اللحم من السوق ، أى لا يذبح لك الخروف
وأهل الكويت من جهة أخرى يرمون أهل البحرين بالبساطة ؛ وحضر
نجد وبدوهم ينالون من أهل الكويت والاحساء والبحرين ، ويقولون لقد أضعوا
مفاخر العرب ، لا يعرفون الخيل والجمال ولا الكر ولا الفر ، ولا يحسنون إلا
قيادة السفن

والحضر يعيب بعضهم بعضاً بلهجاتهم ، وربما كانوا مجمعين على النيل من لهجة
أهل الاحساء والبحرين لما فيها من الرخاوة والميل إلى الامالة
ويغلب على الحضر الخلق التجارى ، وبعض الجهات يمتاز عن بعض فى هذا
الخلق ، فأهل القصيم والزلفى وشقرا أنشط من أهل نجد فى التجارة ، فقوافلهم تقصد
سائر الجهات العربية ، وتجارهم كثيراً ما يسافرون إلى الهند ومصر فى سبيل التجارة ،
والتجار النجديون المعروفون فى الهند ومصر والعراق من أهل هذه البلاد . أما أهل
الكويت فنشاطهم فى التجارة البحرية ، وقد كانت لهم أساطيل بحرية فى الماضى
لنقل الحاصلات العربية إلى الهند وبعض سواحل الخليج الفارسى وجلب السلع
الهندية والأوروبية إلى بلاد العرب ؛ وقد قضت السفن التجارية على هذه الأساطيل
وقللت من أهميتها ومع ذلك فلا تزال للكويت بعض السفن تنقل عليها تمر العراق
إلى الهند ، وتأتى من الهند حاملة الأرز وأدوات السفن وسائر الحاجيات الأخرى

أما في فصل الصيف فتكاد السفن تقتصر على الغوص لاستخراج اللؤلؤ ويمرّ الحضر أولادهم على التجارة من الصغر : يمنح الوالد ابنه الصغير مبلغاً من المال للتعامل به تحت إشراف أبيه وإرشاده ، وكثيراً ما يشارك الوالد ابنه في بعض السلع التي يراها رابحة ، فيشب الفتى وقد مرّن على الأعمال التجارية وشعر بكثير من المسؤوليات ووقف على الطرق التي تدر عليه النقود وعرف المشقات والصعوبات التي قد تعترض التاجر والتي عاناها أهلهم ، فإذا مات رب العائلة حل محله ابنه الذي لم يصبح غريباً في محيطه الجديد

ويغلب على حضر الجزيرة — وعلى الأخص أهل خليج فارس — التعاون التجاري ، سواء بين الأهالي بعضهم مع بعض أو بين الأمراء والأهالي ، فمن التعاون المألوف في الكويت أن يدع تجار اللؤلؤ نقودهم بعد بيعه عند أصدقائهم في التجارة لتثميته على مسئوليتهم الخاصة . وحكام الكويت : جابر وسالم والشيخ الخالي له مبالغ طائلة عند رعاياه التجار لا يتقاضى من ورائها ربحاً أو فائدة ؛ وقد كان حكام البحرين كاخوانهم حكام الكويت عندما كانت يدهم مطلقة في شؤون البحرين الداخلية والمالية . وحكام نجد وتطرح لهم مثل هذه الأيادي على رعاياهم البدو أما البدو فهم القبائل^(١) الرحل المتنقلون من جهة إلى أخرى طلباً للمرعى

أو الماء ، والطبيعة هي التي تجبر البدوى على المحافظة على هذه الحياة وحياة البدوى حياة شاقة مضنية ، ولكنه وهو متمتع بأكثر قسط من الحرية يفضلها عن أى حياة مدنية أخرى

هذه الحياة الخشنة هي التي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل المرعى والماء ، وهي التي جعلت سوء الظن يغلب على طباعهم ، فالبدوى ينظر إلى غيره نظرة العدو الذي يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من المرعى

(١) سنكتب فصلاً في الجزء الثاني عن القبائل العربية وأنسابها وأما كن إقامتها

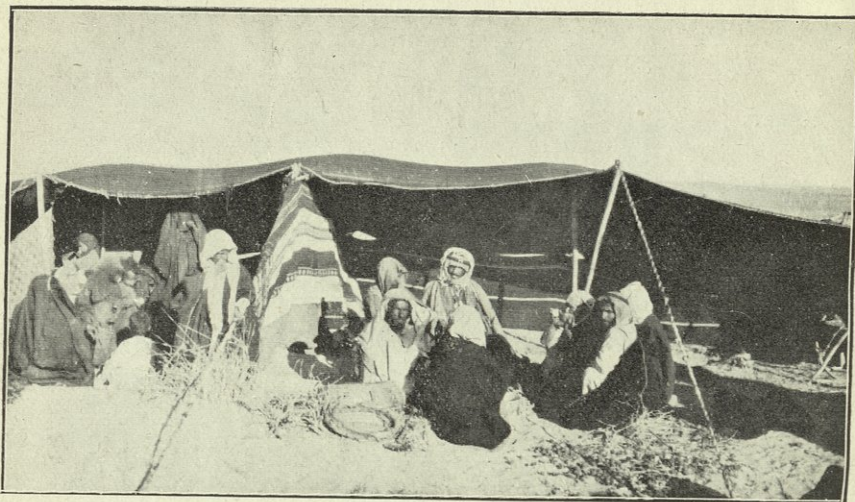
إن البدوى فى الصحراء لا يهتم إلا المطر والمرعى ، فأزمته الحقيقية انحباس
المطر وقلة المرعى ، ولا يبالى بما يصيب العالم فى الخارج مادامت أرضه مخضرة ،
وبعيره سميناً وغنمه قد اكنزت لحماً وقد طبقت شحماً

أما إذا نما السكان وضافت بهم الأرض أو لم تجد أراضيهم بالمرعى ، فليس
هناك سبيل إلا الزحف والقتال ، أو الهجرة إن كان هناك سبيل إليها ، وكذلك
القبيلة التى غلبت على أمرها وحرمت من مراعيها وأراضيها ، ليس أمامها سبيل
آخر سوى الهجرة ، وهذا يفسر الهجرة من وقت لآخر إلى العراق وسوريا ومصر
واستعمار الجزء الشمالى الغربى من أفريقيا ، وتدفق شمر إلى ما بين النهرين ، وقبائل
عزها إلى الحجاز ، فكلها نتيجة تغلب غيرهم عليهم من القبائل ، واضطراهم إلى
ترك أراضيهم التى لم يعد لهم سبيل فى الإقامة بها لضيق وسائل الحياة

ومن الحوادث البارزة فى القرون الأولى ، والتى تشبه ما يجرى فى بلاد العرب
من وقت لآخر اغارة الساميين على بابل ، والكنعانيين على سوريا ، والمكسوس
على مصر ، والعبرانيين على فلسطين

لقد كان البدو قبل ثلاثين سنة فى غارات وحروب مستمرة ، كل قبيلة تنتهز
الفرص للاغارة على جارتها لنهب مالها ، وتعدد الإمارات وتشاحن الأمراء
وتخاصمهم مما يشجع البدوى

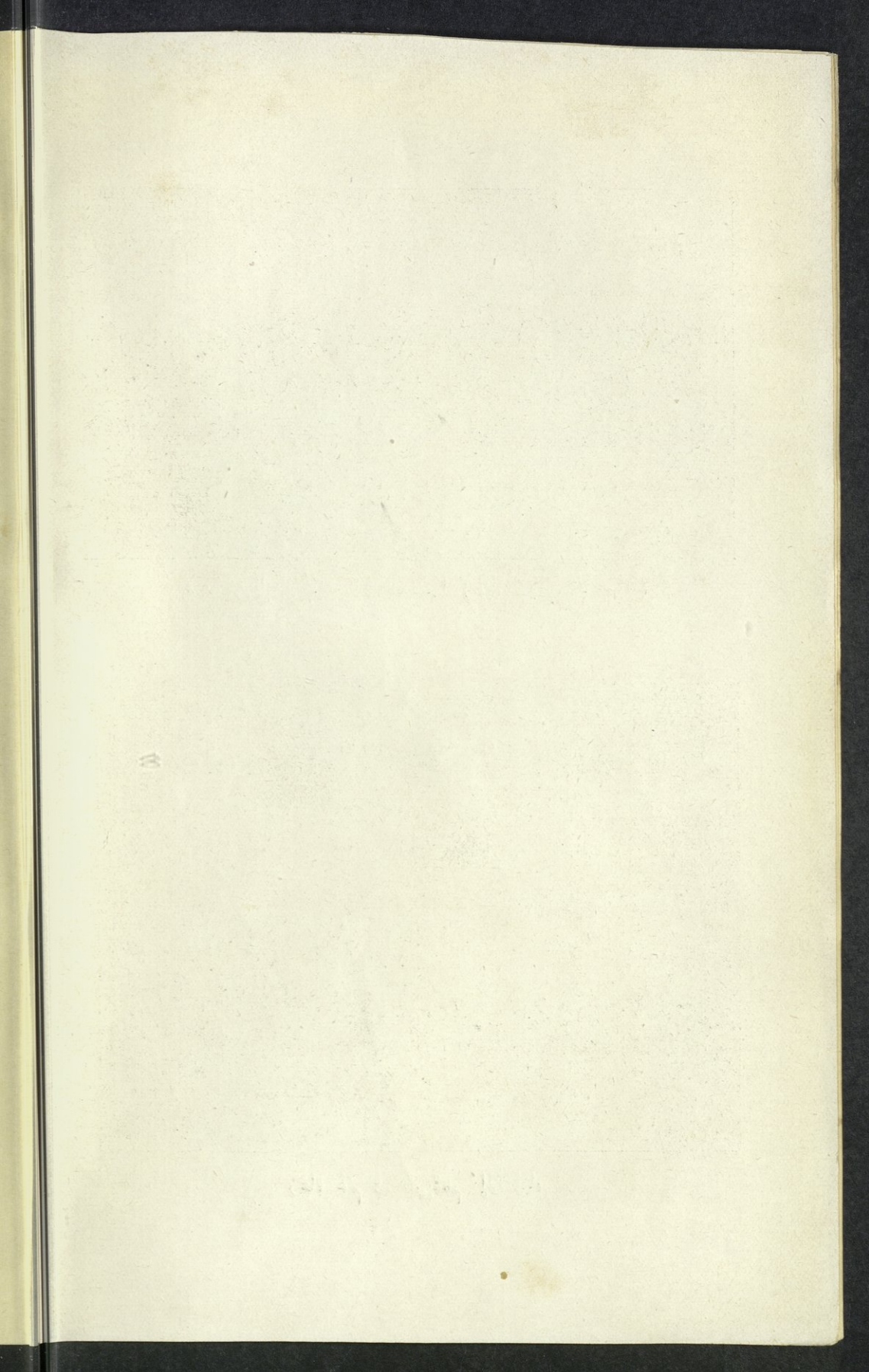
ولهذا كان للعصية قيمتها فى بلاد العرب — فالإنسان يقوى بأبنائه وأبناء
عمومته الأقربين والأبعدين ، وإذا كانت العصية ضعيفة أمكن تقوية القبيلة
بالتحالف مع سواها حتى يقوى الفريقان ويأمنوا شر غيرها من القبائل القوية
وقد جرى العرف أن القبائل تعتبر الأرض التى اعتادت رعيها ، والمياه
التي اعتادت أن تردها ملكاً لها ، لا تسمح لغيرها من القبائل الأخرى بالدنو منها
إلا بإذنها ورضاها ، وكثيراً ما تأنس إحدى القبائل من نفسها القوة فتهمج بلا سابق



جماعة من البدو مجتمعين في الصحراء (بين الرياض والاحساء)



رعاة غنم في طريقهم إلى الماء



إنذار على قبيلة أخرى ، وتنتزع منها مراعيها ومياهاها
إن قبائل العرب ليسوا كلهم سواء في الشر والتعدي على السابلة والقوافل ،
فبعضها قد اشتهر أمره بالكرم والسماحة والترفع عن الدنيا ، كما اشتهر بعضها
بالتعدي وسفك الدماء بلا سبب سوى الطمع فيما في أيدي الناس
ومع أن الدين الاسلامي أبطل كثيراً من العصبية القديمة وأحل محلها الأخوة
في الدين (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو
كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) فقد عادت العصبية بشورها
في بلاد العرب مرة أخرى . والفضل الآن في استتباب الأمن والضرب على أيدي
المفسدين يرجع إلى جلالة الملك عبد العزيز وسهره واقامة أحكام الشريعة ، وسرعة
تنفيذها

ليس للبدوي قيمة حربية تذكر ؛ ولذا كان اعتماد الأمراء على الحضرة ، فهم
الذين يصمدون للقتال ويصبرون على بلائه وبلوائه . وكثيراً ما كان البدو شرأ
على الأمير المصاحبين له ، فان ذلك الأمير إذا ما بدت منه الهزيمة كانوا هم البادئين
بالنهب والسلب ويحتجون بأنهم هم أولى من الأعداء المحاربين ؛ ولقد جرى كثير
مثل هذا في الحرب الإنجليزية العراقية مما كان يندش له الضباط الانجليز ، لأنهم
لم يعرفوا أن صديقاً ينهب صديقاً ؛ ولكن البادية لا تعرف شيئاً غير النهب والسلب ،
وعندها الغنيمة مقدمة على كل شيء . والبدوي لا يرى حياة أسعد من حياة
البادية ، ويرى الحاضرة حسباً لحرته وتنقله حيث يريد ، كما أن أهل الحاضرة
يرون البداوة شقاء لا يعادلها شقاء ، ويصفون البدو بأنهم جفاة غلاظ القلوب
والبدوي إذا لم يجد سلطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقه نهب
الغادي والرائح ، فالحق عنده هو القوة يخضع لها ، ويخضع غيره بها . على أن لهؤلاء
قواعد للبادية معتبرة عندهم كقوانين يجب احترامها ، فالقوافل التي تمر بأرض قبيلة

وليس معها من يحميها من أفراد هذه القبيلة معرضة للنهب ، ولذا فقد اعتادت القوافل قديماً أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل التي ستمر بأرضها ، ويسمون هذا رَفيقا

والبدوي يحتقر الحضري مهما أكرمه ، كما أن الحضري يحتقر البدوي ، فاذا وصف البدوي الحضري فانه في الغالب يقول : حُضيرى تصغيراً لشأنه

ومن عادة البدوي الاستفهام عن كل شيء ، وانتقاد ما يراه مخالفاً لذوقه أو لعادته بكل صراحة ، فاذا مررت بالبدوي في الصحراء استوقفك وسألك من أين أنت قادم ؟ وعنم وراءك من المشايخ والحكام ؟ وعن المياه التي مررت بها ؟ وعن أخبار الأمطار والمراعي ؟ وعن أسعار الأغذية والقهوة ^(١) ؟ وعنم في البلد من القبائل ؟ وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم وبعض

ومع أن البدو قد اعتادوا النهب والسلب ، فانهم كثيراً ما يعفون عن أهل العلم خوفاً من غضب الله عليهم ، وبعض البدو لا يحلف كاذباً مهما كانت النتيجة لقد شاهدت كثيراً من القضايا في الأحساء وغيرها كان البدوي ينكر إذا وجد مجالاً للانكار ، ويفلت بمهارة من الاجابة عما يسأل ، ولكن إذا وجه له اليمين وكان لا مفر له اعترف بجرمه إذا كان مذنباً ، ولا يحلف بالله كاذباً ، وهذا أمر يدعو إلى الغرابة والاكبار أيضاً ، فانه يدل على شعور عميق بالخوف من الله ، وأن هذا الشعور إذا أحيط بالناية والرعاية ، فإنه ربما يوجه إلى الخير ، أو على الأقل إلى الاقلاع عن الشر

وقبائل نجد على العموم لا يزال فيهم الكثير من الصفات الطيبة التي اشتهر بها العرب الأقدمون : يعرفون حقوق الصحبة والرفقة ويثمر معهم عمل المعروف ، فلا تسمع في نجد أن جملاً قتل رفيقه في السفر كما اعتاد الناس أن يسمعوها في الحجاز

(١) الفهوة : البن

وليس أعدل من البدوى فى تقسيم الغنيمة حتى قد يتأفون الشيء تحرياً للعدل
يقسمون السجادة بينهم كما يقسمون القميص أو السروال ، كل هذا إرضاء لضمايرهم
ودفعاً للظلم ؛ إنهم يعرفون الخيام حق المعرفة لأنها بيوتهم التى يعيشون فيها . ومع
ذلك فهم يقسمونها مراعاة للعدل — أما الابل والغنم فإنهم يقسمونها إذا أمكن
القسمة ، أو يقومونها بثمن إذا لم يكن هناك سبيل للقسمة

والبدو لا يفهمون الحياة حق الفهم كما يفهمها الحضرى ، لا يفهمون البيوت
وهندستها ، ولا يفهمون فائدة الأبواب والنوافذ الخشبية ، حتى أن البدو الذين
كانوا فى جيش الملك حسين فى الثورة العربية كانت عملهم بعد الاستيلاء على
الطائف نزع خشب النوافذ والأبواب ، لا لبيعها والاتفاح بثمنها بل لاستعمالها وقوداً
إما للقهوة أو الطبخ أو التدفئة ، وبدو نجد قد فعلوا مثل ذلك تماماً ، فعند
ما أسكنت الحكومة بعض القبائل فى شكنة جرّول ، اكتشفت الحكومة أن
النوافذ الخشبية والأبواب تنقص بالتدريج ، وأنها استعملت للطبخ وتحضير القهوة
فأخرجهم جلالة الملك تَوْماً من الشكنة وأسكن الحضرى فيها ، والحضر بطبيعتهم يفهمون
ملا يفهمه جهلة البدو عن النوافذ والأبواب

وللبدو مهارة عظيمة فى اقتفاء الأثر ، وكثيراً ما كانت هذه المعرفة سبباً فى
اكتشاف كثير من الجرائم ، ولا تكاد تخلو قبيلة من طائفة منهم ، وأشهر القبائل
براعة قبائل المرأة ، ولهم قصص كثيرة لا تخلو من المبالغة ، فإنهم يزعمون أن الخبير
له من الخبرة ما يمكنه من معرفة الذكر والأنثى ، والبكر والثيب ، والحامل والحائل
والقبائل العربية المشهورة من حضر وبادية تحافظ على أنسابها تمام المحافظة
وتحرص عليها كل الحرص ، فلا تصاهر إلا من يساويها فى النسب ، والقبائل
المشكوك فى نسبها لا يصاهرها أحد من القبائل المعروفة
أما حكام العرب فيترفعون عن سائر الناس حضرهم وبدوهم ، لا يزوجون

بناتهم إلا لقبواهم . أما هم فيترز وجون ممن يشاءون ، وطبقات الحكام يترفع بعضها عن بعض : الأشراف يرون أنفسهم أرفع الخلق بنسبهم ، وآل سعود يرون أنفسهم أرفع من الأشراف ، وأرفع من سواهم من حكام العرب الآخرين ، ومع أن العرب المحفوظة أنسابهم كلهم أكفاء لبعض ، فلا تزال أمثال هذه العادات متأصلة في البادية أكثر من الحاضرة

وهنا ترى الروح الصحيحة البدوية التي لا تملك شروى تغير ترفض الزواج من غنى لأنه ابن صانع أو أنه من سلالة العبيد ، أو لأن كسبه القبلى يحوطه شيء من الشك ، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب . ومع وجود هذه الروح الارستقراطية التي تتجلى فقط في الزواج ورياسة القبيلة والحكم ، فانه لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى ، فالفرد وشيخ القبيلة والأمير يأكلون جميعاً الأرز واللحم واللبن والتمر ، ويلبسون جميعاً الثوب والعباءة والعقال والقتر (الكوفية) ، ويتمتع أفرادهم بحرية لاحد لها ، فالبدوى يقف أمام الحاكم فيجادل في سبيل حقه ويستعمل كل الأساليب التي يراها موصلة إلى ما يريد

التقسيمات الادارية

يجمع العرب وحدة اللغة والدين والنسب أيضاً ، وهم إن اختلفوا في بعض العوائد وفي نظام المعيشة ، فهناك صفات عامة وسجايا تكاد تكون مميزة للشعب العربي لقد اصطلح القدماء على تقسيم البلاد العربية إلى خمس ولايات أو مناطق : الحجاز . نجد . اليمن . تهامة . اليمامة . . . ولكن حدود هذه الولايات موضع اختلاف الباحثين بين القدماء ؛ وكما قدمنا أن العرب بالرغم من تعدد إماراتهم وتنازعهم فيما بينهم ، فان هذا كله لا يقضى على ما بين الشعب العربي من مميزات الوحدة ولا سيما اللغة والدين وكثيراً من الصفات الأخرى

أما الحوادث التي سنعرض لها فهي خاصة بالحجاز ونجد وملحقاتها ، أو ما يطلق عليه اليوم البلاد العربية السعودية ، والكوَيْت والبحرين على الخليج الفارسي . والحوادث التي وقعت في هذه البلاد في العشرين سنة الأخيرة هي أهم الحوادث في التاريخ العربي الحديث ، فقد غيرت الحالة العربية عما كانت عليه تماماً قبل الحرب العامة ، وأوجدت للعرب شخصية دولية محترمة يراها الآن الملك عبد العزيز



الحجاز

يقع الحجاز من جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية والغربية ، وهو يمتد من معان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الليث والقنفذة^(١) على شاطئ البحر الأحمر . أما حدوده من الجهة الشرقية فلم تكن معروفة تماماً ؛ بل كانت تمتد وتتقلص تبعاً لقوة الأتراك والأشراف ، ومبلغ سيطرتها على البلاد

وفي البادية يطلقون الحجاز على المنطقة الجنوبية للطائف ، فاذا قالوا : إن هذا البدوي حجازي ؛ يعنون أنه من جنوبي الطائف ، وهذه التسمية لها وجه ؛ فإن جبال السّراة الممتدة من اليمن إلى الشمال هي حجاز ؛ بمعنى أنها فاصلة بين الغور وهو تهامة ونجد

والمساحة التقريبية للحجاز تبلغ زهاء ٧٠٠ ميل طولاً (من الشمال للجنوب) و ٢٥٠ ميلاً عرضاً (من الشرق للغرب)

طبيعة البلاد

تتكون الحجاز من عدة مناطق طبيعية محاذية بعضها البعض وهي :

١ — المنطقة الساحلية : الممتدة بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر (تهامة) ،

وتحفها شعاب مرجانية

(١) في الحرب الحجازية الأخيرة ضمت العقبة ومعان إلى شرق الأردن ، ولكن الحكومة العربية السعودية لم تعترف بهذا الضم ، وانفقت مع الحكومة البريطانية صاحبة الانتداب على شرق الأردن على حل هذه المشكلة بالمفاوضات السياسية

٢ — منطقة جبلية عالية : تأخذ في الانخفاض التدريجي حتى تصل إلى ما بين جدة ومكة ، إذ لا يزيد ارتفاعها هنالك عن ألفي قدم

٣ — منطقة نجدية : (واقعة بين جبال) مرتفعة جداً في الشمال ؛ ومغطاة بالحُمم (السائل البركاني) من العُويرِض ، ولكنها تأخذ في الانخفاض في اتجاهها للجنوب ؛ فيصل ارتفاعها في غربي مكة والطائف إلى نحو ألف قدم

٤ — الاضرود الرئيسية : الأجزاء المرتفعة منه مغطاة بالحُمم كما هو الحال في الخرمة ، والعُويرِض ، وخيبر (٦٠٠٠ — ٨٠٠٠ قدم) ، ولكنه لا يزال محتفظاً بارتفاع لا يقل عن خمسة آلاف قدم خلف مكة

٥ — المنطقة الأُهميرة : وهي أعلى حافة المنحدر الشرقي في اتجاه قلب الجزيرة ، ففي المنطقة الأولى والثالثة تقع المدن الآهلة بالسكان ، فبناء العقبة والمؤيِّلح والوجه ، وأملج ، وينبُع ، ورابع ، وجدة ، والبيث واقعة في المنطقة الأولى وميناء العلا ، والمدينة ومكة واقعة في المنطقة الثالثة ويوجد في الحجاز واحات خصبة متفرقة هنا وهناك ، وهي على الأغلب واقعة على خط بين المنطقة الرابعة والخامسة ، ومنها الحائط ، والحويِّط (فدك) وخيبر والحِنَّاكِيَّة ، والطائف ، ووادي فاطمة (مرّ الظهران) ، والصفراء

الجو

إن كميات المطر التي تنزل في الحجاز قليلة وغير كافية بالمرّة ؛ ولهذا فإنه يكاد جميعه يكون قاحلاً ؛ إلا حيث توجد الواحات . وفي الطائف وبخاصة في الجنوب لا توجد أمطار دورية تنزل فيه ، كما هو الحال في عسير واليمن ودرجة الحرارة في أجزاء الحجاز الواطئة أخف منها في تهامة اليمن ؛ ومتوسطها

(تاريخ الحجاز — ٢)

هو من ٨٠ — ٩٠° ف ، والهواء رطب ، ونظراً لأن مكة منخفضة الارتفاع (٧٠٠ — ٨٥٠ قدماً) ومحاطة بمرتفعات صخرية جرداء ؛ فإنها شديدة الحر صيفاً ، بخلاف المدينة ؛ فان درجة الحرارة فيها لا تزيد عن ٧٠ ، وهي بلد صحى والطائف أحسن بلاد الحجاز قاطبة ، جاف الهواء — والمرتفعات فيما وراء مكة والطائف جوها بارد

السكان

يمكن تقدير عدد سكان الحجاز : بدو وحضر بمليون نسمة ونصف ؛ ثلثهم يشتغلون بالزراعة أو يقيمون في المدن ، والثلثان قبائل متنقلة

التجارة والصناعة

تكاد تنحصر التجارة في الحجاز فيما يحتاجه القاصدون للبلاد المقدسة من الحاجيات ، وكلها ترد إلى الحجاز من الخارج . ويصدر الحجاز بعض حاصلات من التمر والجلود والحناء والصمغ ، ولكنها قليلة جداً بالنسبة للواردات وترد البضائع من كل الجهات إلى مكة التي تعتبر أهم مركز تجارى في قلب الجزيرة ؛ نظراً لموقعها الجغرافى والدينى وتعتبر جدة لقربها من مكة أهم موانى الحجاز . وفى غير موسم الحج تشتغل جدة بالتجارة مع سوريا والهند ومصر ؛ وأفريقيا وبريطانيا ، وممالك جنوب أوربا . وإلى جدة يصل أكبر عدد من الحجاج ، ومنها يقضون أغلب ما يلزمهم فى سفرهم إلى مكة

وشركات البواخر التى تمر بميناء جدة فى الوقت الحالى هى شركة مصر للملاحة البحرية ، والخطوية ، والإيطالية ؛ وهناك شركات أخرى تمر بوآخرها كلها مست الحاجة

ينبع :

هي الميناء الثانية للحجاز ، ومنها يصدرّ للداخل جزء غير قليل من التجارة مع أواسط الجزيرة . وهي الميناء الطبيعية للمدينة المنورة وما جاورها ، وتمر على الميناء البواخر السابقة

المدينة :

وتسمى طيبة أيضاً ، هي العاصمة الأولى للمسلمين في عهد الرسول وخلفائه الثالث ، وهي معقل الاسلام ، وبها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما نزلت المدينة ومر كرها في الحركة الإسلامية الأولى فضلها بعض العلماء على مكة

تبعد المدينة عن ينبع ١٣٠ ميلا ، وعن مكة ٣٠٠ ميل تقطع بالإبل في عشرة أيام ، وبالسيارة في نحو ثلاثين ساعة

يبلغ طول المدينة ميلاً واحداً ، وهي قسبان : المدينة القديمة ويحيط بها سور ، وهي في الشمال الشرقي ؛ والبلدة الحديثة ، وتفصل المناخة بينهما ، وللمدينة خمسة أبواب

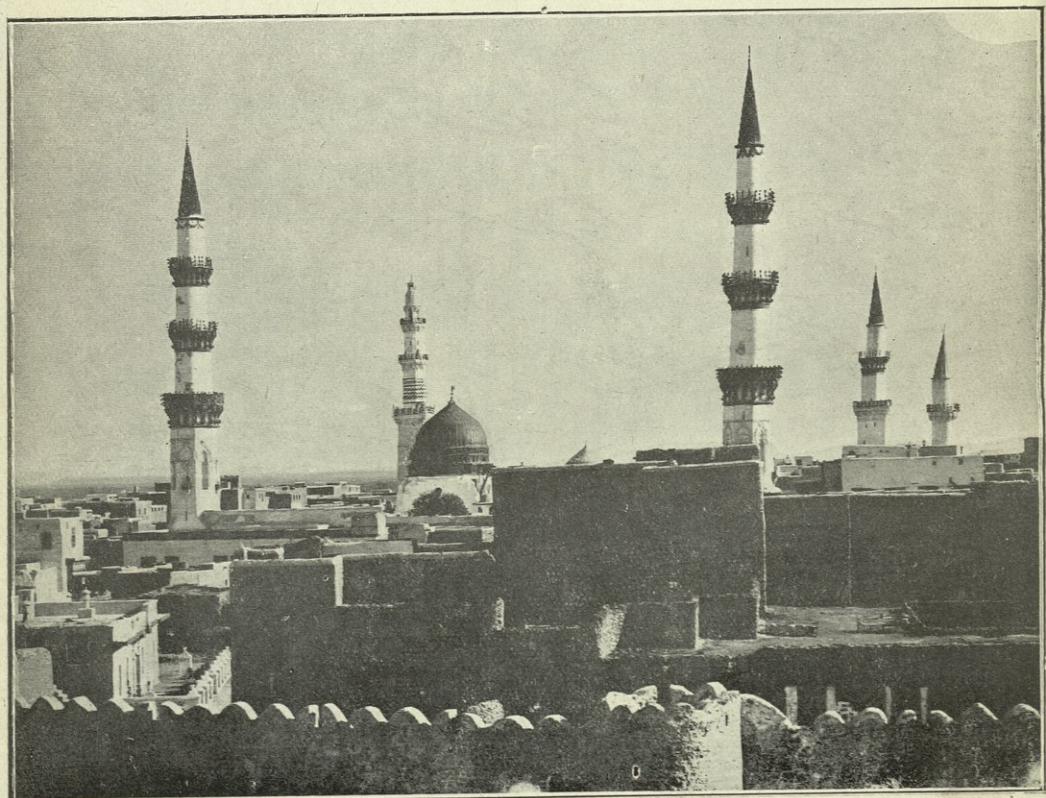
والمدينة محاطة بالمزارع من جهاتها الأربع إلا الجهة الغربية ، وتمتد المزارع حولها إلى عدة أميال ، وبها عين الزرقاء ، منبعها من قباء على بعد ميلين من المدينة يبلغ سكان المدينة عشرين ألفاً ، وقد بلغ سكانها قبل الحرب العظمى بعد اتصال السكة الحديدية بها ٨٠ ألفاً ، ولكن مصائب الحروب أفقرت المدينة من السكان ومن العمران . وبالمدينة كثير من قبور الصحابة وآل البيت ، وأئمة الحديث والفقهاء ؛ وقد كان مشيداً على قبور هؤلاء القباب والمباني ، فهدمتها الحكومة الحالية في السنة الأولى من فتح الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٦ م ، تنفيذاً لوصايا الرسول وأوامره بتسوية القبور ، ولقد أثار هذا العمل نائرة المتعصبين للقبور ،

ولكن الحكومة لم تأبه لاحتجاجاتهم ، ولقد عرض كثير من الأمراء والجمعيات
الاسلامية في الهند وغيرها استعدادهم لإرجاع القباب و بناء القبور ، ولكن الحكومة
في سبيل رضا الله رفضت جميع الاقتراحات الخاصة بهذا الموضوع

مسجد الرسول :

هو أهم ما في المدينة من المساجد ، وقد بنى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
بالبن ، وسقفه الجريد ، وعمده جذوع النخل ، وقد كانت مساحته سبعين ذراعا
في ستين ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنيانه في عهد النبي بالبن والجريد وأعاد عمده
جذوعاً ؛ ثم غيرّه عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة
والقصة (أى الجص) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقّفه بالساج ؛ وامتدت
الزيادة حتى دخلت فيه بيوت أزواج النبي ، ومنها بيت عائشة الذى دُفن فيه النبي
وصاحبه ، فبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد

وزاد فيه الوليد بن عبد الملك من ٨٨ — ٩١ هـ ، والمهدى (سنة ١٦٦ هـ) من
جهة الشمال ، والمأمون (سنة ٢٠٢ هـ) ، وفي سنة ٦٥٤ هـ احترق المسجد ، فاهتم
الخليفة العباسى المستعصم بالله عبد الله بن المتتصر بالله ، فبدأ تجديد المسجد سنة ٦٥٥ هـ
وما زال المسجد موضع عناية ملوك وأمراء المساهين ببناء وترميم وتجديدا .
والبنا الخالى هو بناء السلطان عبد الحميد العثمانى ، بدأ ببناءه سنة ١٢٦٥ هـ ،
وانتهى البناء سنة ١٢٧٧ هـ ؛ وهو بناء بديع جمع بين الفن والجمال ، وهو
يفضل بناء المسجد الحرام بمكة كثيرا ؛ وقد حدث بالبناء الخالى تصدّع ، فاهتم
ملك مصر فؤاد الأول بأمر المسجد ، ولم ير الملك عبد العزيز أى غضاضة
في أن يقوم بهذا الشرف ملك آخر ؛ فان الاهتمام بالحجاز والمحافظة عليه وعلى
مساجده أمر يشترك فيه المسلمون جميعاً : ملوكا ، وأمراء وأفرادا ؛ كل بالقدر



منظر المسجد النبوي من خارج المدينة

الم

ما

أيا

الأ

م

ه

س

و

ا

ت

تحت إشراف

الممكن ، والملوك أقدر من غيرهم على القيام بالواجب
ولقد كان بالحجرة النبوية والمسجد الحرام كثير من الهدايا الثمينة ، تقدّر بثلاثة
ملايين من الجنيهات ، نقلها قائد المدينة فخرى باشا إلى الإستانة خشية أن تقع في
أيدي الملك حسين

وفي مباحثات مؤتمر لوزان طلب اللورد كرزون بالنيابة عن الملك حسين رد
الأمانات التي وضع الأتراك يدهم عليها ؛ ولكن الأتراك أجابوا بأن هذه المسألة
من المسائل الإسلامية الخاصة بالمسلمين
ولم نعرف أن الملك حسيناً بعد ذلك دخل في مفاوضات مع الأتراك لاسترداد
هذه الأمانات الخاصة بالحرم النبوي والمهداة إليه من ملوك المسلمين

الأقاليم الشمالية

ينحصر هذا القسم الواقع في شمال الحجاز ما بين خط العرض ٣٠ شمالاً ، وهو
قسم جبلي ، لا يقيم به من السكان إلا نفر قليل ممن يعيشون في أكواخ صغيرة ؛
وخط سكة الحديد الحجازية المار في هذا القسم لا يوجد به مدن في المحطات
الواقعة عليه ، فمن معان إلى دار الحمرَاء (٢٥٠ ميلاً تقريباً) لا يوجد فيه مدينة
أو قرية إلا في تبوك ، فان بها نحواً من ٨٠٠ ساكن
والساحل في هذا الجزء عبارة عن أرض منبسطة يبلغ عرضها من ٧ أميال
إلى ١٥ ميلاً ، وليس به مزروعات إلا في فم الوديان ؛ ولكن به بعض الآبار القديمة
التي كان يردها حجاج مصر قديماً
وأهم المدن والقرى هي :

١ — العقبة :

تقع على الشاطئ الشرقي من خليج العقبة ، قريباً من رأس الخليج الذي

يشبه نصف دائرة قطرها ثلاثة أميال ، وبها قلعة قديمة على شكل مربع ، وهي
تحتوى على ١٠٠ منزل ، وبها بساتين ومزارع نخيل

٢ — المويِّلِح^(١) :

قرية وقلعة على بعد ١٥٠ ميلا إلى الجنوب ، وبها سوق للحبوب ، ونحو مائة
عائلة يسكنون الأكواخ ، وبها بساتين ومزارع نخيل ، ومياهها من الآبار . ومن
المويِّلِح توجد طريق قوافل لتبوك وللمدينة المنورة

٣ — ضُبَا :

تقع إلى جنوب المويِّلِح وهي الحل الرئيسية لقبيلة الحويِّطات ، اتخذها الأتراك
قديماً مركز دفاع عن الشاطئ . بها آبار ومزارع نخيل

المنطقة الوسطى

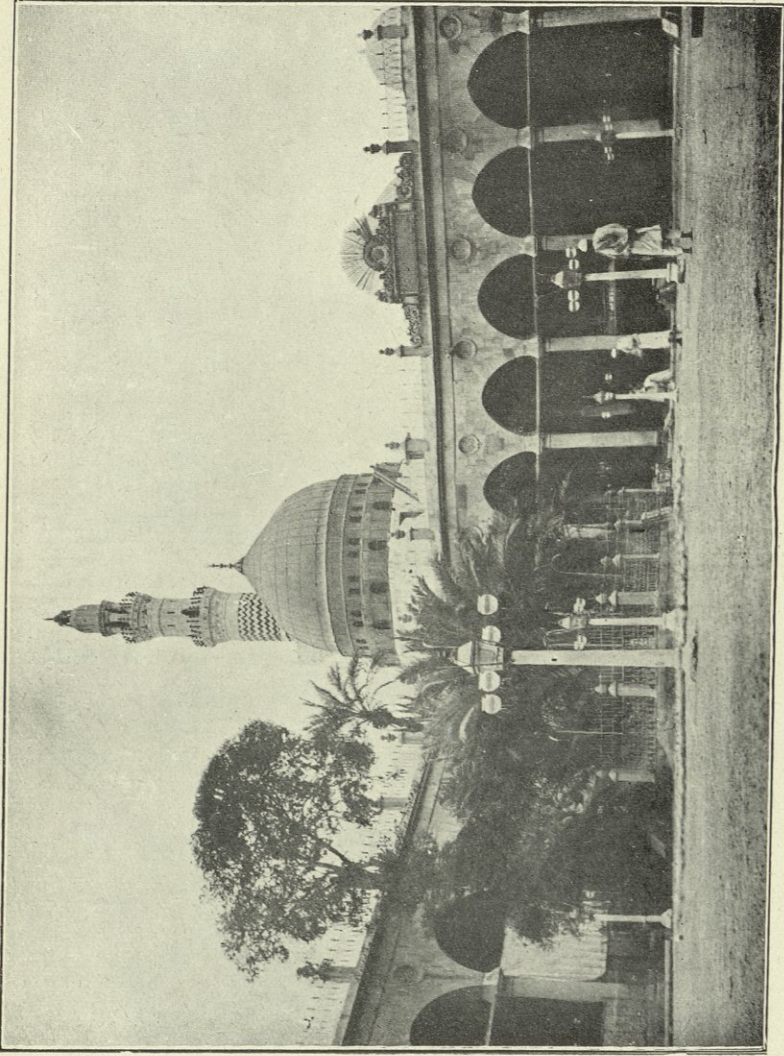
يقع ضمن هذا الجزء جميع البلاد الواقعة بين خطى عرض ٥٧° و ٢٤° شمالاً
و يمتد هذا الجزء نحو مائتى ميل ، وجميع الوديان ومجارى المياه فى هذه المنطقة تنفذ
إلى البحر الأحمر بواسطة منفذ واحد ، هو وادى الحَمْض الذى يقع فمه إلى جنوبى
الوجه بثلاثين ميلا

ووادى الحمض نفسه ينحدر إلى البحر من العويرِض وخيبر
والبلاد الرئيسية فى هذه المنطقة هى :

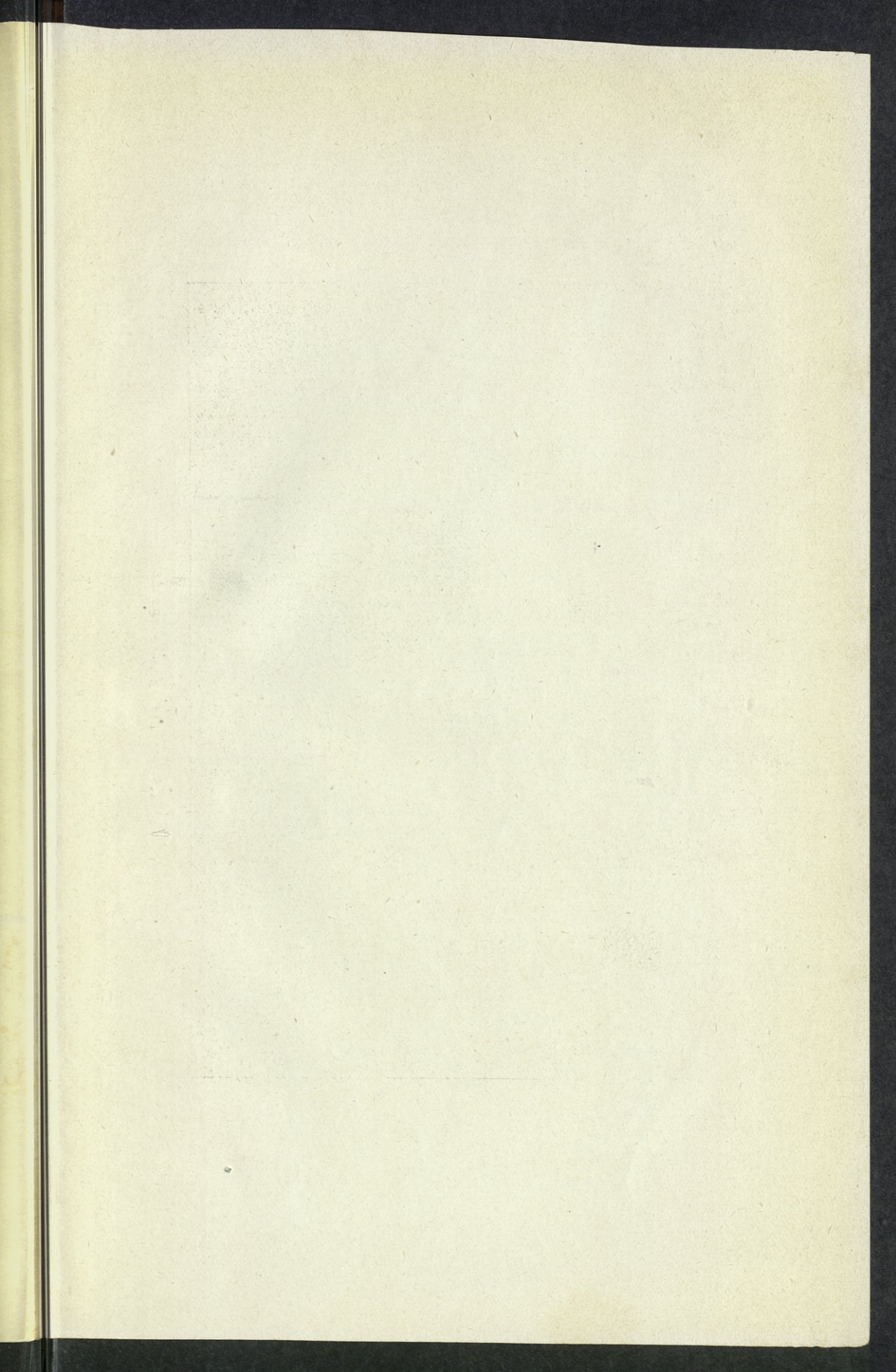
الوجه :

وهى بلدة صغيرة تحتوى على بضعة بيوت مبنية من الحجر ، سكانها نحو ألفى
نسمة ، وبها قلعة وسوق ، ومياهها تميل إلى الملوحة

(١) إليها ينسب صاحب سيرة ابن هشام



المسجد النبوي من الداخل



أَمْلِجُ :

قرية بها نحو مائة منزل ، بها قلعة صغيرة ، وأمامها تقع جزيرة حَسَّان التي من رملها يصنع الزجاج ، بها مزارع نخيل ، ومنها تمتد طريق في الداخل إلى اصطبل عَنَتَر ، إحدى محطات سكة حديد الحجاز (١٢٠ ميلاً) ؛ وإلى المدينة المنورة (١٤٠ ميلاً) والأراضي هنا خصبة وبخاصة في وادي عين الواقع إلى شمال جبل رَضَوَى

ينبع البحر :

مبنية على سهل واقع بين البحر والجبل ، وهي مسورة من جهة الداخل ؛ بيوتها مبنية من الحجر الجيري ، سكانها نحو ٥٠٠٠ نسمة ، والمسافة بينها وبين المدينة تقطع بالسيارة في ست ساعات ، ويجلب إليها الماء من مياه تسمى المُسَيِّحِي تبعد عن البلدة نحو أربع ساعات . وقد أنشأت الحكومة الحالية (كُنْدَانَسَا) لتقطير المياه من البحر محافظة على صحة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم

ينبع النخل :

هي واحة نخيل مياهها كثيرة ، وهي مقر عرب جهينة وحَرَب ، ويتبعها نحو عشرين قرية أهلة بالسكان

العَلَا :

تقع في شمال سكة حديد الحجاز وسكانها نحو ٣٠٠٠ نسمة ، والبلدة نفسها صغيرة وضيقة ، ولكن الواحة تمتد حولها إلى ثلاثة أميال ، وبها نهير صغير درجة حرارة المياه فيه ٩٢ ف . ومحاصيلها كثيرة يشتريها البدو الرّحل في الشمال ، وبها بساتين قليلة

خيبر :

هي قرية أو مجموعة قرى في واحة تسمى باسمها ، واقعة في حرة على مرتفع يبلغ ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهي على بعد ستين ميلاً من شمالي المدينة المنورة والبلدة نفسها تقع في وادي زَيْدِيَّة أكبر وديان خيبر ، وبها قلعة قديمة تسمى الحصن ، وبها عيون ماء جارية كثيرة

وخيبر اسم مشهور من قديم في الاسلام ؛ فقد وقعت فيها معارك . وسكانها ٣٠٠٠ نسمة أكثرهم مولدون ، والعرب لا يحبون الإقامة فيها خوف الحمى والواحة غير صحية ، وقد كانت خيبر موطن اليهود في صدر الاسلام

الْحِنَاكِيَّة :

موطن صغير في جنوب خيبر ، وعلى مقربة من رأس وادي الحَمْض ، وقد كانت قديماً تابعة لقبيلة الرُّؤَلَة ؛ ولكنها الآن أصبحت موطناً للموالي ، وبها نحو خمسين منزلاً ، بها مزارع للنخيل . وهي واقعة على إحدى الطرق ما بين المدينة وْبُرَيْدَة

القسم الجنوبي

يتمد هذا القسم من خط عرض ٢٤° إلى خط عرض ٢٠° شمالاً حيث تتبدى حدود عسير من هذا الخط . وأهم مدنه

رابع :

هي عبارة عن مجموعة من البيوت الصغيرة ، ولكن بها مزارع نخيل واسعة تمتد في الداخل إلى بضعة أميال

جُدَّة :

هي مدينة مسورة ، وتقع ميناؤها في منتصف طول البحر الأحمر تقريباً ،
وهي ميناء مكة ، والمسافة بينهما خمسة وخمسون ميلاً ؛ ويبلغ سكانها حوالي
ثلاثين ألف نسمة

أسس جدة الخليفة الثالث عثمان . وميناؤها خطر لكثرة الشعوب الموجودة فيها
وقد كان بجدة قبر ينسب إلى حواء أم البشر ، وقد كان الحجاج يزورون هذا
القبر ويتبركون به ، كما أن أهل جدة أنفسهم كانوا يقصدون هذا المكان للتعظيم ،
وقد هدمت الحكومة الحاضرة القبة الموضوعة على القبر ، كما أزالوا البنيان الذي
على القبر ، ومنعت الناس من التمسح به أو إتيان أى عمل لا يتفق مع الشريعة
الإسلامية

ولقد زار العلامة ابن جبير الأندلسي جدة في حجه (سنة ٥٧٩ هـ) فذكر
بعض آثار جدة ، ومنها الموضع الذي شيد عليه « قبة عتيقة » يقال إنه كان منزل
حواء أم البشر عند توجهها إلى مكة ، ولم يذكر ابن بطوطة شيئاً عن قبة حواء
عند مروره بجدة في طريقه إلى اليمن (سنة ٧٣٠ هـ) ولم تقف على تاريخ تشييد
القبة ؛ وعلى كل حال فليس هنالك حجة تاريخية على صحة هذه النسبة

ويحيط بجدة قرى صغيرة في الجنوب والشمال ، أكثرها مؤلف من بيوت
صغيرة أو أكواخ يسكنها البدو ، والجمالون وكثير من الزنوج

وجدة ليس بها نهر أو عين لشرب السكان ، ولكن بها آبار كثيرة خارج
البلد ، يملك أكثرها الأشراف والأهالي ، وهي تملأ بماء الأمطار ؛ كما أن البيوت
بها صهاريج تملأ بما ينحدر إليها من سقوف البيوت ، وهذه المياه غير صحية ؛ ولذا
فقد كان الأغنياء يجلبون ماءهم من الآبار البعيدة

وقد شيدت الحكومة التركية آلة على البحر لاستخلاص الماء الحلو ؛
فساعد أهل جدة والأوربيين القيمين بها على الحصول على ماء صحتي ؛ وقد
اشترت الحكومة الحالية ما كينتين كبيرتين لهذه الغاية بالنظر إلى قدم العهد على
الآلة الأولى ، فتوفرت المياه العذبة للسكان وللحجاج ؛ وفي السنتين الماضيتين
أوصلت الحكومة الحالية ماء عين الوزيرية إلى جدة ، وهي تعمل لا يصالها إليها
بالأنابيب الحديدية ، وهي على وشك الانتهاء من هذا العمل الجليل

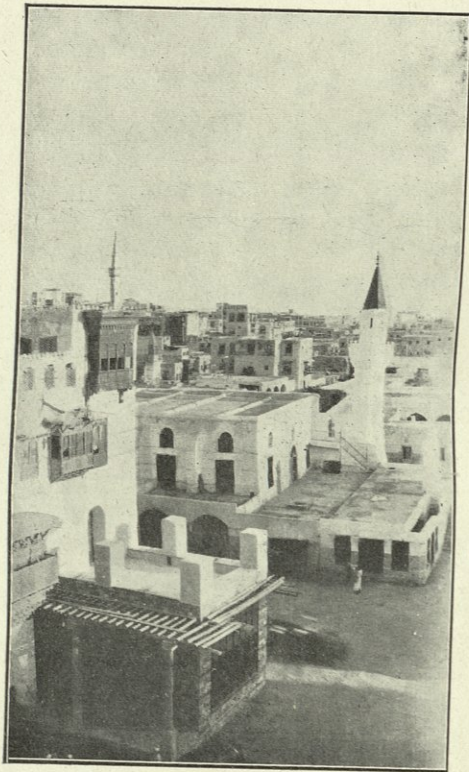
وقد كانت جدة في القرن الماضي مركزاً تجارياً هاماً ، تجلب البضائع إليها
من الهند وغيرها ؛ ومنها توزع إلى بلاد العرب ومصر والسودان وغيرها ، ولكن
شأنها ضعف بعد أن وضع محمد علي باشا يده على الحجاز ، وفتح السويس للتجارة .
وقد أضعف شأنها كثيراً فتح ميناء بور سودان ، فأصبح هو الميناء الأول
في البحر الأحمر

الليث :

قرية تبعد عن الميناء نحو ميل ونصف ، يبوتهما من الطين ، شاطئها منخفض
ورملي ؛ وفي الداخل تبدأ الأرض في الارتفاع إلى الشمال حيث تتحول إلى جبال
عالية بعد مسافة

مكة :

وتسمى بكة وأم القرى ، أشهر مدن الحجاز ، بها بيت الله والمسجد الحرام ؛
وتقع مكة في واد ضيق عميق يتجه شمالاً مع ميل قليل إلى الشرق ، والتلال المحيطة
به ترتفع إلى مئات من الأقدام ، وتحيط بالوادي إحاطة كاملة ، أغنت السكان
والأمراء عن بناء سور لحمايتها ؛ وقد شيدت عدة ضواحي شمالي مكة
يبلغ سكانها نحو ١٠٠ ألف نفس ، وقد عمل احصاء لمكة (سنة ١٣٥١ هـ) —

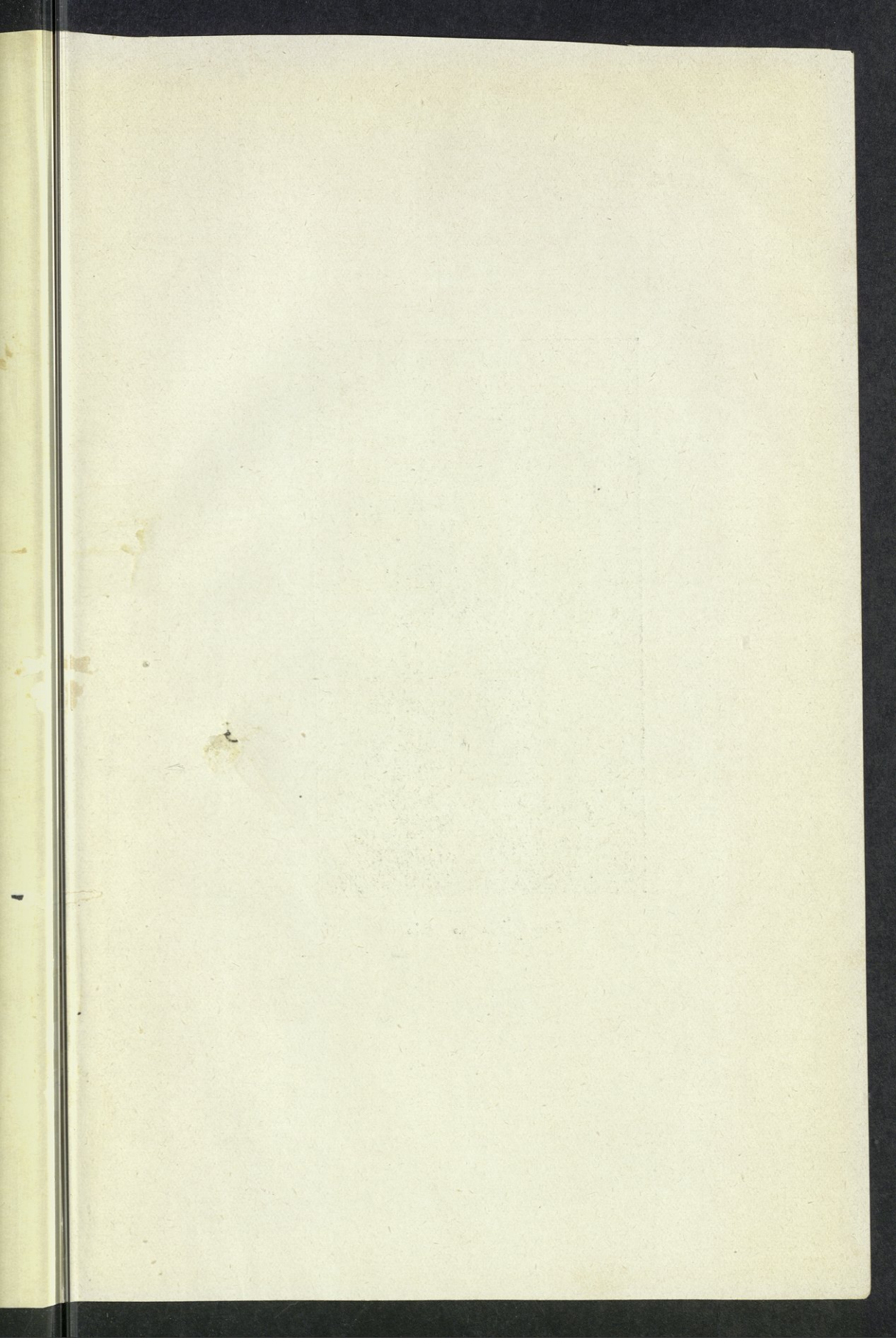


منظر من مناظر جدة

لحلوه ؛
وقد
على
يتبين
إليها
إليها
سكن
رة .
ول

ض
بال

؛
طة
ن



٢٩٣٢ م) ولكن النساء^(١) لم يدخلن في هذا الاحصاء ، وعلى كل حال فلاحصاء تقريبي ، وجو مكة حار جداً وجاف ولكنه صحى

وأهم ما في مكة من المباني والآثار : الكعبة المشرفة ، والمسجد الحرام فالكعبة أو بيت الله أو البيت العتيق ، بناء مربع تقريباً ، بنى في أوسع نقطة من الوادى ، والآن يحيط بها المسجد ، والمسجد من حيث السعة والبناء والجمال والفن المعماري لا يفوق غيره من المساجد الأخرى الموجودة في الشرق ، ولكن الاحترام والتقديس إنما هو للكعبة

يبلغ ارتفاع الكعبة ١٥ متراً ، وطول جدارها الشمالى ٩,٩٢ متراً ، والجنوبى ١٠,٢٥ متراً ، والغربى ١٢,٢٥ متراً ، والشرقى ١١,٨٨ متراً ، وفي الجدار الشرقى بابها ، ويرتفع عن الأرض مقدار مترين وعتبته مصفحة بصفايح الفضة ، وكذلك مصراعاً الباب ، إلا أن صفايح الفضية مطلية بالذهب

ويلاصق جدار الكعبة من أسفلها بناء من الرخام ، يسمى بالشاذروان ، أقيم تقوية للجدران ، وهو يحيط بها من جميع جوانبها ، ولا يعلم بالضبط متى بدى البناء على أصل الشاذروان ، وقد جدد البناء عليه مرارا ؛ وفي الركن الجنوبي الشرقى للكعبة من الخارج الحجر الأسود ، وهو مبدأ الطواف ، ويرتفع عن الأرض متراً ونصفاً ، وهو كاسمه أسود ، وقد عمل له غطاء من الفضة (سنة ١٢٩٠ هـ) بسبب التشقق الذى حدث منه ؛ وقد قال سيدنا عمر في تقبيل الحجر : إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلك

(١) وتذكرنا حوادث استثناء النساء من الاحصاء بما حاولته ادارة الصحة من وجوب الكشف على الأموات قبل الدفن فاحتج أهل مكة على سريان هذا القانون على النساء وساعدهم علماء نجد على رأيهم فلم تستطع الحكومة تعميم الكشف ، واضطرت أخيراً لاستخدام بعض السيدات الملمات بأصول الطب لهذا الغرض وبعض الأغراض الأخرى الخاصة بالسيدات

أما تاريخ تشييد الكعبة والغرض الأساسي من بنائها ، فإنه يشغل قسماً هاماً من التعاليم الإسلامية ، والتاريخ العربي والديني ؛ غير أن الروايات الكثيرة التي وردت في ذلك يحتاج أكثرها إلى بحث علمي دقيق ؛ فإن الروايات الخاصة بهذا الموضوع كثيرة ومتناقضة ، وبعضها لا يتفق مع قواعد العلم^(١)

إذ أن المكان الذي شيّدت عليه الكعبة قد أرجعه الرواة إلى آدم أبي البشر ، ومع أن هذا لا يستند إلى خبر صحيح ، فإنه يدل على أن بناء الكعبة قديم يرجع إلى ما قبل التاريخ

والتاريخ الحقيقي للكعبة يبتدئ من عصر إبراهيم عليه السلام ، وسنلخص فيما يلي ما رواه البخاري لما له من المركز الممتاز عند مؤرخي المسلمين ، وللدقة التي كان يتوخاها في تمحيص الروايات :

قال البخاري : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل ، اتخذت منطلقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبانها اسماعيل ، وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت ، عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس في مكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ؛ ثم قفا إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم اسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ وقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثانية حيث لا يروونه ، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ، ورفع يديه فقال : (ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم) حتى بلغ (يشكرون) . وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت ، وعطش

ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوّى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر : هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ؛ فهبطت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت : هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات ؛ فلذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فاذا هى بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ^(١) ، وجعلت تعرف من الماء فى سقامها وهو يفور بعد ما تعرف ، فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافى الضيعة فان ها هنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتبه السيول فتأخذ من يمينه وشماله . فكانت كذلك حتى مرت بهم رققة من جرهم ، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء ^(٢) ، فنزلوا فى أسفل مكة ، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل آيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجته امرأة منهم ، ثم طلقها وتزوج من أخرى ، ثم جاء إبراهيم وإسماعيل يبرى نبلاً له تحت دوحه من زمزم ، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد . ثم قال : يا إسماعيل ! إن الله أمرنى أن أبى ها هنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ولما بنيا القواعد وبلغا مكان الركن ، طلب إبراهيم من ابنه حجراً فأظهر كسله ، فانطلق إبراهيم يطلب الحجر ، فجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند ،

(١) أى تجعل موضعاً يجتمع فيه الماء (٢) جبل بأعلى مكة

* هذه الزيادة ليست من رواية البخارى ، وإنما ذكرها المؤرخون والمفسرون ، وهى

بلا شك أشبه بالأساطير . (صحيح مسلم)

وكان أبيض ياقوتة بيضاء ، وكان آدم هبط به من الجنة فأسود من خطايا الناس
وقد همت قريش ببناء الكعبة سنة أن بلغ رسول الله خمساً وثلاثين سنة ،
ولكنهم كانوا يهابون هدمها ، وإنما كانت رضا فوق القامة ، فأرادوا رفعها
وتسقيفها ، فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها ، قام ابن وهب ، أو أبو وهب بن
مخزوم ، أو المغيرة بن مخزوم ، وقال : يا معشر قريش ! لا تدخلوا في بنائها من كسبكم
إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظالم أحد من الناس
فأخذت قريش تجمع الحجارة ، كل قبيلة على حدتها ، حتى بلغ البنيان الحجر
الأسود ، فاخصموا فيه : كل قبيلة تريد أن تمتاز بهذا الشرف ، حتى كاد الأمر
يفضى بهم إلى القتال ، وأخيراً أشار عليهم أبو أمية بن المغيرة أن يتركوا الفصل في
هذا النزاع إلى أول داخل من الباب ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هلم إلي ثوبا ، فأتي
به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من
الثوب ، ثم رفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه
ولم تزل الكعبة على بناء قريش حتى احترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير ،
وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصر ابن الزبير في مكة ورمأها بالمنجنيق ،
فحينئذ نقضها ابن الزبير إلى الأرض ، وبنها على قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها الحجر
وجعل لها باباً شرقياً وباباً غربياً ملصقين بالأرض ، كما سمع ذلك من خالته عائشة
عن رسول الله . ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج ، فردها إلى ما كانت
عليه بأمر عبد الملك بن مروان . وقد أراد هارون الرشيد أو أبوه المهدي ردها إلى
بناء عبد الله بن الزبير ، فاستفتوا الإمام مالكا في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
لا تجعل كعبة الله ماعبة للملوك ، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها ، فترك ذلك الرشيد

وقد عملت ترميمات عديدة في أيام الخلفاء العباسيين ، وسلاطين مصر المماليك ،
وسلاطين آل عثمان ، بسبب السيول والأمطار ، وتجد في داخل الكعبة وخارجها
ما يشير إلى ذلك

وتغسل الكعبة من الداخل مرتين في السنة : في رجب وذى الحجة ؛ يقوم
بهذا العمل الشيخ الشَّيْبِيُّ سادن الكعبة ، ويدعو لحضور هذا العمل الذى يعد من
حفلات مكة الهامة حكام البلد وأعيانها ، وبعض البارزين من الحجاج ، ويزدحم
الناس حول الكعبة في ذلك اليوم ازدحاماً يدل على ذلك الأثر الدينى العميق في
النفوس ، على أن هنالك بعض أشياء تحدث من العامة وغير الواقفين على العقيدة
الإسلامية الصحيحة ، من شرب ماء الغسيل والاعتسال به ، ولكن الجهل آفة كل
شئ ؛ وقد حضرت هذا الاحتفال مراراً أثناء إقامتى بالحجاز

ويجمع الشيخ الشَّيْبِيُّ ماء الغسيل ويضعه في قوارير يهديها مع المكائس للحكام
وكبار الحجاج ، وتكسى الكعبة كل سنة ؛ وليس من موضوع الكتاب التوسع
في وصف الكسوة وتاريخها في الجاهلية والإسلام ، فقد أفردت كتب كثيرة
في العربية واللغات الأخرى في وصف مكة والمدينة وكل ما يتعلق بهما

مقام ابراهيم :

لا يعلم بالضبط هل موضع المقام الحالى هو موضعه الأصيل أو كان ملصقاً بجدار
الكعبة ، ثم نقل إلى موضعه الحالى
فبعض الرواة يرجحون أن المقام كان ملصقاً بجدار الكعبة ، ونقل من مكانه
في خلافة عمر ؛ وروى الأزرقى أن موضعه الحالى هو موضعه في الجاهلية وفي عهد
أبي بكر وعمر ، إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر ، فجعل في وجه الكعبة ، إلا
أن عمر رده إلى موضعه بمحض من الناس ؛ ويذكر ابن جبير أن الذى صرفه إلى
موضعه الحالى هو النبي صلى الله عليه وسلم

والناس يصلون خلف مقام ابراهيم ركعتين بعد الانتهاء من الطواف ، وكثير من الحجاج من يقبل الحجر المسمى مقام ابراهيم ويتبرك به ، حتى المنتسبين إلى العلم منهم ؛ فالرحالة ابن جبير الأندلسي الذي حج في (٥٧٩ هـ) يذكر مقام ابراهيم ويصفه ويقول : عايناه وتبركنا بلمسه وتقبيله ، وصب لنا في أثر القدمين المباركين ماء زمزم فشربناه نفعا الله به

ولقد فعل فعلته السيد احمد السنوسي سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٥ م ، فقامت عليه قيامة الإخوان النجديين ونهره الملك ابن السعود على فعلته ، لأن الملك عبد العزيز في سبيل التوحيد والأمر بالمعروف لا يراعي أحدا ؛ فان مبدأه الدين قبل كل شيء ، ورضاء الله مقدم على رضاء الخلق

المسجد الحرام :

إن ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفتين ، ولم يكن عليه جدر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر من بعده ، ثم كثر الناس فاشترى عمر دوراً هدمها وزادها في المسجد ، وأدار عليها جداراً دون القامة ، وفعل مثل ذلك عثمان ، ثم ابن الزبير ، ثم الوليد بن عبد الملك ، وبناه بعمد الرخام ، ثم زاد فيه المنصور ، وابنه المهدي ؛ وما زال المسجد موضع عناية الحكام والملوك والسلاطين من عباسيين ومماليك وأتراك وعرب وغيرهم ، يتولونه بالتعمير والترميم من وقت لآخر كلما مست الحاجة إلى ذلك

بئر زمزم :

قد تقدم في قصة بناء الكعبة أن الملك فجرها لإسماعيل بعقبه ، وقد طمرها الحارث بن مضاض ، وجددها عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ويروون في ذلك قصة تشبه القصص الأخرى التي تروى عن أمثال هذه الأماكن التي لها

ما لزمزم من الاحترام في نفوس الناس . ويقولون : إن عبد المطلب رأى رؤيا منامية^(١) ، فسمع هاتفاً يهتف في أذنه أن احفر طيبة ، فاستيقظ من نومه ، ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثانية أن احفر برة ، فاستيقظ ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثالثة ، احفر المذنونة ، ضنت بها على الناس إلا عليك ، بنقرة الغراب الأعصم ، وإنما بين الفرث والدم ، وعند قرية النمل ، إنها لا تنضب أبداً فلما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ، ونقرة الغراب ، ولم ير الفرث والدم ، فبينما هو كذلك نددت بقرة لجازرها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام فنحرها في الموضع الذي رسم له ؛ فسأل هنالك الفرث والدم ، فحفر عبد المطلب حيث رسم له ، وقد عثر على غزاليين من الذهب كانتا مهادتين من الفرس للكعبة ، وكان قد دفنهما الحارث بن مضاض

وذكر الزهري أن عبد المطلب اتخذ حوضاً لزمزم يستقى منه ، وكان يجرب بالليل حوله ، فلما غمه ذلك ، قيل له في النوم ، قل : لا أحلها لمغتسل ، وهي لشارب حل وبل ، وقد كفيهم ، فلما أصبح قال نعم ، وكان بعد من أرادها بمكروه رمى بداء في جسده حتى انتهوا عنه ، والمسالمون يعتقدون في ماء زمزم البركة ، وقد كانوا يحملونه إلى بلادهم بعد الحج ؛ لأهدائه إلى أصدقائهم وأقاربهم ويعدون ذلك من أوفر الهدايا ، ولكن إدارة (الكورتينيات) تمنع دخول ماء زمزم إلى البلاد التي يفدها الحجاج

ولا يزال الماء يستخرج من زمزم بالدلاء الجلدية حسب العوائد القديمة . ولقد فكر جلالة الملك عبد العزيز (سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م) في الاستعانة بالآلات الحديثة لتكثير الماء وتوزيعه بطريقة صحيحة ، وصيانة الحرم مما يتعرض له في موسم الحج من الازدحام والمخاصمة ، وما يتبع ذلك من فقدان النظافة ، فأمر جلالتهم

(١) مسالك الأبصار ج ١

في تلك السنة بتركيب آلة رافعة للماء ، وأحضر مهندساً من مصر لهذه الغاية .
ولكن لما كان هذا العمل يؤثر في كسب طائفة الزمامة والسقائين ، وعملهم
محصور في اخراج الماء بالدلو من البئر وتوزيعه على الحجاج ، ولا يرضى الجامدين
الذين لا يرضون بمجديد ولو كان نافعاً ، قامت قيامتهم ضد هذا المشروع النافع .
ولقد ابتدأ العمل بالفعل وجرى الحفر بالحرم لوضع الأنابيب ، وأرسل إلى مصر
لشراء الآلة والأنابيب والأحواض الكبيرة التي يوزع منها الماء وأخيراً أثار الزمامة
أهل نجد وألبسوا عليهم الأمر ، وأن بئر زمزم سينضب ماؤها بعد تركيب هذه
الآلة الرافعة ، ولا شك أن هذا العمل سيجلب عليهم سخط المساهين ، فألح أهل
نجد المقيمون بمكة على الملك بإلغاء هذا المشروع ، وإبقاء القديم على قدمه ، حتى
لا تجرى هذه المصيبة في أيامهم . فلم ير الملك من المصلحة إغضابهم في هذا الوقت
الذي بدأت فيه حركة الإخوان ، فأمر بإيقاف المشروع والعدول عنه . ولعل
الحكومة تبعت المشروع من جديد لتضمن توزيع ماء زمزم بطريقة صحيحة

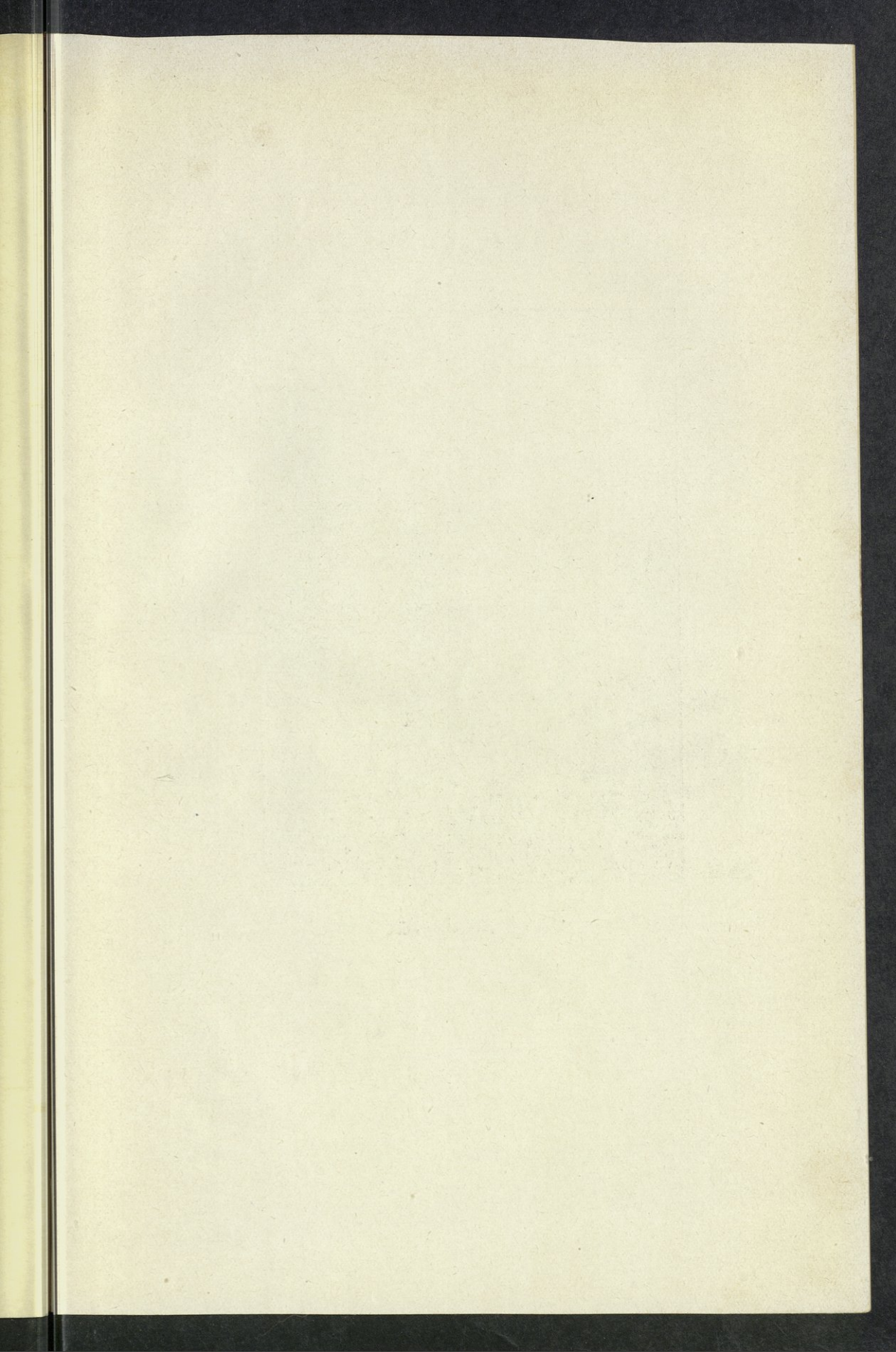
بيوت مكة :

ولقد كان في مكة كثير من الآثار التاريخية مثل : مولد النبي ، بيت خديجة ،
بيت أبي بكر ، وغيرها من الآثار . ولكن الإخوان هدموا هذه الآثار مع ما هدموه
من القباب والقبور ، لأن هذه الأماكن اتخذت مصدراً لا يتنازل أموال الحجاج ،
فسدا للذريعة أزوالها كل أثرها . ويقول المؤرخون للحركة السعودية الأولى : إن مكة
والمدينة في أثناء الحكم السعودي في القرن التاسع عشر الماضي ، قد أزيل منهما
كل الآثار التاريخية التي كان يتبرك بها الحجاج

وبيوت مكة من الحجارة ، وهي في نظافتها خير من سائر بيوت جزيرة العرب ؛
غير أن نظام المراحيض لا يتبع النظام الصحي . وقد عمل سلاطين الأتراك مجرى



سقاء بالصفائح في مكة



كالجارية التي تعمل في المدن ، ولكنه ليس عامًّا من جهة ، وغير واف تمامًا من
الوجهة الفنية

ونظام الشرب على الطريقة القديمة ؛ فالسقاءون هم الذين ينقلون الماء إلى
البيوت ، إما بالقرب أو صفائح الغاز

ومكة كالبصرة والقطف في كثرة البعوض ، ولكنه من النوع الذي لا يحمل
جراثيم الماريا كما هو الحال في بعض المدن الحجازية الأخرى ، ولم تعمل إدارة
الصحة أو البلديات حتى الآن عملاً جديًّا لإبادته ؛ فعمل هذه الإدارات تشمر عن
ساعد الجد وتقوم بحملة عنيفة لتخليص البلاد من هذا العدو الخبيث ؛ ولا شك أن
جلالة الملك صاحب المهمة القعساء سيكون أكبر معاون للعاملين

ومكة مملوءة بالحمام حرمة صيده ، وتجد في الحرم منه أسراباً أسراباً ، وهو
يشبه في إلفه للناس أنواع الطيور التي توجد في الحدائق العامة في أوروبا . وكثير
من الحجاج يعتقد أن من مكملات الحج تقديم الحبوب لحمام الحرم ، كما أن لكثير
من الناس اعتقاداً بأن الحمام لا يعلو الكعبة ، ولا يقف على سطحها ، ولا يقدرها .
أما المسجد ولا سيما الأروقة المحيطة به ، فكلها أعشاش للحمام ، ولا يخلو حاج من
أن يصل إليه شيء من أقدار الحمام ؛ ويعتقد بعض الجهلة أن من أصابه شيء من
أقدار الحمام سيكسى كسوة جديدة ، وهي تعزية لطيفة !

وأهل مكة والمدينة يعنون بنظافة بيوتهم ، كما يعنون بنظافة أبدانهم وملابسهم
أكثر من سواهم من سكان جزيرة العرب . ويعيش أهل مكة على ما يكسبونه
من وفود الحجاج ، وهو مصدر خير عظيم إذا كثرت الحجاج ، أما إذا قلَّ عددهم
فلا يتصور أحد ما يعانيه هؤلاء من صنوف الضيق

لقد أولى المسلمون عنايتهم بمكة والحجاز وأهله عناية عظيمة في القرون الأولى
والوسطى ، فلا تزال عين زبيدة وغيرها من العيون ناطقة بتلك المكرمة التي

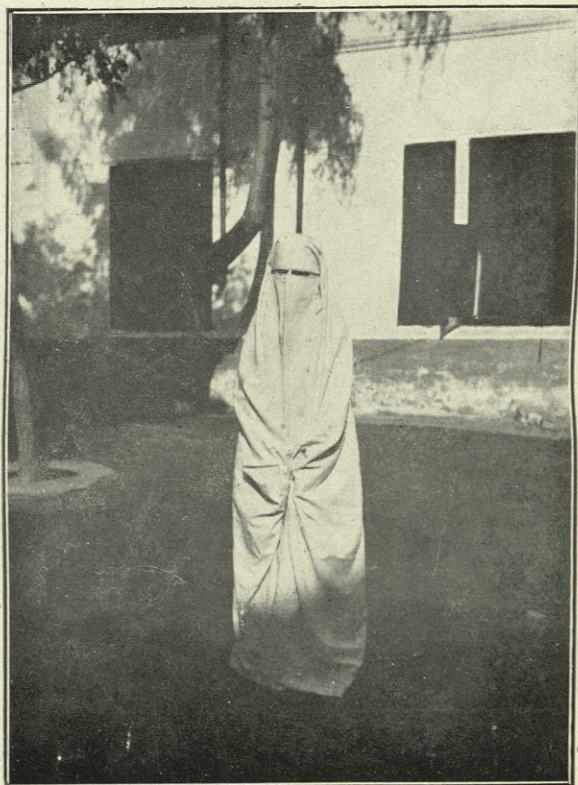
أسداها أهل الخير لسكان البلاد المقدسة والوافدين

وكان الخلفاء والسلاطين يولون الحجاز عنايتهم ، فكانوا يمدّونه بالصدقات والأوقاف على اختلاف أنواعها ، مما لا يزال بعضه باقياً حتى الآن ؛ ولكن بلغ الإهمال بالمسلمين في القرون الأخيرة ما جعل الحجاز في مستوى أقل مما يجب له من العناية والإجلال ؛ فالمسجد الحرام الذي يؤمه المسلمون من كل ناحية ليس في جمال مساجد الآستانة والقاهرة والهند

ومدينة مكة في طرقها ومبانيها ونظامها الصحي ليست كالقاهرة أو دمشق أو بغداد ، وهذا التقصير تقع تبعته على المسلمين عامة ، وعلى الحكومة التركية التي حكمت البلاد قروناً عديدة ؛ ولا شك أن أشرف الحجاز يتحملون قسطاً من التبعة ، لأنهم كانوا الحكام الحقيقيين لمكة ؛ فقد كان بوسعهم لو كانوا ذوي بصائر نافذة ، وعقول راجحة ، وعلم بتطورات العالم ، أن يجعلوا الحجاز وسكانه في مستوى خير من مستواه الحالي ؛ ولكن الأشرف سلطوا مطامعهم على الحجاج وعلى سكان بلد الله الحرام ، وحالوا في كثير من الظروف دون ترقية البلاد . ولسنا نرمي فئة خاصة من الأشرف ، فان الأشرف الذين حجج في أيامهم الرحالة ابن جبير في القرن السادس ، وابن بطوطة بعده ، كانوا مثل أشرف القرون الأخيرة

الريفيق في مكة :

كانت مكة أكبر سوق للريفيق في جزيرة العرب ، وكان العرب يحرصون على شراء الجوارى والعبيد منها ، لأن لأهل مكة عناية خاصة بتربية الجوارى والعبيد ، وتمرينهم على الخدمة المنزلية ، وقد تتجاوز قيمة العبد ستين جنيهاً ، والجارية مائة وعشرين جنيهاً ، وأفضل العبيد والجوارى المجلوبون من الحبشة ، لأنهم أخلص في الخدمة وأوفى لسادتهم



زي من أزياء النساء في مكة

3
1
4
3
1

والرقيق الذي يرد للحجاز وجزيرة العرب ، هو الغنيمة من الغزوات والغارات في بلاد الحبشة الواسعة الأطراف . فالتجار يشترون الرقيق هنالك من الغزاة ، ثم يجلبونه إلى بلاد العرب بوساطة السَّنَابِيك^(١) إلى السواحل العربية ؛ وبالرغم من مطاردة هؤلاء التجار ، وإنزال أشد العقوبات بمساعدتهم ، فإن التجار لا يزالون يُغامرون في هذا النوع من التجارة . والغالب شراء الرقيق للخدمة المنزلية أو الخدمة في البساتين ، وقد تشتري الجوارى لأغراض أخرى ، وهذا على الأكثر في عسير . وأمراء العرب يكثرون من الرقيق رجالا ونساء ، فالرجال للخدمة على اختلاف أنواعها وللحراسة الخاصة ، والجوارى للخدمة المنزلية وغيرها

على أن تحرير الرقيق من الأعمال المحبوبة شرعا ، والتي لا يزال العرب يعدونها من أفضل القربات إلى الله ، فقلما يموت أحد ولا يوصى بتحرير بعض عبيده وجواريه مع شيء من المال يساعدهم . وفي الغالب يفضل الرقيق الذي يحرر أن يبقى في بيت أهله ويأبى أن يغادر من عاش في كنفهم

لقد جرت محاولات لأبطال الرق في بلاد العرب . ففي سنة ١٢٧٢ هجرية أمرت الدولة العثمانية بمنع الرقيق ، فحصل هرج ومرج بمكة ، جعل الحكومة التركية تعدل عن أمرها

وفي أيام الملك حسين جرت محادثات بينه وبين الحكومة البريطانية لأبطال سوق الرقيق في الحجاز ، ولكن الملك حسيناً كان يحتج بأن الرقيق ليس مصدره مكة ، فإن امتنع وروده إلى الحجاز بطل بالتدريج

وفي سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م اتفقت الحكومة البريطانية والملك عبد العزيز على التعاون على القضاء على الرقيق ، فوضع الملك عبد العزيز بعض القيود للتجار فيه فضعفت هذه التجارة

(١) نوع من السفن الشراعية

والمسألة في الواقع اقتصادية ، فلو أن الخدم يتوفرون في مكة وبلاد العرب
مالمجا الناس إلى الرقيق ، ولكن أهل مكة يفضلون خدمة الحجاج ، لأنها تدر
عليهم من المال مالا تدره عليهم الخدمة الأخرى ، وقلما تجد خادماً في مكة
للخدمة المنزلية

وأعتقد أنه ليس في إمكان أية حكومة أن تأمر بالغاء الرقيق ، وتحرير العبيد
في جزيرة العرب دفعة واحدة ، فان ذلك قد يؤدي إلى ثورة أهلية ، ولكن إذا
قضى على التجارة في السواحل العربية ضعفت في الداخل . وعلى كل حال فان
الرقيق يتناقص عدده في كل سنة ، وسيقضى عليه لا محالة . ومن الغريب أن
بعض الأوربيين في إقامتهم في بلاد العرب تصل إليهم عدوى الرقيق ، فيحوزون
الرقيق كغيرهم من العرب ويستعملونه في الوجوه التي يستعملها فيه العرب

منع غير المسلمين من دخول الحجاز :

لقد جرى العرف على ألا يدخل البلدين المقدسين : مكة والمدينة غير المسلمين .
ومنشأ هذا ما روى عن ابن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في
مرض موته : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . وأن عمر سمع الرسول صلى
الله عليه وسلم يقول : لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع
فيها إلا مسلماً . وأن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : آخر ما عهد النبي
أنه قال : لا يترك بجزيرة العرب دينان ، وأن ابن عمر قال : إن عمر أجلى اليهود
والنصارى من أرض الحجاز ، وأنه أجلى يهود خيبر إلى تيماء وأريحيما . وحكى
الحافظ ابن حجر في الفتوح في كتاب الجهاد ، أن الذي يمنع منه المشركون من
جزيرة العرب هو الحجاز خاصة ، وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها ، لاسوى
ذلك مما يطلق عليه جزيرة العرب ، لاتفاق الجميع أن اليمن لا يمنعونها معها

من جملة جزيرة العرب . وعن الحنفية يجوز مطلقاً إلا المسجد . وعن مالك يجوز دخولهم الحرم للتجارة . وقال الشافعي : لا يدخلون الحرم أصلاً إلا باذن الامام لمصلحة المسلمين

وذكر في المغنى أنه لا يجوز لغير المسلمين دخول الحرم بحال ؛ وبهذا قال الشافعي . وقال أبو حنيفة : لهم دخوله كالحجاز كله ، ولا يستوطنون به ؛ ولهم دخول الكعبة . والمنع من الاستيطان لا يمنع الدخول والتصرف
وذكر صاحب المغنى أيضاً أنه يجوز لهم دخول الحجاز للتجارة ، لأن النصارى كانوا يتجرون إلى المدينة في زمن عمر

ويؤيده ما ورد في كتاب أخبار مكة للأزرقي ما نصه :

« وأخبرني جدى قال : أول من عمل القبة التى بين زمزم وبيت الشراب ، المهدي في خلافته ، عملها لهم أبو بحر الجوسى النجار ، وكان جاء به عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه إلى مكة من العراق »
وما ورد في كتاب تاريخ المدينة للمطرى :

« وأرسل الوليد إلى ملك الروم فقال : إنا نريد أن نعمار مسجد نبينا الأعظم ، فأعنا بعمال وفسيفساء . فبعث إليه ثمانين عاملاً : أربعين من الروم وأربعين من القبط ، وثمانين ألف مثقال ، وبأحمال من الفسيفساء ، وبأحمال من سلاسل للقناديل »

وقد وضعت الحكومة الحالية تشريعاً ، من مقتضاه ألا يدخل الحجاز من يدخل في الاسلام إلا بعد مضى سنة على إعلان إسلامه ، منعاً لبعض الأوربيين الذين يدعون الدخول في الاسلام بقصد زيارة مكة أو المدينة فقط

الطائف :

هى مدينة مسورة واقعة فى سهل رملى محاطة بتلال منخفضة ، وتقع على بعد

٧٥ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من مكة ، على ارتفاع خمسة آلاف قدم من سطح البحر ؛ وهي مصيف رجال الحكومة ، وبيوتها مبنية من الحجر ؛ والمدينة تفص بالسكان زمن الصيف فقط ، وجوها أبرد بكثير من مكة ، والمياه فيها غزيرة ، وهي في جوها وتربة أرضها تشبه الأراضي العالية في عسير واليمن . والأمطار الغزيرة تسقط هناك في فصل الخريف ، والآبار كثيرة ، ومنها تروى الأراضي الزراعية البعيدة عن مجارى المياه

يبلغ عدد السكان نحو خمسة آلاف نسمة ، وأغلبهم من تقيف وعتيبة ، ويشغلون بزراعة البساتين والخضر . وفاكهة الطائف مشهورة بجودتها في سائر البلاد العربية ، ففيها العنب والرمان والخوخ والليمون الحلو والمشمش والسفرجل . أما زراعة النخيل في الطائف فلا تجود لشدة البرد

وينمو الورد في الطائف ، ويستخرج منه عطر فاخر يباع على الحجاج في موسم الحج



عسير

يطلق « عسير » على الجهة الغربية من بلاد العرب الواقعة إلى جنوب الحجاز وشمال اليمن . وقد كان هذا القسم أيام حكومة الأتراك غير محدود تحديداً واضحاً . فمع أن الأتراك قد كوّنوا متصرفية^(١) عسير وجعلوها تابعة لولاية اليمن فقد كان أشرف الحجاز يدعون تبعية بعض المناطق المجاورة للحجاز ، كما كان أمراء نجد أيضاً يدعون ملكية بعض المناطق من الجهة الشرقية . أما اليوم فإن عسيراً أصبحت من المملكة العربية السعودية ، حسب معاهدة الطائف الأخيرة

ومنطقة الحجاز الرملية الموازية للشاطئ تمتد إلى بلاد عسير بعرض يختلف من ٢٥ — ٣٠ ميلاً ، ثم تتصل بتهامة اليمن . أما المنطقة الثانية والثالثة والرابعة في الحجاز^(٢) فإنها لا تظهر بجلاء في بلاد عسير ؛ ويكاد لا يكون هناك تمييز بين هذه المناطق الثلاث

وعلى بعد نحو ثمانين ميلاً من الشاطئ توجد سلسلة مرتفعات عالية ، يبلغ ارتفاعها نحو ٦,٠٠٠ إلى ٧,٠٠٠ قدم ، ومن هنالك تأخذ الأرض من جانبها الشرقي في الانحدار شيئاً فشيئاً ، حتى تتصل بصحارى نجد

ونظراً لما يصيب بلاد اليمن من المطر الموسمي في الخريف ، ونظراً لقرب عسير منها ، فإنه يصيبها من هذا المطر غير قليل . ولذا فإن وديانها الكثيرة الشاسعة تعتبر من الدرجة الأولى في الخصوبة . وأهم هذه الوديان هو :

وادي رانية — وادي بيشة — وادي شهران — وادي عقيق

(١) متصرفية : مديرية في عرف مصر

(٢) راجع التقسيم الطبيعي لولاية الحجاز

وأغلب الوديان الكبيرة تجرى فيها المياه ، إما فوق سطحها أو قريباً منه .
وحالة الوديان تختلف عنها في الحجاز ، لأن البلاد خالية من النفود^(١)
وتجرى الوديان الرئيسية في اتجاه وادي الدوأسر الواقع في جنوبي نجد ؛ والبلاد
الداخلية في غاية الخصوبة ، وخصوصاً من تنومة إلى تمنية . وهي تضارع أحسن
وأخصب البلاد العالية في اليمن . والمزروعات على اختلاف أنواعها من حبوب
وبقول وفاكهة تجود في الوديان
والجزء المجاور لشاطئ البحر وإن كان رملياً ، فإنه أحسن بكثير من نظيره
في الحجاز ، ففي أجزاء كثيرة منه تنبت المزروعات ، ويعيش كثير من السكان
عليها . وينزل مطر غير غزير في جنوبي تهامة وتهامة الوسطى في شهرى فبراير
ومارس . وفي شهر يونيو تنزل أمطار غزيرة . أما في الشمال سواء في الداخل أو في
البلاد الساحلية ، فإن المطر ليس دورياً جليل الفائدة

السكان

يبلغ عدد السكان تقريباً حوالى مليون ونصف . والأهالى كلهم شافعيو
المذهب ؛ إلا النادر القليل جداً في الشمال الشرقى ؛ فانهم حنابلة سلفيون . ويشغل
غالب الأهالى بالزراعة ، والبدو الرحل قليلون جداً في عسير . والاختلاط في
الأنساب قليل فيها ، إلا ما كان منه في المدن الكبيرة . وحدود القبائل بعضها
من بعض معينة تعيناً دقيقاً ليس له نظير في غير عسير . وأقوى القبائل وأكثرها
عدداً يحتل صلب البلاد ، ورءوس الوديان الداخلية ، والجزء الأعلى من العقبات

الزراعة

تتوقف الزراعة في تهامة على أمرين : الأول نزول الأمطار المحلية ، والثانى

(١) النفود جبال رملية

سيول المياه من الوديان المنحدرة إلى البحر . وفي مجرى أغلب الوديان الكبيرة تقام السدود لحجز المياه ، وتوجيهها في اتجاه الأراضي المراد زراعتها . وتخصد الأرض مرتين ؛ في الربيع وفي الصيف . وثلاث مرات في بعض الأحيان والمزروعات هي الدخن والأذرة والسَّمسم والقطن . وكل أنواع الخضر المحلية . وأخصب الأجزاء في تهامة هو الجزء الواقع بين حِلْيَ والبرك . وفي الداخل يزرع القمح والشعير والأذرة والفواكه ، وشجر البن ؛ ولكن بكمية قليلة لا تفي بالقدر الذي يستهلك في داخل البلاد

والماشية والغنم والماعز والجمال تربي بكثرة في عسير ؛ سواء في تهامة أو في الداخل

التجارة

وموانئ الواردات إلى عسير هي : القنفة ، والبرك ، والشقيق ، وجزان الجعافرة ، والمضايأ ، وتعر ، والموسم ، والقرنية وواردات عسير قليلة ، وأهمها البضائع القطنية ، والسكر ، والبتروول ، والأرز وأدوات الطبخ ، والأسلحة والذخائر

أما الصادرات فانها أقل وهي : القمح ، والدخن ، والأذرة ، والسَّمسم ، والسّمك المقدد ، ويصدر إلى جدة أثناء موسم الحج . كما يصدر إلى مصوع وعدن السمن والجلود والسَّمسم والصوف والتمر والصمغ وبعض الدواب

البلاد

بلاد عسير المشهورة هي ما يلي : —

١ — ييشة :

بلدة زراعية مكونة من جملة قرى ، واقعة في الوادي المسمى باسمها ، وهي

على بعد ٢٤٠ ميلاً من شرق الجنوب الشرقى لمسكة ، وهى نقطة هامة على الطريق من وادى الدّواسر إلى الحرمين ، وأهم مكان بين الطائف وصنعا ، ويعتبرها العرب مفتاح اليمن . وتروى الواحة بوساطة نهير صغير يسير متجهاً نحو الشمال الشرقى حيث ينحدر إلى وادى الدواسر مع سواه من النهيرات الأخرى الصغيرة ، وقد حكم الأشراف قديماً هذه المنطقة ؛ قبل الحركة الاصلاحية ، فى نجد . وفى تايخ العصامى ، كثير من أخبار الأشراف فى بيشة ، وللاتصال الشديد بين بيشة ووادى الدواسر كانت هذه المنطقة موضع نزاع بين الأشراف ونجد

٢ — تَرْبَة :

تقع على بعد تسعين ميلاً من جنوب شرق الطائف ، وهى على الطريق العام من نجد إلى اليمن ، وهى مدينة مسورة ، وتقع فى حجم الطائف ، وتحيط بها الأراضى الزراعية ، ومزارع النخيل ، وتروى بمياه غزيرة . وبجوارها عدة تلال ؛ يزرع على سفوحها الشعير والأذرة . وقد اشتهرت تَرْبَة بمقاومتها العنيفة لقوات محمد على سنة ١٨١٥ م ، كما اشتهرت بمعركتها الشهيرة بين جنود نجد والملك حسين فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ م

٣ — أَبْهَا :

مدينة بيوتها مبنية من الحجر ، على تل فى وسط عسير ، وهى على بعد نحو ١٣٩ ميلاً من قلعة بيشة ، وكانت مركزاً للمتصرّف^(١) زمن حكم الأتراك ، وهى مركز هام للمواصلات وطرق القوافل فى عسير

٤ — مَحَايِل :

بلدة فى داخلية عسير تبعد عن القنفذة بنحو ٧٢ ميلاً ، وهى ملتقى عدة طرق : من أَبْهَا ، ومن القنفذة ، ومن حِجْلِي ، ومن البرّك

(١) المدير فى عرف مصر

٥ — خَمَيْسِ مُشَيْطِ :

هي أكبر مدينة في أخصب جزء من جنوبي عسير ، وهي واقعة بين التلول إلى جنوب وادي بيشة ، وهي على بعد ١٢٥ ميلا من شرق الجنوب الشرقي للقفدة التي تتصل بها بوساطة درب للقوافل ، مياهها وفيرة ، وهي مركز لتصريف تجارة التمر

٦ — أَبُو عَرِيْشِ :

أشهر بلدة في تهامة ، ولها تاريخ هام في القرن التاسع عشر عصر النهضة الدينية الأولى ، وكانت عاصمة للشريف مُحَمَّدُ الذي لعب دوراً هاماً في ذلك العصر ، وهي على بعد ٧٠ ميلا شمالي اللَّحِيَّةِ ، وهي مقر المركز المسمى باسمها ، وأكثر بيوتها مبني بالحجر ، مياهها غزيرة وزراعتها واسعة

٧ — صَبِيَا :

على بعد عشرين ميلا في الداخل ، وهي إلى الجنوب الشرقي من جيزان ، وكانت عاصمة الأدارسة ، وبها قلعة قديمة بنيت أيام الحكومة الأولى وقد أصاحتها الحكومة الحالية بعد القضاء على ثورة الأدارسة الأخيرة (سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م) وسكانها نحو عشرة آلاف نسمة ، مياهها غزيرة ومزرعاتها واسعة

٨ — الْقَنْفَدَةُ :

بلدة صغيرة مسورة ومكونة من جملة بيوت وأكواخ على شاطئ البحر الأحمر وهي على بعد ٢٠٠ ميلا إلى جنوب جدة ، وسكانها زهاء أربعة آلاف ، وتجلب المياه من حَفَائِرِ على بعد ميلين ونصف في الداخل ، وهي ميناء أُنْبَاهَا ، وتقع على بعد ٧٢ ميلا من محابيل

٩ — حِلِّي :

هي الرأس الغربية لخليج مَحْمِيٍّ من رياح الشمال والشرق ، وتقع على بعد أربعين ميلاً من جنوب الجنوب الشرقى للقنفذة ، وهي قرية صغيرة قرب الشاطئ ، وقربها توجد قمة جبل حِلِّي المشهورة ، وهي على شكل مخروطي

١٠ — جِيزَان :

ميناء صغيرة على بعد ٢٠٠ ميل من جنوب الجنوب الشرقى للقنفذة ، وهي واقعة أمام مجموعة جزائر فرسان ، ويحيط بها من جهة الداخل جبل جيزان ، وبالبلدة بعض مبان بالحجر ، ولكن الجزء الأكبر من بيوتها مبني بالطين ، والمياه في البلدة قليلة جداً ، ولكن على بعد ثلاثة أميال ونصف من شمال شرقى البلدة توجد آبار مياه وحفائر ، وسكانها يبلغون ألف نفس ، وهم يشتغلون باستخراج اللؤلؤ ، وقرب جيزان جبل ملح حَجْرِي

١١ — مِيدِي :

قرية مكونة من بيوت قليلة وأكواخ ، ومنها تذهب القوافل شرقاً إلى صعدة وصنعاء ، وهي الآن من حدود اليمن ، ويتبع منطقة عسير جزائر فرسان

خلاصة تاريخية عن حكومة عسير

كانت مقاطعة عسير متصرفية ، تابعة لولاية اليمن - أثناء الحكم التركي ، ولكن الحقيقة أن هذه المقاطعة كان يتنازعها نفوذ الشريف مكة وإمام اليمن والإدرسي وبعض الأمراء المحليين ، الذين كان يتمتع بعضهم بشبه استقلال ، غير أن الجميع كانوا يعترفون بسلطة الحكومة التركية

فأمير مكة كان نفوذه يمتد إلى قبائل غامد ، وبنى شهر ، وشهران . وكان على أتم صلة بمشايخ هذه القبائل ، غير أن هذا النفوذ لم يعد التأثير المعنوي . أما طريقة الادارة والحكم ، فلم يعرف أنه كان لأمير مكة أى أثر فى ذلك . وفى سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١٠ م اتصل بالقبائل الضاربة بين الليث وأبها أثناء الحملة التركية ضد الإدريسي ، تلك الحملة التى كان للشريف يد ظاهرة فيها ، وعلى كل فان الأتراك أنفسهم لم يكن لهم نفوذ على غير القنفذة على الساحل ، ومحائل وأبها فى الداخل ، وبعض البلدان الصغيرة القريبة منهما ، والطرق الموصلة بينها

أما المنطقة التى كان يمتد نفوذ الإدريسي عليها فتشمل قبائل حطان فى القسم الجنوبي من عسير ، والقسم الأكبر من تهامة ، من البرك إلى الحديد حيث يبلغ طول هذه المنطقة من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٥٠ ميلا وعرضها نحو ٧٠ ميلا واتخذ الإدريسي مقاطعة صَبِيَا كعاصمة ، وميدى وجيزان ميناءين . وقبل أن يقوم محمد على الأدريسى بحركة تأسيس حكومته فى عسير كان القسم الأعظم من المنطقة الممتدة من ظهران إلى الطائف خاضعة لنفوذ عائلة بنى مُغَيْط (Mugheid) وعاصمتهم مُنَاظِر ، أو أبها كما تسمى اليوم . واشتهر من بنى مُغَيْط فى القرن الماضى عايض بن مرعى الذى كانت له مواقف مشهورة فى الحملة المصرية فى عسير سنة ١٨٣٤ م ، وبقيت البلاد حرة من هذه السنة حتى سنة ١٨٦٩ م حيث رجع إليها النفوذ التركى ، فتقلص نفوذ آل عايض وأصبح سلطانهم لا يكاد يعدو منطقة أبها

أما ما يطلق عليه الخلف السليمانى ، فكان مستقلا مدة طويلة ، وبقى محافظاً على هذا الاستقلال ضد الحكومة التركية ، والقبائل اليمنية من جهة ، وضد القبائل الضاربة فى الجبال الداخلية من جهة أخرى

وبين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ م خضعت أبو عريش للشريف علي ، الذي اتفق مع المصريين على التخلص من نفوذ عايض بن مرعي ، وفي أثناء حكمه وصل السيد أحمد الإدريسي المغربي — أحد رؤساء الطرق — إلى صَبِيَا (وكان قبل ذلك مقياً بمكة منذ سنة ١٧٩٩ م واعظاً ومرشداً إلى طريقتيه) وأقام بها إلى أن توفي سنة ١٨٣٧ م . وفي أثناء إقامته في صَبِيَا نشر فيها وفي عسير تلك الطريقة التي تلقَّنها في مكة سنة ١٨٢٣ ، وقد ترك السيد أحمد لأولاده من بعده ثروة مادية ومعنوية لا يستهان بها ، ظهر أثرها في أيام ولد السيد أحمد وحفيده ، بعد انهزام الشريف حسين ، حاكم أبو عريش ، وقد تصاهر الأدريسي مع العائلة السنوسية المنتشرة في السودان ومصر قرب الأقصر . والحقيقة أن نفوذ الأدريسي لم يقتصر فقط على المخلاف السليمانى بل امتد شمالاً وجنوباً حتى أن بعض القبائل الضاربة حول صعدة انتشرت بينها تعاليم الأدريسي . هذا ما تركه السيد أحمد الإدريسي الكبير من الأثر في عسير والذي استفله من بعده السيد محمد علي الإدريسي حفيده

ولد السيد محمد علي الإدريسي في صبيا سنة ١٨٧٦ م وتلقى تعاليمه ما بين الأزهر والكفرة مقر السنوسى ، ثم رجع إلى صبيا واضعاً نصب عينيه انتزاع عسير من يد الأتراك ، والاستقلال بها . وفي سنة ١٩١٠ م طرد الترك من كثير من البلاد ، غير أنه لم يوفق في الاستيلاء على أبها ، حيث لم يقو على الوقوف في وجه الحملة التي سيرها الأتراك بقيادة أمير مكة الشريف حسين بن علي . على أن ذلك لم يفل من عزمه ، فانه انتهز فرصة اشتغال الأتراك بمحاربة الايطاليين في طرابلس ، فقام محاولاً الوصول إلى غرضه الذي وضعه نصب عينيه ، مستعيناً بالاطاليين . إلا أن هذه المحاولة لم تثمر الثمرة المطلوبة ، فان أمير مكة الذي كان له بالمرصاد ، كان أكبر عقبة في سبيل الوصول إلى ما يريد ؛ ومع ذلك فان الإدريسي

قد استطاع أن يبسط نفوذه الأدبي وبعض نفوذه المادى فى أثناء الحرب البلقانية ، وقد حاول أن ينال من الأتراك اعترافاً بحكومته ففشل ، ولم يعترفوا به إلا قاتماً^(١) على صيبيا ، وأبى عريش ، فاكتفى بذلك متحييناً الفرص الملائمة ؛ وفى أثناء الحرب العامة انضم إلى الحلفاء ضد الأتراك ، وعقد معاهدة مع القيم فى عدن فى شهر مايو سنة ١٩١٥^(٢) ، وأخذ يغير على الأتراك فى المناطق الجنوبية حتى وصل إلى التَّحِيَّة ؛ وبعد إمضاء الهدنة ترك له الإنجليز الحُدَيْدَةَ ؛ التى احتلها أثناء الحرب اعترافاً بخدماته التى قام بها أثناء النضال العالمى . وقد استطاع السيد محمد على الإدريسى أن يقف فى وجه الشريف حسين من الشمال ، والإمام يحيى فى الجنوب ، مدة حياته بالتحالف مع سلطان نجد سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م)

توفى محمد على الإدريسى فى شعبان سنة ١٣٤١ هـ ، وولى الأمر بعده ولده السيد على الإدريسى ، فوَقعت البلاد فى فوضى ، وحاول الملك حسين والإمام يحيى أن يوسع كل منهما منطقتيه على حساب الإدريسى فلم ينجح الملك حسين ، لأن الفرصة لم تساعده كما ساعدت الإمام يحيى

وفى ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) دخلت جيوش الملك عبد العزيز مكة ظافرة ؛ وظلت الجيوش سنة وبضعة أشهر تتعقب الأشراف لإجلائهم عن الحجاز ، فاتهمز الإمام يحيى هذه الفرصة السانحة فاحتل الحُدَيْدَةَ ، وتابع زحفه شمالاً حتى وصل مِيدِي ؛ فلما وجد الأدارسة ما حل بهم عزلوا السيد على الإدريسى ، وولوا مكانه عمه السيد الحسن الإدريسى أخا السيد محمد على لم يجد السيد الحسن نفسه قادراً على الوقوف فى وجه الإمام يحيى ، فأرسل من قبله السيد مرغنى الإدريسى مندوباً إلى مكة للاستنجاد بالملك عبد العزيز ،

(١) نظير مأمور فى عرف مصر

(٢) تجد نس هذه المعاهدة فى ذيل الكتاب

فاجتمعت بالمرغنى ووضعنا معاً معاهدة الحماية فى سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) لانتقاذ ما بقى من ملك الأدارسة . وفى سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) طلب السيد الحسن أن تضم البلاد إلى مملكة جلالة الملك عبد العزيز ، وأن يكون حكمه فيها مباشراً . ومن ذلك التاريخ أصبح ذلك القسم من عسير ملحقاً بمملكة نجد والحجاز ؛ التى يطلق عليها الآن المملكة العربية السعودية ، وطويت صحيفة الأدارسة كما طويت صحيفة آل عايض من قبلهم



حدود
فان
جنوب

يتص
منبس
ويظ
منذ

وحما
جها
كثير
الآن

الحر
قوي

نجد

هي أكبر قسم من بلاد العرب ، ويشمل صحراء العرب الوسطى ، ومع أن حدود نجد غير معروفة تماماً في الجغرافية العربية لكثرة الأقوال وتعدد الآراء . فان نجداً اليوم تشمل الأراضي الممتدة من قُرَيَّاتِ المِلْح شمالاً ، إلى وادي الدواسر جنوباً ، ومن حدود الأحساء شرقاً ، إلى حدود الحجاز غرباً

وفيهما كثير من الجبال والأودية والصحارى ، وهي ليست قاحلة كما كان يتصور الناس قديماً . فمن الشمال ابتداء من حُورَان إلى شواطئ الفرات ؛ أرض منبسطة تسمى الحماد ، ليس بها أقل ارتفاع ، كما أنه لا يوجد بها قرى أو مدن . ويظهر للمارِّ بها أحياناً بعض الأعشاب الصغيرة . وهذا القسم لا يزال كما كان منذ ٢٣٠٠ سنة

ويوجد بها من الحيوان : الحُبَارَى ، والنَّعام ، وابن آوى ، وبقر الوحش ، وحمار الوحش . وتقع صحراء الأحقاف جنوبي نجد ، فنجد على هذا محاطة من جميع جهاتها بسهول رملية ، مترامية الأطراف ؛ ونجد مشهورة بمراعيها الجيدة ، وبها كثير من العيون الغزيرة المياه ، وبها كثير من الأطلال القديمة التي لم تفسح حتى الآن يد البحث والتنقيب

وأشهر إيالاتِ نجد من الجنوب إلى الشمال : وادي الدواسر ، الأفلَاق ، الحَرَبِيق ، الخَرْج ، العارض ، الوشم ، سُديْر ، القَصِيم ، جبل شَمْر ، الجَوْف ، قُرَيَّاتِ المِلْح .

ويبلغ امتداد نجد من الشمال إلى الجنوب ، أي من قريات الملح إلى

وادی الدواسر نحو ٨٠٠ ميل ، و يبلغ عرضها من الغرب إلى الشرق ، أى من
الوشم إلى سدير نحو ٢٢٠ ميلاً

الجو

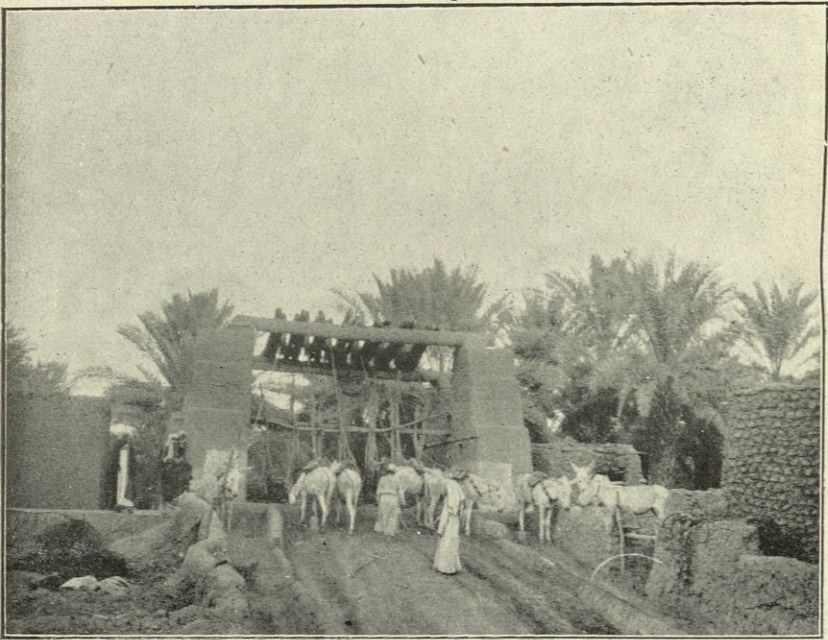
تغنى الشعراء قديماً بهواء نجد ، وأسهبوا في وصف نسيمه ، وهو على العموم
جاف معتدل ، غير أن إقليم نجد يختلف هواؤه باختلاف المنطقة ، وموقعها الجغرافى ،
فالحرىق كاسمها شديدة الحر . ووادى الدواسر كذلك

أما العارضُ فهوؤها معتدل جاف فى السهل ، شديد البرد فى مرتفعات
طُويِّق . والجو فى القصيم جاف بارد فى الشتاء ، ومعتدل فى الصيف ، وليالى
القصيم فى الصيف كليالى الصحراء ، نسيم عليل ، وسما صافية ، ونجوم تسطع فى
السماء ، تلهو رؤيتها للشعراء والمولعين بالهدوء الصحراوى البديع

أما هواء جبل شمر فشديد البرودة ، ولذا فان بشرة سكان نجد الشمالية تميل
إلى البياض عكس سكان الجنوب

والأمطار فى نجد لها الشأن الأول فى الحياة ، وهى قليلة على العموم إذا قيست
ببعض المناطق الجنوبية ، وكثيراً ما تكون الأمطار محلية ، وقلما تكون عامة .
فالأمطار شمالى النفود قلما تمتد إلى جنوبى جبل شمر ، وحديث الناس ؛ أمرائهم
وبدوهم وحضرهم ، هو المطر . وسؤال القادم يبدأ بالمطر والمرعى . ومن يعيش فى
بلاد العرب يعرف الأثر العظيم الذى يحدثه المطر ، والتعاسة التى يسببها تأخره .
فأهل نجد لا يأبهون لشيء إذا رزقهم الله المطر ؛ تحيا به زروعهم وحيواناتهم ،
وتشملهم السعادة بكل معانيها

أما إذا انقطع المطر ؛ فلا يمكنك أن تتصور ما يصيب الحيوان من الضعف
والموت أحياناً



سانية يستقى منها الماء في نجد

الشمس

المدن

الجنوب

وشم

في ا

بنى

إلى

يشم

سكا

المو-

والرياح التي يكثر هبوبها؛ الرياح الغربية، وتميل إلى الجنوب في الجهات الشمالية القصوى

السكان

يبلغ سكان نجد من حضر وبدو مليون نفس تقريباً، فالحضر هم سكان المدن، وهم في الأصل من البدو، توطنوا في مساكنهم من قديم وأهم العشائر النجدية آل مرّة، وبنو خالد، والعجمان في الشرق، وقحطان في الجنوب، والجنوب الغربي. وسُبَيْع والسهول في الغرب. ومُطَيَّر في الشمال الغربي وشمّر في الشمال. وعُنَيْبَة في الشمال الغربي. وحرّب في الشمال الشرقي. وعَنْزَة في الشمال الشرقي أيضاً

وأهل حائل ينتمى أكثرهم إلى شمّر. وأهل القصيم يرجعون في الغالب إلى بني خالد وبني تميم، وأهل الجنوب ينتمون في أنسابهم إلى عَنْزَة، وأهل الوسط إلى الدواسر وبني تميم، وأهل الجنوب الغربي ينتمون إلى الدواسر وقحطان

الأدوات المحلية والمصنوعات

هذه الأدوات قديمة العهد في نجد، كما هي في باقي بلاد الجزيرة العربية لم يشملها التحسين والتجديد.

وفي مقدمة السكان حضارة أهل عَنْزَة^(١) في القصيم، وآخرهم حضارة سكان وادي الدواسر والسَّلِيل

جميع المباني من اللبن، ويقبل سمك الحائط في مرتفعه؛ إلا في القرى الموجودة في الجنوب، فإنهم يستعملون جذوع النخل. والسقوف مسطحة وهي

(١) عَنْزَة: اسم للقبيلة، وعُنَيْبَة: اسم للبلدة

من الطين الموضوع على جذوع النخل ، أو فروع الأثل . والنوافذ عبارة عن فتحات صغيرة على شكل مثلث لإدخال النور ، وكل منزل له فناء كبير يستعمل لحفظ الدواب المنزلية ولحفظ السماد . والمنازل ذات الطابقيين قليلة جداً ، والأثاث في البيوت بالمعنى المعروف في البلاد المتعدنة غير معروف إلا في بيوت العائلات الكبيرة . فالرجال يجلسون وينامون على الحصير المصنوع من خوص النخل ، ونصف أرضية المكان تبقى عارية ؛ والملاعق والسكاكين والشوك لا تكاد تستعمل في نجد ، والنور الكهربي غير معروف إلا في قصر الملك وعائلته ، وأغلب السكان يستعملون مصابيح تضاء بالبتروول ، وهي واردة إليهم من الخليج أو الحجاز ؛ وأواني الطبخ من النحاس غالباً ، وقد يستعمل الألمونيوم أحياناً ولا سيما في القصيم ، ويصنع بعض أنواع الفخار في نجد ، ويصنع الخبز على شكل مسطح رقيق ، وهو إما أن يسوى على الحجر ، أو يسوى على لوح من الصاج ؛ أما أواني القهوة فتترد من الأحساء والشام ، وتصنع الخناجر والسكاكين في حائل أو الخليج ، أما الأسلحة النارية فتترد من الخارج وأما خامات الملابس فكلها ترد من الخارج ، إلا ما يصنع من الصوف ، ويستعمل في عمل العباءات والعقالات ، ويصنع من الصوف الخيام ، وأخراج الجمال ، وأحسن أصناف العباءات ترد من الأحساء . ويكتفون من الملابس الداخلية بقميص من القطن ، ولا يستعملون النعال كثيراً . وأغلب المصنوعات الجلدية ترد من الخارج ، إلا ما يلزم لقراب المياه والدلاء ، والسروج ، والنعال ، فإنها تصنع في نجد . ويصنع أيضاً الحصير والمراوح من الخوص ، ولكن هذه الصناعة متقدمة نوعاً ما في القصيم ، ولا سيما عنيزة . ومع ذلك فإن أنواعها أقل بكثير مما يصنع في مواليء الخليج الفارسي

والطعام العادي في نجد هو التمر واللبن والخبز ، وأحياناً الأرز واللحم

إيالات نجد

العَارِض :

ويعرف في الجغرافية القديمة بِحَجَّوْ ، والعَرُوض ، واليَمَامَة ، ويقع بين سُدير شمالاً ، والخَرْج والحريق جنوباً ، وهو يكوّن القسم الأوسط من طُوَيْق الشَّهِير ووادى حنيفة هو قلب العارض ، وفي جنوبه الغربي يقع سهل ضُرْمَا ، وفي شماله المِحْمَل ، والقسم المعمور من العارض تبلغ مساحته ١٠٠ ميل مربع

وأهل العارض مشهورون بالشجاعة والإقدام ، واحتمال المكاره ، والحماسة الدينية ، وقوة الإرادة ، والدهاء . وهم شديداً الإعجاب بأنفسهم ، يميلون إلى العزلة ، ويفضلون عدم الامتزاج بسواهم ، يغلب عليهم سوء الظن ، وربما كان ذلك بسبب الفتن الكثيرة وما جرته عليهم من المصائب . ولكنهم مع ذلك طيبو القلب لا يحملون حقداً لأحد ، إن وثقوا بأحد صموا آذانهم عما يقال فيه ، وهم عدة آل سعود وجندهم ، يرجعون إليهم عند الملهمات . ويستندون عليهم عند اشتداد الكروب ، ولغلبة الخلق الحربي عليهم ترى في طباعهم شيئاً من الخشونة والصف

أشهر بلدان العارض :

أشهر بلدان العارض في الشمال — الرياض ، وشمالها : لِين ، القُرَشِيَّة ، عِرْقَة ، الدَّرْعِيَّة ، المَلْتَقِي ، العَمَّارِيَّة ، أبو الكِبَاش
وفي الشمال الغربي : الجُبَيْلَة ، العُيَيْنَة ، الشَّعِيب
وفي الشرق : صَلْبُوخ ، مِلْهَم ، القُرَيْبَة

وفي الجنوب الغربي : سدّوس ، حُرَيْمِلَة ، المِحْمَل ، ثَادِق ، المِحْرَقَة ،
رَغْبَة ، الرَّوْضَة

الرياض :

عاصمة نجد كلها ، اتخذها آل سعود عاصمة لهم بعد تخريب الدرعية
سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) ، وقد عمرت الرياض وكثرت مبانيها وسكانها في أيام
الإمام فيصل جد الملك الحالي ، ثم أهمل أمرها بعد جلاء آل سعود عنها ، فعلاً
شأن حایل في الشمال ؛ وقد استردت الرياض مكاتها ، واشتهر أمرها ، وأصبحت
كعبة آمال العرب ، ومقصد الوافدين من جميع الأنحاء العربية ، بعد أن ساد الملك
عبد العزيز نجداً كلها وقضى على منافسيه فيها ؛ وتنخفض الأرض المشيئة عليها
عن المستوى العام بنحو ١٠٠ قدم ، حتى أن القادم من الشمال أو الشرق لا يراها
إلا من قريب . ويحيط بالرياض بساتين النخيل ، وهي ضواحيها تمتد من الشمال
إلى الجنوب نحو ميلين ، حيث تقف عند قاع وادي حنيفة أو الباطن

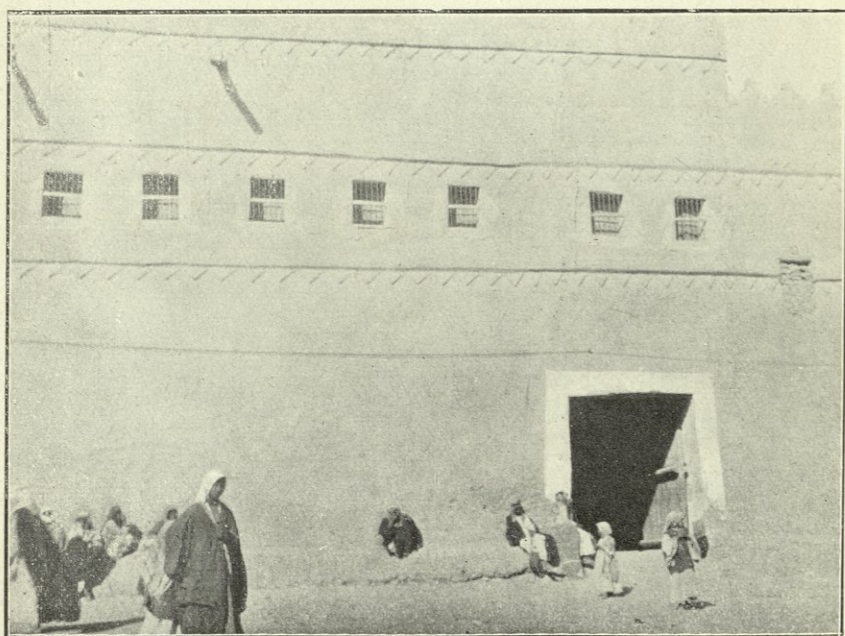
والرياض كسائر البلدان النجدية : محاطة بسور محصن بأبراج عديدة لحماية
البلدة من غارات البدو وعدوان الأعداء

ومباني الرياض من الطين أو اللبن ، وهي قليلة النوافذ على الطريق العام ،
فإن ذلك معدود من العيوب في البلاد العربية . ويشغل قصر الملك ومنازل العائلة
الحاكمة قسماً عظيماً من المساحة ، وهي تشبه في بنائها قصور القرون الوسطى من جهة
السعة وإقامة الأبراج عليها ؛ والقصر الحالي بناه الملك عبد العزيز على أنقاض
القصر القديم

والرياض هي مقر آل الشيخ ، أو خلفاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح
الديني ، وهم في مركزهم الديني أشبه بأعضاء المحكمة العليا في البلدان الأخرى ،



منظر داخلي لقصر جلالة الملك في الرياض



منظر خارجي لقصر جلالة الملك في الرياض

و

تد

فيم

جا

عر

وس

ش

يانا

ال

فيم

بالع

سن

وقا

الج

غر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وهم المرجع الأخير في جميع المشكلات الدينية ، ويقومون في الوقت نفسه بوظيفة تدريس العلوم الدينية والآداب العربية في بيوتهم ؛ التي يقصدها طلبة العلم ويجدون فيها ما يساعدهم على الانتفاع لطالب العلم

والرياض تزخر بالزائرين ، وتعج بالوافدين من الحضر والبدو وقت إقامة جلالة الملك بها ، وقد يبلغ عدد الضيوف عشرة آلاف ، ولا يقل عدد الضيوف عن ٨٠٠ في الأيام العادية ، وكلهم تهيأت لهم سبل الضيافة ، وتوفرت لهم جميع وسائل الراحة على نفقة جلالة الملك

وأهل الرياض أشد أهل نجد صلابة في الدين وغيره على حرمانه ، وشأنهم شأن أهل نجد في المحافظة على صلاة الجماعة والضرب على أيدي المتساهلين في أدائها ويبلغ عدد سكان الرياض نحو ٢٥ ألفاً ، وقد أمر جلالة الملك في سنة ١٩٣٣ بإنشاء بلدية للأشراف على تنظيف البلد وتوسيع طرقها ، وقد ربطت بيوت العائلة الحاكمة بعضها مع بعض بأسلاك التليفون ، وأصبحت بعد إنشاء المحطة اللاسلكية فيها سنة ١٩٣١ مرتبطة مع سائر البلدان العربية ، وأصبحت على اتصال وثيق بالعالم الخارجي بعد ما كانت في عزلة تامة عن العالم

وقد زرت الرياض في ديسمبر سنة ١٩٣٢ ويناير سنة ١٩٣٥ بعد زيارتي لها سنة ١٩٢٤ ، فوجدت البلدة قد نمت نمواً عظيماً وكثرت مبانيها وعدد سكانها ، وقد تبع ذلك نمو حركة التجارة فيها

الدرعية :

هي العاصمة الأولى لآل سعود تخربت سنة ١٢٣٣ هـ سنة ١٨١٨ م أما الدرعية الجديدة فتقابل البلدة القديمة ، وهي في الجهة الشمالية من وادي حنيفة ، تقع في غربي الرياض ، وتبعد عنها نحو ١٢ ميلاً

يبلغ سكانها الآن نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها كثير من أشجار النخيل والفاكهة يرويها نحو ٤٠٠ بئر غزيرة المياه ، وأشهر ضواحيها الطريف في الجهة المقابلة من الوادي ومريجة والغصيبة ، وهي منفصلة عن بعضها بأسوارها الخاصة
سدوس :

بلدة صغيرة في موقع كثير المياه ، خصب التربة ، وفيها كثير من أشجار الفاكهة والنخيل ، وقد اشتهرت سدوس بما فيها من الآثار ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاثة أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدماً ، ويبلغ سكان سدوس نحو ألف نفس
حريملة :

في طويق أيضاً ، وفي الشمال الشرقي من سدوس ، وتبعد عنها نحو ١٢ ميلاً ، وهي أيضاً في منطقة خصبة كثيرة المياه ، بها كثير من أشجار النخيل والفاكهة ، وآبارها عميقة ، وبها قلعة كبيرة مخربة بناها المصريون في أوائل القرن التاسع عشر ولكنها تداعت بعد ذلك . والقسم المنخفض من البلدة فيه كثير من المنازل المتداعية ، ترى كأنها أطلال ، والطريق العام الشمالى إلى سدوس يمر بحريملة ، ويبلغ سكان حريملة ٣٠٠٠ نفس

ثادق :

بلدة صغيرة في الشمال الغربي من حريملة ، تقع على جانب الوادي في الجهة الغربية من منحدرات طويق ، يبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة ، وكانت من المدن الشهيرة في العارض ، وعدا عليها عادى الدهر

العيينة والجبيلة :

وقد كانت الأولى زاهية زاهرة في أيام النهضة الأولى لآل سعود ؛ وهنالك

قصص كثيرة في أسباب خرابها وهجر الناس لها ، ليس هنا محل ذكرها ، والجبيلة مشهورة بقبور كثير من الصحابة الذين اشتهروا في حرب مسيلمة الكذاب

الخَرْج :

أشهر بلدان الخرج : الدَّم وهي العاصمة ، منفوحة في الجنوب ، نَعْجَان ، السَّامِيَّة ، اليمامة ، المَنَاصِف ، الضَّبْعِيَّة ، البِدْع ، فِرْزَان تقع هذه المقاطعة في الجنوب الغربي من العارض في وادي حنيفة ، وتمتد من الضفة اليمنى للوادي قرب الرياض إلى الصحراء الكبرى الجنوبية ، ومن حدود الحَرِيْق والحُوْطَة في الجنوب الغربي إلى الصحراء الشرقية .

والمنطقة المسكونة من المقاطعة يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠ ميلاً ، ومن الغرب إلى الشرق ٥٠ ميلاً ، والخرج من أغنى المقاطعات النجدية^(١) وأخصبها ؛ فيها كثير من العيون الجارية والمناطق المزروعة وقد اعتاد آل سعود من قديم أن يُسيِّموا خيولهم وإبلهم في الخرج . وأشهر بلدان الخرج هي :

منفوحة :

تقع في أقصى الطرف الشمالي من وادي حنيفة ، ومنازلها بعضها مبني بالطين والبعض الآخر بالحجر . وقد كان لمنفوحة شأن يذكر في نجد في الماضي لما كانت الرياض قرية ، فقد كان سكان منفوحة أكثر من سكانها الحاليين ، إذ كانوا يجاوزون الخمسة عشر ألفاً . أما الآن فمنفوحة لا يتجاوز سكانها عشرة الآلاف ، وبها كثير من أشجار النخيل التي تزيد عن ٤٠ ألف نخلة ، وآبارها يبلغ عمقها من ٢٥ — ٧٠ قدماً حسب بعدها عن الوادي

(١) أنظر ياقوت

السَّامِيَّة :

بلدة صغيرة على مجرى عين فرزان الذي يفيض من الدَّلم على بعد ٥٠ ميلاً من الرياض ، وهي في بقعة منخفضة كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها نحو ألف نفس

اليَمَامَة :

مدينة صغيرة أيضاً تقع على مجرى العين السابقة ، وفي بقعة خصبة أيضاً ، كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها الآن نحو ١٢٠٠ نفس وقد كانت اليمامة قديماً تطلق على منطقة واسعة

الدَّالِم :

هي المدينة الرئيسية للمقاطعة في الوقت الحاضر ، وتقع على عين فرزان الشهيرة ، ويبلغ سكانها نحو ٦٠٠٠ نفس يشتغلون بالزراعة ، وأراضيها خصبة وعامرة بزراعة النخيل والحبوب والأرز ، ويبلغ عمق الآبار من ٣٥ — ٥٠ قدماً

الحَرِيق :

تقع منطقة الحريق غربى الخرج وجنوبى العارض ، وتبعد عن الرياض بنحو خمسين ميلاً ، وآبارها بعيدة الغور قد تبلغ نحو ١٠٠ قدم ، ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد اشتهرت الحريق بالثورة التي أثارها أبناء عم الملك عبد العزيز عليه سنة ١٩١٠ م في الوقت الذي كان شريف مكة يهدد إمارة نجد من جهة الحجاز

الْحُوَطَة :

بلدة صغيرة في جنوبى الحريق ، بها كثير من البساتين يبلغ سكانها

٤٣٠٠ نفس

الأفلاج :

تقع منطقة الأفلاج غربى الخرج وشمال الحريق ، وهى سهل واسع ، وهى فى الجغرافية القديمة قسم من اليمامة ، كثير المياه والنخيل ، عامرة بالسكان ، وأشهر بلدانها هى :

ليلى :

فى القسم الشمالى من المنطقة ، وهى الآن أعمر بلدان الأفلاج ، ويبلغ سكانها وسكان القرى التابعة لها نحو ٥٠٠٠ نفس ، منهم نحو ٤٠٠ من الأشراف البديع :

فى القسم الجنوبى من المقاطعة ، ويبلغ سكانها نحو ٣٥٠٠ نفس الروضة :

شمال البديع ، وتبعد عنها ١٠ أميال ، وبها كثير من بساتين النخيل ، والمنطقة كثيرة المياه ، ويبلغ سكانها نحو ١٦٠٠ نفس

وادى الدواسر

يمس الوادى حافة الربع الخالى عند نقطة تبعد نحو خمسين ميلاً من جنوب شرقى السكيل ، وعلى بُعد خمسين ميلاً أيضاً من جنوب غربى المكان نفسه لطريق ومجرى الدواسر يندعم شرقاً فى الرمال . وإلى الغرب من هذا توجد سلسلة جبال اليمن ، ويوجد على منحدراتها الشرقية كثير من الواحات العامرة ، ثم تندعم هذه المنحدرات تدريجياً فى الرمال ، بينما وديان التثليث وبيشة وراينا تتجه شمالاً فى أعلى عسير ، حيث اجتماعها فى السهل يكون وادى الدواسر نفسه

منطقة السليل :

هذا الجزء واقع إلى الجنوب الشرقى لوادى الدواسر ومنخفضات المقرن ،
وإلى جنوبه فيما وراء المرتفعات تمتد أطراف الصحراء

واحة السليل :

يبلغ طول الواحة حوالى ميلين ؛ فى وادى رملى مكوت من التقاء الوديان فى
قلب أعالى الطويق^(١) ، وأحد هذه الوديان هو وادى الدواسر الذى شق حاجز
النجد إلى شطرين من الغرب إلى الشرق

ومستعمرة السليل تتكون من أربعة قرى مربعة الشكل ، وكثير من الأكواخ
المبعثرة هنا وهناك ، وبضعة قصور منتشرة على حافة مزارع النخيل على الضفة
اليسرى لوادى المجمع . ومساحة المستعمرة ميل طولاً ، وربع ميل عرضاً
وعند طرفها الشمالى الغربى تقع قرية « فرعة » ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة
وعلى الطرف الآخر تقع قرى صبيحة أو المحمد ، ودهلا ، والحش
والقرية الرابعة هى آل سويلم ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة . وهى واقعة فى
منتصف الواحة

ومجموع سكان الواحة لا يزيد عن ألفى نسمة ، بعضهم أرقاء تحرروا ، وهذا
التقدير لا يضم العرب الرحل الذين يفدون على الواحة زمن موسم التمر لأخذ
حاجتهم منها

وما تنتجه الواحة من القمح والتمر يكفى سكانها مؤونة العام ، وعدا ذلك فترجع
فيها أغلب أنواع الفواكه ، وفيها يزرع القطن أيضاً
ومنطقة السليل بما فيها حتماً فى الشمال ، وواحة « تمر » فى الشرق هى جزئ
من إمارة الدواسر

(١) طويق : جبل فى نجد الوسطى

واحة الوادى :

تقع مزارع نخيل الشَّرَافَة في مدخل الواحة من جهة الشرق ، وهى غنية بشجر الأثل والكروم ؛ وسكانها نحو خمسمائة نسمة من الدواسر ، ثم يتلوها لحاف أو مسرة ، ويفصلها عن مزارع نخيل الشرافة حواجز رملية يبلغ عرض الواحة منها حوالى نصف ميل

وتكثر مزارع النخيل فى الجهة الشرقية من الواحة بدرجة كبيرة ، وفيها توجد خمسة قرى منها : « نَعِيمَة » و « الْقَيْظ » ، وهما قريتان متلاصقتان ، وواقعتان على ضفة الوادى اليمنى ؛ وسكانهما معاً حوالى ثمانمائة نسمة

وعلى بعد نحو ربع ميل من شمالي هاتين القريتين ، وعلى سفح الضفة اليسرى للوادى تقع قرية « نَزْوَا » ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة
يل ذلك مستعمرة مَحَادِم ومُقتَلَة ، وهما غنيتان بمزارع النخيل ، وسكانها نحو ألفى نسمة

يتلو ذلك الدَّام ومِشْرِف ، وهما واقعتان على حافة الوادى القبلىة ، ويفصلها عن بعضهما مسافات صغيرة

وإلى الغرب تقع مزارع نخيل الفرعة وكروما ، وهى تسكون الحد الغربى للواحة . ففي هذه الواحة يجرى مجرى نهر الدواسر . ومجرى الوادى نفسه طينى التربة ، ولكنه مغطى بطبقة خفيفة من الرمل

وإلى الجنوب تمتد صحارى قاحلة لا نبات فيها ، وبها تلال رملية تتلاشى رويداً حتى تتلاشى فى رمال الصحراء ، وتتجه من جهة إلى الجنوب الشرقى حيث توجد التَّوَيْج

بلدان الوادى

دام :

هى عاصمة الإقليم ، وتقع على سفح المنحدر فى الجهة اليمنى من الوادى . وهى على شكل مربع تقريباً ، ومبنية على مرتفع تقع على قفته أحسن البيوت والمساكن ، وكانت محاطة بسور ولكن أغلبه اليوم مهتمدم . وأحسن بناء فيها هو « قصر حسين » وهو على شبه قلعة يملكه أحد الشيوخ . وليس بالبلدة سوق عام ، ولكن بضعة حوانيت ترى هنا وهناك

وسكانها نحو ثلاثة آلاف نسمة من الرُّجبان ، وهم قسم من الدواسر أشداء البطش والقوة ، ويعنون كل العناية بنخيلهم وكرورهم

وفى الفضاء الذى يفصل « دام » من نظيرتها « مشرف » يقع « البرزان » وهو القلعة وقصر الحاكم العام

مَشْرِف :

هى المركز التجارى العام للواحة ، وهى تنافس « دام » فى الأهمية والشهرة ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة ، ويحيط بالبلدة سور فى حالة أحسن من سور مدينة « دام »

وَالْأَمِين :

واقعة إلى الشمال الغربى من مشرف ، وسكانها نحو ألف نسمة ، ويفصلها عن مشرف حائط يسمى الفُرَيْخ

الجُوَيْر :

فى الجنوب الشرقى من دام ، ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة

تَمَامِيَّة :

في شرق دام ، ويبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة
وفي الجهة الغربية من الواحة توجد مزارع نخيل واسعة النطاق يتخللها بعض
أشجار الأثل ، وتسمى هذه الجهة « الفرعة » ، وبها عدة قرى بعضها إلى جانب
بعض ، ويطلق عليها اسم « الحمراء » ، وهي واقعة إلى الجهة اليمنى من الوادي
ويبلغ مجموع سكان إقليم الدواسر زهاء ثلاثين ألفاً من حضر وبادية ، ويمكن
الوصول من وادي الدواسر إلى زانياً في خمسة أو ستة أيام بالإبل ، ومنه إلى وادي
بيشة في نحو أسبوعين

الْوَشْم :

أشهر بلدان الوشم : شَقْرَا (العاصمة) ، ثَرَمَدَا ، وُشَيْقِر ، القَصَب ، غَسَلَة ،
الْوَقْف ، أثَيْثَة (بلدة جرير الشاعر) ، الفرعة ، الحُرَيْفَة ، الدَاهَنَة

يحده من الجنوب والشرق العارض وسُدَيْر ، ومن الشمال القصيم ، وأما من
الجهة الغربية فليس هنالك شيء بارز يحدد نهايته ، ويفصله من الجهة الجنوبية
الحِجَاد عن ضُرْمَة من العارض ؛ ويبلغ امتداد هذا السهل من الشمال إلى الجنوب
حوالي ١٠٠ ميل ، ومن الشرق إلى الغرب نحو ٩٠ ميلاً — أما خط تقسيم المياه —
فهو السهل الرملي الواطئ الذي يبلغ عرضه نحو ١٥ ميلاً

وينتهي النفود إلى جنوب ثَرَمَدَا حيث الحد الفاصل ما بين الوشم والعارض ؛
والجنوب الشرقي من الوشم أهل بالقرى والسكان والمياه ، وفيه تقع أكبر بلدين
في الوشم : شَقْرَا العاصمة ، وثرَمَدَا . أما وسط الوشم وشماله فأرضه غير خصبة ؛
ويبلغ عدد سكان الوشم نحو ١٥,٠٠٠ نسمة ينتمون إلى بني تميم وعنزة ، وهم
يقطنون حوالي عشرين بلدة وقرية عدا القرى الصغيرة . وأشهر البلدان هي :

شُقْرَا :

في الجهة الجنوبية الشرقية ؛ يبلغ سكانها سبعة آلاف ، وسورها وأبراجها متهدمة منذ الحصار الذي أقامه عليها محمد الرشيد في سنة ١٨٩١ م ، وبساتينها صغيرة بالنسبة إلى مساحة المدينة ، وآبارها عميقة : ٦٠ — ٧٠ قدما ، ولكن ماءها لا ينضب حتى في أيام الجفاف الشديد

وقد كان لشُقْرَا في القرن الماضي مكانة تجارية عظيمة مع الهند وسوريا والعراق ؛ ولا يزال أهلها يجوبون مختلف الأقطار في سبيل التجارة

ثَرَمْدَا :

في الجنوب الشرقي من شُقْرَا ، وهي تكاد تكون مخربة مما حلَّ بها في سنة ١٩٠٣ ، حيث انحازت إلى ابن الرشيد . يبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها قلعة وسوق ، وكثير من البيوت الجميلة ، وبها كثير من البساتين الواسعة ، وهي تروى من آبار عمقها من ٦٠ — ٧٠ قدما

وَشِيْقِر :

في الجهة الشرقية بين وسط حافة النفود وواجهة طويق ، وهي على بعد بضعة أميال إلى الشمال الشرقي من شُقْرَا . بها مزارع تروى من آبار عمقها من ٥٠ — ٦٠ قدما

المِذْنَب :

في منتصف الطريق بين شُقْرَاء والقصيم ، وهي جملة قرى أهلة بالسكان منضم بعضها إلى بعض ؛ يبلغ سكانها نحو ٢٥٠٠ نفس ، وآبارها غير عذبة ، وبها كثير من القصور ، ولقربها من الوشم عُدت قسماً منه ، وبعض النجديين يعتبرها قسماً قائماً بنفسه

سُدَيْر :

هو القسم الواقع إلى شمال نجد الأصلية ، وتقع القصيم إلى شمالها وشمالها الغربي ، وخط الحدود يقع في الصحراء على بعد عشرين ميلاً من وادي الرُّمّة بين الزِّلْفَى والمِلْدَنْب ، وإلى غربها تقع الوشم وخط الحدود ؛ ويمكن تقدير أبعادها بمائة ميل من الشمال للجنوب ، و ٩٠ ميلاً من الشرق إلى الغرب

وسدير في الواقع هي الجزء الشمالي من « طويق » وتحتوي على أول السلسلة التي تتجه نحو الجنوب الشرقي ، والجزء الرئيسي الذي يكون أغلب سدير هو السهل المرتفع الواقع في الشمال فوق السلسلة الممتدة إلى الجنوب الشرقي . والقسم المأهول بالسكان هو المنخفض من هذا السهل

وهذه الوديان منفصلة بعضها عن بعض بحواجز صخرية ؛ والقري هي في الواقع واحات صغيرة منفصلة بعضها عن بعض ، وغير ذلك توجد مزارع مأهولة خارج الحد الشرقي من المرتفع ، وهي واقعة إلى شمالي وشرقي الزِّلْفَى والمجمعة ، وأيضاً يوجد بعضها إلى الجنوب

ولا يمكن تقدير عدد السكان بأكثر من خمس وعشرين ألف نسمة ، وكل البلاد ذات الأهمية واقعة على الطريق الرئيسي وأهمها :

المجمعة ، الزِّلْفَى ، الفاط ، جَلَّال ، التَّوَيْم ، الدَّاخِلَة ، الروضة ، الحصون ، حَوْطَة ، سُدَيْر الجنوبية ، العطار ، العُودَة ، الخِطَامَة ، عَشِيرَة ، تَمِير

المجمعة :

واقعة في الشمال ، وهي في الجانب الجنوبي من وادي مجرى في وادي المَشَجَر ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٤٥٠٠ نفس ، وهي مسورة ، وفيها قلعة وأبراج ، وعمق

أبارها يختلف بين ٣٥ — ٧٠ قدماً ، وبها سوق فيه ٥٠ دكاناً ، ويكثر فيها أشجار النخيل ، ويقع الأمير في بيت قريب من السور
الزلفي :

واقعة في نهاية الطرف الشمالي في سهل واقع بين الطويق في الشمال الشرقي وأعلى النفود غرباً ، وتنقسم إلى بلدين يحيط بكل واحدة منهما سور . فالأولى واقعة في عماء السهل ، والأخرى واقعة بين بساتين كبيرة واسعة على بعد ميل من الأولى . ويبلغ ارتفاع السور المقام حولها نحو ١٦ قدماً ، وعليه ثلاثة أبراج يزيد ارتفاعها عن ارتفاع الحائط بنحو عشرة أقدام ، والبوابة مرتفعة وواسعة بحيث تسمح لراكب الجمل أن يدخلها وهو راكب جملة

والقسم الشمالي الشرقي منها دارس ، وفي الجزء الباقي تمتد الشوارع من الشمال إلى الجنوب ، والبيوت ذات الطبقتين قليلة ، وبها مسجد واحد ومجموع سكان البلدين يبلغ نحو ٤٠٠٠ نسمة

الفاط :

سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وفيها كثير من البساتين الكبيرة ، وهي على مسافة مسير يوم جنوباً من زلفي ، ونحو يوم إلى شمال الجمعة

جلاجل :

تقع على بعد ١٨ ميلاً إلى جنوب الجمعة ، وتعلو عنها نحو مائتي قدم ، وهي مدينة مسورة ، وبها قلعة ، وبها بعض البيوت ذات الطبقتين ، وبها بساتين كثيرة جداً فاقت بساتين التويم التي تبعد عنها نحو خمسة أميال إلى الجنوب الشرقي ، ويبلغ سكانها نحو ٣٠٠٠ نفس

القصيم :

تقع الوشم في جنوبها الشرقى ومنحدرات عُثَيْبِيَّة في الجنوب الغربى ، ويحفها جبل شمر من الغرب والشمال والصحراء الشمالية ، وتبلغ أبعادها نحو تسعين ميلا من الشمال إلى الجنوب ، وستين ميلا من الشرق إلى الغرب

ويطلق على القسم الواقع في الشمال الشرقى القصيم العليا ، وتتسرب المياه إلى آبارها من المرتفعات المحيطة بها ، وبخاصة من جبل شمر ، والقصيم ملى بالقرى الآهلة بالسكان

ومزارعها كثيرة جداً حتى أنها تشبه حديقة تحيط بها صحراء ، وتوجد في هذه الواحة المزروعات على اختلاف أصنافها ، ويقدر عدد المقيمين فيها بصفة دائمة بسبعين ألف نسمة

وتقع القصيم في طريق القوافل من مكة إلى بلاد ما بين النهرين ، وسوقها التجارية نافقة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالاً بالعالم الخارجى ، وأهلها من أذكى أهل نجد ، وأرقهم طباعاً ، وأكرمهم خلقاً ، وأسماهم يداً ، وأكثرهم أسفاراً للخارج ، وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل القصيم ، وبها بعض المدارس التى تعنى بالعلوم الدينية ، وبها بعض العلماء المتبحرين في فنون الفقه والعربية

ويبلغ عدد قرى القصيم نحو ٥٠ قرية ، والمدينتان الرئيسيتان للقصيم هما : بريدةً وعُغَيْزَة ، وأغلب القرى تعتمد على بريدة ولذا تسمى بأَم القصيم

بريدة :

تقع في الطرف الشمالى من القصيم العليا على الجانب الأيسر من وادى الرثمة ، وهى من أكبر المدن النجدية وأحسنها نظاماً ونظافة ، وطرقها أوسع من الرياض

ومن طرق أكثر البلدان النجدية ولكنها ملتوية ، ومبانيها من اللبن ، وهي كسائر
البلدان العربية ؛ محاطة بسور يحمي البيوت والأسواق يبلغ ارتفاعه ١٥ قدماً ،
وبساتينها خارج السور تمتد أكثر من ثلاثة أميال في اتجاه وادي الرمة إلى قرية
الخَبْرَا ، والياه فيها متوفرة وغزيرة ، ولكنها ليست خالصة العذوبة ، وعمق
الآبار يتفاوت من ٢٠ — ٤٠ قدماً ، وتطفو الرمال من وقت لآخر على البساتين
ويقع سوقها في الجهة الجنوبية من البلدة ، وبه نحو ٣٥٠ حانوتاً وهو مقسم
إلى أقسام حسب نوع البضاعة ، وبها أيضاً سوق للجمال والغنم وبها ستة مساجد
وبالشمال الشرقى القلعة الرئيسية للبلدة ، يبلغ ارتفاع الجدار ٤٠ قدماً ، بنيت
بناء هندسياً جميلاً قبل ٦٠٠ سنة ، ويسمونها القصر أيضاً ، يسكن بها الأمير
(العاهل) ويسكن بها أيضاً الملك عبد العزيز وقت إقامته في بريدة . ويُربّي في
بريدة وما يليها الأبل والغنم ، وهي تُكوّن جزءاً من ثروة البلاد ، ويصدرون
للخارج الزائد عن الاستهلاك المحلي ، وكذلك يعني فيها بتربية الخيول ، وتصدر
إلى الشرق والشمال

ويبلغ عدد سكانها ٣٠ ألفاً أكثرهم من بني تميم ، وهم ليسوا كأهل عنيزة
في الكرم ولين الجانب

وتقع المدينة على مرتفع رملي ، وهي صحية جداً ، وأرضها خصبة ، وبساتينها
كثيرة وتروى بسهولة

عنيزة :

تقع إلى يمين وادي الرمة على بعد ميلين منه ، وتبعد عن بريدة نحو ١٢
ميلاً في مكان خصيب يحفه النفود من الشمال ، ويحيط بالقسم الأهل من السكان
من البلدة حائط داخلي ، وبه بساتين عامرة تمتد إلى الشمال نحو ميلين . وبيوت
عنيزة أنظف وأحسن من بيوت بريدة

وقد اشتهر أهل عنيزة بلين الجانب وبشاشة الوجه وحسن لقائهم للأجانب ،
وهم مشهورون بالشجاعة والاستعداد التجارى بفطرتهم
يبلغ عدد سكانها ٢٠ ألفاً — اشتهرت عنيزة ببعض الصناعات المعدنية
وتجارها واسعة ، وبها عدد غير قليل من الأجانب (غير نجدى)
وقد كانت عنيزة تنافس بريدة فى الأولوية والأهمية ، ولكن بريدة سبقت
عنيزة الآن

ومن أشهر مدن القصيم :

الرَّسَّ :

تقع فى القسم الجنوبى من القصيم على بعد ٥٠ ميلاً من بريدة فى الجنوب
الغربى منها ، وعلى بعد ٤٠ ميلاً من عنيزة ، وفى جنوب غربى عنيزة على الحافة
البنى لوادى الرمة ، تحيط بها البساتين من جميع جهاتها ما عدا الجهة الشرقية ،
ولها مزارع واسعة فى بطن وادى الرمة وفى جهات أخرى
ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد قاومت إبراهيم باشا سنة ١٨١٧ م
مقاومة شديدة ، وبقيت مدة طويلة تحت الحصار قبل التسليم

الخَبْرَا :

تقع على الحافة اليسرى من وادى الرمة على بعد نحو تسعة أميال شمالاً من
الرس ، وهى بلدة مسورة بها نحو ٣٥٠٠ نفس ، وبها سوق يعقد كل يوم جمعة ،
وبها ميدان كبير يجتمع به الناس فى وسط المدينة ، ويبلغ عمق آبارها حوالى ٥٠ قدماً

العيون :

فى القصيم العليا على بعد ٢٨ ميلاً من شمالى غربى بريدة وهى واقعة فى
منخفض وتمتد نحو نصف ميل من الشمال إلى الجنوب

يبلغ سكانها نحو ٥٠٠٠ نفس ، وهي مكونة من قريتين متجاورتين ،
تجارتها واسعة ، بها كثير من مزارع النخيل ، تروى من آبار يبلغ عمقها ٣٠ قدماً
قُصِيَّة :

تقع في الشمال الشرقي من القصيم العليا في مكان منخفض ، وبها مياه غزيرة
ولكنها تميل إلى الملوحة ، وبها أيضاً عين حارّة ، وبها كثير من البساتين
الواسعة المساحة ، وثمرها من أجود الأنواع في نجد يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ نفس
يسكنون في أربع محلات متجاورة

جبل شمر :

يطلق اسم جبل شمر على السهل الواسع الممتد بين جبلي أجا وسلمى ، والذي
تسكنه قبائل شمر المشتغلة بالزراعة — ففي شعاب هذه الجبال توجد منابع عديدة
للمياه ، والأرض خصبة صالحة للزراعة ، وفيها أشجار النخيل بكثرة حيث تنمو
هنالك نمواً عظيماً

وفي السهل الكبير المنبسط بين هاتين السلسلتين توجد منابع المياه بوفرة
تحت طبقة الرمال والصخور ، فتجعل الأرض صالحة لأنواع شتى من المزرعات ،
ولكنها في موسم الحر تحتاج إلى ريها باستمرار

وإمارة جبل شمر هي نجد يعلو عن سطح البحر ٢٢٠٠ قدم ، وبه رؤوس
مرتفعات عالية أيضاً ، والنجد منحدر من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ،
والمياه تنحدر في أغلب الأوقات إلى وادي الرمة . وأهم الظواهر في بلاد الإمارة
هي سلسلة الجبلين المحاذيين لبعضهما : جبل أجا وسلمى ، وهما واقعتان في شمالي
الإمارة ، وتمتدان حتى طرف المقاطعة أي أن اتجاههما من الجنوب الغربي إلى
الشمال الشرقي ، وهما مكونان من حجر الجرانيت ، وارتفاعهما شاهق ؛ فإن جبل

أجا يعلو عن سطح النجد نفسه بنحو ألف قدم ، ويبلغ ارتفاعه الأعلى في إحدى المواقع إلى ٥٥٠٠ قدم ، وتبلغ مساحة السلسلة حوالي ١٠٠ ميل طولاً وعشرين ميلاً عرضاً

أما جبل سلمى فإنه لا يقل ارتفاعاً عن جبل أجا ، ولكن مساحته أقل ، والمنطقة الجبلية تتجه غرباً إلى حدود النفود الجنوبية

ويوجد في جبل أجا كثير من الحيوانات الوحشية والطيور ، والهواء في الإمارة معتدل وصحى ، وتنزل أمطار غزيرة على أعلى الجبال ؛ وبذا توجد المراعى الخصبة الكثيرة . وينزل أوائل المطر في شهر نوفمبر ، ودرجة الحرارة في فصل الشتاء منخفضة

السكان

هم خليط من الحضر والبدو يبلغون نحو ٤٢ ألفاً . ويبلغ عدد الحضر منهم نحو اثنين وعشرين ألفاً ، والبدو نحو عشرين ألف نفس ، والسكان كأهل القصيم يميلون إلى التأنق ، ويغلب على طباعهم لين الجانب وإكرام الأجانب

المحصولات والتجارة

لا ينتج الجبل من المحاصيل الزراعية ما يكفي لقوت سكانه بالرغم من أن أكثر سكانه يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية وتصدر الولاية عدداً كبيراً من الخيول الجيدة والجمال والغنم التي تنتج نوعاً جيداً من الصوف

ويزرع في الجبل النخيل وبعض أصناف أخرى من الفواكه

البلاد المشهورة

هي — كما سبق — الجزء الواقع بين جبلي أجا وسلمى ، وفيه تقع العاصمة «حایل» وعلى قرب منها إلى الجنوب الغربي تقع «قفار» ، وهي قرية قديمة مشهورة واقعة على المنحدر الجنوبي لجبل أجا ، وبالقرب من جبل سلمى تقع مجموعة قرى منها : «فيد» العاصمة القديمة . وفي شمال جبل أجا — بينها وبين النفود — توجد بعض واحات متفرقة ولكنها غير مهمة . وتوجد أجزاء كثيرة في المنطقة الجبلية ولكنها لا تسكن إلا وقت موسم الزراعة ، ولا توجد منطقة مأهولة باستمرار في الجبال إلا منطقة واحدة في جبل أجا تسمى «عقدة» ، وهو واد به جملة قرى ؛ ومزارع النخيل فيها كثيرة

حایل :

تقع إلى الشمال الغربي من الوادي بين جبلي أجا وسلمى عند طرفه الشمالى ؛ والقسم الرئيسى من حایل يحيط به حائط من الطين ارتفاعه من ١٥ — ٢٠ قدما ، عليه أبراج ذات شكل مستدير ؛ وقد بناه الأمير عبد العزيز الرشيد ، ويبلغ طول محيطه نحو ٣ أو ٤ أميال ، ولكن جزءاً كبيراً من الأراضى التى تقع داخل السور مزروعة قحاً ومغروسة تيناً ، بينما يوجد جزء آخر ليس مزروعاً ولا مقاماً عليه أى بناء ؛ ولهذا السور خمسة أبواب

وعلى بعد نصف ميل إلى شرق حایل وميلين أو ثلاثة من الجنوب تحت جبل أجا توجد بعض بساتين النخيل والقمح مسورة . وعدا النخيل يزرع الرمان والليمون الحلو والنارج والبرتقال والبرقوق والتفاح

والمياه اللازمة للبساتين أو للاستعمال تستخرج من آبار عمقها حوالى ٩٠ قدما بواسطة الجمال . وفي شمال المدينة حيث توجد مزارع النخيل تميل مياه الآبار إلى

الملوحة قليلاً ؛ وليس للمدينة مصدر آخر غير الآبار للحصول على المياه
ويبلغ عدد السكان نحو ٥٠٠٠ نفس . ويجلب الأرز وبقاى الحبوب إما من
الهند أو من العراق

فِيد :

تقع على بعد ٤٥ ميلاً من شرق جنوب شرق حايل على طريق بريدة ، وهى
واقعة على منحدر جبل سلمى الجنوبى الشرقى ، وتمتد مزارع النخيل إلى ميلين
أو ثلاثة ، وتزرع الحبوب بكثرة ؛ وسكانها نحو ١٥٠٠ نفس خليط من بنى تميم وشمير

قَفَّار :

وهى ثانى مدينة فى الأهمية فى جبل شمر ، وهى مساوية لحايل فى عدد السكان ،
وواقعة فى البطن إلى الجنوب الغربى من العاصمة تحت منحدرات جبل أجا .
والواحة كبيرة ، وشجر النخيل فيها كثير جداً حتى انه يفوق نخيل حايل نفسها .
وهى مأهولة بينى تميم ، وهى واقعة على طريق تيماء

عُقْدَة :

مجموعة قرى منتشرة فى مزارع النخيل فى وادٍ واقع إلى الجنوب الغربى من
حايل ؛ يبلغ سكانها ١٨٠٠ نفس

مُوقَق : بها نحو ١٢٠ بيتاً مُسْتَجَدَّة : بها نحو ١٢٠ بيتاً

سَيْفان : بها نحو ٧٠ بيتاً الغزالة : بها نحو ٦٠ بيتاً

الجَفْنَة : بها نحو ٥٠ بيتاً الروضة : بها نحو ٦٠ بيتاً

تيماء :

بلدة صغيرة فى وسط دارة (واحة) باسمها واقعة إلى الجنوب الغربى من

النَّفُود على بعد ٦٥ ميلا من شمالي العَلا، وهي واقعة في منخفض من السهل المرتفع الذي يبلغ ارتفاعه ٣٤٠٠ قدم . والواحة مسورة بجائط من الطين ، وبها أبراج للدفاع مبنية من اللبن . وبالواحة أشهر عَيْن ماء في بلاد العرب ، إذ يبلغ اتساع فُوهَتها أكثر من خمسين قدماً ، ومركب عليها سَوَانِي من جميع الجوانب ، ومياها غزيرة

وأرض تيماء خصبة وصالحة للزراعة ولزراعة النخيل ، ويزرع فيها القمح والشعير والأذرة والفواكه على اختلاف أصنافها ، وتتم تيماء جيد ويعتبر من أجود أصناف التمر

عدد سكانها نحو ٢٥٠٠ نسمة ، وأغلبهم من ولد سليمان ، وبها بعض الموالى وبعض التجار من جبل شمر ، وبعضهم يحضرون لتصريف تجارتهم التي يجلبونها من بغداد وساحل الخليج ، والأهالي يبيعون محاصيلهم للبدو الرحل ، والهواء في تيماء جيد جداً وصحى

الجَوْف^(١) :

هي المدينة الرئيسية وسط منطقة زراعية كبيرة واقعة إلى شمال النفود على رأس وادي السَّرْحان ، والواحة واقعة في منخفض يقع نحو ٥٠٠ قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها

وتوجد واحات صغيرة أخرى تابعة لواحة الجوف ، واقعة إلى الشمال الشرقي منها فهي : سِكا كه ، وقَادَة ، والطَّوِير ، وجاوَه ؛ وسكا كه هي الأكبر ،

ومزارع النخيل فيها تكثر جداً حتى إنها تفوق تلك التي في الجوف نفسها ويبلغ طول واحة الجوف نحو ٣ أميال في نصف ميل عرضاً ، وهي تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، وكلها حدائق وساتين ، وبينها نحو ١٢ قرية

(١) الجوف : هو السمي قديماً دومة الجندل

وبها نحو ٤٠٠ منزل ، وليس بالقرية شوارع ولا أسواق
ومن مظاهر القرى هنا أن بعض بيوتها يقام إلى جانبه برج يبلغ ارتفاعه
حوالى ٤٠ — ٥٠ قدما و ١٢ قدما عرض حائطه ، وله مدخل صغير وبه منافذ
صغيرة ، وفي بعض البيوت يكون البرج جزءاً من البيت نفسه
وموقع الجوف الجغرافى مهم جداً ، لأنه يقع على الطريق المباشر ما بين سوريا
ووسط بلاد العرب ، وهى منفصلة إذ تقع فى المنتصف ما بين الفرات وطريق الحجاز
الحديدى ، و بين جبل شمر وجبل الدروز ، وعلى بعد نحو ٣٠٠ ميل من كل من
هذه المواقع وهى الواحة الوحيدة الواقعة ما بين العقبة وبغداد



الاحساء*

كانت هذه المنطقة تسمى قديماً البحرين وهجر ، وكانت تطلق على المنطقة الممتدة من البصرة إلى عُمان . أما اليوم فتطلق الاحساء على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من خليج فارس ، من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قَطْرَ وُحْمَان وصحراء الجافورة ، حيث يحدها من الغرب الصُّمَّان

الوصف الطبيعي

القسم الأكبر من الاحساء سهل صحراوي ، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، حيث تتشابه البلاد مع تهامة ، ويوجد كثير من التلال غير المتصلة بعضها ببعض تستخدم كحدود للمناطق ، وترتفع الأرض في القسم الداخلي إلى غربي المنطقة عن باقي السهل

ويوجد خط من التلال على طول وادي المياه وجبل الطَّفِّ ، ممتدة إلى الجنوب ، ويمتد مرتفع الصُّمَّان الصخري موازياً لساحل الخليج الفارسي ، متوسطاً بين الاحساء وبين الدَّهْنَا حيث يفصل هذا القسم عن نجد

وأهم أودية إقليم الإحساء هو وادي فرُوق في الجنوب الغربي ، وهو قسم من وادي المياه

والمنطقة الساحلية سبخة على العموم ، ويوجد بها عدد عظيم من الآبار ماءؤها قريب من سطح البحر ، والمراعي وافرة أيضاً ، والأقسام الصحراوية من المنطقة

* هذه المنطقة مشهورة بعيونها الفوارة (ارتوازية طبيعية وقليل وجود أمثالها في العالم)

آهلة بالبدو ، وأغنى بقاع المنطقة واحتا الاحساء والقَطِيفِ في الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون وأنهار صغيرة تشبه البحيرات

جو الاحساء

يشبه جو المناطق المنخفضة ، والقسم الشرقي من الإحساء يشبه جو تهامة ، وتزداد الحرارة في بعض المناطق كالتقطيف منها في بعض المناطق الأخرى ، وتتراوح درجة الحرارة في منطقة الاحساء ما بين ٤٠° إلى ١١٠° ف ، وتبدأ الحرارة في الارتفاع من ابريل حتى تصل نهايتها في شهرى يوليو وأغسطس ، وتمهبط ابتداء من سبتمبر وموسم البرد ما بين نوفمبر ومارس

والقسم الأكبر من هذه المنطقة غير مزروع ، والقسم الخصب المأهول بالسكان المشغول بالزراعة يبلغ امتداده نحو ١٢ ميلاً إلى شرق الهفوف والمبرز ؛ غير أن هنالك مناطق أخرى مزروعة في الشمال غير متصلة بعضها ببعض محاطة بالعيون ومنطقة الاحساء مشهورة بياها الكثيرة في المناطق المزروعة وعيونها العديدة الدافئة والحارة ، وجميع المنطقة تكاد تغص بالعيون ، والأرض لا تكاد تشكو الظماً من كثرة المياه ، والطرق تمتد على شواطئ العيون ، والأشجار والخضرة أينما سار الانسان . وقد ساعدت كثرة المياه على زراعة الأرز وغيره من الحبوب أما المحصول الرئيسى في الاحساء فهو التمر : وهو أنواع كثيرة أفضلها النوع المعروف بالخلاص ، ويزرع بها أيضاً الخنطة والشعير

وأشهر فواكه الاحساء الأترنج ، والليمون ، والخوخ ، والشمش ، والرمان ، والعنب ، والتين . وفي الاحساء كثير من الخيل العربية ، وأفضل الحمير والبقر ، وفيها الإبل والغنم بكثرة . وفي الاحساء يطعمون البقر بعض أنواع من الأسماك الصغيرة ، كما يعلفون بعض الحيوانات التمر القديم . وأشهر بلدان الاحساء هي :

الهفوف :

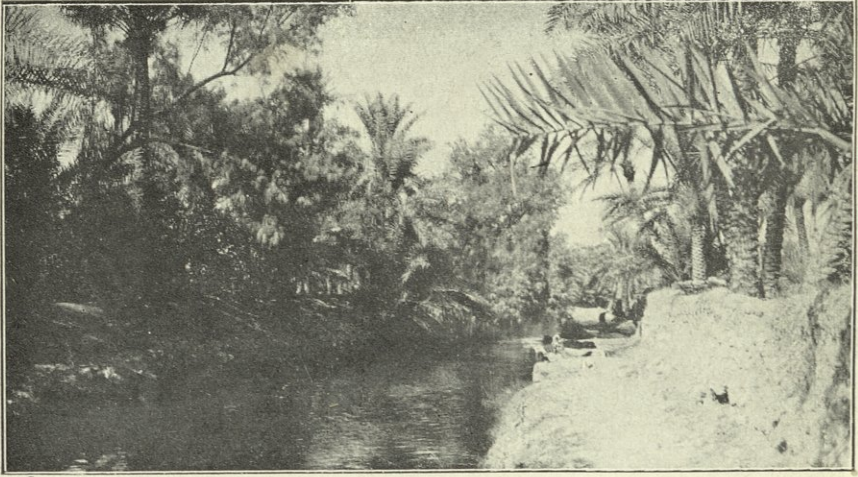
وهي قاعدة المنطقة في الزاوية الجنوبية الشرقية من المنطقة المزروعة ، وتنقسم البلدة إلى ثلاثة أقسام : الكوت في الشمال الشرقي ، الرفعة في الشرق ، النعائل في الجنوب والغرب

والكوت^(١) هو مقر الإمارة ، محوط بسور عظيم يبلغ ارتفاعه ٢٤ قدماً ، مشيد عليه أبراج عديدة بناها إبراهيم باشا لحماية البلدة . وقد كان الكوت مقراً للحامية التركية حتى سنة ١٣٣٠ ، سنة ١٩١٣ م . ويبلغ عدد بيوت الكوت نحو ١٥٠٠ بيت وبيوت الرفعة نحو ٢٣٠٠ بيت ، وهي أعلى منطقة وأحماها ويسكن بها أهل الثراء والنبيل من أهل الاحساء . أما النعائل التي فيها نحو ٢٠٠٠ بيت ، فتحتوي على القسم الأكبر من الطبقات الفقيرة ، وتضم أكبر مسجد للشيعة ، وفي الجهة الشرقية من الكوت السوق وحوانيت التجارة ، ويفصل الكوت عن النعائل من جهة الجنوب غابة من النخيل

ويحيط بباقي البلدة سور آخر يبلغ ارتفاعه ١٢ قدماً . وتبنى بيوت الاحساء في الغالب من الحجارة والجص ولكل بيت بئر ، وحاظته المرتفع لحمايته ، وطرق الاحساء ضيقة

ويوجد خارج البلدة من جهة الشمال سوق الخميس وهو مكان يجلب إليه أهل البلد والبدو حاصلاتهم ومصنوعاتهم حيث تعرض فيه يوم الخميس يبلغ سكان الهفوف ٣٠٠٠٠ نفس ، وهم ما عدا النجديين القيمين في الاحساء مزيج من العرب ومن أجناس أخرى فارسية وتركية وكردية ، ويبلغ أهل السنة ثلاثة أرباع السكان والشيعة نحو الربع

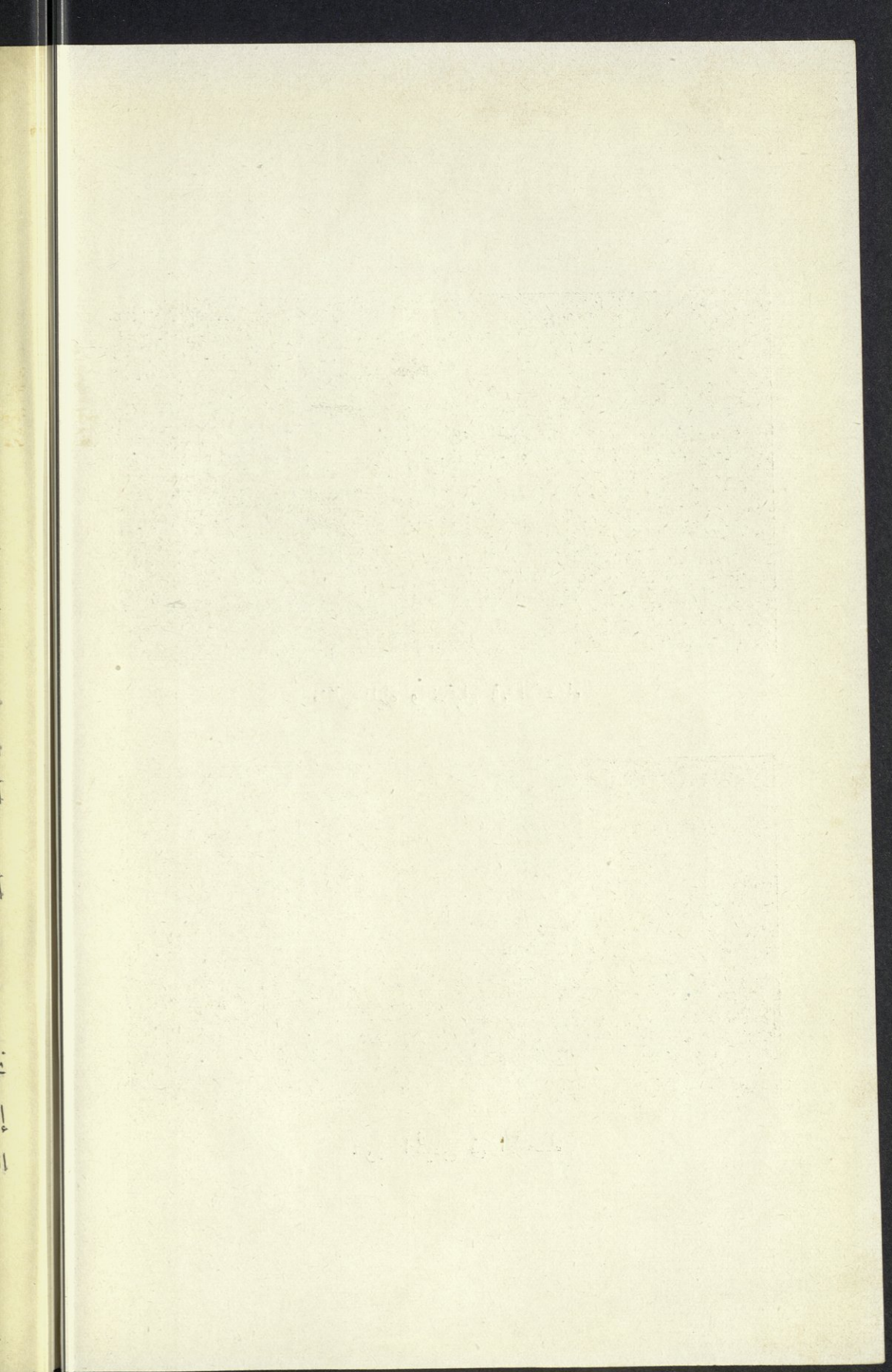
(١) الكوت : القلعة (كلمة برتغالية) كثر استعمالها بعد دخول البرتغاليين خليج فارس واستيلائهم على بعض الأماكن



منظر المياه والنخيل في الاحساء



سوق الخميس في الاحساء



٢ — المبرز :

يقع المبرز على بعد ميلين من شمال الهفوف ، مزروعة كلها من الغرب ، ومحاطة بسور متهدم ، له بابان من جهتي الشمال والجنوب . وتوجد خارج السور لجهة الغرب قلعة صاهور

وتشتمل المبرز على خمسة أقسام : أكبرها العيون في الوسط ، وفي الجنوب الغربي السوق والحوانيت التجارية ، ومباني المبرز كمباني الهفوف من الحجارة في الغالب . ويبلغ عددها ١٨٠٠ بيت ، يسكنها نحو ٩٥٠٠ نفس . والعمل الرئيسي لأهل المبرز هو الزراعة . وهناك سوق يقصده البدو المجاورون كل يوم جمعة لتقضاء حوائجهم الضرورية

واشتهرت الهفوف والمبرز بمركزها العلمي والأدبي مدة طويلة فكانتا مقصداً لطلاب العلم من سائر أنحاء الخليج الفارسي ، ولعلمائها مراكز ممتازة في جميع بلدان الخليج الفارسي يقابلون بالإجلال والترحيب ، ويكرمون بأحسن أنواع الإكرام أينما حلوا

ومن العائلات التي اشتهرت بالعلم في تلك المنطقة عائلة آل مبارك ، ولا يزال أفرادها يحافظون على تقاليد العائلة من دراسة العلوم الدينية والأدبية

السكان

يبلغ سكان منطقة الاحساء نحو ٢٥٠ ألفاً ما بين حضر وبادية ، ويبلغ البدو نحو ثلاثة الأرباع ، والمميز الرئيسي بين السكان هو المذهب ، فالسكان ينتمون إلى المذهب الشيعي ، وإلى مذهب أهل السنة والجماعة حيث يكونون الأكثرية الساحقة في القطيف وتاروت ، وحيث يبلغون النصف في الاحساء

ولقد اختار بعض القبائل العربية الإقامة في بعض الأماكن بصفة مستديمة

فعدّد من قبائل بني خالد يبلغ نحو ٦ آلاف يقيمون في جزائر المسامية وجنّة وتاروت
وفي قصر الصبيح والكلاية والجشة في الاحساء ، وفي أم الساهك في القطيف ،
وفي وادي المياه يقيم نحو ١٤٠٠ نفس من قبائل شتى ؛ وأهم العشائر الضاربة في
منطقة الاحساء

العجمان :

ويقيم منهم في منطقة الاحساء نحو ٤٥٠٠٠ و يقيمون في جنوب المنطقة

٨٠٠٠

آل مرّة

١٢٠٠٠

بني خالد

٦٠٠٠

بني هاجر

العوازيم : الرّشّيدة : وهؤلاء يقيمون في شمال المنطقة

أما قبائل النواصر : السهول ، مطير ، سبيع ، عتيبة ، قحطان ، فانهم ليسوا

من قبائل الاحساء بل يأتون إليها لأغراضهم الخاصة

نبذة تاريخية

كان يسكن هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي خلق كثير ، من عبد القيس
وبكر بن وائل وتميم^(١) ، وكانت إذ ذاك تحت حكم الفرس ، فوجه إليها الرسول
صلى الله عليه وسلم العلاء بن عبد الله الحضرمي حليف بني عبد شمس ليدعو
أهلها إلى الإسلام أو الجزية ، فأسلم أهلها العرب وبعض الجوس ، وصالحه
الباقون على الجزية

وأول من عمر الاحساء وجعلها قصبه هجر أبو طاهر القرّمطي^(٢) و بقيت الاحساء

(١) و (٢) ياقوت

تتنازعها الأيدي الحاكمة ، وتعبت بها أيدي البدو إلى أن فتحها آل سعود في دولتهم الأولى فساد الأمن وانقطع الفساد ، و بقيت في حكمهم إلى أن انتزعها منهم المصريون بعد دخولهم الدرعية سنة ١٢٣٣ ، ثم استردها منهم الامام فيصل ، و بقيت في حكمه زمن ولايته وصدر ولاية ولده عبد الله ، ثم استولى عليها مدحت باشا في سنة ١٨٧١ م وألحقها بولاية البصرة . وفي ٥ مايو انقض عليها الملك عبد العزيز واستولى عليها وطرد الحامية التركية منها ؛ وباستيلائه عليها ساد الأمن وانقطعت غارات البدو على القوافل والسكان

٣ — القطيف :

تقع واحة القطيف في الجهة الشمالية الشرقية من الاحساء ، ويحدها شمالا وغربا صحراء بياض ، وجنوبا برّ ظهران ، و يبلغ طول هذه الواحة ١٨ ميلا ، ومتوسط عرضها ٣ أميال ، وتقع مدينة القطيف في الوسط ، ويرتفع سطحها بضعة أقدام فقط عن سطح البحر

القسم الأعظم من المساحة رملي مشبع بمياه العيون العديدة في المنطقة . أما القسم المزروع فينتهي بستة أميال جنوبي مدينة القطيف ، غير أن هنالك مناطق أخرى مزروعة غير متصلة ببعضها ، سيأتي الكلام عنها

وهواء القطيف كثير الرطوبة غير صحي وينتشر فيها حمى الملاريا ، ولذا فان العشائر التي تقصدها في الصيف تفر منها أول الخريف ، لأنه فصل الحميات حسب تجاربهم

يبلغ سكان القطيف نحو ٣٠٠٠٠٠ نسمة وكلهم من الشيعة تقريبا ، وهنالك بعض العرب من بني خالد يسكنون أم الساهك ، و قليل من العرب الخاط — يطلق عليهم حوآله — يسكنون في مدينة القطيف

والزراعة وبالأخص زراعة النخيل هي العمل الرئيسي للسكان . والقسم
الأعظم منه يصدر إلى عمان والبحرين والهند وفارس ؛ وأشهر بلدان القطيف :

١ — مدينة القطيف :

وهي (Giparro) القديمة التي كانت مخزناً كبيراً مشهوراً للأفويه والعطريات
الواردة من تاروت (Taroot)^(١) ؛ تقع مدينة القطيف على خليج يشمل أيضاً
جزيرة تاروت ، وتمتد المدينة على الساحل مسافة عشرة أميال ، منها ميلان شرق
المدينة خاليان ، وبهما أطلال قلعة قديمة ، وفي الشمال يوجد ثلاث قنوات متصلة
بالبحر ، منها ممر يوصل إلى المدينة ، والبحر غير عميق ؛ ولذا فالسفن الكبيرة تلتقي
مراسيها بعيداً عن الساحل

ومن أقسام المدينة القلعة : وهو القسم المحصن من البلدة ، ويبلغ سكان
المدينة وضواحيها ١٢ ألف نفس ، كلهم من الشيعة تقريباً ، وليس بها من أهل
السنة إلا الأمير وحرسه وموظفو الحكومة و بعض التجار النجديين والاحسائيين
وقد مر الرحالة ابن بطوطة بالقطيف^(٢) سنة ٦٣٢ هـ فوصفها بأنها مدينة
كبيرة حسنة ذات نخيل كثير يسكنها طوائف من العرب وهم رافضة غلاة

٢ — سيهات :

على الساحل في الجنوب الشرقي من عنك ، وهي كغيرها من المدن العربية
مسورة بسور ضخمة يضم نحو ٧٠٠ بيت ، وبها كثير من العيون الغزيرة ، وسكانها
يعيشون على الزراعة

(١) مدينة صغيرة شرق القطيف

(٢) ضبطها ابن بطوطة بالتصغير . أما القاموس وياقوت فضبطاها بغير تصغير كما يلفظها

أهلها الآن

٣ — العُقَيْر :

ميناء في الجنوب الغربي من مدينة القطيف ، تبعد عنها أربعة وستين ميلا وليس بالعُقَيْر بيوت ولا سكان ، وكل ما فيها من المباني هو الجمرُك ، وبناء آخر (خان) لسكنى وكلاء التجار ، ويعتبر العُقَيْر ميناء الاحساء ونجد الجنوبية ، وأهم الواردات التي ترد إليه من طريق البحرين : الأرز والسكر والبن والمنسوجات بأنواعها

والقبائل المجاورة للعُقَيْر هي : النَّجَّان ، آل مُرَّة ، بنو هاجر . وقد اشتهرت العُقَيْر في السنوات الأخيرة بالاجتماعات السياسية التي كانت بين الملك عبد العزيز والسير برسي كوكس المندوب البريطاني

٤ — جُبَيْل :

ميناء في شمال القطيف سكنه قبائل بُوعَيْنَيْن أصحاب بنى خالد سنة ١٩١٠ على أثر مهاجرتهم من قطر ، ولم يكن لهذا الميناء شأن يذكر حتى سنة ١٩٢١ م فان الحرب الاقتصادية التي أعلنتها نجد على الكويت جعلت هذه الميناء تنمو نمواً سريعاً ، وكثرت مبانيها ، وأضعفت شأن الكويت من الوجهة التجارية ، ويبلغ سكانها ٢٠٠٠ نفس

وبقرب جبيل جزيرة المسلمية على خليج بهذا الاسم ، على بعد خمسة أميال من رأس البِدَيْع ، بها نحو ٤٥٠ بيتاً ، وسكانها من العجائر (فرع من بنى خالد) وهم يعيشون على استخراج اللؤلؤ والاتجار به

جزيرة جَنَّة :

جنوب المسلمية ، وسكانها كسكان سابقتها من بنى خالد ، يعيشون على استخراج اللؤلؤ والاتجار به

جزيرة بُوعلى :

في الجنوب الغربي من رأس البديع ، وهي غير مأهولة بالسكان ، تمتد ١٢ ميلا من الشرق إلى الغرب ، محاطة بمغاصات اللؤلؤ ، ويطلق على الساحل الغربي من الكويت إلى ظهران اسم عدان ، كما يطلق اسم قَطْر على الساحل الممتد من العقير إلى اخوار بنى ياس ، كما يطلق أحيانا على القطيف اسم الخط أشهر قرى مستعمرة القطيف عنك على الساحل تبعد أربعة أميال عن جنوب شرقي مدينة القطيف ، ونجليها مملوك لبني خالد

العوامية :

قرية محاطة بسور يضم نحو ٣٥٠ بيتا في الشمال الغربي من مدينة القطيف ، وفيها كثير من العيون الغزيرة المياه

الجش :

جنوب مدينة القطيف ، وتبعد عنها أربعة أميال ، كما تبعد عن الساحل ثلاثة أميال محاطة بسور يضم نحو ٣٠٠ بيت ، وبها ثلاثة عيون تروى المنطقة

صفوة :

في الشمال الغربي من مدينة القطيف تبعد عنها ثمانية أميال ، محاطة بسور يضم نحو ٤٥٠ بيتا ، وبها عين كبيرة تسمى داروش يتفرع منها سبعة أنهر

الدمام :

على الساحل الجنوبي الشرقي ، تبعد تسعة أميال عن مدينة القطيف ، وقد خربت في القرن التاسع عشر ، ولكن عاد إليها العمران مرة أخرى بعد هجرة الدواسر من البحرين سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م

حاكم منطقة الاحساء العام : هو الأمير عبد الله بن جُلُوى ابن عم الملك
عبد العزيز ، وأحد صحبه المختارين الذين رافقوه في مخاطراته العديدة ، ولا سيما
في انتزاع الرياض من آل رشيد ، وهو مشهور بالشدة والقسوة على المجرمين
وأشرار البدو ، ولقد كان إقليم الاحساء يضرب به المثل في اختلال الأمن وفساد
الإدارة في أيام الحكيم التركي ، فأصبح بعد حكم آل سعود كسائر البلدان النجدية
يسوده العدل والأمان



الكويت

اشتهر اسم الكويت قبل الحرب العظمى بسنوات ؛ بسبب النزاع السياسي بين بريطانيا وألمانيا على السكة الحديدية التي كان الألمان يريدون أن تنتهي إلى الكويت ، والبريطانيون يحاولون إحباط المشروع أو وقفه عند حدود ولاية البصرة ؛ صيانة لنفوذهم في خليج فارس ، ودفاعاً عن إحدى طرق الهند . وإن مركز الكويت التجاري والحربي ، وقربها من مجرى الدجلة والفرات ، واتصالها الوثيق بنجد جعل لها مركزاً ممتازاً ذا أهمية خاصة

حدود الإمارة

تكون إمارة الكويت^(١) نصف دائرة على الساحل الغربي من رأس الخليج الفارسي ، وتقع جنوبي مملكة العراق ، وشمالى مقاطعة الاحساء التابعة للدولة العربية السعودية ، تمتد حدودها الشمالية من أم قصر إلى سقوان مرة قرب جبل سنام إلى الباطن . أما الحدود الغربية فتتبع الباطن إلى قرب الحفر ، حيث تتصل بالحدود العراقية والنجدية ؛ ومن هنالك تتجه إلى الجنوب الغربي حيث تتصل أيضاً بالحدود النجدية . يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ١٨٠ ميلاً ، ومن الشرق للغرب نحو ٢٥ ميلاً

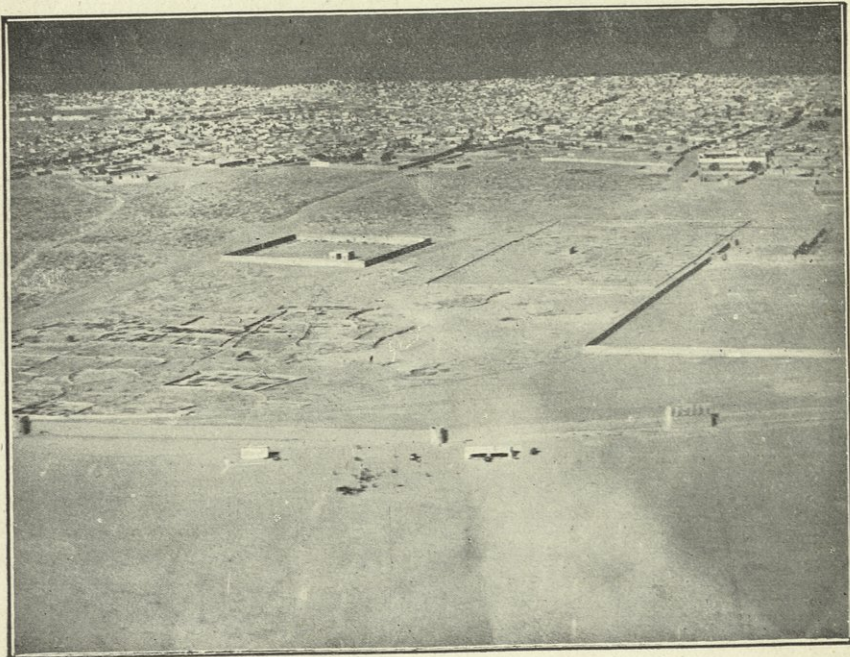
الوصف الطبيعي

تربة القسم الشمالى من خليج الكويت خصبة ، وتربة القسم الجنوبى بعضها رملى وبعضها طينى ؛ وهى على العموم مقفرة خالية من الزراعة ، يوجد بها بعض

(١) فى بروتوكول العُقير ١٩٢١ عيّنت حدود الكويت ونجد والمنطقة المحايدة بينهما



منظر للكويت من الجو



منظر آخر للكويت من الجو

التلال مثل تلال واره في جنوب مدينة الكويت ، وتبعد عنها نحو ٣٥ ميلا ؛
وتلال منّا قيش في غرب مدينة الكويت ، وتبعد عنها نحو ٢٥ ميلا
وليس بمنطقة الكويت ماء جار ، ولكن بها آبار مبعثرة في الصحراء يبلغ
عمقها ٢٠ قدما ، ولكنها ضاربة إلى الملوحة ؛ وربما كانت منطقة الجّهرة هي أغزر
المناطق مياهاً

وأهم أشجار الكويت السدر والنخيل ، وهناك أشجار متنوعة تستعمل
للقود ولمرعى الإبل ؛ أما الأعشاب فتجود إذا جاد المطر
وأما الحيوانات فقليلة في الكويت ، ويوجد منها الذئب والثعلب
والغزال والأرنب

الجو

جو الكويت على العموم معتدل ، يميل إلى البرودة إذا هبت الرياح الشمالية
الغربية ؛ أما الصيف فيخفف وطأته نسيم البحر وبرودة الصحراء المجاورة السريعة
ليلاً ، وأعظم درجة للحرارة هي ١١٤ ° ف ، وأقل درجة هي ٣٥ ° ، وتشتد الحرارة
من مايو إلى نوفمبر ، والبرودة من ديسمبر إلى فبراير
أما المطر فقليل في الكويت ، وقد يجود بعض السنين فتخضر الأرض ،
وينعم البدو ، ويخرج الأهالي للبر استجماماً للراحة واستمتاعاً بالخصرة

السكان

يبلغ سكان الكويت الحضر ٣٧ ألفاً ، يسكنون — عدا ألفين منهم — مدينة
الكويت ؛ ومنطقة الكويت التي تبلغ مساحتها نحو عشرين ألف ميل مربع
قاحلة ، يسكنها عدد قليل من السكان فيما وراء المدينة
أما عشائر الكويت فقد كانوا قبل سنة ١٩٢١ يبلغون نحو ١٥ ألفاً ، وقد

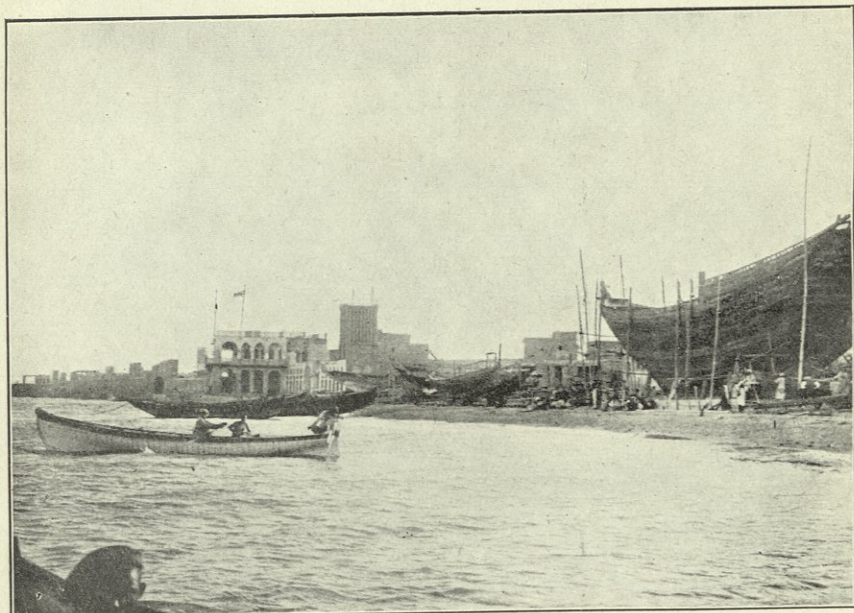
التحق أكثرهم بنجد بعد بناء المهجر وذيوع التعاليم الدينية . وتنتمى العشائر إلى قبائل العوازم والرشيدة ، وقليل من الصلبة ، وبنى هاجر ، والعجان ، وبنى خالد ، ومطير ؛ وقد كان النجديون من حضر وبدو يقصدون الكويت لبيع الغنم والسمن والصوف وسائر الحاصلات النجدية ، وشراء جميع حاجاتهم منها ، ولكن انخلف دبّ بين البلدين منذ سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٢ م) لأسباب اقتصادية جعلت ملك البلاد العربية السعودية يأمر رعاياه بمقاطعة الكويت

الصناعة والتجارة

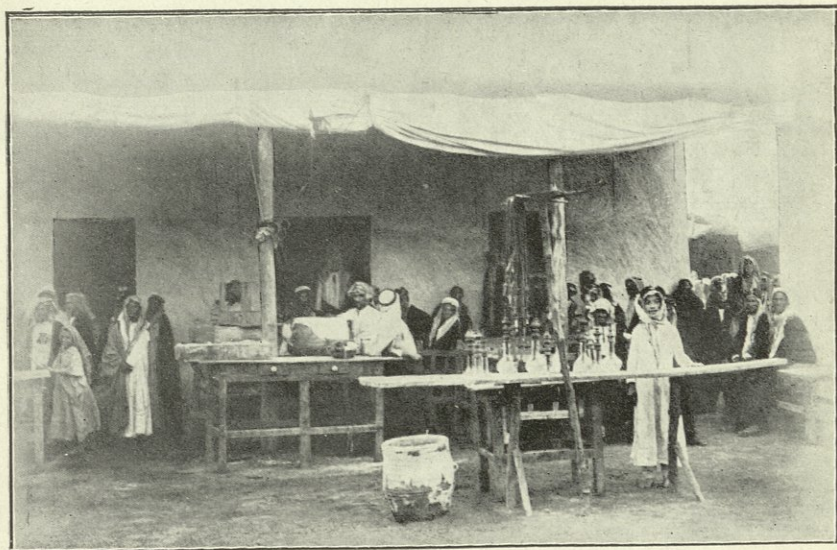
البلاد الكويتية غير زراعية ما عدا الجهرة التي سيأتى وصفها فيما بعد ، وأهم ما يشتغل به السكان هو صيد الأسماك ، وأجود الأسماك ما يسمى بالزبيدي وهو يصطاد بالشبك الطويل ، وكثير من الأسماك أيضاً تصطاد بوساطة ما يسمى بالحظور ، وهو عبارة عن حواجز من القصب تنصب على الساحل ، تدخلها الأسماك في وقت المد فإذا جاء الجزر استطاع الصيادون إمساكها بسهولة — وطريقة الحظور منتشرة على طول الساحل البحرى

وقد كان للكويت شأن يذكر في الغوص على اللؤلؤ حتى سنة ١٩٢٢ ، فقد بلغ عدد العمال ١٠,٠٠٠ فى سنى الرخاء ، كما بلغ عدد السفن التى تستعمل فى الغوص نحو ٨٠٠ ، ولكن عدد السفن والعمال نقص كثيراً فى عشر السنوات الأخيرة ، بسبب التقاطع التجارى بين الكويت ونجد من جهة ، وللكساد الذى حل بتجارة اللؤلؤ ، ولأظن عدد العمال الآن يبلغ ثلاثة آلاف

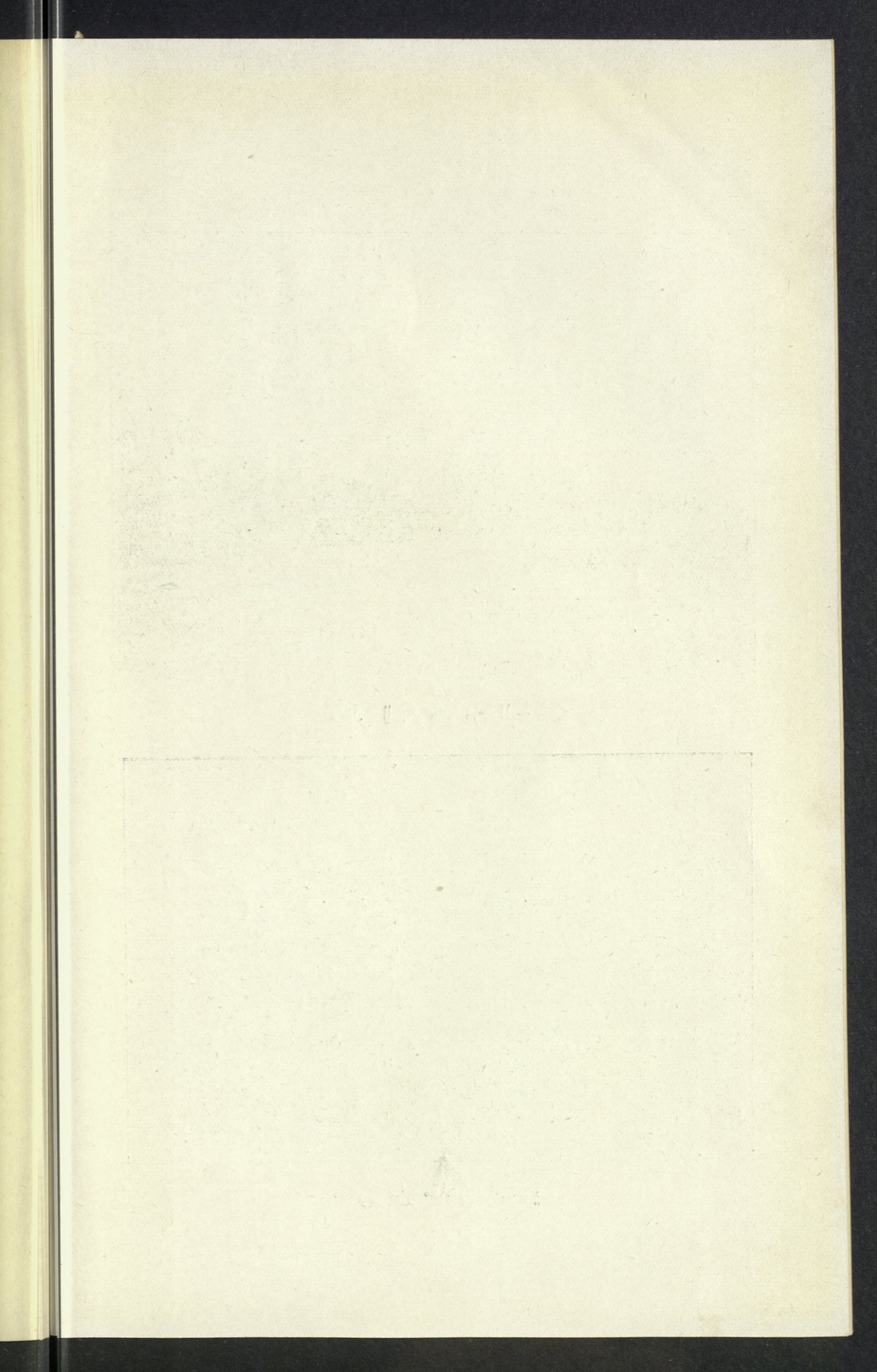
وصناعة بناء السفن الشراعية من الصناعات التى اشتهرت بها الكويت ، وقد نافستها البحرين فى السنوات الأخيرة . والخشب والحبال اللازمة لبناء السفن تجلب كلهما من الهند ولاسيما من إقليم مليبار . وأكثر السلع التجارية تنقل بالبواخر ،



منظر للكويت من البحر



مقعى من مقاهى الكويت



غير أن السفن الشراعية لا تزال تقوم بقسط كبير من النقل بين الكويت والبصرة ،
وبينها وبين السواحل العربية الأخرى

وأهم هذه السفن البغلة (Buffalow) والبوم والشوعي . وتحمل البغلة عادة
نحو ٢٥٠٠ طرد بضاعة من التمر ، أو من أكياس الأرز . وتحمل البوم عادة نحواً
من ٥٠٠—٦٠٠ طرد أيضاً ؛ وسفن الكويت الآن من هذا النوع . وقد بلغت
قيمة تجارة الكويت قبل الحرب العظمى ٥٧٠٥٥٨ جنيتها ، منه مبلغ ٣٧٠٨١٧
جنياً للوارد والباقي للصادر ، وللهند منه النصيب الأكبر والباقي موزع على
جهات مختلفة

وأهم الواردات : المنسوجات القطنية والحريرية ، والأفاويه ، والسكر ، والبن ،
والشاي ، والحبال التي تستخدم في السفن ، والزيت ، والدخان ، والشعير ، والماء
ويجب عليها بالسفن الشراعية من شط العرب ، التمر ، والأخشاب
أما الصادرات فهي اللؤلؤ ، والسمن من البادية ، والخيول ؛ وقد قلت الأنواع
الأخيرة في السنوات الأخيرة : الجلود ، والصوف ، والتمر

وقد أسست الإدارة المجرية في عهد الشيخ مبارك الصباح ، فكانت مورداً
للحكومة لم يكن موجوداً من قبل ؛ وقد زاد هذا المورد زيادة عظيمة أثناء الحرب
العالمية ، غير أنه نقص في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب المقاطعة التجارية التي
وضعها ملك نجد على جارته الكويت

وقد أسس في الكويت أثناء الحرب العالمية إدارة للبريد والتلغراف ، فارتبطت
الكويت بالعالم الخارجي ، وأصبحت تجارتها تتبع الحركة التجارية العالمية
صعوداً وهبوطاً

مقاطعات الكويت

ليست المقاطعات التي سنذكرها فيما يلي أما كن مسكونة كما يتبادر إلى ذهن القارئ ، بل هي صحارى مسكونة بالذئاب أحياناً ، وبالغزلان أحياناً أخرى ؛ ولولا أن الإفرنج عنوا بكتابة أسمائها على الخرائط المصورة ما اهتمنا بها . وأكثر هذه المقاطعات مراعٍ طيبة إذا جاء المطر ، وأشهر هذه المقاطعات في الشمال هي : الباطن — في الزاوية الشمالية ، وهي قسم من الوادى العظيم المسمى بهذا الاسم ، وهي ملتقى الحدود العراقية والنجدية ؛ والشَّق ، والشَّقِيق ، واليَّاح ، وقرعة ، والمرّو ، والزَّجَلَة . وهذه كلها مقاطعات قفراء

والزَّور في الجهة الشمالية من خليج الكويت ، وهي عبارة عن تلال تمتد من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى قرب الجَهْرَة وكَبْد ، قرعة ، قَارَه ، العَدَان ، الهَزِيم ، الدَّبْدَبَة ، أما كن قفراء أيضاً ، ينزلها البدو إذا جاء المطر

ولا نريد أن نطيل الكلام بذكر باقى المقاطعات أو الآبار التي يردها البدو ، والتي تعد من الكويت ، لأن ذلك يسوقنا إلى التطويل ويخرجنا عن الغرض الأصيل من الكتاب

جزر الكويت

١ — بُويَّان :

في الزاوية الشمالية الغربية ، وهي جزيرة خالية من السكان ، وقد كانت مزارع بين شيخ الكويت والترك في سنة ١٩٠٢ ؛ ويسكنها في الصيف أفراد من القوازم لصيد الأسماك بالحظور

٢ — فيلكه :

وتنطق كافها شيناً شأن أهل الكويت في النطق بالكاف . في الجهة الشرقية من خليج الكويت ، وتبعد عن مدينة الكويت نحو ١٥ ميلاً ، والمسكون من الجزيرة هو الساحل الغربي ، وباقي الجزيرة يكاد يكون خالياً من السكان وسكان الجزيرة بعضهم عرب خلص ، وأكثرهم يغلب عليهم العنصر الفارسي ، وهم يشتغلون بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، ويزرع بالجزيرة الحنطة والشعير ، والخضر ، والماء كثير بالجزيرة ، قريب من سطح الأرض

٣ — كبر :

جزيرة غير أهلة بالسكان ، تبعد عن الساحل نحو ٢٠ ميلاً وبقرب الكويت بندر الشؤيخ وهو أفضل مرسى للسفن في الكويت ، وهناك جزر أخرى غير مسكونة تابعة للكويت لا أهمية لها

بلدان الكويت

١ — مدينة الكويت :

هي عاصمة الإمارة ، على الساحل الجنوبي من خليج الكويت في الجنوب الشرقي من البصرة ، وتبعد عنها نحو ٨٠ ميلاً ، وفي الشمال الغربي من البحرين ، وتبعد عنها نحو ٢٨٠ ميلاً ؛ تمتد على الساحل نحو ثلاثة أميال ، مع عرض يختلف ما بين $\frac{1}{2}$ ميل ، وميل ونصف

وأرض الكويت غير مزروعة ، فلا ترى فيها ما تراه في الاحساء من البساتين والخضرة لقلة المياه ، وبسبب نمو السكان في الخمسين سنة الأخيرة تركت مياه الآبار التي كان يعتمد عليها السكان وأخذ الناس ينقلون حاجتهم من الماء من

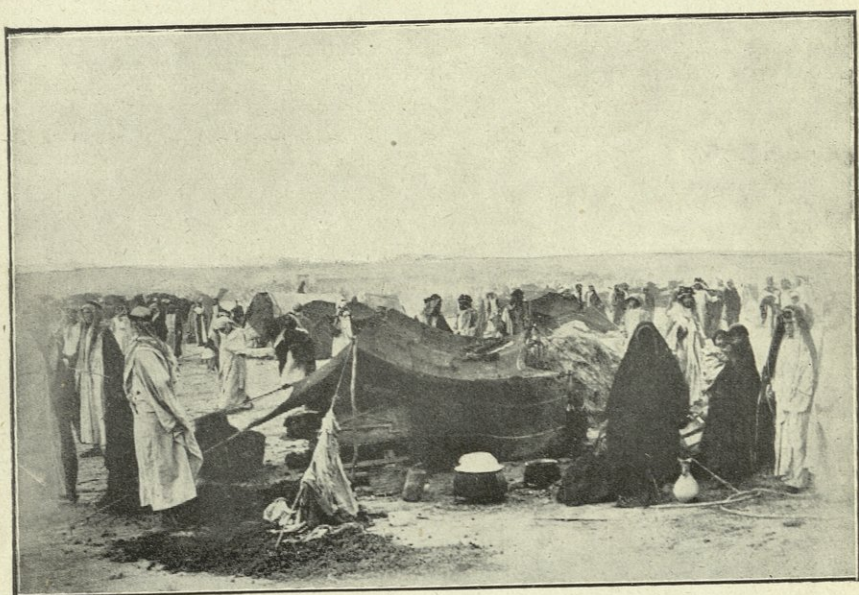
شط العرب ، ولشيخ الكويت آبار خاصة يستقى منها أحياناً
ومباني مدينة الكويت كسائر المباني العربية ، من الطين أو اللبن أو من
الصخور البحرية . وأحسن المباني قصر الشيخ ، وهو مبني من الآجر ، ومقام على
ساحل في وسط البلد تقريباً

وسوق الكويت في منتصف البلد تقريباً ، وليس فيه ما يستلفت النظر من
فن البناء أو جمال العمارة ، وبالكويت مستشفى أسسه محسنو الأمريكان ،
ومؤسسة للتبشير . وقد أدى المستشفى للبلد وللبدو الضارين حول الكويت
خدمات عظيمة ، أما التبشير فإنه قد فشل فشلاً عظيماً لا في الكويت وحدها ،
بل في سائر الشرق الأدنى . وبها أيضاً مستوصف انجليزى يؤدى مهمته الخيرية
على أتم وجه ، وبها مدرستان نظاميتان ، وبضعة مدارس صغيرة تشبه الكتابيب
في طريقة التعليم

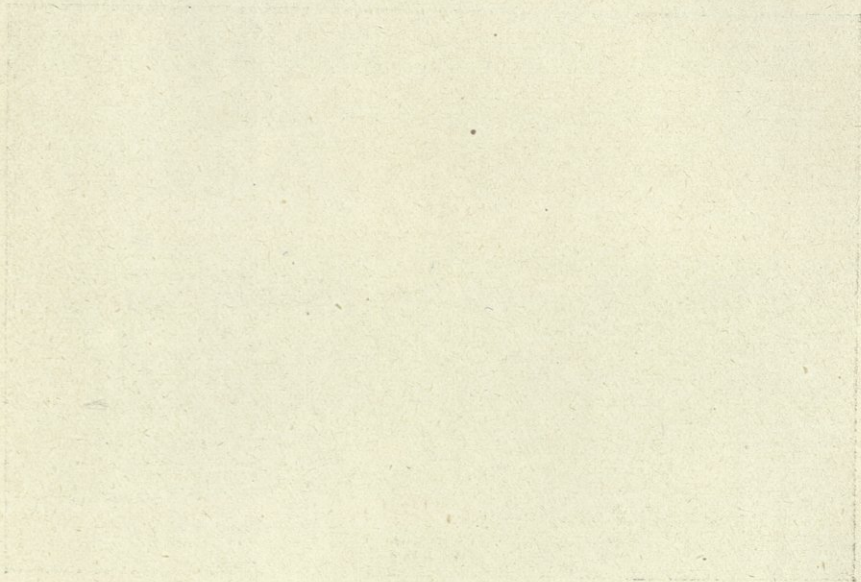
وبالكويت نحو خمسين مسجداً ، وأهمها ثلاث مساجد . وهي تميل إلى
البساطة في بنائها وأثاثها ، وليس لمساجدها منائر كمنائر القاهرة ، أو بغداد ،
وأكثر السكان يسكنون في المدينة ، وهم ينتمون إلى القبائل العربية الشهيرة ،
وبجانب هؤلاء يوجد ٨٠٠٠ من أصل فارسي ، وعدد قليل من الموالي . وطرق
الكويت ضيقة كثيرة التعاريج ، وأهم الطرق هو الطريق الذي يبتدىء من قصر
الشيخ على ساحل البحر ؛ مخترباً السوق إلى خارج البلدة ، وقد أسست للبلدة
بلدية من خمس سنوات لتنظيفها وتنظيمها وإنارتها ، وقد أدت خدمات جليلة
للبلدة في هذه المدة القصيرة

٢ — الجَهْرَة :

قرية كبيرة على طراز البلدان ، قريبة من خليج الكويت ، وتبعد عن



في صفاة الكويت حيث يتزل البدو



San Diego, N. M.

مدينة الكويت بثمانية عشر ميلاً بالطريق الغربى ، وهى أهم قرية زراعية بالأراضى الكويتية ، وهى محطة للقوافل القاصدة البصرة ونجد من طريق الحفر ، وموقعها مرتفع يطل على البحر ، قترى جميع السفن التى تمخر خليج الكويت يبلغ عدد سكانها نحو ٦٠٠ نسمة يشتغلون جميعاً بالزراعة ، غير أن العدد يزيد عادة فى الصيف بما ينزل حولها من البدو

وقد كانت الجهرة^(١) قبل الإسلام مأهولة بالسكان ، غاصة بهم ، ولا تزال أطلال البلاد القديمة موجودة تحت الأتقاض ، وكثيراً ما يعثر على النقود القديمة ، وبعض الآثار عند حفر الآبار . وهذه التلال القائمة على أنقاض البلاد القديمة تمتد إلى مسافة فرسخين من الشمال للجنوب ، وفرسخ ونصف من الشرق للغرب وإلى الشمال الشرقى من الجهرة على بعد أربعة عشر فرسخاً فى اتجاه البحر توجد الصُّبَيْيَّة ، وكانت قديماً أهلة بالسكان^(٢) كما تدل عليه خرائبها ، ويشتق اسمها كما يقال من الصابئة ، ويقال إنها إحدى مدنهم التى بنيت بعد خراب بابل ، ويقال أيضاً إنها استمرت أهلة بالسكان والحضارة إلى زمن الخلفاء الأمويين ، حيث تقهقرت منزلتها وهجرها سكانها ، ويؤكد السكان أن بعض سكانها لا يزالون يعيشون فى خورستان ، ويقوم العرب فى هذه المنطقة زمن الصيف لهوائها العليل

خلاصة تاريخية

ليس للكويت تاريخ قديم معروف ، ويرجح أن تاريخه لا يتجاوز الثلاثمائة سنة . أما حكامها الحاليون آل صباح ، فتاريخهم فى سكنى الكويت لا يتجاوز سنة ١٧١٦ م ، وهى السنة التى تحالف فيها الشيخ سليمان بن أحمد رئيس آل صباح ،

(١) انظر تقرير حكومة الهند سنة ١٨٥٤ ، ولمع الشهاب النسخة الخطية بدار الكتب

البريطانية (٢) لمع الشهاب

وخليفة بن محمد رئيس آل خليفة ، وجابر العتبي رئيس الجلاهمة ، فاستخلصوا الكويت من الفرس وسكنوها ، وسيأتي في التفصيل الخاص بالبحرين ذكر انفصال آل خليفة عن الحلف ، واستقلالهم بالزُبارة وحكم البحرين أما المكان الذي وفد منه هؤلاء الحلفاء ، فيظن أنه كان قريباً من شط العرب في أم قصر ، حيث كانوا يعملون هنالك لِلقَرْصَنَةِ ونهب السفن البحرية ، فقد كان هذا العمل هو السائد في ذلك الوقت في خليج فارس ، وهو يشبه غزو القبائل بعضهم لبعض في البر

وفي الخمسين سنة الأولى من تأسيسها تمت البلدة نمواً سريعاً في السكان وفي الثروة وفي الأهمية ، وتمكن آل صباح وحلفاؤهم ومؤازروهم من القبائل المجاورة في تثبيت مركزهم وتقويته ضد بني خالد الذين كانت لهم السيادة على جميع الشاطئ الشمالي الشرقي

وقد زاد في تقدم الكويت وعمرانها استيلاء الفرس على البصرة سنة ١٧٧٦ فقد كان ذلك مدعاة لمهاجرة الكثيرين من السكان إلى الكويت ، والزُبارة ، وفي أثناء الاحتلال الفارسي تحولت تجارة البصرة الهندية مع بغداد وحلب وأزمير والآستانة إلى الكويت ، وما جاءت سنة ١٧٩٠ م حتى أخذت الكويت تشارك باقي موانئ الخليج الفارسي في التجارة ؛ وقد ساعد على ذلك احتلال عرب بني عُتْبَةَ البحرين سنة ١٧٨٣ م ، فصارت البضائع ترد إلى الكويت من مسقط والهند والبحرين والقطيف

وبعد استرداد الأتراك للبصرة انسحب عمال (الفايريكَة البريطانية) فيها مؤقتاً إلى الكويت سنة ١٧٩٣ م لقيام بعض المشاكل مع الموظفين الأتراك وفي هذا الوقت حاول السعوديون غزو الكويت والاستيلاء عليها ، ففشلوا في كل محاولاتهم

وفي سنة ١٨٣١ زار السائح Stocqueler الكويت ، وهو يقول بأنه الأوربي الوحيد الذي زار هذه البقاع منذ أمد بعيد . ويقول إن المدينة في زمنه كانت تمتد على الشاطئ نحو ميل ، وتحوى نحو أربعة آلاف من السكان ، وهو يظن أن الميناء ربما كانت استعملت أو اتخذت قاعدة للبرتغاليين ، بالنسبة إلى مركز الميناء المطل على مصب نهر العرب ، والتي يمكن اتخاذها قاعدة لمعاكسة التجارة التركية وتجارة قنيس مع الهند . ويقول إن المدينة في زمنه كانت تحكم بواسطة شيخ ، وليس لديه أية قوة مسلحة ؛ وكان يحصل ضريبة قدرها اثنان في المائة على جميع الواردات

عند ما وصل المصريون إلى شواطئ الخليج الفارسي في محاربتهم للسعوديين ١٨٣٨ — ٣٩ وضعوا مندوباً لهم في الكويت ، وكانت وظيفته سياسية . وكان شيخ الكويت في ذلك الوقت هو الشيخ جابر ، الذي كان على صلوات طيبة مع الحكومة البريطانية إلى أن توفي سنة ١٢٧٦ ، وقد خلفه ابنه الشيخ صباح ، وفي أثناء حكمه قام الكولونيل « بيلي (Pelly) » سنة ١٨٦٥ برحلته الشهيرة من الكويت ليقابل حاكم نجد في الرياض ؛ وهو أول من لاحظ مستقبل الكويت التجاري . ويقول إن الكويتيين يعتبرون أحسن وأقدر بحارة بلاد الخليج الفارسي وهم محل ثقة في أخلاقهم ومعاملاتهم . ومنذ خمسين سنة لم تكن ميناؤهم ومدينتهم شيئاً مذكوراً ؛ والآن أصبحت أهم موانئ الخليج الشمالي ، ورئيسها له سمعة طيبة في الداخل والخارج ، وإليه يرجع الفضل في حسن الإدارة الداخلية ، والسياسة الحكيمة . فالضرائب المنخفضة على الواردات ، والجو الصحي ، والسكان المتأخون ، وحسن الميناء ، وطرق المواصلات وقربها ؛ كل هذه العوامل حولت كثيراً من المتاجر إلى الكويت ، مما كان يرد إلى بوشهر والبصرة^(١) . وبالنظر إلى موقعها

(١) خطبة الكولونيل بيلي في الجمعية الجغرافية

وحالتها السياسية كانت هذه الميناء هي المخرج البحري الوحيد لجبل شمر
وقبل أن تمضى عدة سنوات أخذت شركة الملاحة البريطانية الهندية
(British India Steam Navigation Company) تجعل ميناء الكويت
أحدى موانئ الخليج التي تعرج عليها بواخرها ، فهذه الحركة أثارت غيرة السلطات
التركية ، وجددت مخاوفهم من أن يكون تقدم ميناء الكويت سبباً في انقاص
أهمية البصرة ، وعليه فقد عدلت الشركة عن جعل الكويت احدى الموانئ التي
تعرج عليها بواخرها ، ولكن هذا العدول كان إلى حين ؛ فقد علمت بريطانيا أن
الروسيا تنوى إنشاء محطة فحم هناك ، والمساعي كانت تبذل لدى الباب العالى
للحصول على امتياز باسم الكويت ، كما سعت لبناء سكة حديدية من البحر
الأبيض إلى الخليج الفارسى ، وهو مشروع لو تم لجعل للروس حقوقاً في مياه
الكويت الساحلية

واتقاء لما يسعى إليه الروس ، عقدت بريطانيا سنة ١٨٩٩ اتفاقاً مع الشيخ
مبارك على منوال الاتفاق الذى عقده بريطانيا سنة ١٨٩١ مع سلطان مسقط ، فهذه
الخطوة حركت عواهل الأتراك الذين اجتهدوا في أن يثبتوا سلطانهم في الكويت ،
ولكن الشيخ مبارك قاومهم ، واستمر محافظاً على حسن علاقته مع بريطانيا
وقد تميزت سنة ١٩١٠ بوصول بعثة سكة حديد بغداد إلى الكويت للبحث
عن النقطة التي تنتهى إليها السكة الحديدية ، ولولا معاهدة سنة ١٨٩٩ لكان لهذا
الحادث تأثير كبير في تعريض مركز بريطانيا في الخليج الفارسى لخطر كبير
وفي سنة ١٩٠٢-١٩٠٣ زار الكويت بعض الطرادات الروسية والفرنسية ،
ولكن هذه الزيارة لم تؤثر في الحالة المحلية كما أنها لم تؤثر فيما بين بريطانيا
والكويت من صلات

وحكام الكويت الحاليون سلالة جابر بن عبد الله الملقب بجابر الكبير ،

الذي جاوز المائة ، وهم أبناء صباح بن جابر بن عبد الله واشتهر في أوائل هذا القرن من هذه العائلة الشيخ مبارك الصباح ، فقد تسمّم هذا الأمير حكم الكويت على جنتي شقيقه (محمد وجراح) ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣١٣ سنة ١٨٩٦ ، فأثار بذلك نزاعاً داخلياً استمر نحو تسع سنوات ، وقد عظم شأن الكويت في أيامه ، وزاد عدد سكانها زيادة عظيمة ؛ وفي أيامه خرج الأمير عبد العزيز بن سعود واستولى على الرياض ، وغير مجرى تاريخ الجزيرة كما سيأتي في تاريخ آل سعود

كان الشيخ مبارك طويل القامة ، أسمر البشرة ، قوى الذاكرة ، صلب الإرادة ، مستبداً ، طموحاً إلى نشر سلطانه ونفوذه على البلاد المجاورة ، ولكن الظروف لم تساعد . وقد اشتهر الشيخ مبارك بالتقلب وعدم الثبات على سياسة واحدة ، فقد كان يساعد آل سعود لإضعاف نفوذ الرشيد وخضد شوكتهم ، كما أنه كان يعمد أحياناً إلى تقوية صلته بالرشيد خوفاً من توسع آل سعود ، وكان لا يعف عما في أيدي الناس ؛ فقد كان يتوسل بأوهى الأسباب لفرض الضرائب على الناس وابتزاز أموالهم ، ولكنه كان بجانب ذلك غيوراً على مصالح الكويت مدافعاً عنهم أينما حلوا ، وقد خرج في أخريات أيامه على تقاليد العرب والدين ، فكان يجاهر بالمعصية حتى في رمضان ، مما جعل أهل الكويت يضحون منه

لقد حاول الأتراك في سنة ١٨٩٧ أن يستولوا على الكويت ، وينفو الشيخ مبارك إلى الآستانة ، ولكنه أحبط هذا المشروع بما بذله من المال في البصرة وبغداد ، غير أنه في سنة ١٨٩٨ أرسل إليه الأتراك وفداً مؤلفاً من كبار الموظفين وبعض أعيان البصرة على إحدى السفن الحربية القديمة لنقله إلى الآستانة حيث عين عضواً في مجلس شورى الدولة ، فالتجأ إلى الانجليز فأنقذوه من الأتراك ، وأعلنوا في تلك السنة حمايتهم على الكويت

وقد أخبرني الشيخ مبارك والسيد رجب النقيب بهذه القصة للدلالة على قصر نظر الأتراك ، وسعيهم الدائم لاضعاف العرب مما اضطر هؤلاء إلى الالتجاء إلى الدول الأجنبية . غير أن بريطانيا اضطرت إلى إعلان الحماية إبعاداً لكل نفوذ أجنبي على الكويت ، نظراً لظهور الروس في الميدان

واجه الشيخ مبارك في أوائل حكمه كثيراً من الصعاب التي يقيمها في وجهه أبناء شقيقه الشيخ محمد بن صباح وجراح ، والشيخ يوسف بن ابراهيم نصيرهما ، فأوعز الأتراك إلى عبد العزيز بن الرشيد بمنأوة مبارك ؛ فأخذ يغير على أطراف الكويت ، كما أخذ مبارك نفسه يغير على أطراف البقاع التابعة لأمير حائل ، ففي سنة ١٩٠٠ غزا مبارك بعض جهات تابعة لعبد العزيز آل رشيد ، وسلبهم آلافاً من الجمال ، وفي خريف هذه السنة حاول مبارك أن يقتنص قافلة كبيرة إلى العراق ، كانت مكلفة باحضار مواد غذائية ، وملابس وذخيرة لفصل الشتاء من السماوة ، ولكنه فشل في ذلك . وفي ذى القعدة سنة ١٣١٨ - ١٧ مارس سنة ١٩٠١ كانت واقعة الصّريف ؛ التي انكسر فيها مبارك نفسه بعد أن قتل فيها أخوه وأحد أولاده ، كما قتل فيها عدد كبير من أهل الكويت . وقد حاول ابن الرشيد في خريف هذه السنة أن يتقدم ويستولى على الكويت ، ولكن الظروف الداخلية والخارجية لم تساعد على تنفيذ خطته ، فالثورات الداخلية ، وسياسة بريطانيا في الخليج قضت على هذه المحاولات . وقد استراح الشيخ مبارك بعد قتل عبد العزيز بن الرشيد سنة ١٩٠٥ ، وموت عدوه الألد الشيخ يوسف بن ابراهيم سنة ١٣٢٣ في السنة نفسها ، فلم يعد له خصوم يؤبه لهم ، وأصبح السيد المطاع في الكويت

وفي سنة ١٩٠٣ زار الكويت الورد كيرزون في رحلته إلى خليج فارس ، وعلى أثر هذه الزيارة عينت الحكومة البريطانية وكيلاً سياسياً للكويت ، فاحتج

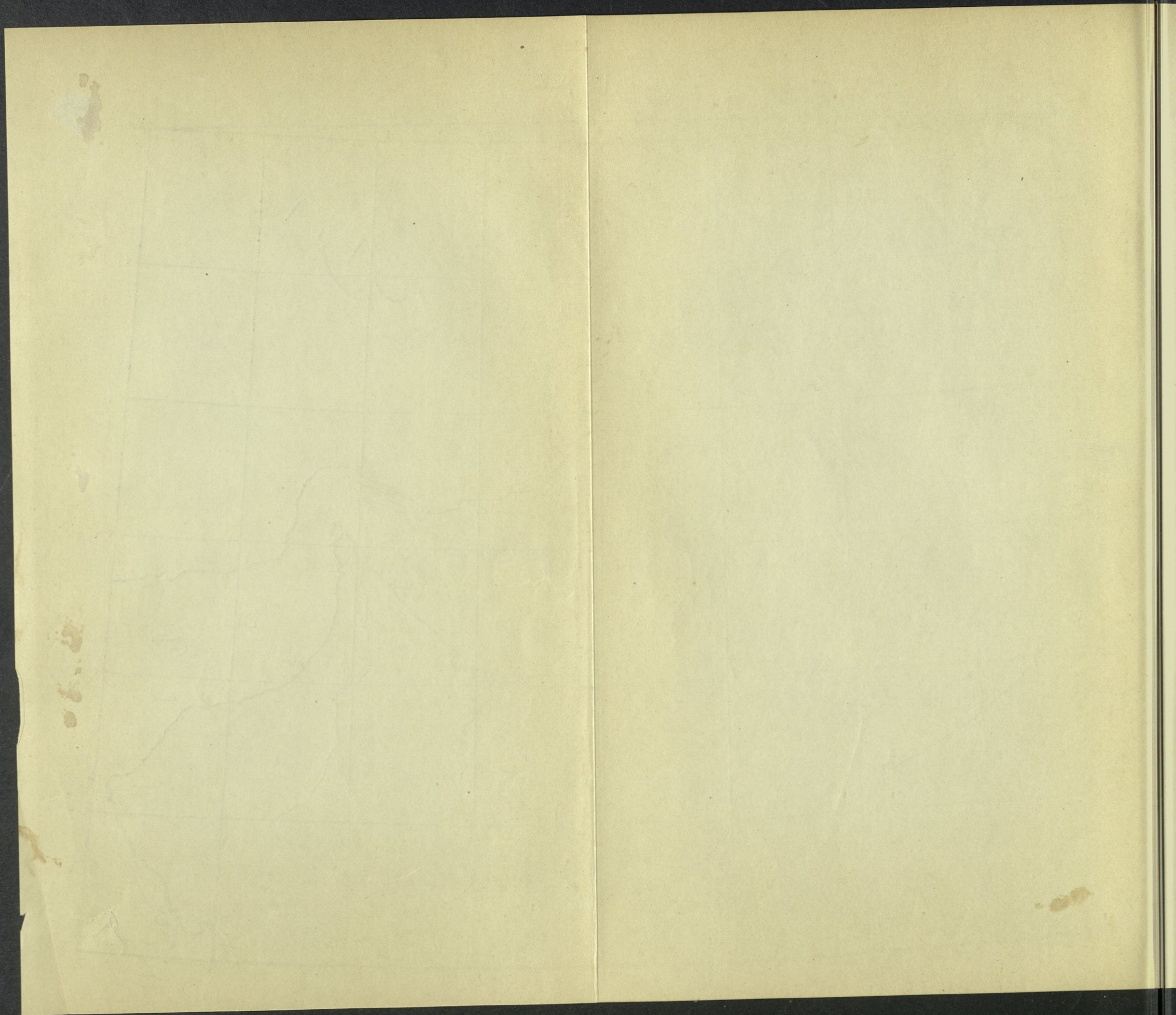
الأتراك على هذا التعيين الماس بسيادتهم على الكويت ، ولكن لم يكن له أى أثر
وقد توفى الشيخ مبارك فى مساء الاثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٣٤ — ٢٩ نوفمبر
سنة ١٩١٥ ، فتولى إمارة البلد بعده أكبر أبنائه الشيخ جابر بن مبارك الصباح ،
وقد اشتهر بطيبة القلب وحب الخير ، والرفق بالناس ، تخفف الضرائب ، وأزال
كثيراً منها مما فرضه أبوه ، وحسن صلته بابن سعود ، وكان قد أصابها شىء
من التصدع أواخر أيام مبارك

وفى الخامس من فبراير سنة ١٩١٧ توفى الشيخ جابر بن مبارك ، فأسندت
إمارة الكويت إلى أخيه الشيخ سالم بن مبارك
كان الشيخ سالم شجاعاً يجيد الرماية وركوب الخيل ، ملماً بشىء من الفقه
وبعض قواعد النحو ، وكان طبعه يميل إلى العناد والشدة ، ولم يكن موقفاً فى
سياسته مع ابن سعود ، ولا مع الحكومة البريطانية لظنه أنها كانت تملىء ابن
سعود عليه

وقد اشتبك فى معارك حربية مع الاخوان النجديين كانت الغلبة فيها للاخوان
ففى سحْمُصْ هاجم الدَّوَيْشَ ومُطَيْرَ سنة ١٣٣٧ هـ — سنة ١٩١٩ م معسكر ابن
صباح ، واستولى على ما فيه من مال وذخيرة . سنة ١٣٣٨ هـ — سنة ١٩٢٠ م
هاجموا الجهرة وحاصروا الشيخ سالماً فيها ؛ وكادوا يقبضون عليه . وفى السنة
التالية توفى الشيخ سالم بن مبارك ، فاختر الأهلئ ابن أخيه الشيخ أحمد بن جابر ،
وهو الحاكم الحالى ، وهو شاب فى غاية الذكاء يميل إلى الأناة والتبصر فى أعماله ،
حتى أنهم بكثرة التردد ، قابل الأهلئ بدء حكمه بحماسة وارتياح ؛ لما جرته عليهم
سياسة عمه من خوض غمار الحرب مع ابن سعود ، وهو حليفهم ، وصديقهم
القديم ، ويد الشيخ مبارك النجنى فى استتباب الأمن فى جزيرة العرب وفى
نشاط الحركة التجارية

ولذا فقد جعل همه الأول الميل إلى السلم وتنشيط الحركة التجارية ، فنجح الشيخ سالم في الأولى . أما الثانية فإن النزاع مع الملك عبد العزيز أخذ طوراً اقتصادياً أدى إلى مقاطعة اقتصادية من جانب نجد للكويت كان من ورائها احياء الموانئ النجدية التي نافست الكويت ، وقضت على شطر من تجارتها . وقد كان في امكان شيخ الكويت أن يتفق مع جاره حسب الأصول الاقتصادية ، وحسب العادات المتبعة بين الدول المتجاورة ، ولكن عولج هذا الموضوع مراراً فلم يوفق الفريقان لحل يرضيهما ويصون مصالحهما





إمارة البحرين

يطلق اليوم اسم إمارة البحرين على مجموعة الجزر الواقعة في وسط الخليج الفارسي منفصلة عن ساحل قطر والقطيف ، وهي الجزر التي كانت تسمى قديماً (Tylos) ، وهي جزيرة البحرين ، وجزيرة المحرق ، وأم نَعْسان وسِتْرَه ، مع عدد من جزر صغيرة صخرية لا أهمية لها

الجو

جو البحرين قرب السواحل وفي المناطق المنزرعة حار رطب لا يكاد يمتثل ، ولقد كانت البحرين حتى سنة ١٩٢١ موبوءة كالقطيف بالحميات ، ولكن منذ السنة المذكورة قامت إدارة البلدية بمجهود كبير هو ردم المستنقعات والبرك ، فتحسنت حالها تحسناً محسوساً ، وأقصى درجة الحرارة ١٠٤° في أغسطس ، وتنخفض الحرارة في ديسمبر ويناير إلى ٤٨° ، والجو من أكتوبر إلى إبريل مقبول نوعاً ، فالحرارة تتراوح من ٦٠ — ٨٠ ف ، وفي يناير وفبراير تهب الرياح الشمالية فيبرد الجو ، ويستعمل الناس النار في منازلهم للوقاية من أذاه ، وفي مايو ومنتصف يونيو يهب نسيم البحر فيخفف من شدة الحر ؛ أما من منتصف يونيو إلى آخر سبتمبر فإن الحرارة لا تكاد تنخفض عن ١٠٠° ، وعندئذ تكاد الأنفاس تنقطع ويكاد العرق لا يجف ليلاً ولا نهاراً ، ولا يلطف الهواء إلا نسيم البر ولكنّه قليل والأمطار قليلة في البحرين ، وموسم المطر من منتصف أكتوبر إلى منتصف مايو والرياح التي تهب على البحرين هي البارح ، وهي رياح شمالية غربية ، ومدتها أربعون يوماً تبتدى من الأسبوع الثاني من يونيو ، وتكون شديدة هوجاء في

الشتاء حين تهب من الشمال ، وهذه تهب على البحرين من وقت لآخر في غير شدة ، ثم الرياح الجنوبية الغربية يسمونها القوس ، وهي إذا هبت في الصيف اشتد الحر ، ولا سيما في شهر أغسطس ، وهي تهب بغير انتظام من ديسمبر إلى إبريل .

السكان

لم يعمل احصاء دقيق لمدن وقرى البحرين ، ووربما بلغ سكانها نحو ١٢٠٩١١ نسمة : منهم ٦٨٨٣٦ من أهل السنة و ٥١٨٢٠ من الشيعة . وأكثر الشيعة من القرويين ، كما أن أغلب أهل السنة من أهل المدن . وأكثر أهل السنة من الحوالة الذين يسكنون في المنامة والمحرق والبيدع والحيد ، وهم يشتغلون بالتجارة ، وليس بينهم رابطة اتحاد أو نفوذ على غيرهم .

أما العتوب (بنى عتبة) والسادة والدواسر فهم أكثر القبائل نفوذاً في البحرين ، فبنو عتبة لهم بالعائلة الحاكمة صلة النسب ، والسادة نفوذهم مستمد من اتصال نسبهم بالنبي الكريم ، والدواسر نفوذهم مستمد من سلوكهم الحسن في الجزيرة ، ومن ثروتهم التي اكتسبوها من التجارة . وهناك بعض قبائل أخرى تنتمي إلى بنى خالد .

وأغلب السكان السنين يسكنون على السواحل ، ومعيشتهم مرتبطة بالبحر أكثر من الزراعة ، وهناك أيضاً عدد من الموالى لا يقل عن ٦٠٠٠ نفس ، وجمالية صغيرة من الإيرانيين والهنود .

والحياة في البحرين تختلف عنها في جزيرة العرب ، فليس في البحرين كما في جزيرة العرب روح التعصب لعدم مصاهرة غير العرب إلا في العائلة الحاكمة فقط ، وليس في البحرين كما في الجزيرة البعد عن الكليات ، وتجد في البحرين أثر الروح الفارسية والهندية في المأكل والبناء ، وفي الملابس وبعض العادات الأخرى .

الصناعات والتجارة

أهم الصناعات في البحرين هو الاشتغال باستخراج اللؤلؤ من البحر ، والبحرين تلي عمان في الأهمية من حيث كثرة السفن وعدد الغواصين . والغواصون وإن كان منهم عدد غير قليل يفد من الاحساء ومجد ، فان التجار الذين يمدونهم بالمال من تجار البحرين

لا يقل عدد المشتغلين باستخراج اللؤلؤ عن عشرين ألف نفس ، ويبلغ عدد السفن نحو ٩٠٠ سفينة صغيرة وكبيرة ، وموسم الغوص يتبدى في مايو وينتهى في اكتوبر حيث يبرد ماء البحر

وقد تداخلت حكومة البحرين في عشر السنوات الأخيرة في عمل الغوص والتجارة ؛ فبعد ما كانت التجارة حرة في السنين الطويلة ، أوجبت الحكومة على التجار تنظيم دفاترهم كما حددت أرباح السلف ، وكما حالت دون تحكم التجار في الغواصين الصغار ؛ والحالة على العموم في البحرين خير منها في بعض السواحل الأخرى . وقد جهزت حكومة البحرين سفينة أعدتها بكل المعدات الطبية لمساعدة المرضى وتخفيف آلام الفقراء من سكان البحرين ، والمشتغلون باستخراج اللؤلؤ قد يشتغلون في غير موسم الغوص بصيد الأسماك إما بالشبك أو بالحظرة

ويشتغل عدد كبير بالزراعة ، ولاسيما في عشر السنوات الأخيرة حيث أكثر الأغنياء من حفر الآبار الارتوازية

وأهم حاصلات البحرين : التمر ، الليمون ، الاترنج ، التين ، البطيخ ، ويزرع بها بعض الخضراوات

وأهم الصناعات اليدوية في البحرين : نسيج الشرع للسفن ، والعباءات وبعض أنواع أخرى من الأقمشة ، والحصر الذي يصنع من سمار الاحساء ، وبناء السفن من

الأخشاب التي تستحضر من الهند خاصة لذلك ، وكثير من هذه السفن يصنع
لقطرَ وعمان

ولقد تقدمت التجارة في البحرين في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب بناء
رصيف للسفن الشراعية ومستودعات للبضاعة . وقد أصبحت البحرين بالنظر إلى
مركزها الجغرافي سوقاً هاماً لتجارة اللؤلؤ وغيره من أنواع المتاجر الأخرى . فتجار
اللؤلؤ من الكويت وقطر والقطيف وسائر السواحل العربية يبيعون فيها ما يجتمع
لبيهم من اللؤلؤ ، حيث يصدر بعد ذلك إلى الهند فأوربا . وقد بلغت قيمة ما صدر
منه في سني الرخاء مليونان من الجنيهات . وأما المتاجر الأخرى فتترد للبحرين من
الهند وأوربا ، ومنها يصدر قسم إلى القطيف وقطر والعقير حيث يرسل للاحساء
وجنوب نجد

وأهم واردات البحرين : الأرز ، والمنسوجات ، والسمن ، والبن ، والتمر
والسكر ، والشاي ، والدخان ، والأفاويه ، والوقود ، والأغنام للذبح
وأهم الصادرات اللؤلؤ ، ولا يوجد صادر آخر ذو قيمة غيره ، وتكاد الهند
تستولى على أكثر من نصف الواردات ، والبلاد الأخرى — فارس والعراق
وأوربا — تستولى على النصف الآخر

وتنقل السلع التجارية من الهند بواسطة الشركة الانجليزية الهندية وهي تكاد
تحتكر تجارة الخليج وتمر أسبوعياً بالبحرين في طريقها إلى البصرة ، وفي رجوعها
إلى بمباي ، وقد أصبحت البحرين منذ سنين مركزاً مهمّاً من مراكز الطيران
المدني ، فأصبحت الطائرات تمر بها كل أسبوع في طريقها إلى الهند أو أوربا ،
وأصبح في وسع المسافر أن يصل إليها في أربعة أيام من لندن ، ويوم ونصف
من الهند أو مصر

جزيرة البحرين

أو (أوال) كما كان يسميها العرب^(١) أكبر جزر الإمارة وأهمها ، كثيرة المياه ، خصبة التربة ، قابلة للنمو والتقدم ، ويمكن زيادة المناطق القابلة للزراعة فيها إذا نظم الري ، وجببت الضرائب بالعدل ؛ وقد اتسعت المساحة الزراعية في العشرين سنة الأخيرة ، وأكثرت الناس من حفر الآبار الارتوازية ، وازدادت حركة شراء الأراضي سواء كان للبناء أو للزراعة ، بعد أن نجحت شركة الزيت الأميركية في استنباط البترول من أراضيها

يبلغ طول الجزيرة ٣٠ ميلا ، وهي على العموم مسطحة ومنخفضة ، ولكنها ترتفع تدريجاً إلى نجدٍ دَاحِلِيٍّ يبلغ ارتفاعه من ١٠٠ — ١١٠ قدماً ، ويزرع في الجزيرة ما عدا النخيل ، الليمون ، والرمان ، والتوت ، والتين ، والبطيخ ، والأترج ، وأنواع الخضراوات

ويقال إنه كان بالبحرين ثلثمائة قرية ، وسواء كان هذا القول صحيحاً أم مبالغاً فيه ، فإن قرى البحرين اليوم لا تتجاوز المائة وهي أشبه بالأكواخ . ويوجد في بعض القرى المملوكة للعائلة الحاكمة ، أو كبار التجار بيوت مبنية بالحجارة ، ومنظمة تنظيماً حسناً ، وهي معدة في الغالب لفصل الصيف

وقد احتل البحرين البرتغاليون كما احتلوا القطيف ، واحتكروا جزءاً كبيراً من اللؤلؤ وتجارة الخليج الفارسي ، ولا يزال في الجزيرة بقايا خزانات مما شيده البرتغاليون ولكنها تداعت كلها كما تداعى بناء القلعة التي بنوها لحماية الميناء التي هجرت واتخذت بدلاً منها المنامة

ويوجد على الشاطئ الشرقي من الجزيرة خرائب مدينة كبيرة يقال

(١) ياقوت . القاموس . المحيط

لها جَوْ (Jow) كانت مقرّاً لشيوخ البحرين ، ولكنها تركت سنة ١٨٠٠ لأن مرفأها غير أمين ، ورحل سكانها إلى جزيرة المحرق

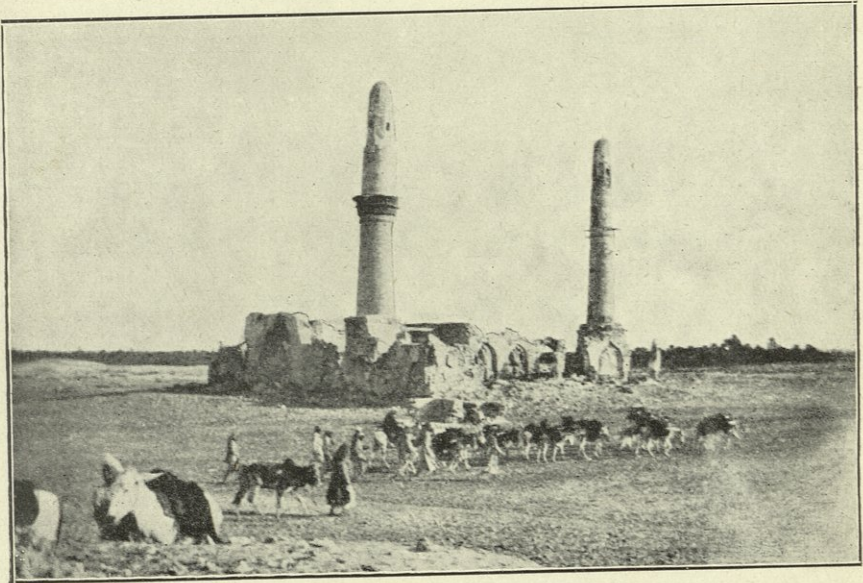
بلدان البحرين

المنامة :

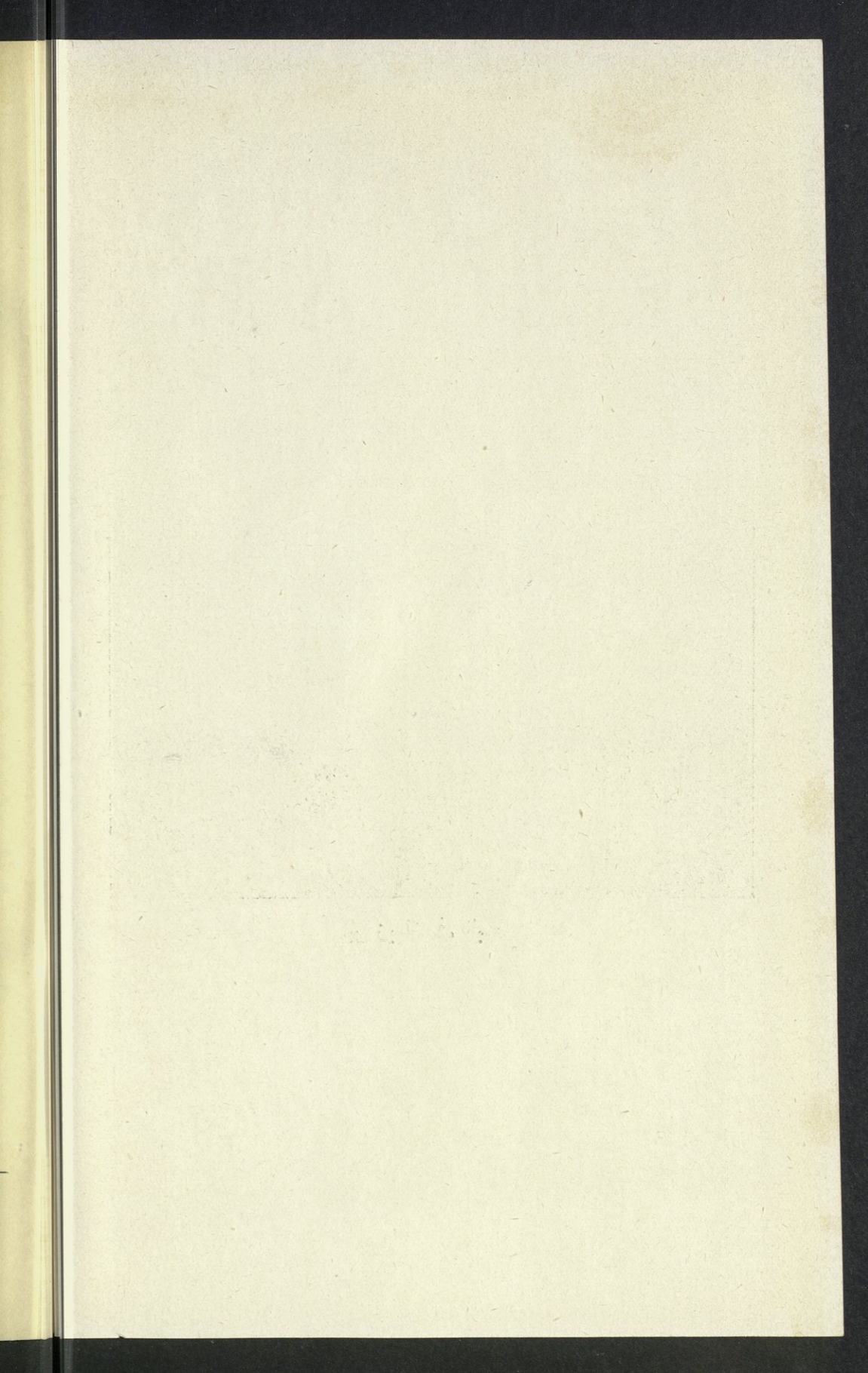
عاصمة البحرين التجارية على الساحل الشمالى الغربى من الجزيرة ، ولكون البحر ضحلا عند المنامة تقف البواخر على بعد أربعة أميال لتفرغ شحناتها فى السفن الشراعية التى بدورها تنقلها للساحل وفى وقت الجزر لا تستطيع السفن أن تقرب من الساحل ، وقد أنشئ فى الخمس عشرة سنة الأخيرة رصيف على ساحل البحر يمكن السفن أن ترسو بالقرب منه

وقد أنشئ بالمنامة بلدية سنة ١٩٢٠ م ، فقامت فى الخمس عشرة سنة الماضية بخدمات جُلبى للبلد ، فشيدت طريقاً على ساحل البحر ، وغرست الأشجار على الطريق الخارجى ، ووسعت الطرق الضيقة المتتوية ، كما قامت بنصيب وافر فى سبيل تنظيف البلد ، وقد نجحت البلدية فى إنارة البلدة بالكهرباء . وبالمنامة ما يزيد على ٥٠٠ دكان ، وكثير من البيوت التجارية الأوربية والهندية . وبالبحرين أيضاً بعثة أمريكية ، ومستشفى أمريكى قام بخدمات تذكر فى سبيل الانسانية

يبلغ سكان المنامة ٢٥ ألفاً أكثرهم من أهل السنة ، ونحو ١٢٠٠٠ من الشيعة وبها أيضاً نحو ألف من غير المسلمين : هنود ونصارى شرقيين ، وقليل من الأوربيين ويستقى فقراء المنامة من بئر تسمى عين مُقبِل ومن مستودع آخر للماء يسمى القفول فى غرب البلدة . أما غير الفقراء فيشربون من ماء الرَّفَاع الشرقى أو الغربى حيث ينقل بواسطة الجمال ؛ وأما الماء المستعمل للتنظيف فكل بيت لا يخلو من بئر



أبو زيدان في البحرين



البديع :

قرب الزاوية الشمالية الغربية من جزيرة البحرين تمتد ميلا على السواحل ،
ويبلغ عدد سكانها نحو ٨ آلاف نفس أكثرهم من قبائل الدواسر ، ويشغل
أكثرهم بتجارة اللؤلؤ والعمل على استخراجه

وقد وقع خلاف بين حكومة البحرين والدواسر في أواخر سنة ١٩٢٢ م فجلا
الدواسر من البديع إلى الدمام ، وبعد سنتين رجع قسم منهم البحرين بعد استرضاء
حكومتها لهم . وأهم قرى البحرين :

البلد القديم :

في الجنوب الغربي من قلعة المنامة على ميل ونصف منها ، وسكانها من
البحارنة^(١) ، ويشغلون بالزراعة وتجارة اللؤلؤ والخياطة ، وعدد سكانها نحو ٤٠٠
وأكثر بيوتها مبنى بالطين ، وفي الجهة الشمالية الغربية يوجد سوق الخميس نسبة
اليوم الذي يقام فيه السوق ، وعلى بعد نصف ميل من القرية في الجهة الغربية
توجد عين أبو زيدان ، وبجوارها مدرسة متهدمة بهذا الاسم ومنارة يهتدى بها ،
وبها عدد كبير من أشجار النخيل

عسكر :

قرية على الشاطئ الشرقي تبعد عن جبل الدخان أربعة أميال ونصف ،
وسكانها من بوعيين

بورى :

في الجنوب الغربي من المنامة تبعد عنها سبعة أميال وسكانها من البحارنة ،
وبها عدد كبير من النخيل لا يقل عن ١١ ألف نخلة

(١) تطلق هذه الكلمة على سكان البحرين

جَدَّ حَفْص :

في الجنوب الشرقى من القلعة البرتغالية المحرّبة (قلعة العجاج) ، تبعد عن المنامة بثلاثة أميال ونصف وهى من القرى الكبيرة فى البحرين ، وسكانها من البحارة المشتغلين بغرس النخيل والتجارة واحراق الجص وتجارة اللؤلؤ، وبها من النخيل ما يتجاوز ١٦ ألف نخلة ، وبها أيضاً بساتين جميلة يغرس فيها الأترج والفواكه ، وتزرع الخضر بأرضها كما يزرع (القت) البرسيم ، وبقرىها قرية صغيرة تسمى عين الدار

المعابر :

على الساحل الشرقى ، بعض بيوتها مبنى بالحجارة ، سكانها من البحارة ويشتغلون بالغوص

رَفَاع الشرقى :

قرية كبيرة فى جنوب المنامة على بعد سبعة أميال منها ، وسكانها من العرب الذين يعيشون على بيع الماء المستخرج من آبارها المسمى بالحِثَيْن ، ويقم بها بعض أعضاء العائلة المالكة ، وقد كان لهم شأن يذكّر قبل النظام الحالى فى البحرين ، والرِّفَاع تعتبر أصح منطقة فى جزيرة البحرين

رفاع الغربى :

مثل الرفاع الشرقى فى موقعه ويبعد عنه $1\frac{1}{3}$ ميل وهو فى الغرب الشمالى منه ، وسكانها سنيون أكثرهم من قبيلة بنى عتبة ، وبعض أعضاء العائلة الحاكمة كانوا يسكنونها ويحكمونها كالرفاع الشرقى ، والسكان يشتغلون بنقل الماء وبيعه فى المنامة والمنطقة غير منزرعة

سنابس :

على الساحل الشمالى من الجزيرة بها مسجد ، وسكانها من البحارة الذين
يشتغلون ببناء السفن وصيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ

الزَّلَّاق :

على الساحل الغربى من الجزيرة أسفل البديع ، وسكانها من الدواسر الذين
يشتغلون بالغوص وبها قلعة مخربة

جزيرة المحرق :

تقع جزيرة المحرق فى الشمال الشرقى من جزيرة البحرين حيث يفصل
الجزيرتين مضيق صغير يبلغ طوله ميل ونصف فقط يعبر بالسفن الصغيرة ، وقد
شرعت حكومة البحرين أخيراً فى عمل جسر لربط الجزيرتين ببعضهما ببعض ،
والعمل لا يزال جارياً على ساق وقدم لاتمامه

يبلغ محيط الجزيرة أربعة أميال ، وساحل الجزيرة على منخفض محاط بشعوب
مرجانية مما جعل الملاحة إلى البحرين محاطة بشيء من الأخطار ، ولكن الملاحين
من العرب فى غاية المهارة ، ولذا فالسفن التجارية القادمة من الهند ترسو بعيدة عن
الساحل نحو أربعة أميال

وبالمحرق عدة ينابيع على الساحل تختفى تحت ماء البحر وقت المد وتظهر
وقت الجزر ، ويبلغ سكان المحرق ٢٠ ألفاً

وبجزيرة المحرق ١٦ قرية صغيرة ملحقة بمدينة المحرق أهمها :

عراد :

على الساحل الجنوبى وسكانها بحارة ، وبها قلعة متداعية قائمة على خليج
عراد وبها نحو ١٥ ألف نخلة

بساتين :

على الساحل الغربي من جزيرة المحرق تبعد نحو ميل عن مدينة المحرق ،
وسكانها من أهل السنة يشتغلون بالغوص وبها قليل من النخيل

الدير :

على الجهة الشمالية الغربية من الساحل تبعد ميلين عن مدينة المحرق ، وسكانها
بحارنة يشتغلون بالغوص وبها قليل من النخيل

حالة أبو ماهر :

جزيرة صغيرة جنوبي بلدة المحرق تتصل بالجزيرة وقت الجزر ، وسكانها من
أهل السنة يشتغلون بالغوص ونقل الماء إلى المحرق من عين تحت البحر ، وبها
قلعة صغيرة على نهاية الجزيرة للدفاع عن الماء

قلاني :

في الجهة الشمالية الشرقية من الساحل ، وسكانها من أهل السنة وأكثرهم
من قبائل المناينة يشتغلون بالغوص وصيد الأسماك

مدينة المحرق :

مقر العائلة الحاكمة ، مدة ثمانية أشهر ، واقعة على الجهة الغربية من الجزيرة ،
تبعد عن مدينة المنامة ميلين

ويستقى أكثر سكان المحرق من عين أبو ماهر الواقعة جنوبي المدينة في
جزيرة صغيرة تسمى بهذا الاسم ، يبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ ياردة ، وتحاط مدينة
المحرق بالماء وقت المد العالی من الجهة الشرقية والجنوبية والغربية ، فيساعددها
ذلك على إزالة الأقدار وتنظيف الساحل

يبلغ سكان المحرق ٢٠ ألفاً ، نصفهم من الحوالة ، وعرب المحرق ينتمون إلى بني عتبة وبنى علي والزياينة ؛ وبالمحرق عدد لا يذكر من البحارنة ، ويشغل أهل المحرق بتجارة اللؤلؤ واستخراجه وصيد الأسماك والملاحة وبعض المتاجر الأخرى ، وفي موسم الصيف يهجر القسم الأعظم من أهل المحرق مساكنهم وينتشرون على سواحل جزيرة البحرين

الحِجْد :

في الجنوب الشرقي من جزيرة المحرق ، يبلغ سكانها نحو ٨٠٠٠ ، وهم من السادة وقبائل بنى ياس ، وهم يشتغلون بتجارة اللؤلؤ والغوص ، والحِجْد أكبر مركز للغوص

سِتْرَة :

جزيرة واقعة في شرقي البحرين ، مفصولة عنها بقناة ضيقة ؛ يبلغ طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ونصف ، وعرضها ميل ونصف ، وبها كثير من العيون والآبار ، وسكانها في الشمال بحارنة ، ويسكنون في سبع قرى صغيرة ، وبها كثير من أشجار النخيل

الجزيرة :

أو كما يسمونها - النبي صالح - هي جزيرة صغيرة قريبة من الساحل الشرقي من البحرين ، تبلغ نصف ميل في كل ناحية ، وهي من الأماكن العامرة بالنخيل ، فيها نحو ١٤ ألف نخلة ، وبها قرىتان سكانهما من البحارنة ، يشتغلون بالزراعة والغوص وصيد الأسماك

أم نَعَسَان :

جزيرة صغيرة في الجهة الغربية من البحرين تبعد عنها نحو ميلين فقط ،

طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ، ونحو ميلين ونصف عرضاً ، وهي جزيرة غير مسكونة ، وبها عين ماء عذبة قرب الساحل الغربي . ويرسل سكان البديع والزلاق من قرى جزيرة البحرين حيواناتهم في الصيف للرعى فيها

نبذة تاريخية

لا يعرف شيء كثير عن تاريخ البحرين القديم ، وما يعرف عن تاريخها لا يتجاوز سنة ٤٢٠ قبل الميلاد ، حيث كانت البلدة تدار بواسطة رؤسائها الوطنيين الوثنيين ، وفي سنة ٦١٥ بعد الميلاد غزا بهرام بلاد العرب وأقام بالجزيرة مندوباً من قبله يدير شؤونها ، وقد بقي بها إلى زمن الفتح الإسلامي ، وبعد الفتح الإسلامي بمدة قصيرة استرد الحكام المحليون استقلالهم ، واستمروا في حكمهم حتى زمن هشام ابن عبد الملك ، حيث استرد الجزيرة مرة أخرى ، وأقام من جانبه حاكماً قرشياً عام ٧٢٣ م ؛ وقد استمر حكم البحرين على هذا النحو حتى آخر حكم العباسيين في القرن الحادى عشر فعاد حكم الوطنيين مرة أخرى ، واستمر حتى القرن السادس عشر ؛ وفي القرن السادس عشر استولى عليها الفرس وعينوا من قبلهم حاكماً عليها ، ثم استولى عليها البرتغاليون كما استولوا على هرمز والقطيف سنة ١٥٠٧ ، واحتكروا جزءاً كبيراً من تجارة اللؤلؤ وتجارة الخليج الفارسي . وقد طرد الفرس البرتغاليين سنة ١٦٢٢ بعد سقوط هرمز ، كما أن الفرس بدورهم طردوا منها مرة أخرى ، وما زالت الجزيرة يتقلب عليها الحكام من الفرس تارة ومن العرب مرة أخرى ، حتى تمكن عرب بني عتبة من الاستيلاء عليها ، وهم الحكام الذين تنحدر منهم العائلة الحالية

آل خليفة

إن تاريخ آل خليفة أمراء البحرين يشمل ضمناً آل صباح أمراء الكويت ،

ولذا فإن البحث في تاريخ إحدى العائلتين لا يخلو من استعراض شيء عن العائلة الأخرى للارتباط الوثيق بين العائلتين في الماضي

قدمنا في الفصل الخاص بالكويت أنه في سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٦ م) تحالفت ثلاث قبائل كبرى وهم: بنو صباح، والجلاهمة، وآل خليفة، واتخذوا الكويت موطناً لهم، واتفقوا فيما بينهم على أن يتولى آل صباح شؤون الحكم، وآل خليفة التجارة، والجلاهمة العمل في البحر، على أن يقسم الجميع الأرباح بينهم بالتساوي. وبعد مضي خمسين سنة من الحلف سنة ١٧٦٦ رأى ابن خليفة أن ينفصل عن الحلف فعرض على حلفائه مبلغ ما يصيبهم من الغني إذا هم سمحوا له ولعشيرته الانتقال إلى الجزء المجاور لمغاص اللؤلؤ فيؤسس هنالك محلة تدر الشيء الكثير من الأرباح فيستغنى الحلفاء، فاستولى جلال الفكرة عليهم وصرحوا لرئيس آل خليفة بترك الكويت مع بعض أفراد عشيرته، فتركها ونزل الزُّبارة قرب قَطَر والبحرين على الشاطئ العربي

اكتشف ابن صباح — ولكن بعد فوات الفرصة — الأسباب الحقيقية التي دفعت بحليفهم ابن خليفة إلى مغادرة الكويت، وشعروا بعظم الأسارة المالية التي منوا بها بفقد عضو من أعضاء التحالف، ففكروا في اقتفاء أثر حليفهم ابن خليفة بالتخلص من قيود الحلف مع الجلاهمة، فامتنعوا من مقاسمتهم الوارد، ثم انتهى بهم الأمر إلى طردهم من الكويت ومينائها، فاجتؤا إلى إخوانهم آل خليفة في الزبارة فأجروا لهم من الرواتب ما يتناسب مع مركزهم، وبعد ذلك جرى بينهم وبين أهل الكويت من المارك ما كان سبباً للقضاء عليهم وعلى نفوذهم

يسود الهدوء البحرين، ويسود الصفاء بين الشيخ محمد الحاكم وأخيه الشيخ علي آل خليفة، ويتعاونان على قمع الفتن وإخماد حركة التجارة، ويستمر هذا التعاون حتى سنة ١٨٦٧، ثم يتنافس الأخوان على الحكم فيتغلب الشيخ علي على

أخيه وينفرد بالحكم ، فيترك الشيخ محمد البحرين إلى الكويت مقر آباءه الأولين ،
فيسعى عبد الله بن صباح حاكم الكويت في الصلح بين الأخوين فلا يوفق ،
فتقوم الحرب بين الأخوين فيتغلب الشيخ محمد على البحرين بعد قتل أخيه الشيخ
على ، فيحبسه أبناء الشيخ عبدالله بن طريف فيتداخل الانجليز في الأمر ، فيطلقون
سراح الشيخ محمد ويحملونه مع بعض الرؤساء إلى سيلان ، ويعينون الشيخ عيسى
ابن علي حاكماً على البحرين سنة ١٨٧٠ ، ويستمر حاكماً عليها حتى سنة ١٩٢٣ ،
حيث تغل يده بالنظر إلى كبر سنه ، ثم يتولى ولده الأكبر الشيخ محمد بن عيسى
وهو الحاكم الحالي ، وقد توفي الشيخ عيسى بن علي في شعبان سنة ١٣٥١ هـ
ديسمبر سنة ١٩٣٢ م

الحكومة البريطانية والبحرين

كانت سياسة الحكومة البريطانية في خليج فارس في أواخر القرن الثامن عشر
والقرن التاسع عشر قائمة على إيجاد عهد من السلم والأمان في تلك المنطقة ، فأعلنت
الحرب على القرصنة وحاربتها بشدة

وقد أرسلت الحكومة البريطانية مستر بروس Bruce^(١) عام ١٨١٤ إلى
البحرين لاستطلاع أحوالها ، فوصل إليها في ١٩ يوليو واستقبله فيها الشيخ عبد الله
ابن احمد استقبالاً ودياً . ويقول مستر بروس : إن زيارته للبحرين كانت موفقة
ومفيدة جداً ، فقد علم أن إمام^(٢) مسقط غرس في أذهان العرب أشياء كثيرة
ضد الانجليز : فقد أفهمهم أن بريطانيا ستصادر سفن البحرين التي تقصد الموانئ

(١) سنذكر في الجزء الثاني تفاصيل الانقلاب في البحرين وأثره في سائر البلاد العربية
ويلاحظ هنا أن خليج فارس في القرن السادس والسابع عشر كان عربياً من جميع الوجوه ، غير
أن هؤلاء الحكام كانوا معا في تنازع وخصام دائم حتى أضعفهم ذلك وجعلهم لقمة سائغة
لكل فاتح قوى

(٢) إمام : سلطان

الانجليزية ، ولهذا السبب كانوا معتمدين مشاركة الجواسيم في القرصنة ، وقد شرح الشيخ عبد الله أسباب الخصام بينه وبين إمام مسقط ونقض هذا الأخير المعاهدة التي عقدها معهم ، وانه هو نفسه وأفراد قبيلته مستعدون للارتباط مع مسقط لأن مصلحته لا تتعارض وهذا الاتفاق

وقد أبان الشيخ عبد الله للمستتر بروس أنه في الوقت الذي كان إمام مسقط يتظاهر بالتعاقد معهم ، كتب سرّاً إلى إمام نجد يغريه بالبحرين لاقامة رحمة بن جابر حاكماً عليها ، وقد رفض شيخ بنى ياس الانضمام للامام في ذلك كما رفض أمراء العرب المقيمون على الساحل الفارسي ، وقد رحب شيخ البحرين بالسفن الانجليزية والتجارة البريطانية ، وصرح بأنه مستعد لدفع أى خطر عربي عن الجزيرة ، وأنه لا يشغل باله غير الانجليز ، وأن الشيخ ينتظر أن تعامل بريطانيا سفنه بنفس المعاملة التي يعامل بها سفنها في البحرين ، فطمأنه مستر بروس وأخبره — ولو أنه ليس لديه التفويض الكافي — بأنه مستعد أن يضع معاهدة تزيل مخاوف شيخ البحرين ، فوعده الشيخ بأنه سيصدر أوامره الصارمة للتشديد على سفنه باحترام العلم البريطاني حتى في أشد الأوقات حرجاً

ازداد نفوذ آل خليفة في الزبارة وآل صباح بالكويت ، ونمت ثروتهم ولا سيما بعد احتلال الفرس للبصرة سنة ١٧٧٥ م فقد انتقل بذلك جزء كبير من تجارة اللؤلؤ والتجارة الهندية إلى الزبارة والكويت ، وقد اتهم عرب الزبارة وحاكمهم ابن خليفة فرصة موت كريم خان واشتعال الفتن في خليج فارس ، فهاجم البحرين واستولى عليها سنة ١٧٨٢ ، ولكنه ترك الجزيرة بعد نهبها ، وبعد معارك متعددة بين آل خليفة وأتباعهم ، وبين غيرهم من رؤساء العرب الموالين لفارس ، ثم تمكن آل خليفة بمعاونة حلفائهم آل صباح من أن يستولوا نهائياً على البحرين ويخضعوها لحكمهم ، وقد ساعدتهم ما وقع في فارس من التقلبات على

الاستقرار في الجزيرة والتفرغ للتوسع التجاري ، وفي سنة ١٧٩٩ م هاجم إمام مسقط جزيرة البحرين ، وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ١٨١٠ م ، وأرسل إلى مسقط نحو ٢٥ عائلة من كبار العائلات ، ولم يفد عرب البحرين استنجادهم بفارس أو تركيا ؛ لأنه كان لدى الدولتين من المشاغل ما حال دون التداخل في حوادث البحرين

وفي سنة ١٨٠١ م تمكن آل خليفة بمعاونة النجديين الذين انتشرت حركتهم وامتد سلطانهم إلى الاحساء من التغلب على قوات إمام مسقط واسترداد البحرين وفي سنة ١٨١٠ م احتل النجديون البحرين والزيارة ، وعين إمام نجد عبد الله ابن عفيفان وكيلا عليهما وعلى القطيف وقطر ، ولكن شيوخ البحرين استمروا على إدارة الأحكام ، واكتفى مندوب نجد باستلام الجزيرة وإرسالها إلى مولاه في نجد

وفي سنة ١٨١١ م اضطر عبد الله بن سعود إلى سحب قواته من الخليج بعد غارة ابراهيم باشا ؛ فاتهمز إمام مسقط هذه الفرصة ، وهاجم الزيارة وأحرقها وقبض على وكيل عبد الله بن سعود وأرسله إلى مسقط ، فاسترد آل خليفة شيئاً من سلطانهم ، ولكن نفوذ النجديين رجع بعد ذلك بقليل ، وفي سنة ١٨١٦ م حاول إمام مسقط أن يستولى على البحرين ، ويقضى قضاء تاماً على آل خليفة . وقد أوضح في كتاب له للحكومة البريطانية أن الذي دفعه إلى ذلك هو مساعدة عرب بني عتبة للقرصان واعترافهم بسيادة الوهابيين ، وقد وصل الامام إلى الجزيرة ونزلت الجنود في عراد ونجحت الحملة بعض النجاح ، ولكن عرب البحرين هزموه أخيراً هزيمة منكرة قضت على آماله في امتلاك الجزيرة ، وقد اكتشف إمام مسقط بعد ذلك أن حكومة فارس التي كانت تحرضه في ذلك الوقت على امتلاك الجزيرة إنما تعمل للغدر به وبقاى رؤساء العرب

ومن سنة ١٨١٦ — ١٨٤٢ م أخذ النفوذ النجدى فى الجزيرة فى الظهور تارة
وفى الخفاء تارة تبعاً لقوة الدول السعودية وضعفها ، وفى سنة ١٨٤٤ م ظاهر الإمام
فيصل أصغر شيوخ البحرين محمد بن خليفة ضد عمه وعضده بإرسال قوة برية ضد
الإمام فاستولى عليها وأقام فيها

وقد وصف مستر بروس عرب بنى عتبة فى البحرين بأنهم من أقوى وأكفأ
الملاحين العرب فى الخليج ، وأنهم يملكون جانباً كبيراً من التجارة الهندية ، وهم
يفضلون التجارة عن حياة القرصنة ، وتعتبر هذه السنة أول سنة وضع فيها أساس
التفاهم بين الحكومة البريطانية وبين رئيس بنى عتبة حاكم البحرين . وفى سنة ١٨١٩
عقد معهم السير W. G. Ren معاهدة للتعاون ضد القرصنة ، لأن الجزيرة كانت
أكبر مركز لتصريف منهوبات القراصنة وأخذ ما يلزمهم من الحاجيات الضرورية .
وفى نفس هذه السنة عقدوا معاهدة أخرى مع إمام مسقط وتعهدوا له بدفع ضريبة
سنوية قدرها تسعة آلاف ريال . وفى سنة ١٨٤٧ م عقدت معاهدة لمنع الاتجار
بالرقيق . وفى سنة ١٨٨٠ م عقدت الحكومة البريطانية مع الشيخ عيسى بن على
حاكم البحرين مثل المعاهدة التى عقدتها مع سلطان مسقط قبل ذلك ، ثم مع شيخ
الكويت بعد ذلك ، وهى معاهدة حماية تنص على ألا يقبل الشيخ أى وكيل
سياسى غير انجليزى ، وألا يتعاقد الشيخ أو يتنازل عن قطعة من أراضيه
لحكومة أجنبية

وفى سنة ١٨٩٣ أعطى للوكيل السياسى فى البحرين حق الفصل فى قضايا
الأجانب ، ثم توسع هذا الحق حتى شمل القضايا التى فيها صالح الأجانب
لقد طال حكم الشيخ عيسى والد الحاكم الحالى حتى جاوز الخمسين ، وفى عهده
تقدمت البحرين تقدماً عظيماً : فى التجارة والثروة ، واستتب فيها السلم بعد أن
كانت لا تعرف السلام ، وقد اشتهر الشيخ عيسى بالكرم والتقوى ، ولكنه كان

محافظاً على القديم لا يجب التغيير ويكره كل جديد ؛ ولذا فقد كان يتصادم دائماً مع الوكيل السياسى عند ما يراد القيام بأى عمل عمرانى ؛ وأخيراً اتفقت الحكومة البريطانية مع أبنائه على أن يختم الشيخ حياته السياسية ويعتكف فى بيته وينوب عنه ابنه الأكبر الشيخ حمد ، فاحتج الشيخ على هذا العمل الذى لا يتفق مع روح الصداقة ، وغضب على ولده نحو خمس سنوات ، ثم رضى عنه بعد ذلك . وقد ترك عزل الشيخ عيسى من إمارة البحرين أسوأ الأثر فى نفوس أمراء البحرين ، وقد أعقب هذا الانقلاب تغييراً فى الإدارة فوضع بجانب الشيخ مستشار انجليزى لمساعدته فى الأمور الهامة ، وأقيم على الجمارك أيضاً مدير بريطانى ، ووضع للبحرين أيضاً موازنة لموازنة الدخل والخرج ؛ وقد تأسس فى آخر عهد الشيخ عيسى فرع (لمصرف) الايسترن ، كما أسست إدارة للتعليم قامت بإنشاء مدرستين : واحدة فى المنامة وأخرى فى المحرق



العوائد والأضرف

ذكرنا شيئاً من العوائد والأخلاق فيما كتبناه في فصل السكان ، وسندكر في هذا الفصل بعض الصفات الأخرى المشتركة بين البدو والحضر ، أو التي يتميز بها البدو عن الحضر ، أو الحضر عن البدو ، مما لم يذكر في الفصل السابق

الألقاب

الفريق الأكبر من سكان جزيرة العرب ولاسيما البدو أو القبائل الرحّل لا يعرفون الألقاب الشائعة في الأقطار الأخرى ، فهم ديموقراطيون بفطرتهم يدعون بعضهم بأسمائهم المجردة ، ويخاطبون ملوكهم وأمراءهم بأسمائهم وألقابهم العادية ، فأصغر البدو يخاطب الملك عبد العزيز بيا عبد العزيز ، أو يا أبا تركي ، أو يا طويل العمر ، وإذا سأل عن مليكه فيقول الشيخ أو الإمام ؛ والملك نفسه قلماً يعبأ بالألقاب ، فالألقاب تعرف فقط في الحواضر الكبرى مثل الحجاز

المساواة

إذا استثنينا التفاضل في الأنساب والإمارة فالناس فيما سوى ذلك يكادون يتساوون في جميع ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات ، والناس جميعاً سواء في نظر الشريعة الإسلامية ، لا فضل لشريف ولا لسيد ولا لحاكم . إذا تعدى أمير على رجل عادي فالحاكم الشرعي كفيلاً بإنصافه ورد الحق إليه ، وأول الناس خضوعاً للشريعة ابن السعود نفسه . على أن هذه المساواة لا تكاد تعرف إلا في نجد ، أما في غيرها فالعدل يوزن بميزانين : الأعيان والأشراف والمنتسبون إلى العائلات الحاكمة لهم ميزان خاص ، وسائر طبقات الشعب لهم ميزان آخر ، وقلما يجسر أحد

من عامة الشعب على مطالبة أو مخاصمة أحد من الأشراف أو العائلة الحاكمة ؛ لعله بأن حقه لا يصل إليه من هذا الطريق ، بل لقد يصل الأمر ببعض أعضاء العائلات الحاكمة أن يحمى بعض المجرمين ، ولا يرى الحاكم من واجبه أن يجبر ابن عمه على طرد اللاجئ

وإنَّ مَنْ له اتصال بالخليج الفارسي والحجاز ونجد يدرك بسهولة ما نعى ، وربما كان من المفيد إيراد بعض الحوادث التي لا تزال تعلق بالذاكرة :

في سنة ١٩١٦ شكأ إلى الأمير عبد الله بن جلوي أمير الاحساء رجلٌ من فلاحى الاحساء تعدى بعض الخدم عليه وعلى أبنائه ، فأحضر الأمير جميع خدمه كى يتعرفهم الشاكي ، فلم يجد من بينهم المعتدى ، فأدرك الأمير أن المعتدى قد يكون بعض أبنائه فأمر بإحضارهم فتعرف الشاكي المعتدى ، ولكنه لما علم أنه ابن الأمير تنازل عن الشكوى واعتذر بأنه لم يكن يعرف أنه ولده ، فأنبه الأمير وقال له : لقد أخطأت ، إذا لم نكن نحن مثال العدالة فكيف نطالب من الناس احترام الشريعة ؟ لقد هلك مَنْ قبلنا من بنى إسرائيل وغيرهم بسبب هذه التفرقة ، أما أنت أيها المجرم (يقصد ولده) فيجب أن تلقى جزاءك . وهنا قام الأمير من مجلسه وانهاه عليه بنفسه بالعصا وهو يقول : يجب أن نصالح أنفسنا قبل أن نصالح الناس وفي سنة ١٩٢٠ شكأ أحد أهل الرياض إلى الملك عبد العزيز أن زوجته — وقد حكم عليها القاضى بالرجوع إلى بيت الطاعة — لاذت بيت فلان من أقاربه ، فأمر الملك توّاً من بلغ قريبه بالزام المرأة الرجوع إلى زوجها تنفيذاً للأمر الشرع ، وإذا أخذت هؤلاء حمية الجاهلية فانه سيدخل البيت بنفسه لتنفيذ أمر الشرع ؛ إذا لم نحترم نحن الشرع فكيف نكف الناس باحترامه ، يجب أن نكون قدوة حسنة للناس فى كل شىء

وفى جمادى الثانية سنة ١٣٤٣ — ١٩٢٢ كنت زائراً للرحوم خالد بن لؤى

في بيت الامارة بمكة ، وكان إذ ذاك أميرها فرأيت أمام الشيخ ابن داود (وهو قاضي الخرمة وقاضي مكة في أول عهد الاستيلاء النجدى) رجلين يتخاصمان أحدهما من الأشراف من سكان الطائف والآخر من صناع الساعات ، وكان هذا الشريف أعطى الساعاتى ناظورا لاصلاحه ، ولما أصاحه ادعى أن الاصلاح لم يكن طبق الشرط ، والرجل الآخر يدعى بأنه طبق الشرط ، ويطلب تحويل المسألة إلى رجل خبير

أراد الشريف أن يجلس جوار خالد بن لؤى ، فنهزه الشيخ وأمره أن يجلس تماماً مع خصمه ، وأنهما أمامه سواء ، وبعد أن سمع الشيخ الدعوى حكم على الشريف بما يقدره صانع خبير . فقال الصانع : وإن لم يقبل الشريف ذلك فأنا مستعد أن أرد إليه الناظور كما كان ، ولا أريد أن أطالبه بشيء مطلقاً جزاء اتعابى . فقال الشيخ وما تقول في هذا ؟ فارتبك الشريف ، فالتفت إليه الصانع وقال : الحمد لله إن وقوفى معك جنباً لجنب أمام القاضي يساوى عندى الدنيا وما فيها ، لقد مضى وقت الظلم ، لقد كانوا يكلفوننا بعمل الأشياء ولا يعطوننا أجره ، بل لا يتنازلون أن يكلمونا بل كانوا يضربوننا في بعض الأحيان ، الحمد لله . فقال الشيخ القاضي : إن الناس جميعاً أمام الشرع سواء ، وإن الأشراف أولى الناس باتباع نبيهم صلى الله عليه وسلم الذى يقول : (يا فاطمة بنت محمد ، إني لا أملك لك من الله شيئاً) والله يقول : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، ويقول : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ، وهنا أخذ خالد الناظور من الشريف ، وقال : لا نسلمه لك حتى تسلم الأجرة التى يقدرها الخبير ، فقبل الشريف ذلك مرغماً ، وخرج وهو يطلب السلامة ؛ لأنه كان محوطاً بالاخوان الذين كانوا يؤمنون على أقوال الشيخ ويستمعون الشريف همساً ما يكره من قوارص الكلم

الكرم

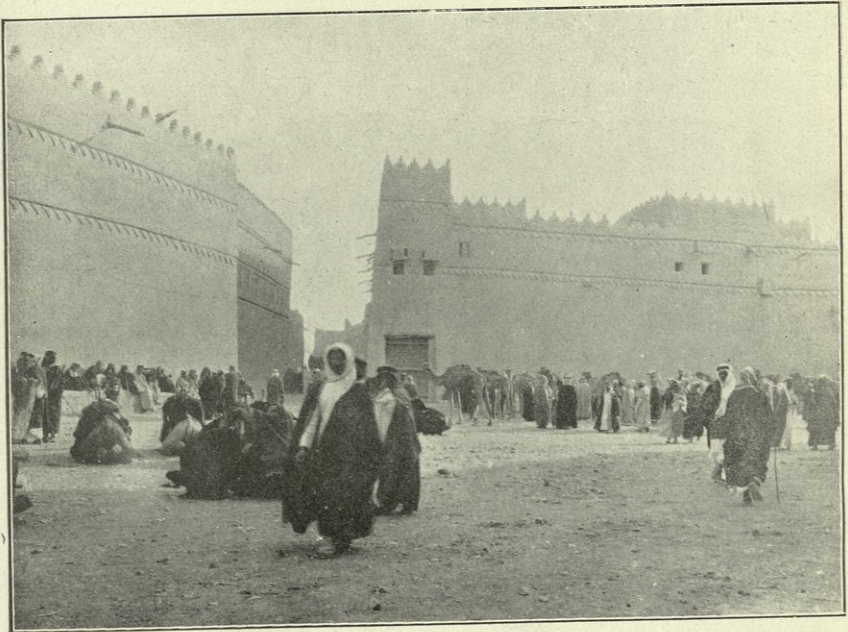
الكرم من الصفات المعروفة عند العرب في الجاهلية والإسلام ، ولا يزال العرب إلى الآن يتفاخرون بها . وفي الحديث الشريف : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ، ولا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب من مضيف : (مكان يقابل فيه الضيوف) قد يكون حجرة واحدة وقد يكون بيتاً من الشعر ، وقد يكون بناء مستقلاً

واحترام الضيف وحمايته من المسائل المسلم بها في بلاد العرب ، وحق الحماية ثلاثة أيام ، كما أن حقوق الضيافة ثلاثة أيام أيضاً . لقد كان ينزل القاتل في بيت المطالبين بالتأثر فيتجاوزون عن كل شيء مادام في ضيافتهم ، والنساء لهن هذا الحق مثل الرجال ، وإذا أعطت كلمة للضيف اللانذ بالبيت قبلتها القبيلة كلها ، غير أن أكثر هذه القواعد كاد يقضى عليها الآن بعد ما استتب الأمر للملك عبد العزيز ، فسلطان الشرع فوق كل سلطان ، ولا حق لأى إنسان في إيواء مجرم ، وكلهم احتراماً للشرع يساعدون على القبض على المجرم وتقديمه للشرع

لقد جرت العادة عند أمراء العرب أن يفتحوا بيوتهم لكل ضيف يقصدهم ، ولكن بعد مضي ثلاثة أيام من إقامته يسأل عن حاجته

وقد يبلغ ضيوف الملك عبد العزيز نحو عشرة آلاف ، فتمتلى بهم بيوت الرياض و بطحاؤها ، وربما كان عدد الضيوف الدائمين لا يقل عن ٥٠٠ كل يوم ومن العيوب في قطر أن يأكل الرجل وبيته مغلق ، فان اغلاق البيت من أمارات البخل ، كما أن من العيوب عندهم شراء اللحم من السوق بالرطل ، فالأربعة أو الخمسة يشتركون في شاة يشترونها ويقسمونها بينهم

والسيد ينادى خادمه يا ولد أو يا وُلَيْد ، ولا سيما إذا كان لديه خدم كثيرون



وفود البدو في دار الضيافة في الرياض

Fragment of text from the adjacent page, including characters such as 一, 二, 三, 四, 五, 六, 七, 八, 九, 十, 十一, 十二, 十三, 十四, 十五, 十六, 十七, 十八, 十九, 二十, 二十一, 二十二, 二十三, 二十四, 二十五, 二十六, 二十七, 二十八, 二十九, 三十, 三十一, 三十二, 三十三, 三十四, 三十五, 三十六, 三十七, 三十八, 三十九, 四十, 四十一, 四十二, 四十三, 四十四, 四十五, 四十六, 四十七, 四十八, 四十九, 五十, 五十一, 五十二, 五十三, 五十四, 五十五, 五十六, 五十七, 五十八, 五十九, 六十, 六十一, 六十二, 六十三, 六十四, 六十五, 六十六, 六十七, 六十八, 六十九, 七十, 七十一, 七十二, 七十三, 七十四, 七十五, 七十六, 七十七, 七十八, 七十九, 八十, 八十一, 八十二, 八十三, 八十四, 八十五, 八十六, 八十七, 八十八, 八十九, 九十, 九十一, 九十二, 九十三, 九十四, 九十五, 九十六, 九十七, 九十八, 九十九, 一百.

وإذا كان يريد القهوة فإنه يقول : هات قهوة ، فباقي الخدم يصيح هات قهوة ، حتى يصل الصوت إلى عامل القهوة فيحضرها ، وهذه العادة لا تزال تستعمل في سائر البلدان العربية ؛ والملك ابن سعود يستعمل الأجراس الكهربية في قصره بدلا من النداء القديم ، ولكنه يرجع إلى العادة القديمة إذا كان في الصحراء ، أو في أحد الأماكن الأخرى التي ليس فيها أجراس

وإذا كان الملك في الصحراء للصيد ، ونزل للراحة وأراد بعض خدمه أو أحد أفراد حاشيته ، فليس هنالك وسيلة إلا النداء بأعلى الصوت ، وكل خادم يسمع النداء ينادى بدوره حتى يدوى الصوت في المعسكر ويسمع الشخص المطلوب ، فيقول : جاك أى جاك

والخادم ينادى سيده : عمى ، وسيدته : عمتى

وإذا حضر الطعام وجلسوا جميعاً حول المائدة ، نادى الخادم بأعلى صوته :

سم ، أى باسم الله ابتدئوا

والقهوة تقدم لكل ضيف مهما صغر مقامه ، ولكن إذا سما مقامه فإن القهوة

تحضر له جديدة ، ولا يصح الاعتذار عن قبول القهوة

وقد كانوا من عهد غير بعيد يعطون للضيوف بعد القهوة : إما مغلى الزعفران

أو مغلى الليمون ، أو القرقة ، أو شيئاً من الحليب محلى بالسكر ، ولكن في العشرين

سنة الأخيرة انتشرت عادة الشاي في البادية والحاضرة ، ويستعملونه غالباً غير

ممزوج بالبن ، والبادية تستعمله غليظاً مريراً الطعم من كثرة غليه على النار . وأهل

عمان يقدمون شيئاً من الحلوى أو البسكويت يدعونه الفؤالة

ومن حق القادم من سفر أن أصدقاءه ومعارفه يزورونه في بيته ويقولون

لأقرب الناس إليه : قرت عينك (أى سررت بحضور فلان) فيقول : قرت عينك

بينيك ، وعند لقاءهم يقبل الأصغر أنف أو جبهة الأكبر أو كتفه ، وعادة الكتف

في البحرين والكويت ، والأنف والجبهة في نجد والبادية — أما تقبيل اليد فغير معروف إلا في الحجاز ، وقد استذكرها الاخوان والعلماء النجديون عند أول دخولهم الحجاز ، ولكنهم بعد بضع سنوات تساحوا فيها ، فأهل الحجاز الآن يقبلون يد الملك والقضاة ولا يرون في ذلك شيئاً ، وقد كان الأشراف في مكة يترفعون عن مد أيديهم للناس للتقبيل ، فيكتفي الناس بلثم طرف الثوب

والغالب أن يدعو أصدقاء القادم صديقهم إلى دعوة عشاء أو غداء أو على القهوة بعد المغرب مع جمع من أصدقائه ، وعادة الدعوة للقهوة تجدها بكثرة عند أهل نجد أيما حلوا في الكويت أو البحرين أو الهند

ومن عادة الأمراء زيارة العائلات الكبيرة في رمضان ، وقد كانت العادة في الكويت والبحرين حضور الشيخ أو أحد أبنائه المقدمين على رأس الأهالي عند إتمام بناء السفينة الكبيرة وإنزالها إلى البحر ، كما يجرى أمثال ذلك في أوروبا وأمريكا ، وقد ماتت هذه العادة من البحرين والكويت ، وأصبحت مقتصرة على الأهالي يعين بعضهم بعضاً عند إنزال السفينة إلى البحر

ومن طرق إكرام الضيف تقديم القهوة ، والعادة في نجد أن يُصَبَّ للضيف بضع قطرات من القهوة ثم يتكرر الصب مرة أخرى حتى يهز الضيف يده مكتفياً ، أما في البحرين والكويت والحجاز فيصب نصف الفنجان تقريباً للضيف ، والقهوة في جميع البلاد العربية تحضر بلا سكر ، والقهوة من أمارات الكرم ، تحضر أمام الضيف في نجد والبادية ، وفي بعض البيوت الكويتية التي تمت بنسب إلى نجد ، كما جرت العادة أن يتناول الفنجان الأول صاحب البيت إن كان هو المتولى لخدمة ضيوفه ، أو الخادم المتولى للصب ؛ فهل هذا للتحقق من أن القهوة محضرة تحضيراً لا عيب فيه من حرق ، أو لا يزال ينقصها شيء من حب الهال أو الزعفران ، أو أن ذلك من بقايا العوائد القديمة : عوائد الاغتيل ؟ إنى أرجح الاحتمال الأول ؛

فان العرب معروفون باحترام الضيف ومراعاته والدفاع عنه
والغالب في الضيافات أن يُرْسَ الضيوف بماء الورد والبخور من قبيل زيادة
الإكرام ، وإذا أخضر للضيف ماء الورد وبخور العود فلا يجوز المكث بعد ذلك ،
فمن قبيل الأمثال الدارجة على ألسنتهم : ما بَعَدَ العود من قعود ؛ ويطلقون على
المِرش : قُعْمَم (تركية أو فارسية) إشارة للضيف : قم ولا تجلس ؛ ولذا فإن أكثر
المضيفين يؤخرون الورد والبخور حتى يهيم الضيف بالانصراف من قبل نفسه ، وفي
بعض الأحيان يقدمون الورد والبخور قبل الأكل ليتروا للضيف حرية البقاء
أو الانصراف بعد الفراغ من الطعام ، ومن العادات الإسلامية التي لا يزال النجديون
محافظين عليها الانصراف بعد الأكل بقليل : « فاذا طعمتم فانتشروا »

والدعوة على شرب القهوة كاللدعوة على شرب الشاي في البلاد المتعدنة ،
ولا شيء ينال من إحساس العربي أكثر من إهانة الضيف ، ولقد رأيت الملك
عبد العزيز المعروف بسعة الصدر والحلم ينقلب إلى رجل آخر عند ما علم أن ضيوفه
قد أهينوا من رجاله المنوط بهم إسكان الضيوف وخدمتهم وتوفير أسباب الراحة
لهم ، ولطرافتها نورد بعضها :

في صيف سنة ١٣٤٤ هـ — أغسطس سنة ١٩٢٥ م كنت جالساً في حضرة
السلطان عبد العزيز (الملك عبد العزيز) في مكة في قصره في المعابدة (المعروف
ببيت السَّقَاف) ، وكان من عادته أن يجلس على شرفة داخل البيت ، ويشرف
على الطريق بوساطة نافذة كبيرة ليرى الغادي والرائح ، فمر رجل بدوى حاول
أن يتكلم معه فنهره ، فقال الرجل : لعلّي لم أذنب يا محفوظ ، لعلّي لم أخطئ ، لقد
بت من غير عشاء ، فنالت هذه الكلمة الجهة الحساسة منه ، فناداه : ما بالك أيها
الرجل ! أدخلوه ، فلما حضر أمام عظمته قص قصته بالتفصيل : من أنه وصل إلى
مكة بعد الغروب بساعتين ، ثم طلب ولو تمراً يدفع به غائلة الجوع فلم يسعفه أحد ؛

فنادى عظمة السلطان القائم بأمر المضيف والمشرفين عليه ، وهما : إبراهيم بن جُمَيْعَة وابن إدريس ، واثارت ثأرتة حينما رأها ، ثم أخذ يوسعهما ضرباً بنفسه حتى كادا يهلكان ، ثم أوقفهما عن الخدمة بضعة أيام ردهما بعدها إلى الخدمة بعد توسط بعض المقرين

وفي شتاء سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م كان جلالته في الصيد ، وكنت معه فما راغنا بعد الغروب إلا زئير جلالته وأمره بضرب الطباخ نَصَار ، والشويعر المشرف على المضيف والمطبخ ، فسألت عن جلية الخبر ، فإذا بعض الضيوف يشكو من قلة الطعام ، وأنه أرز من غير سمن ولا لحم ، فسألت ماذا يضر هؤلاء لو أكثروا للضيوف الأرز واللحم إن الخير كثير . فقال لى صاحبي : ليست هذه أول فعلة لنصار وزميله ، لأن العادة الجارية أن ما يبقى من الزاد قل أو أكثر بعد انتهاء الصيد سيكون من نصيبهما ، فمن مصلحتهما التقدير على الضيوف ليكون لهما النصيب الأوفر

ولما حضرنا إلى مجلس الملك ، وكان ولي عهده الأمير سعود هورئيس الركب أخذ جلالة الملك يعطيه درساً من أنفوس الدروس في المراقبة والملاحظة وعدم الاعتماد على الخدم ، ثم أخذ يقص علينا درساً تاريخياً فيما أصاب أعمامه من تركهم الحبل على الغارب للخدم الذين لم يكونوا يراعون مرا كز الناس ومشايخ القبائل ، حتى انفض الناس من حولهم

وقد اقترح الغاء هذه العادة ورد مابقى من الزاد إلى المخزن ، وبذلك نستأصل شأفة العلة ، ولكن العادات ليس من السهل الغاؤها

الأكل

والعادة في الأكل أن تقدم قصعة واحدة أو عدة قصعات إذا كان العدد كبيراً ، ويحيط عدد قليل أو كثير بالقصعة بدون تفاوت في منازلهم ، فالملك والشيخ والوزير والخدم يأكلون جميعاً بأيديهم من قصعة واحدة ، ولا يرى الملك غصاصة في أن يكون بجواره من هو أدنى منه ، لأن الجميع من آدم وآدم من تراب والعادة أن الإنسان إذا شبع يكف عن الأكل ، ولا يقوم حتى يقوم الجميع مرة واحدة ، فإذا قام واحد خطأ قام الجميع ، ويعدون بقاء البعض بعد قيام بعض الآكلين من الشره ، وقد أبطل الملك عبد العزيز هذه العادة ، فأتاح لمن شبع أن يقوم إذا أراد ، ولكن لا يزال للعادة أثرها في كثير من أنحاء نجد

والنساء في العادة لا يأكلن مع الرجال بل يأكلن على حدة ، ومن العيوب العظيمة أن تأكل المرأة مع زوجها أو الأم مع أولادها الذكور الكبار ، أما الأطفال الصغار فيأكلون مع أيهم أو أمهم ، ولكن إذا كبرت البنات انفصلن في الأكل عن أيهن وصرن يأكلن مع أمهن فقط ، وهذه العادة ليست خاصة بنجد ، بل الكويت والبحرين وعمان وبادية الحجاز مثل نجد في ذلك ، أما المدن الحجازية فإنها لا تمسك بهذه العادة إلا في البيوت التي يمت أهلها بصلة إلى نجد

والعادة في الأكل أن لا يجهز بكمية تناسب الآكلين ، فالبيت الذي يضم ثلاثة أنفار يحضر الطعام فيه خمسة أو ستة احتياطاً للطوارئ ، فإذا لم يحضر ضيف أعطى الطعام للفقراء أو أُلقي للحيوانات

وطريقة تحضير الطعام تختلف في نجد والحجاز وسواحل الخليج الفارسي ، فكل جهة تقتبس من الجهات القريبة منها طريقة تحضير الطبخ : ففي القصيم نجد أثر الطبخ السوري ولا سيما الحلويات ، وفي الكويت ترى طريقة الطبخ

البصرى ، وفي البحرين أثر الطبخ الهندي والفارسي ، وفي الرياض أثر الطبخ
الكويتي ، وفي الحجاز أثر الطبخ الشرقي على اختلاف أنواعه ، على أن لكل
بلد أصنافاً خاصة تفضلها عن سواها

والطعام الغالب في البادية التمر واللبن والأرز واللحم في بعض أيام من الأسبوع ،
أما في المدن فالطعام الرئيسي الأرز واللحم والسمك والرؤبيان في الجهات الساحلية ،
وفي أواسط بلاد العرب يستعمل الجريش (البرغل) بجانب الأرز



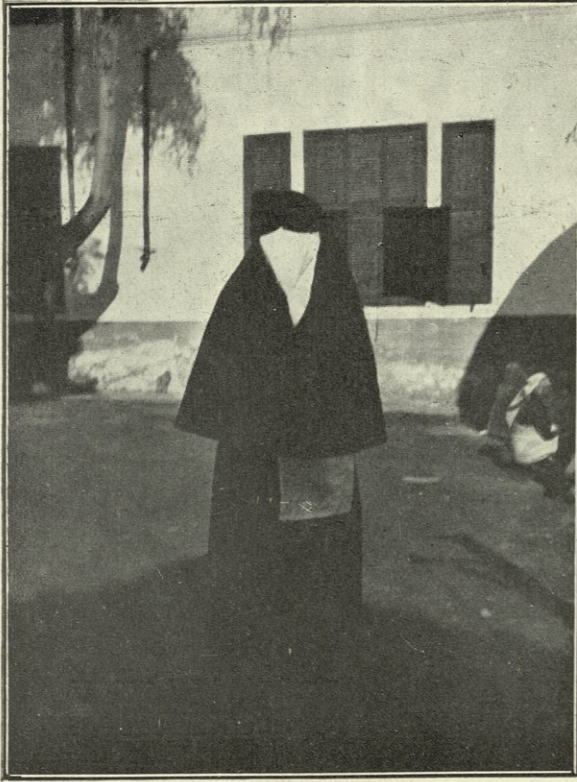
المرأة في بلاد العرب

المرأة على العموم في بلاد العرب غير متعلمة التعليم المعروف في البلاد الأوروبية وبعض البلاد الشرقية ، ولكنهن في الغالب يتعلمن في صغرهن قراءة القرآن وشئون المنزل ، أما الكتابة فلا تعرف إلا نادراً ، وتعد من العيوب النسائية في بلاد العرب ، ولقد قامت قيامة أهل الزبير وبعض البصريين حينما اعتزمت حكومة العراق فتح مدرسة للبنات في البصرة ، فعدوا ذلك من أعظم المنكرات ، ولكن الحكومة العراقية مضت في سبيلها ولم تأبه لشأن المعترضين ، ويذكرنا ذلك بالحملة الشديدة التي قام بها المصريون ضد قاسم بك أمين عندما نشر كتابه تحرير المرأة . والمرأة في الحاضرة تمتاز عن امرأة البادية بالحجاب الكثيف ، فالنساء يمدحن بملازمتن البيوت وقلة خروجهن منها إلا لضرورة قصوى كزيارة الأقارب وعيادة المرضى ، ولا يكون ذلك غالباً إلا في الليل ، ومن المفخر عندهم أن المرأة بعد زواجها لا تخرج من بيت زوجها إلا للقبر . أما في البادية فليس هنالك إلا أثر ضعيف للحجاب ، والبدوية تشارك الرجل في كل شيء حتى في الغزو ؛ فهي تقوم بقسط وافر ، وتجد البدوي يصحب نساءه ويتأبطهن في الحاضرة كما يفعل الغربيون ؛ فتجد البدوية والبدوية في أسواق الكويت والحجاز يشتركن في الشراء وفي البيع وفي المشى بدون أن يكون عنده أدنى اكتراث ، بخلاف الحضري فإنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ، والمرأة في بعض حواضر عمان تشتغل بالبيع وتقابل الضيوف إذا كان زوجها غائباً ، ولكن سائر العرب يعيرون ذلك على أهل عمان . والمرأة في الحاضرة لا يكاد يكون لها رأى حتى في الزواج ، فأهلها يوافقون على الزوج وهي تخبر به على سبيل الإخبار فقط ، وليس لها حق الاعتراض وإن اعترضت فلا يسمع لها رأى

والغالب في الزواج التبكير في الرجل والمرأة: تنزوج البنت إذا بلغت ١٣ — ١٤ ، والولد في ١٥ — ١٦ . ومن أنواع الزواج الشائعة إجبار بنت العم على الزواج بابن عمها ، وليس لها أن تنزوج بأجنبي إلا إذا أذن ابن العم لها بذلك ، وقد يحدث النزاع بين أبناء العم أيهم أولى بالزواج . ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن برؤية الزوجة قبل الزواج ؛ فان هذا الاذن لا يعرف مطلقاً في بلاد العرب ، فالزواج يتم بدون أن يرى الزوج زوجته إلا ليلة الزفاف أما في البادية فالأغلب أن الزوج يكون له سابق معرفة بالزوجة ؛ لأن الحجاب في البادية رقيق وشأنه ليس كشأن الحاضرة

والعادة في الزواج بعد قبول ولي الزوجة الزوج أن يرسل الزوج مبلغاً من النقود قد يكون مائتي ريال أو أكثر ، وبضعة ثياب غير مخيطة إلى بيت الزوجة ويسمى عندهم (بالذرة) أي الدمغة أو المقدمة ، وهذه الذرة تعرض في بيت الزوجة ليراها أقاربها وأصدقاؤها ، ويتفخرون إن كانت تستحق الافتخار ، وهذه العادة معروفة في نجد وسواحل خليج فارس وبادية الحجاز ، ثم بعد ذلك يتفق على يوم الدخول ، فيعقد العقد قبل يوم الدخول ، فإذا كان اليوم المتفق عليه أعلن الزوج ذلك ودعا أصحابه وأصدقائه إلى بيته أو بيت أحد أصدقائه أو المسجد ومن هنالك يذهب الجميع — الزوج يحيط به أصدقاؤه — إلى بيت الزوجة حيث تعد هنالك حجرة فرشت بوثير الفراش وزينت أرضها بالزرابى الفاخرة ، ويدخلون بيت الزوجة في وسط صفوف من النساء يحمين الزوج ومن معه بالهلاليل^(١) ، وقد يكون بعض المغنيات ؛ وهذا في غير نجد) وبعد بضع دقائق من إقامتهم في الحجرة يطاف عليهم بماء الورد وبخور العود والند ، ثم ينصرفون ويبقى الزوج وحده في الحجرة ، وبعد بضع دقائق تحضر الزوجة محوطة بأقاربها وتقدم إلى الزوج

(١) الزغاريد



زى من أزياء النساء فى مكة

ا
ل
ب
ي
و
ف
ي
ش
ا
ز
ر

وفي ثاني يوم يقدم الزوج للزوجة هدية من الهدايا تقوداً أو غيرها ، ويمكث الزوج في بيت الزوجة سبعة أيام إن كانت بكرًا وثلاثًا إن كانت ثيبًا ، ثم تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج حيث يكون قد أعد فرشه وتحضيره

ولا يكاد يختلف الزواج في البادية عن الحضرة إلا في المهور ، فالمهر الذي يتفاخر به في البادية هو قطعة أو قطعتان من السجاد وجمل اسجَح (أبيض) ومائة أو مائتان من الريالات ، وهذا أحر مهر في البادية

وقد حدد جلالة الملك عبد العزيز المهر في نجد بمائة ريال حتى يسهل الزواج للناس ، وإذا كان الزوج غنيًا استطاع أن يهدي زوجته ما يشاء

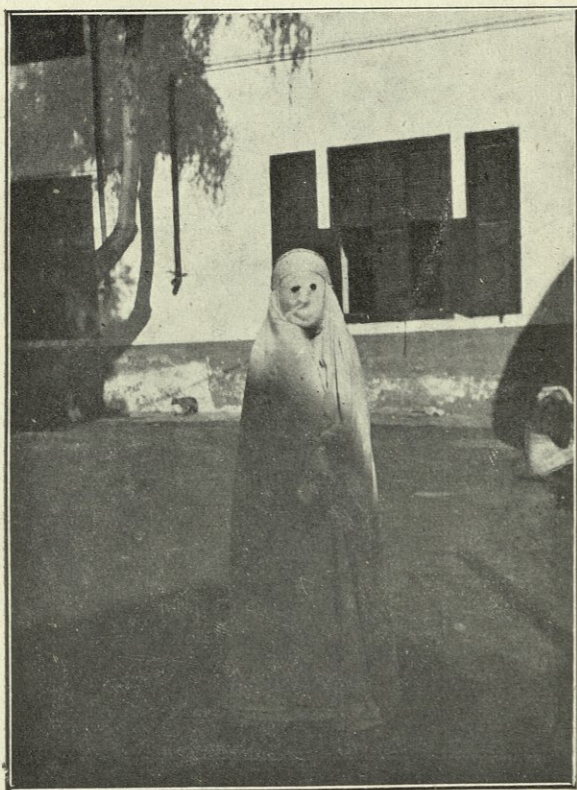
أما في الحجاز : ففي المدينة إذا رغب فتى في الاقتران بفتاة اتفق أهلها مع أهلها ، ثم تذهب أسرة الزوج إلى منزل آل العروس ، فيقوم خطيب من قبل الأولين بخطبًا نثرية وشعرية يعدد فيها مفاخر الزوجة ، ويعرض فيها باسمها ، ثم يقوم خطيب من قبل المخطوبة ، فيعدد مآثر الزوج ومفاخر أسرته ، ثم يقبض المهر الذي يستحضر في صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر وقيمة الجارية التي يشتريها والد الزوج لتخدم الزوجة ، ويقدم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشغولة بالفضة والتلّ قد تتجاوز قيمتها مائة جنيه ، وقد يبالغون في التكلفة (حزام اللباس) حتى لقد يساوى ثمنها عشرين جنيهًا ، والغالب ألا يكون يوم الدخول قبل سنة من هذه الحفلة ، ويشترط بعض الزوجات في المهر شيشة مرصعة بالفضة والذهب ، وتقام وليمة في منزل الزوج يوم نقل الجهاز يدعى إليها أقارب العروسين والأصحاب ، ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجهاز ، وتزف العروس وقت السحر إلى منزل زوجها ، وحين تصل تزف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء سافرات يحملن الشموع ، ثم يدخل بها الخدع ، فإذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج إلى منزل العروس ليتغذى فيه

ثم يرجع إلى زوجته ، ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد سنة ، وربما تساهلوا إلى ستة أشهر ، وتقام ولائم للرجال وللنساء ليلة الزفاف وليلتين قبلها وليلة بعدها ، وقد أبطلت بعض هذه العوائد في السنوات الأخيرة

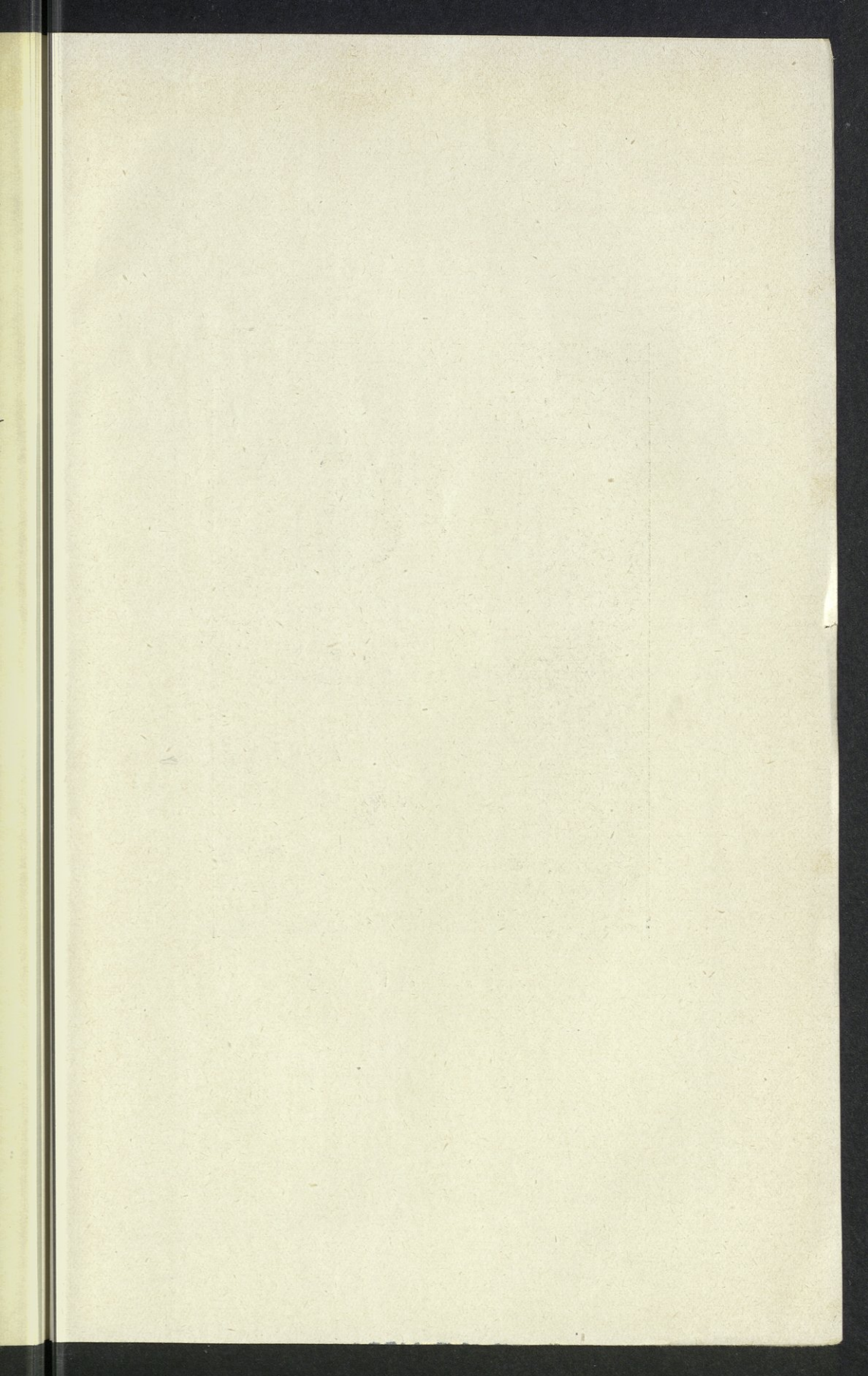
وتعدد الزوجات والتسرى منتشر كثيراً في بلاد العرب بين الأغنياء والأحرار أما الفقراء فخالتم لا تساعد على تعدد الزوجات ولا على تغيير الزوجة ؛ ولذا فإن الخصومات العائلية لا يكاد يكون لها أثر في بيوت الفقراء ، والزوجة تقوم بنصيحتها من الخدمة المنزلية ، وإذا سألت زوجة الفقير عما تتمناه في حياتها قالت : أن يبقى زوجي فقيراً كما هو حتى نعيش سعداء ، لأنه إذا استغنى فأول ما يفكر فيه هو الزواج ؛ والغالب أن يخصص المتزوج بأكثر من واحدة لكل واحدة بيتاً ويساوى بينهما في جميع الحقوق ، فيبيت عند كل واحدة ليلة ، ويكسوهن في موسم واحد إلى غير ذلك من الواجبات المنزلية ، والمرأة قلما تعترض على هذا الزواج وإن كانت تحقد على ذلك بطبيعة فطرتها ، ولكنها تفهم أن هذا حق من حقوق الزوج يستعمله

والطلاق كثير الانتشار في البلاد العربية بين الأمراء والأغنياء فقط ، أما الفقراء فأكثرهم يحافظ على زوجة واحدة يقنع بها ويعيشان معاً في ظل السعادة والهناء . وقد يطلق الرجل امرأته فتتزوج من أخيه ، وقد يطلقها هذا فترجع إلى زوجها الأول ، وأمراء العرب وشيوخ البادية على العموم كثير و الزواج سريعو الطلاق

ويجب أن نذكر هنا بمزيد الاجلال اولئك النسوة اللاتي اشتهرن بالعقل والحكمة وسداد الرأي ، وكان لهن دور عظيم في بناء الملك وسياسة الدولة ، فمن أولئك زوجة الامام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ، فهي التي كان لها الفضل الأول في التقارب بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الامام محمد بن



زي من أرياء النساء في مكة



سعود ، وتحبيب الدعوة الدينية إليه ، وإليها يرجع الفضل أيضاً في تثبيت محمد بن سعود وتقوية عزيمته عند اشتداد الكروب وتألب الخصوم والأعداء ، وتدكرنا هذه السيدة بأمثالها من نساء العصر الأول في إحياء العزائم وإذكاء النشاط والحماسة وإن شأن المرأة في نجد خير منه في الكويت والبحرين ، فقد بلغ الامتهان بالمرأة في هاتين البلدين أنه إذا ورد ذكرها في الحديث قالوا : اكرمك الله أو يكرم من سمع كما لو تحدثوا عن حيوان ، وقد يبلغ الجهل ببعضهم فيقول : أمي أكرمك الله ، كأن أمه شيء خبيث ، على أن هذه العادة قد أخذت تتلاشى ، فالأولاد المتعلمون لا يستعملون هذه الألفاظ

والمرأة في بلاد العرب على العموم إذا أنس أهلها خلاً في سيرتها فلا يصلح هذا الخلل إلا التخلص من حياتها ، والحاكم لا يرى من حقه التحقيق في هذا الموضوع ، بل يفرض دائماً أن الأقارب محقون في عملهم ، أما الولد فلا يصيبه شيء من الجزاء ، غير أن الشريعة كفيلاً بجزاء الخطي في الحالتين في البلاد التي يسودها سلطان الملك عبد العزيز

ويجب أن نقرر هنا أن ما يجري في البلاد العربية من معاملة النساء في الزواج والطلاق والميراث أكثره متأثر بالعوائد أكثر من تأثير الدين ، فالدين الإسلامي قد أعلى شأن المرأة وجعلها مساوية للرجل في كثير من الحقوق في الوقت الذي حرمت فيه المرأة من كثير من حقوقها في الديانات الأخرى ، ولقد نقل إلينا كثير من أحكام الدين ؛ كما نقل كثير من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المنزلية بوساطة زوجاته ، ولقد نبغ كثير من النساء في القرون الأولى والمتوسطة في البلاد الإسلامية الشرقية والبلاد الأندلسية ، ولكن لما أصاب الانحلال الخلق والدينى المسلمين سرى هذا الانحلال إلى المرأة أيضاً وإلى حقوقها المقررة في الشريعة

الطب في بلاد العرب

لا يزال الاعتماد في بلاد العرب وسواحل خليج فارس العربية على الطب القديم وتجارب الجربين ، ويرجع الفضل في إيجاد الأطباء الحديثين في بلاد العرب إلى الأمريكان ، والانجليز في البصرة وخليج فارس ، وإلى الأتراك في الحجاز واليمن والاحساء ، ولذلك عبد العزيز في نجد ، كما يرجع الفضل للحكومة البريطانية والتركية في إيجاد نظام الكورتيينات في جميع السواحل العربية لوقاية السكان من الأمراض الفتاكة وحصر المرض في دائرة ضيقة ، ومع ذلك فالعرب على العموم لم يقبلوا على التطيب الحديث إلا في الجراحة فقط ، وهذا من نحو عشرين سنة فقط . أما في الأمراض الباطنية فلا يكادون يعترفون بفضل الطب الحديث ، ولا يزال القسم الأكبر منهم يعتمد على الأعشاب وعلى معالجات ابن سينا وتلاميذه

وقد كان ولا يزال كثيرون يحترفون التطيب العربي ، وكان منهم رجال مشهورون بإخراج العظام المكسورة وتركيب عظام غيرها بدون استعمال البنج بالطبع ، وهم يستعملون السكي^(١) في كثير من الأمراض ، ولا سيما الكلب ، وفي الإصابة بالرماح يستعملون نوعاً خاصاً من السكي ، وهو أن تحفر حفرة صغيرة ثم تشعل فيها النار ، حتى إذا خفت حرارة النار وضعوا العضو المصاب داخل الحفرة بطريقة خاصة ، وهي وإن كانت من العمليات الشاقة ؛ إلا أنها في الغالب يعقبها الشفاء

(١) غير أنهم يفرطون في استعماله فهم يكادون يستعملونه في كل مرض ؛ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الاباحة والنهي عنه فينهي عنه إذا أمكن التداوى بغيره وإذا لم يمكن التداوى فيباح

وهناك نوع خاص من تطيب الحيوانات في البادية : فأولها العزل ، وهو يستعمل في الخيل والجمال فإذا أصيبت ببعض الأمراض القتالة المعديّة عزلوا السليم إلى أما كن بعيدة ، وهذا نوع من الكُرْتِينَة الفظرية ، وهناك مرض يصيب الغنم يسمونه (أبو رُمح) يسعل الحيوان ثم يموت سريعاً ، فالبدو يذبجون الحيوان الميت ويجمفون رثتيه ، ثم يأخذون من الرثة المحففة قطعة صغيرة ويشربون بالمشرب أذن الحيوانات السليمة ، ثم يضعون قطعة مما أخذوه فوق الأذن فتسلم الحيوانات من العدوى ، وهذا معروف في كل البادية تقريباً ، وهناك مرض فتاك يسمى (الفاقوش) يصيب الخيول ولا دواء لها إلا عزل الخيول الصحيحة في أما كن بعيدة ، أما التلقيح ضد الجدري فقد انتشر كثيراً في البحرين والكويت والاحساء وقد أخذ ينتشر في السنين الأخيرة في نجد والحجاز ، ويرجع الفضل في انتشاره في داخلية نجد للمجهودات التي يبذلها الملك عبد العزيز ، وقد كان للعلماء مباحث طويلة فيه ، وفي أنواع التلقيح ضد الطاعون والسكوليرا وغيرها ، هل هي جائزة أو غير جائزة ، ولا يفهم من هذا أن هذه المباحث كانت من علماء نجد فقط ؛ بل إن علماء البحرين والاحساء ومصر كان لهم مجادلات طويلة في هذا الموضوع ، ولم يقبل أهل عمان وضع كُرْتِينَة عندهم وقاية من القادمين من البصرة حين انتشار السكوليرا ، ولم يقبل أكثرهم التطعيم من الجدري وقت انتشاره ، ولا تزال هذه الأمراض تفتك بالسكان الجهلاء من وقت لآخر

ومن البدهاة في بلاد واسعة كجزيرة العرب لم ينتشر فيها ذبوع الطب الحديث أن يسود سوق التجارب وفيها المفيد النافع والضار الذي لا تؤمن مغبته ، فمن الأدوية الشائعة للأمراض المستعصية ، ولا سيما الأمراض العصبية كتابة سورة من القرآن في صحن ثم محو الكتابة بماء الورد ثم سقيها للمريض ، وفي البحرين والكويت يتخذ بعض الأفاقين هذا النوع من التداوى تجارة رابحة ، ومن

الأدوية الشائعة فيها لكثير من الأمراض حتى للقروح المستعصية أن يذهب أحد أقرباء المريض ومعه فنجان مملوء بالماء أو السمن ، ثم يقف على باب المسجد لينفث فيه كل المصلين عند خروجهم من المسجد ، فمنهم من ينفث بلا قراءة ، ومنهم من ينفث بعد قراءة ما يريد من قرآن أو دعاء . وقد كانوا ولا يزالون ينهون عن تنظيف العين المصابة بالرمد الصديدي الذي يسمى « أبو طَبِيق » ، ويكتفون بمنع الطفل المريض من بعض المأكول ، وقد كانت النتيجة إصابة الكثير بالعمى أو غيره من الأمراض

وربما كان لأول مرة وصفت لأحد المرضى بالكويت سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) الغسل المتكرر بالبوريك ، فكانت النتيجة شفاء الطفل بعد أيام قليلة ، فكثرت استعمال البوريك بعد هذه الحادثة في الكويت . على أن للبعثات الأمريكية والانجليزية في البحرين والكويت والبصرة وسائر السواحل العربية فضلاً كثيراً في تحبيب الطب الحديث إلى الناس ؛ ولكن هذه البعثات بما يحيط بأعمالها من أغراض دينية جعل الناس يتعدون عنها ، وجعل فريقاً من الناس يتهمونهم بالغش للعداوة الدينية المتأصلة . ويداوون مرضى الأطفال بالحصبة بحجزهم في حُجْر مظلمة لا تدخلها الشمس ، وحمية الأطفال حمية تامة عن جميع المأكول . ويداوون اليرقان الذي يسمونه « أبو صُفَيْر » بالسكى في أصابع اليد والرجل . ومن العقائد الشائعة في البلاد العربية أن الجروح تشم أو تتأثر بالروائح العطرية فتنتفخ وتؤذى المريض ، ولذا فالجرحي يضعون قطعة من الحلتيت في خرقة يسدون بها أنوفهم حتى لا يشموا أو حتى لا يتأثر الجرح بالروائح الطيبة

ومن الشائع أيضاً أن لحم بقر الوحش يخرج الرصاص من الجروح ، فاذا أصيب أحد برصاصة في حرب واستعصى عليه إخراجها ، أكل قطعة من لحم بقر الوحش اعتقاداً منه بأنها هي الدواء الوحيد لإخراج الرصاص من الجرح ، ولذا فن أفر

الهدايا أن تقدم بقرة وحش ، وما أقلها في بلاد العرب مقددة إلى أحد الأمراء لأن ذلك يقوم مقام مستشفى كبير للجراحة

ومن الأدوية الشائعة المعروفة عندهم أن أكل المرارة سبعة أيام على الريق يشفي من الدمل ، وفي بلاد العرب استعمال المعاجين لا كتساب الشيخ نشاط الشباب ؛ ولذا فإذا ما قدم أحد من الهند أو من السواحل أو قدم أحد الأطباء لزيارة السواحل العربية ، كان أكثر ما يلقي عليه من الأسئلة ، وما ينهال عليه من الطلبات هو هذا الدواء

ومما يناسب ذكره في هذا الموضوع قصتان وقعتا على شخص الملك ابن السعود : الأولى في أواخر سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٢ ، والثانية بعد الأولى ببضعة أشهر : أصيب الملك ابن السعود بدمل صغير في شفته ، ولما أهملت العناية بهذا الجرح الصغير حصل تقيح شديد في الجرح ، وسبب حمى شديدة كادت تؤدي بحياة الرجل ، فاستعملوا له كل أنواع العلاج المستعملة في نجد من كي وغيره ، فكانت الحالة تزداد كل يوم خطراً ، فدعى الطبيب الأمريكي من البحرين الدكتور (ديم) فعمل له عملية جراحية بسيطة شفى بعدها بعد أسبوعين ، فكان هذا خير شاهد لفضل الطب الحديث

الحادثة الثانية : أصيب جلالة الملك بـمد حاد ، فبعد أن طال علاجه على يد الطبيب ، اقتنع بالعلاج المحلي الذي كانت عاقبته ظهور قرحة في العين ، غير أن الطب الحديث أصلح ما أفسد العلاج المحلي^(١) ، فعاد للعين شيء من قوتها ونورها وبعض أمراء العرب وشيوخهم لم المام بالطب الباطني القديم ، فاكل واحد منهم مستحضرات خاصة يستعملها لنفسه ويشير بها على أصدقائه ومحبيه . وقد

(١) ويجب أن نذكر بمزيد الافتخار المهارة التي أبدتها أحد الأطباء المصريين الدكتور سالم هنداوى بك ، فلهارته الفضل الأكبر في نجاح العملية

كان المرحوم الامام عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز ملماً بكثير من المعارف الطبية المستمدة من قانون ابن سينا وتذكرة داود وأشباهاها ، وقد كان يرجع إليه في بعض الأمراض فيصف لها ما يعرفه من الدواء ، وقد ورث عنه جلالة الملك عبد العزيز بعض هذه المعارف ، كما ورث عنه بعض هذه الصفات ، فهناك وصفة يستعملها الملك عبد العزيز على الريق حضراً وسفراً ، وهي مزيج من خشب العود والصبر والمصطكا تمزج بالتساوي

ومن لطائف الطب التجربي القصة التالية الشائعة في البحرين ، ولعلها مختلقة للدلالة على بساطة أهل البحرين : كان يسكن جزيرة المحرق رجل مريض مصاب بالدوسنتاريا المزمنة حتى يؤس منه أهله وبنوه ولم يفكروا في عرضه على الطبيب لأنهم ممن لا يؤمن بفائدة الطب ولا علاج الطبيب . طلب هذا الشيخ من ولده وقد كان ملاحاً أن يصحبه في سفينته ليستنشق الهواء ويودع هذا العالم . وصلت السفينة المنامة وهناك ترك الولد السفينة وفيها والده لقضاء حاجة في السوق ، وفي أثناء غيابه حضر عبد من عبيد شيوخ البحرين المعينين للسخرة ، فسأل الشيخ المسن عن البحار لأن لديه قتيلاً (برسياً) فأخبره الوالد بأن صاحب السفينة في السوق ، فاستكثر العبد هذا الجواب ، فنزل عليه بالعصا بدون رحمة ولا شفقة ، فقفز الرجل من شدة الألم إلى البحر وبقى في البحر حتى جاء ابنه الذي نقل البرسيم في سفينته إلى الجزيرة الثانية ونقل والده أيضاً إلى البيت ، فأما الوالد فقد شفي بعد هذه العملية من مرضه ؛ فاعتقد أن ظروف الحادثة هي التي شفته من مرضه المستعصي ، وصار يصف لكل مريض مصاب بالدوسنتاريا أن يذهب في السفينة ويجرى عليه ماجرى عليه

وقد أخبرني عليّ الفهد الخالد من كبار أهل الكويت . أن رجله أصيبت بقرحة استعصت على الدكتور « بنيت » الطبيب الامريكاني بالبصرة وأشار عليه

بقطعها ، فذهب إلى مزرعته بالبصرة يسوده الحزن والغم على هذه المصيبة ، فلما رآته إحدى الفلاحات استكشفت أمره وهي تعهده مرحاً فرحاً ، فأخبرها بأمره وبأمر الطبيب وبأن حياته في خطر ، فقالت : لا تحزن لقد جرّبت الطبيب نحو شهرين أفلا تجرب دوائى أسبوعاً ، فبعد تردد قبل فحضرت له مرهماً من مختلف الأعشاب ، ولم كانت دهشته حين شفى تماماً بعد أسبوعين ، وقد عرض أمره على الدكتور بنيت فوجد القرحة قد زالت تماماً ولم يبق أى أثر للتقيح ، وأخبرنى المذكور أن الدكتور حاول أن يتعرف الأعشاب المذكورة ليختبرها علمياً وعرض جائزة كبيرة على المرأة فلم تبح له بسرّها

وهناك نوع من الطب له صفة التقديس ، وهو ما يسمى بالطب النبوى ، فقد ورد في البخارى وغيره من كتب الحديث بعض الأدوية التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعملها أو يوصى باستعمالها ، فأخذت هذه الصفات صفة التقديس ، وكثير من هذه الصفات لا تنكر فائدتها ، ولا يزال الطب الحديث يأخذ بقسم منها . ولقد تكلم العلامة ابن خلدون على الطب النبوى فى مقدمته فقال : وللبادية من أهل العمران طب يبنونه فى غالب الأمر على تجربة مقصورة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحى وعجائزه ، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على فائدته طبيعى ولا على موافقة المزاج ، وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون : مثل الحارث بن كلدة وغيره ، والطب المنقول فى الشرعيات من هذا القبيل ، وليس عن الوحى فى شىء ، وإنما هو أمر كان عادياً عند العرب ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث لتعليمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات ، وقد وقع له فى شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فلا ينبغي أن يحمل شىء من الطب الذى وقع فى الأحاديث الصحيحة على أنه مشروع ، فليس هنالك ما يدل عليه ، اللهم

إلا إذا استعمل على جهة التبرك ، فيكون له أثر عظيم في النفع ، فيكون من آثار الإيمان وليس من الطب المزاجي

ورأى ابن خلدون وإن كان يجد له أنصاراً ممن ضربوا بسهم في العلوم الطبية الحديثة ؛ فإن أنصاره قليلون في جزيرة العرب

وإن سنة ١٣٤٢ هـ سنة ١٩٢٣ م تعتبر فتحاً جديداً للطب الحديث في جزيرة العرب ؛ ففي هذه السنة عين الملك عبد العزيز أحد الأطباء السوريين طبيباً خاصاً له وللقصر أيضاً ، ولما تم لجلالته فتح الحجاز في سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م نظم الإدارة الطبية فيها على أحدث الطرق ، وجعل شعباً في نجد والاحساء وعسير فضلاً عن مدن الحجاز المهمة ، وهي تقوم بمهمتها خير قيام حسب ما تسمح به موارد البلاد المادية ، وإذا كنا نأسف لانحطاط المستوى العلمي الطبي في البلاد العربية فلا يجب أن ننسى فضل العرب وما قدموه للعالم في فن الطب والعلاج ، وما أسسوه من مستشفيات لمختلف الأمراض في بغداد والشام والقاهرة والأندلس ، فلقد كانت جامعاتهم في أهم المدن العربية مرجع الطلاب الأجانب كما هي حال جامعات الغرب اليوم ، ولقد ظل الطب العربي مرجعاً للعالم مدة غير قصيرة إلى أن حلت النظريات والتجارب الحديثة محل النظريات القديمة

وإذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بقسطهم العلمي في الطب وسائر العلوم المادية فانهم لا يأتون ببدعة ، بل يعتبرون كمحبين لعهد أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن ، وقدموا للانسانية خدماً لا تنكر — إن ذلك دين في عنق العالم العربي يجب عليه وفاؤه . إن النشاط العربي والتطورات السريعة التي نراها في البلاد العربية تجعلنا متفائلين خيراً من المستقبل — فاللهم حقق الآمال

العلوم والمعارف في جزيرة العرب

إذا استثنينا بيوت بعض علماء نجد والاحساء فإننا نستطيع أن نقول: إن بلاد العرب كانت خلواً من المدارس بمعناها المعروف؛ فالأتراك لم يتركوا أثراً يذكر أثناء حكمهم في بلاد العرب من هذه الناحية، فكل مجهوداتهم انحصرت في إنشاء بعض مدارس ابتدائية صغيرة لم يكن الإقبال عليها يذكر لما كان يحوطها من الشبهات؛ ففي إقليم الاحساء الواسع لم يؤسس إلا مدرسة صغيرة بعد إعلان الدستور العثماني. وكذلك الحال في اليمن والحجاز؛ ولذا فالأمية تكاد تكون سائدة في جزيرة العرب، وربما كانت أول محاولة لتثقيف العقول والقضاء على شيء من الأمية كانت من جانب السيد محمد علي زينل رضا في الحجاز؛ فإنه في سنة ١٣٢٦ هـ وما بعدها قام بإنشاء مدرستين: إحداهما في جدة والأخرى في مكة، ومع ما وضع في طريقه من العقبات وما أحيط بمشروعه من الشكوك من الأتراك والأشراف فإن هذه المدارس قد قامت بنصيب وافر في الحجاز، وربما كانت الشببية الموجودة في الحجاز اليوم هي من غرس هذه المدارس

وهذه المدارس وإن كانت تسير في التعليم على الطريقة القديمة العتيقة التي تركز على الحفظ لا على التفكير، فإنها كانت المدارس الوحيدة في الحجاز؛ على أننا لا ننسى هنا بعض المعاهد التي أسسها الهنود في مكة والمدينة، فإنها قامت أيضاً بنصيب يذكر؛ وكل ما كان في الحجاز هو حلقات الدروس في المسجد الحرام على نظام التدريس في الأزهر قديماً، ولم يكن العلماء يلقون إلا ببعض العلوم الشرعية واللغوية

وفي سنة ١٣٣٠ هـ أسس أهل الكويت مدرسة سموها المدرسة المباركية،

لأنها أسست في عهد الشيخ مبارك الصباح ، وفي السنين الأخيرة أسست بعض مدارس أخرى ولكن فوائد هذه المدارس انحصرت في تقليل الأمية فقط وفي سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) أسس أهل البحرين مدرستين : إحداهما في جزيرة المحرق ، والأخرى في جزيرة المنامة ، وهذه المدارس كلها لا تخرج عن تعليم القراءة والكتابة ، ومبادئ النحو والحساب والجغرافيا ؛ ولقد أراد المصلحون في الكويت والبحرين والحجاز إحداث انقلاب في التعليم يرمى إلى إيجاد شبان مفكرين متنورين يصلحون أن يكونوا نواة صالحة للمستقبل ، ولكن العقبات كانت كثيرة ، وأكثرها قائم من الجامدين الذين يعتقدون أن كل جديد بدعة وكل بدعة ضلالة

لقد قام في الكويت والبحرين ضجة عظيمة من جانب العلماء على القول بكونية الأرض وحركتها ، وتعليم اللغات الأجنبية مما يذكرنا بحوادث العصور الأولى ، ولولا أن السلطة تنقص هؤلاء لأوقعوا من العقوبات بخصوصهم ما لا يقل عما وقع في القرون الوسطى في أوروبا

إن الحالة في الحجاز في أيام الشريف حسين لم تكن تختلف كثيراً عنها في أيام الأتراك ، فمع أنه وضعت أسماء كثيرة : مثل المدرسة الراقية والزراعة والحربية وغيرها من المدارس ، فإنها كانت أسماء لا تطابق الحقيقة ، وما هي إلا طلاء لا يحوى من ورائه شيئاً

في أيام الملك ابن السعود قامت حركة لا بأس بها في التعليم ولكنها أقل بكثير مما كان ينتظره الناس من رجل عظيم مثله ، على أن هذه المدارس التي أسست بالحجاز لا يشمل برنامجها أكثر من برنامج المدارس الابتدائية الأخرى ، والتعليم فيها سائر على الطرق القديمة البالية من الاعتماد على الحفظ دون التفكير

وإننا نسوق القصة التالية لتعلم مقدار الصعوبة التي يعانها الملك ابن السعود
ويعانها أى مصلح يريد النهوض بالتعليم :

فى أوائل شهر يونيو سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠ قامت خجة بين علماء الدين
النجديين ، واجتمعوا فى مكة ؛ وبعد التشاور فيما بينهم وضعوا قراراً يحتجون
فيه على إدارة المعارف فى مكة ، لأنها قررت فى برنامج التعليم أولاً تعليم
الرسم ، وثانياً تعليم اللغة الأجنبية ، وثالثاً تعليم الجغرافيا التى منها دوران
الأرض وكرويتها

ولما كان لى شىء من الأشراف على إدارة المعارف ، فقد تذاكرت مع
جلالة الملك فى الموضوع ، فرأى من الحكمة أن أجمع بكبار المشايخ وأبحث معهم
الموضوع ، فاجتمعت معهم ودار الحديث على الصورة الآتية :

حافظ : لقد أمرنى جلالة الملك أن أحضر عندكم لأشرح لكم حقيقة المسائل
التى رأيتم إلغاءها من برنامج التعليم ، إنكم تعلمون مبلغ حبي لكم لأنكم من
أنصار السنة ، الآخذين بالاجتهاد ، الرادين كل قول يخالف القرآن أو السنة
الصريحة ، ولقد مضى الزمن الذى كان قول العالم مهما كان حجة ، ولا أعتقد
أنكم تريدون منا أن نقبل كل ما تقرررون بدون مناقشة ؛ فإن ذلك لا يتفق مع
الروح التى تدعون إليها ، ولا معنى لأن نعيب على الناس اتباعهم لعلماهم من غير
حجة أو دليل ، وهنا نسير على نفس النسق

أحد المشايخ : إن ما قلته حق وصحيح ، ولكن لقد بينا للامام عبد العزيز
الأدلة والنفاسد التى تترتب على تقرير هذه العلوم . أما الرسم فهو التصوير وهو
محرم قطعاً ، وأما اللغات فإنها ذريعة للوقوف على عقائد الكفار وعلومهم الناسدة
وفى ذلك ما فيه من الخطر على عقائدنا وعلى أخلاق أبنائنا ، وأما الجغرافيا ففيها

كروية الأرض ودورانها ، والكلام على النجوم والكواكب مما أخذ به علماء اليونان وأنكره علماء السلف

حافظ : أما الرسم فليس هو التصوير لأن المقرر في المدارس الرسم أى التخطيط ، وهى معلومات أولية ، الغرض منها تعليم الأولاد الدقة ومعرفة المسافات على الخرائط ومواقع البلدان ، وهذا أمر لا شىء فيه وقد اشتغل به كثير من علماء السلف ولم يبلغ الأولاد درجة تمكنهم من التصوير ؛ لأن علم التصوير هو من العلوم العالية التى تحتاج ممارستها إلى وقت طويل ودراسة واسعة ، أما اللغات الأجنبية فقد كان كثير من الصحابة يعرفون لغات عصرهم ، ونحن فى هذا العصر أجبرتنا الحياة على مخالطة الأجانب ، فبدلاً من أن نتخذ لنا مترجمين لا تثق منهم نعلم على أولادنا ونعلمهم اللغات ، أما علوم الإفرنج : فمنها ما هو صالح يصح أن نأخذ به وتعلمه ، ومنها ما لا يتفق مع ما نعتقد فنرفضه ، وعلوم الإفرنج التى تقولون عنها قد ترجم كثير منها إلى اللغة العربية فى مصر وسوريا والعراق ، فالجهل باللغات لا يمنع الناس الاطلاع على ما كتب وترجم إلى اللغة العربية ، وإن الخوف على العقيدة الإسلامية هو رعى لها بالضعف ، لأن العقائد يجب أن تكون كالبنين المتين لا تقوى عاديات الزمن على زلزلتها ، ونحن نعتقد أن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا امتزجت بالدم وتملكت مشاعر النفس ، فإن يقوى أى شىء على زرعها

أما الجغرافيا فاننا لا نعلم الأولاد منها إلا ما يتعلق بوصف البلدان ومواقعها وحاصلاتها ، وما يهمننا منها من الوجهة التجارية والعلمية ، وما عدا ذلك من المسائل فانه لا يعلم فى المدارس على أنه عقيدة دينية يجب الأخذ بها ، بل على أنه نظرية مقررة

وهنا يحسن قبل أن أختتم كلمتى أن أقول لحضراتكم : إن مسألة سد الذريعة قد

وسعت بدرجة قضت على كل معنى مقصود منها ، فحضر انكم كما أردتم منع شيء ،
قلتم سداً للذريعة ، فما قولكم في العنب والتمر يستخرج الخمر منهما ، والحكومة
قد ضبطت في بلد الله الحرام من يصنع الخمر من هاتين الفاكهتين ، وقد وقع مثله
في عصر الصحابة ، ولم يقل أحد بقطع أشجار الكروم والنخيل

فلما رأى حضرات المشايخ أن البحث طال قالوا : لقد قررنا ما نعتقد ورفعناه
إلى الإمام ولسنا في حاجة إلى الجدل المنهى عنه شرعاً ، فإن قبل الإمام ما رأينا
فالحمد لله ، وإن خالفنا فليست هذه أول مرة يخالفنا فيها

لقد وقف جلالة الملك ابن السعود على هذه المناقشة واقنع بثاقب فكره أن
ليس لدى العلماء دليل ديني يصح الاعتماد عليه ، فلم يوافقهم على رأيهم ، واستمر
تعليم اللغات والرسم والجغرافيا كما كان

ومع شيوع الأمية في بلاد العرب فإن بعضهم يتفنن في طريقة ضبط معاملاته
أو حساباته بما يدل على ذكاء كامن أو بساطة في التفكير

لقد شاهدت في الكويت رجلاً من أهلها الأيمن يصور عملاءه (زباينه)
بصور مختلفة : يصور أحدهم جملاً ، والآخر حماراً ، والثالث فرساً ، وهو في ذلك
لا يكاد يخطئ ، وهو لو صرف بعض وقته في تعلم القراءة والكتابة لوفر على نفسه
مؤونة الاختراع . أما الآخر وهو يمت إلى العائلة الحاكمة بالكويت فقد كان
مشهوراً بالبخل والحرص ؛ ولكي يكون أميناً على تقوده من اختلاس أبنائه كان
يضع في زاوية من زوايا بيته عدداً من الخوص يساوي عدد النقود الخبئة ، ويزيد
وينقص بقدر ما ينقص أو يزيد من النقود ، فلما اكتشف أحد أبنائه هذه الحيلة
أصبح يأخذ ما يحتاج من الدراهم مع رفع عدد من الخوص مساو لها ، وقد لبث
على هذه الحال مدة إلى أن ضبطه والده يأخذ النقود ، فأخفى الخوص من الركن
إلى مكان آخر كي يأمن شر ابنه

وقد كان علماء الاحساء والبحرين ينكرون على المدارس تعليم الجغرافيا والقول
بكروية الأرض ، بل وينكرون على بعض المتعلمين قراءة الصحف السيارة ، غير
أن تقارب الأمم واختلاطها قد قضى على نفوذ هؤلاء في البحرين والكويت

علماء الدين في جزيرة العرب

ليس في جزيرة العرب علماء بالمعنى المعروف في أوروبا ، وإنما يطلق لفظ
العلماء على الدارسين لعلم الدين الملمين بمسائل الفقه الإسلامي
وفي جزيرة العرب على العموم تُطلق هذه الطبقة على نفسها طلبة العلم من
باب التواضع ، ويراد بالعلم في جزيرة العرب : التفسير ، الحديث ، الفقه ،
أصول الدين ، علم العربية ، التاريخ الإسلامي . وعلماء الدين في نجد أكثر اطلاعا
في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية من غيرهم من علماء الكويت والبحرين وعمان
وسيرتهم في القضاء والافتاء تشبه سيرة العلماء المتقدمين ، كما أن حياتهم الشخصية
في الورع والزهد تشبه سيرة علماء السلف المسلمين ، لا تأخذهم في الحق لومة لائم .
وعلماء نجد أشجع علماء جزيرة العرب ولا يزالون في سبيل الحق ، ولبعضهم وقوف
تام على أحوال البلاد المجاورة لنجد . وهم يكادون يصرفون أعمارهم في سبيل
العقيدة الإسلامية ، والرد على مخالفهم من الطوائف التي لا تهج نهجهم ، غير
أنهم في بعض الأحيان يعنون كثيراً بالرد على بعض الفرق التي انقرضت ولم يبق
لها أثر إلا في كتب العقائد

وشأن علماء نجد شأن غيرهم في هذا القرن ليسوا كطبقة الشيخ ابن عبد الوهاب
في علمهم وتبصرهم ، بل شأنهم كغيرهم من علماء الدين في البلدان الأخرى يعتمدون
في حياتهم العلمية على من سبقهم من المؤلفين ؛ ولذا فإن مؤلفاتهم ورسائلهم ليست
كرسائل الشيخ محمد وبنيه في متانة الأسلوب وحسن التصرف وكثرة المصادر التي

كان يرجع إليها ، وهم لا يدعون الاجتهاد المطلق ، فهم مقلدون للإمام أحمد وللإمام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وغيره . ولعلماء الجزيرة على العموم المقام الأول عند الأمراء ، والنفوذ العظيم في نفوس العامة ، ومع أن أكثر العلماء في جزيرة العرب أميل بطبعهم إلى الهدوء والبعد عن مظاهر الدنيا ، فإن بعضهم قد يغلو في حب الدنيا بل وقد يستعمل مركزه للثراء

وعلماء الرياض أشد علماء نجد بغضاً ومقتناً للكفار

في سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) كنت مع الشيخ عبد الله بن حسن كبير علماء نجد ورئيس القضاء الآن في زيارة للتفتيش في المدينة المنورة ، فنزلنا على ماء في وسط الطريق يدعى آبار بن حصاني ، وهناك التقينا بمستر فلي (قبل إسلامه) وكان آتياً من ينبع ، فبعد التحية دعوته للأكل معنا فعند ما جالس معنا على المائدة سألت الشيخ من هذا الرجل ؟ فقلت له : هذا فلي . فقال أهو نصراني ؟ قلت له نعم . فقال : أعوذ بالله أتقوم للنصراني وتصاحفه وتهش في وجهه وتدعوه للأكل معنا إن هذا كثير ، فلما سمع مستر فلي ذلك قام منعاً للمشاحنة ثم أخذ الشيخ يؤنّبني على عملي

فقلت : أيها الشيخ مهلاً إننا نطمع في إسلام الرجل ونريد أن نستميل قلبه ولا ننفره من الدين ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم جذب الناس إليه بخلقه الحسن ولين جانبه : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وإن الملك عبد العزيز كثيراً ما يقوم له ولغيره تأليفاً لهم ودفعاً لشركهم وكثيراً ما يدعوهم إلى مائدته ، فقال : أما القسم الأول فحسن ، وأما الثاني فالملك قد يفعل الشيء لمصلحة يراها وهو غير حجة في عمله وتصرفاته ، وكثيراً ما أنكرونا عليه هذا وأمثاله

على أني أرى من الواجب على أن أذكر أن هذا الرجل كان لي نعم الرفيق المواسي أثناء مرضي في المدينة ، لقد كان لا يرضى إلا أن يسقيني الدواء بنفسه

كما أنه كان يصرف قسطاً من وقته في تخفيف آلامى وأسقامى مما يدل على ما فطر عليه هؤلاء من الاخلاص وطيب القلب ، لا يحملون حقداً لأحد . ولا يغضبون إلا حيث يعتقدون أن منكرًا اقْتَرِفَ أو أن حقاً من حقوق الله قد ضيع أو أهمل وعلماء نجد يحرمون التصوير ودروس المنطق والفلسفة ، ولا يوجد لديهم من يعرف هذه العلوم ، وقليل من علماء نجد من يحيط بأسرار اللغة العربية وآدابها إحاطة تامة ، وقليل جداً من يعرف علوم البيان والاشتقاق أو أسرار البلاغة ، وقليل منهم المحيط بحوادث التاريخ الإسلامى أو التاريخ القديم ، فمعلوماتهم التاريخية لا تتجاوز السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، والتاريخ القديم لا يعدو علمهم فيه الطبرى وابن الأثير ، أما الاكتشافات الحديثة وما غير معالم التاريخ القديم ، فلا يكاد يعرف في جزيرة العرب كلها ، على أن هنالك روحاً جديدة في الأسرة المالكة في أبناء الملك وبعض أشقائه في اقتناء الكتب الحديثة وحب الاطلاع على المؤلفات الحديثة في التاريخ والقانون وآداب اللغة العربية

ونرى واجباً علينا أن نقول : إن الملك عبدالعزيز لولا ما يحيط به من الصعوبات من جهة استعداد شعبه لسار ببلاده خطوات واسعة في سبيل نشر الثقافة وتعميم التعليم ، وهو يفضل السير التدريجى على قدر استعداد الأمة ، ولهذه الاعتبارات فإن الحالة العلمية في الحجاز ونجد أقل مما يجب أن يكون وينتظر من ملك حكيم كالملك عبد العزيز ، ومع هذا فإن حالة العلم في الحجاز ونجد أفضل من حالة البلاد المجاورة كالكويت والبحرين وعمان واليمن . وعلماء نجد محافظون على القديم جداً ولا سيما ما يتعلق بالدين ، فهم يرون بقاء العقيدة سليمة كما وردت في الكتاب والسنة من غير حاجة إلى تأويل ، ويقولون : ليسعنا ما وسع عصر النبوة وخير القرون وترى كتبهم ورسائلهم مشحونة بالرد على الفرق التي تنجح إلى التأويل أو تطبيق النظريات الفلسفية في العقائد

ومع أن للعلم والعلماء منزلة في نفوس شيوخ العرب وعامة العرب ، فإن الشيوخ قلما يعنون بتعليم أبنائهم وثقتيفهم ، وقلما يعنون بغير الرماية والفروسية والصيد والقنص ، وبعضهم يرى طلب العلم عيباً لأن ذلك قرين الجود والجود وانتظار الصدقات . أما الإمارة فقريئة الحركة والنشاط والتفكير

والقصة التالية تروى في الكويت عن جابر الكبير جد الشيخ مبارك الصباح : فإنه حينما رأى أحد أبنائه يحضر مجالس العلم وصفه باختلال العقل لأن الإمارة لا تجتمع مع طلب العلم ، ولكن هذا الفتى الذي اشتهر أول أمره بالتقوى وحب العلماء تغير سلوكه ، فاستبدل بحلقات الدروس مجالس الأناجس والطرب ، وبالعلماء أهل الخلاعة ، فسر والده من هذا التبدل وقال : إن دم الصباح قد تغلب عليه ، فصغيرهم للكلاب وكبيرهم ل... . . . قد تكون هذه القصة موضوعة على جابر ولكنها تعبر أصدق تعبير عن خلق كثير من أبناء الشيوخ : صغارهم مولعون بتربية الكلاب ، وكبارهم مولعون بالقنص والبطالة وقديماً قال الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أى مفسده

على أن من بين شيوخ العرب قديماً وحديثاً من شذ عن هذا السبيل فاشتغل بالعلم والأدب وقرض الشعر وبرع في فنون الشرع حتى بذ علماء عصره ، ويسرنا أن ننوه هنا بما بدا في السنين الأخيرة من اهتمام بعض الشيوخ بالعباية بتعليم أولادهم . لقد أرسل بعض شيوخ الكويت والبحرين أولادهم إلى بيروت والإسكندرية للتعلم في الكلية الأمريكية وكلية فكتوريا ، كما أن جلالة الملك عبد العزيز ما زال من وقت لآخر يمدى مزيد العباية بهذا الموضوع ويستعين برأى الخبراء في أمر التربية والتعليم

الصناعات في بلاد العرب

هي الصياغة والنجارة والحدادة والحياكة والقصابة وإصلاح البنادق والبيطرة
وبعض أنواع الطبابة : كالحجامة والفصد والحكي وغير ذلك

والصناعات على اختلافها معدودة من المهن الخسيسة التي تحط بقدر صاحبها ؛
ولذا فالذين يحترفون هذه الصناعات . إما من غير العرب أو من العرب الذين
لا ينتمون إلى أصول مشهورة أو غير قبيل . ومما يدل على احتقار الصناعات
ألفاظ السباب المعروفة عند العرب (يا ابن الصانع) إذا أرادوا تحقير إنسان وسبه
بكلمة تكون مجمع السباب ، وبهذه المناسبة نذكر أن الملك ابن السعود في مجمع كبير
(وكان حانقاً على آل عايض حكام أبها السابقين لما تكرر من خيانتهم له) قال
لأحدهم هذه الكلمة ، فعند ما انصرفوا وذهبوا إلى بيوتهم ابتدرته زوجته وقالت
له : لا يمكن أن أعاشرك بعد الآن ؛ لأنك من أبناء الصانع لا من أبناء القبائل
وابن السعود لا يكذب . ولولا أن أفهمت فيما بعد أن ذلك كان عن بادرة
غضب ما أمكن أن تقتنع بالرجوع إلى بيتها

ولقد فتك عبد الكريم السعدون بعبد الله بك الصانع مدير الداخلية العراقية ،
لأن عبد الله بك — وهو من ذرية الصانع — تجاسر على الزواج بابنة أحد أبناء
السعدون الأشراف ؛ ولقد عطف جلالة الملك عبدالعزيز على موقف عائلة السعدون ،
ولو استطاع لغير موقف القضاء في هذا الموضوع الذي هزَّ أحسن ناحية في جلالته
وبهذه المناسبة أيضاً عند مذاكرتي في هذا الموضوع أخبرني المرحوم السيد
رجب النقيب (نقيب أشراف البصرة) أنه في إحدى سياحاته إلى بغداد أوصى أحد
أصدقائه بأن يتوسط له في الزواج بابنة أحد الأشراف ، فكان ذلك الصديق

يذكر له سيدة من بنات الأشراف المشهورين ببغداد كبيت باشجي وجادرجي وغيرهم ، فكان السيد يتمتع من القبول ويقول : أريد الأشراف . وما كان صديقه ليفطن لما يريد السيد ، وأخيراً قال له صديقه : لقد عرضت عليك كل أشراف بغداد فمن تريد بعد ذلك ؟ قال : أريد الأشراف ، قال : لا يوجد أشرف من هؤلاء هنا ، قال : لا ، أنت ذكرت لى أسماء الصنّاع وأنا أريد أصحاب الأنساب ، قال : ها ! لو أخبرتني بذلك لأيتيك كل يوم بأسماء عشرين بدوياً من أقدر البدو ، لقد اخترت لك أهل النظافة والمدنية والطفافة والكياسة ، أنا لا أتوسط في هذا الموضوع ، اذهب إلى السماوة أو غيرها من البادية واختر لنفسك ما تشاء وإن من له اتصال ببلاد العرب يقف على كثير من القصص التي يتمتع فيها فقراء البدو عن الزواج بأغنياء الحضرة احتجاجاً بالنسب ، فقد رفضت إحدى البدويات التزوج بابن المشري حاكم الزبير في أيام الأتراك لأنه من أبناء العبيد ولا تزال التجارة في البحرين من الحرف التي لا يصح اشتغال العربي الأصل بها ، ولذا كانت الأيدي غير العربية هي القابضة على زمام التجارة في البحرين . ومن الغريب أن العربي لا يزال يفضل رعاية الإبل والغنم والخدمة وراء الحير على البيع والشراء والصناعة أو فتح متجر للبيع والشراء ومن الصناعات المشهورة والتي يحترفها كثير من البدو والحضر غواصة اللؤلؤ ، وغواصة اللؤلؤ لها نظام خاص في غاية الغرابة : ليس هناك أجور معينة للعمل ، ولكن العمال يشاركون صاحب السفينة فيما يحصل ، فالذي يغوص له سهمان ، والذي يخرج الغواص — وهو ما يسمونه سيبا — له سهم ، وذلك بعد ما يخرجون خمس الحاصل للسفينة وثمان المأكّل والمشرب ، ولا يمكن أن يقبل أى عامل أجراً معيناً لأنه يريد أن يجرب حظه مع صاحب السفينة ، إن كان قليلاً قليلاً ، وإن كان كثيراً فكثير . وصناعة الغوص من الصناعات الشاقة ، وهي تجري حسب الطرق

القديمة ولا تستخدم الآلات الحديثة ، ولا يقل عدد من يشتغل بهذه الصناعة عن مائتي ألف عامل من العرب والإيرانيين لمدة خمسة أشهر . وموسم اللؤلؤ من أحسن المواسم وأجملها ، وفيه تدور الحركة التجارية ، ولذا لا يمكن أن يتصور مقدار ضيق أهل هذه الصناعة في الأزمان الحالية لأن أكثرهم فقراء ، وليس لهم تقابلات ولا شركات تعاونية مثل ما هو في جميع البلاد المتقدمة

والطريقة المتبعة الآن في غواصة اللؤلؤ هي طريقة الحجر : يربط حجر كبير بطرف الحبل ، فاذا أراد الغائص أن ينزل إلى الماء تمسك بالحجر ونزل إلى قاع البحر بكل سرعة ، وإذا ضاق نفسه هزَّ الحبل بيده ثم صعد بمساعدة رفيقه الآخر الموجود بأعلى السفينة والمنتيقظ لكل حركة يأتياها الغائص . والغوص يشبه من جميع الوجوه بالمرعى ، فتجد في جهة مئات السفن ، بينما ترى بعض الجهات الأخرى ليس فيها سفينة واحدة ؛ وصاحب السفينة ينتقل من جهة إلى جهة وراء المحار واللؤلؤ ، وهناك في البحر تجرد التجار الذين يدعون « بالطوايش » يتنقلون من سفينة إلى سفينة لشراء ما يستحصل من اللؤلؤ



الحكومات العربية

نريد هنا أن نستعرض أمام القارئ النظام الحكومي للإمارات والسلطات العربية ، والطريقة التي يدار بها الحكم في بلاد العرب ، وهي صورة مستمدة مما يفهمه العربي العادي من الحكومة ، وهي الصورة التي لا يفهم سواها شيوخ العرب ، وسأذكر فيما يلي قصتين يتجلى فيهما كل ما هو واقع من الحقائق :

في شتاء سنة ١٣٣٣ (١٩١٥) كنت في حديث مع المرحوم الشيخ جابر الصباح أخي الشيخ مبارك شيخ الكويت : كنت أنكر فيه علي الشيخ مبارك فداحة الضرائب وطريقة صرفها ، فان الشيخ مبارك في أخريات أيامه خرج على كل مألوف من التقاليد الدينية والعربية ، وأخذ يستهتر بكل شيء ، كما أنه وضع ضرائب على البيوت تقضى بدفع ثلث قيمة كل بيت يباع مما لم يعرف من قبل في بلاد العرب ، وكنت أشرح للشيخ جابر حديث : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وإني في نفس الوقت لم أنس أن أذكر بعض الصفات الطيبة التي امتاز بها الشيخ مبارك من غيرته على الكويت وأهلها ، ودفاعه عن مصالح أهلها والعمل لاستقرار الأمن وزيادة حركة التجارة فيها

فقال الشيخ جابر :

إن كلامك كلام مُطَاوَعِه (أهل الدين) ما هي ميزة الأمير على الباعة وأصحاب الدكاكين يا شيخ حافظ؟ خذها كلمة جامعة! الرعية مثل الغنم كلما طال صوفها جددناه. فقلت له: ولكن الغنم يا حضرة الشيخ تحتاج إلى من يعنى بها كي يتكاثر نسلها، وأتم لا تكتمفون بالصوف، فان المقص كثيراً ما يصيب الجلد. فقال: إن الحاكم يجب أن تكون يده مطاوعة في كل شيء، في المال وفي الأرواح

والرعية إذا استغنت وكثر مالها طغت على الحاكم وربما أفلتت من يده ، فقلت له : أيها الشيخ ! إن الرعية والراعى متضامنان في حب الخير للبلد ، وليس أحدهما خصماً للآخر ، والحاكم والدالجميع ، ولا يولد الخزازات والضعائن سوى الجبروت . فقال : أيها الشيخ ! ليست هنالك فائدة من المناقشة ، فنحن لا نفهم من الحكم إلا ما أسلفناه لك ، وكلام أهل الدين قد سمعناه كثيراً في دروس الوعظ وخطب الجمع ، ولسنا في حاجة إلى المزيد

أما القصة الأخرى فقد حدثت في نجد بعد ١٩ عاماً من القصة الأولى في شعبان سنة ١٣٥١ — ديسمبر سنة ١٩٣٢ زارنى أحد مشايخ البدو وأخذ يسألنى عن أوروبا وما فيها من جمال ورجال ومساكين وعشب وأمطار وغير ذلك ، ثم قال : هل عليهم شيخ مثل ابن سعود ؟ فأجبته إن عليهم ملوكا ، منهم الملوك الصغار ، ومنهم ملك بريطانيا الذى لا تغرب الشمس عن ملكه . فقال : وهل تفد عليه وفود ، وهل يجزل العطاء لوفوده ؟ فقلت : إنه لا يعطى دراهم لأحد ولا يفد عليه إلا الملوك وكبار الرجال ، ولا يمنح إلا النياشين . أما جنوده ورؤساء الجنود فلهم مرتبات خاصة يتقاضونها

— لا بد أن يكون هذا الملك غنياً ما دام ملكه لا تغيب عنه الشمس ، لا بد أن تكون قصوره مملوءة بالذهب والجواهر الكريمة . فأجبته إن الملك له ولعائلته مرتب خاص لا يتجاوزه ، والخزانة العامة تحت أمر وزير المالية وهو مراقب من مجلس الأمة ، فالخزانة يصرف منها أولاً على الموظفين الملكيين والعسكريين ، ثم على الأسطول ، ثم على سائر المعدات الحربية ، ثم التعليم والأشغال العامة والصحة وغير ذلك ، كل شىء من هذه الأشياء لها مبالغ مرصودة لا يمكن تجاوزها

— هل يقتل الملك الناس ؟ فأجبته : إن ملك إنجلترا كسائر ملوك أوروبا الآن لا يباشرون الأعمال بأنفسهم ، فالحكمة إذا حكمت بالقتل فالملك يأمر بالتنفيذ وقد

يعفو عن القتل فيستبدل الحكم بالأشغال لمدة معينة ، أما الملك بدون محكمة فلا يستطيع أن يأمر بقتل أحد ، وليس بين الملوك وبين الناس خصومة حتى يأمرؤا بقتلهم

— ليسوا هؤلاء ملوكا . إن من لم تطلق يده على الخزانة ومن تكف يده بهذا الشكل فليس بملك

هذه هي الروح السائدة ومن هذه الروح تتكون الحكومة العربية ولا يستثنى من ذلك إلا البلاد التي كان يسودها النفوذ التركي ، فطريقة الحكم في الكويت والبحرين ونجد وقطر وعمان متشابهة ، وهي بسيطة ليس فيها من التعقيد ما في البلاد المتمدنية ، ولكن ضمان العدل يرجع إلى شخصية الحاكم وسهره وميله إلى العدل والإنصاف

والشيخ أو السلطان أو الأمير هو الحاكم المطلق مصدر السلطات كلها ، إليه ترفع الدعاوى وهو يحولها بدوره إلى الشرع وما يحكم به الشرع ينفذ ، وفي المسائل التجارية يستأنس برأى التجار فتحول القضية إلى واحد أو اثنين أو ثلاثة من التجار حسب أهمية القضية ، والشيخ بعد ذلك يأمر بتنفيذ الحكم ، وفي بعض المسائل الهامة يجمع الشيخ كبار الجماعة لأخذ رأيهم وكثيراً ما يأخذ برأيهم هذا في الكويت وعمان

أما في نجد فإن جميع القضايا تحول إلى الشرع فقط ، والقضاة أنفسهم قد يستأنسون بالعرف التجاري في البلد كذلك كان الحال في البحرين إلى سنة ١٩٢٠ ، ومنذ هذه السنة قد وضع للبلد نظام للتقاضى خاص كما وضع لها نظام إدارى جديد .

وعلى كل حال فالشرع لا يزال ينفذ على الوطنيين ما عدا الحدود الشرعية وبالبلدة إن كانت صغيرة مثل الكويت يعين الحاكم لها أميراً للسوق للفصل في القضايا الصغيرة ولا سيما قضايا البادية ، ووظيفة هذا الأمير تشبه وظيفة مدير

البوليس ، وإن كانت متسعة الأطراف يعين لكل ناحية أمير من قبل الملك ابن السعود وهو يحدد سلطته ، وسلطته لا تتعدى تنفيذ الأوامر الشرعية وربما كان الأميران ابن مساعد وابن جلوى هما أكبر الأمراء سلطة ونفوذاً ، فإن ابن مساعد يتعدى نفوذه حایل إلى القصيم والجوف وما حولها من البادية ، والأمير عبد الله بن جلوى يمتد نفوذه على مقاطعة الاحساء والقطيف والبادية المحيطة بها ، وهما يفرضان العقوبات البدنية والمالية حسبما يرى ، والغالب عليهما الصرامة في العقوبة

وليس من حقوق الأمراء التداخل في الوظائف المالية ولا التعرض لبيت المال بأى شكل من الأشكال ، ولكنهم إذا رأوا شيئاً من الغبن على الحكومة أو الأهالى فإنهم يرفعون الشكاوى إلى الملك وهو يبحثها ويأمر بما يراه ، ولم تكن لهذه الحكومات إيرادات تذكر إلا ما يرد من زكاة الزرع وما يؤخذ من البادية ، وربما كانت أقل البلاد إيراداً للحكام الكويت حتى سنة ١٣١٤ — ١٨٩٧ أى قبل تسنم الشيخ مبارك كرسى الحكم بعد اغتيال أخويه محمد وجراح ، فقد كان شيوخ الكويت في ذلك يتقاضون أشياء ضئيلة على التجارة لم يفرضها الحاكم على الأهالى بل فرضها الأهالى أنفسهم مساعدة للشيخ الذى ليست له موارد تقوم بحاجاته وحاجات عائلته ، وكان شيوخ الكويت يعيشون مع الأهالى كإخوان لهم ، وكان مفروضاً على الدكاكين ضريبة ضئيلة أيضاً للقيام بنفقات الحرس في الليل

وكانت البحرين كالكويت في أكثر هذه التدابير ، ولكن حكام البحرين كانوا أغنى وأحسن حالاً من شيوخ الكويت لكثرة أملاكهم في البحرين ، ولأن سكان البحرين أكثر وأغنى من الكويت أما حكام نجد السابقين والحاليين فواردات الحكومة عندهم من الزكاة على

الزراع والحيوانات ، وما كان يوضع على الحجاج من الضرائب ، وما يدخل بيت المال من خمس الجهاد ، وما يدخل خزانة الحاكم يصرف منه على حاجاته الشخصية وعلى الأعطيات التي يجود بها على الوافدين . أما المدارس والصحة ووسائل تنظيف البلد وتجميلها فإنه مع استثناء الحجاز ونجد ، نجد الأهالي والحكام مشتركين في عدم الشعور بالحاجة إليها

أذكر أن أول مدرسة نظامية أسست في الكويت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) كانت من تبرعات الأهالي وإحسان بيت آل إبراهيم ، ولم يدفع الشيخ مبارك شيئاً لمساعدة أول مشروع علمي في بلاده ، وقد تبدل الحال بعض التبدل في السنوات الأخيرة لا سيما في الكويت والبحرين

ليس في البلاد العربية ما عدا الحجاز ونجداً جيوش لحمايتها من الطوارئ ، وكل ما هنالك خمسون أو مائة نفر (لحماية الشيخ) ويقومون في البلد بوظيفة البوليس ، وهذا العدد ينقص أو يزيد تبعاً لما يحس به الشيخ من الضعف أو القوة في البلد وما يحس به من أبناء عمومته نحوه . أما إذا أصبحت البلاد في حالة حرب فإن الشيخ يضع على أهالي البلد نفقات وهم يوزعونها على البلد كل بقدر ما يستطيع ، والشيخ يوزع عليهم ما ينقص من السلاح والذخيرة

وفي البلاد التي لم يعتد أهلها الحرب والطعان مثل الاحساء والقطيف وبعض بلدان الحجاز يفرض عليها ضريبة تسمى إعانة الجهاد

وبالنظر إلى قلة الواردات التي تستوفي باسم الحاكم ، فإن بعضهم لا يرى غضاضة من الاشتغال بالتجارة : مثل شيوخ عمان وقطر وبعض شيوخ البحرين الآن . أما شيوخ الكويت والبحرين قبل سنة ١٩٢٠ وأمرء نجد فلم يسمع أن أحداً اشتغل بالتجارة وهم يعدونها عيباً

لقد كان المعروف في أكثر البلاد العربية أن كل من ينتمي إلى عائلة الشيخ

يمكن أن ترفع إليه دعاوى وهو يحولها إلى الشرع ، وخدمه يقومون بالتنفيذ ، وقلمًا كان الشيخ يعترض على هذا التصرف إرضاء لبني عمومته ، وفي الحقيقة كان هذا الضرب مبعثاً للفوضى ومضيقاً للمسئولية . على أن بعض الحكام يأنس من نفسه القوة فيقبض بكتفا يديه على البلد ويمنع أى شىء سواه وسوى من يعينه لمباشرة الأحكام

فالشيخ مبارك الصباح كان هو الشخص الوحيد في الكويت المرجع في الشكاوى ، وأحياناً كان يكل بعض المسائل إلى أحد ولديه الشيخ جابر أو الشيخ سالم والملك ابن السعود أشد من الشيخ مبارك في هذا لا يسمح لأخواته أو لأولاده أن يتصرفوا في أمر من الأمور بدون مراجعته ، ولقد عين الآن النجل الأكبر الأمير سعود نائباً عنه في نجد ؛ والولد الثانى الأمير فيصل للحجاز وله الاشراف العام ولقد كانت حماية الأفراد معروفة في بلاد العرب ؛ فالشخص الذى يريد الفرار من الحكم أو التخلص مما عليه من التبعة يلتحق بخدمة أحد الشيوخ أو يحتجى بظله أو يلتجئ إلى بيته ، كانت هذه الحماية معروفة في البادية على أكمل مظاهرها كما هى معروفة في المدن ، وكان الحامى يرى من واجبه حماية من التجأ إليه ما دام يأنس في نفسه القوة والمنعة ، فإذا رأى أن ذلك يجز عليه مشا كل تركه إلى حيث يجد السلامة ، أما تسليمه إلى من يطلبه فذلك معدود من العيوب التى لا تغتفر ، فإذا كان رجل مدينناً لأحد وأراد المدين أن يتخلص من المطالبة فما عليه إلا الاحتماء بأحد الشيوخ وذلك يخلصه من المطالبة ، ولكن هنالك من الشيوخ من لا يرضى بهذا العمل المزرى فيأمر تابعه بتسليم ما عليه من الدين أو يطرده من خدمته

والقاتل إذا التجأ إلى بيت من البيوت الكبيرة فإنها لا تسلمه إلى المطالبين بالدم ، وهم يحمونه أو يطلقون سبيله إلى حيث يجد السلامة . وربما كان منشأ هذه

الحماية الاعتزاز بالعصبة ، والحماية وإن قضى عليها في نجد والحجاز فلا يزال لها أثر عظيم في بادية عمان

قلنا : إنه حتى سنة ١٨٩٧ لم تكن على سواحل البلاد العربية في الخليج الفارسي جمارك بالمعنى المعروف ، وكانت هناك ضرائب على البضائع لا تتجاوز ٣ ٪ ولكن كان لكل كبير الحق في جلب ما يحتاجه من أرز وقمح وقهوة وسكر وملابس بدون دفع رسوم جمركية ، وكان أهل السفن حين رجوعهم من الهند يحضرون حاجاتهم الضرورية معهم بدون دفع رسوم جمركية ما دامت لا تستعمل في التجارة ، ويكفي أن يُخبر مدير الجمرک بقدوم السفينة أو الشيء المطلوب السماح عنه ، وربما كان الشيخ مبارك أول أمراء العرب على الشاطئ الشرقي الذين غلوا في زيادة الجمارك ، فقد زادت الجمارك حتى ١٠ ٪ على بعض الأصناف

وقد اشتغل أحد أولاده بالتجارة ، وهو الشيخ ناصر المبارك ، وكانت تجارته معفاة من الضرائب ، فكان يصرفها في السوق بربح الجمرک فأثرى في مدة قصيرة ، ولكن والده بعد احتجاج التجار أمره بالامتناع عن المتاجرة أو يحصل منه الجمرک أسوة بسائر التجار

ومن المسلم به عند العرب عموماً أن فرض الضرائب على التجارة حرام ، وهم يطلقون اسم المظالم على كل نوع من الضرائب غير الزكاة ، ولذا فإن الشيخ عند ما يعين يرى إرضاء لشعبه تخفيف هذه الضرائب

فالشيخ جابر الصباح بن الشيخ مبارك عند ما تولى الحكم ألغى بعض الضرائب التي أحدثها والده ، والتي لم تعرف في غير عهد الشيخ مبارك ، والشيخ سالم بن الشيخ مبارك بعد ما تولى الحكم بعد أخيه خفف بعض الضرائب أيضاً

والبحرين إلى سنة ١٩٢١ كانت مسالمة بالضمان لأحد الهندوس ، والأمير ابن سعود لم يكن يعرف قبل احتلال الاحساء الجمارك ، ولكنه بعد ما استولى على الاحساء

والقטיפ وضع الجمارك على البضائع الواردة إلى نجد والاحساء ، وكانت الضريبة لا تتجاوز ٥ ٪ وكان الجمرک التزاماً ، وفي أثناء الحرب العالمية نظم الجمارك النجدية الشيخ عبد اللطيف المنديل ، فزاد الإيراد من خمسة آلاف جنيه في السنة إلى ٢٠ ألفاً ، ثم أخذها بالضمان مرة أخرى أحد أغنياء القטיפ بأربعين ألف جنيه ، وفي سنة ١٩٢٠ أخذها بالضمان بمبلغ ٧٢ ألف جنيه على شرط منع المتاجرة مع الكويت ، فأجيب إلى طلبه ثم نظمت الجمارك بعد ذلك وألغى الضمان

وهناك ضرائب أخرى في السوق العام كأن يؤخذ شيء معين على ما يرد من البادية : من السمن والغنم والجمال ، وعلى كل حال فإن بلاد العرب أقل بلاد العالم ضرائب ، وهي بلاد فقيرة لا تحمل ما يفرض على غيرها في البلاد الأخرى ونظام نجد في تحصيل الضرائب لا يختلف عما يجري في البلاد العربية المجاورة لها ، وإن كانت نجد تأخذ من الضرائب الجمركية أكثر من غيرها بالنظر لما عليها من التبعات

أما في الحجاز فالحالة تختلف كل الاختلاف عن باقي البلاد المجاورة ، لقد كان النظام التركي في الجمارك والإدارة مطبقاً في الحجاز ، ولكن وجود الأمير أو الشريف في مكة بجانب الوالي جعل للشريف شخصية أخرى ونفوداً آخر بجانب الوالي

كان الشريف يتداخل في كل شيء في مكة ولكنه من طريق غير مباشر ، فكان أمر البادية راجعاً إليه ، يفصل في خصومات البادية ، وكان يضع الضرائب على المطوفين والحجاج والجمالة ، ويختص بها أو يتقاسمها مع الوالي التركي ، وكان الأشراف يمنحون حق التطويق لمن يريدونه من أهل مكة : إما مقابل خدمة قام بها الشخص لهم ، أو مقابل مبلغ من المال ، وهذا يفسر لنا الثروة التي جمعها الأشراف أثناء حكمهم في الحجاز ، وبالطبع كان الناس في طريق معاملتهم للحجاج يتبعون

الخطة التي يرسمها الشريف ، وربما كان الشريف حسين في السنين الأولى من حكمه أفضل الأشراف خلقاً ، وأعلامهم نفساً ، وأنزههم كفاً

أما علاقة الناس بالحكام في سائر البلاد العربية فعلاقة قائمة على الصداقة والولاء للحكام ، والحكام أنفسهم لا يترفعون عن مخالطة الأهالي ، غير أن الأشراف كانوا يترفعون عن مخالطة الناس ، ويكبّرهم يضرب المثل في سائر الجزيرة العربية ولقد قضت الثورة العربية على الملك حسين أن يغير الوضع الإداري الذي كان سائداً في الحجاز بوضع آخر يتفق مع روح الثورة وما يتطلبه العرب منه ، فأمر في أوائل سنة ١٣٣٥ — سنة ١٩١٧ بتأليف وزارة ، كما أمر بإحداث مجلس شيوخ معين من قبله لوضع القوانين والنظم الإدارية ، غير أن الباحث في سجلات الحكومة الهاشمية يرى أن الملك حسين كان المتصرف في كل صغيرة وكبيرة ، وأن الوزراء والمجلس لم يكونا إلا إطلاء ، كما أنه لم يكن هناك نظام لتوزيع العمل والمسئوليات ، فأقل المسائل أهمية تأخذ سلسلة طويلة من التحويل من وزارة إلى أخرى حتى تنتهي إلى الملك الذي يأمر فيطاع . وبجانب هذه التشكيلات الإدارية قد وضع الملك حسين موظفين خاصين للفصل في منازعات البدو — لأنها تحتاج إلى السرعة

أما الحكومة الحالية فإن الملك عبد العزيز قد ألغى أولاً النظام الذي أسسه الملك حسين لأنه لم يرق في نظره : فألغى الوزارة وجعل السلطة التنفيذية في يده ، وعين بضعة مديرين للدوائر الهامة : بعضهم مرتبط مع جلالته رأساً ، وبعضهم مرتبط بسمو نائبه العام ، وسلطة هؤلاء المديرين تضيق وتتسع باعتبار شخصياتهم ورضا الملك عنهم ، وبجانب النائب العام كان مجلس صغير معين من بضعة أشخاص ومستشارين معينين لمساعدة سموه ، وقد تغير هذا النظام تدريجاً فبدلاً من مجلس الإدارة أسس مجلس الشورى من نخبة المتعلمين وأعيان البلاد ، وبدلاً من المديرين

عين بضعة وزراء للخارجية والداخلية والمالية والدفاع ، غير أنه للآن لم يوضع نظام لتوزيع الأعمال وتحديد المسؤوليات ، فالأعمال لا تزال ترجع إلى سمو النائب العام ، الذى بدوره يحول أكثرها إلى جلالته الملك تخلصاً من المسؤولية ، كما أن مجلس الشورى ليس له حدود معينة ، فكثير من المسائل الصغيرة تحول إليه فى الوقت الذى يفصل دونه فى مسائل عظيمة الأهمية

و بالإجمال فإن أمراء العرب اعتادوا الاعتماد على أنفسهم فقط ومباشرة صغار الأمور وكبارها ، وليس فيها نظام لتوزيع الأعمال ، على أن نظاماً كهذا يفتقر إلى موظفين يحوزون ثقة الملك ورضاه الدائم ويعملون لصالحه وصالح بلاده بكل نزاهة ، ومهما كانت عيوب النظام الإدارى فإن شخصية الملك عبد العزيز ووجهه للعدل ، وحرصه على صالح شعبه ، وسهره الدائم على مصالح رعيته ، ومواصلة الليل بالنهار فى مراقبة صغار الأمور وجلبها ؛ جعل أكثر الأعمال تسير فى طريق مرضى بفضل شخصيته وشخصية أمجاله المباشرين للأعمال

السياسة الخارجية

لم يكن لأمراء العرب اهتمام بالسياسة الخارجية ، لأن أمراء بعض هذه البلاد تمنعه المعاهدات العقود بينه وبين إنجلترا من مخابرة أى دولة أجنبية مثل الكويت والبحرين وعمان ، وبعضها كنجدة والحجاز كان معدوداً دولياً من الامبراطورية العثمانية ، على أن كثيراً من شيوخ العرب لا يفهمون السياسة الخارجية على وجهها الصحيح

لقد سألتى قبل أربعة سنوات أحد شيوخ البحرين عن حقيقة ما أشيع من أن جلالته الملك سيقبل تعيين أحد القناصل فى القطيف أو فى الاحساء . فقلت له : إن الإشاعة غير صحيحة ، ولكن ماذا يمنع من ذلك إذا كانت هنالك مصالح

لرعايا الانجليز مثل الهنود وغيرهم توجب تعيين قنصل . فقال : إذا قبل الملك ذلك فعلى بلاده السلام ؛ إن الراية الانجليزية ما رفعت على بلد إلا وأعقبها الاستيلاء عليه . فقلت له : إن هذا غلط عظيم ، فما دمت لا تترك بابك مفتوحا فلا الانجليز ولا غيرهم يدخلون ، وإن رفع الراية على القنصلية ليس معناه أن البلد تابع للانجليز ، فنحن يمكننا أن نرفع رايتنا في بلادهم وفي الهند . فقال : لقد رأيت ما صنعوا في البحرين ؟ إنهم في خمسين سنة قضاوا على كل نفوذ لشيوخ البحرين :

فأجبتة أنى أعتقد لو أن شيوخ البحرين كانوا ساهرين على مصالح رعاياهم ومصالح الساكنين في جزيرة البحرين ما تداخل الانجليز في شئون البحرين ، ولكن كيف يقف الانجليز مكتوفى الأيدي وأموال رعاياهم ورعايا غيرهم من الدول في خطر ، ولست في حاجة إلى بحث الحوادث الكثيرة التى تقلبت فيها البحرين من جهة اختلال الإدارة ، فإن ذلك معروف . فقال الشيخ : مهما كان الأمر فقد كان يجب النصح والإرشاد فقط ، وعلى كل حال فأرجو أن يعتبر الملك عبد العزيز بحيرانه ولا يقبل تعيين قنصل في بلاده

وهذا الشيخ فى الواقع يعبر أحسن تعبير عن العقلية السائدة فى جزيرة العرب ، بل لقد امتنع أهل دُبِّى من ساحل عمان من وضع كرتينة فى بلادهم سنة ١٩٢٨ وقت حدوث الكوليرا فى العراق ، وقالوا لا تمر البواخر ببلادنا حتى تصبح حالة البصرة الصحية مرضية ، ولا داعى لإقامة محجر صحى فى بلادنا ، وامتنعوا أيضاً عن قبول إنشاء محطة للطيران فى بلادهم ، كل هذا ابتعاداً عما يمكن أن يقع لبلادهم مثل ما وقع فى البحرين

أشراف مكة

كانت مكة حتى سنة ٣٥٨ هـ إمارة تابعة لبغداد ، شأنها في الإدارة شأن
سائر الإمارات التابعة للخليفة

ولما استولى الفاطميون على مصر واقتطعوها مع بعض البلدان الأخرى من
بلاد الخليفة العباسي استقل الأشراف الحسينيون بمكة ، وأولهم جعفر بن محمد بن
الحسين بن محمد التائر ، وهؤلاء الأشراف أربع طبقات : الموسويون أو بنوموسى ،
والسليمانيون ، والهواشم ، وهذه الطبقات الثلاث حكمت مكة من سنة ٣٥٨ إلى
سنة ٥٩٨ أى ٢٤٠ سنة

والطبقة الرابعة قتادة وبنوه وهؤلاء حكموا من ٥٩٨ هـ إلى سنة ١٣٤٤ هـ
وهي السنة التي أجل فيها الملك على بن الحسين عن جدة

والواقف على تاريخ الأشراف في الحجاز يرى أنه تاريخ مملوء بالدماء والفظائع ،
فالشريف منهم في سبيل الإمارة لم يكن يتورع عن قتل أخيه وأبناء عمومته في
سبيل الحكم ، ولقد بلغت ببعضهم القسوة أن قتل أخاه وطبخ لحمه ودعا إخوانه
الباقيين لوليمة قدم لهم فيها لحم أخيه ؟ !

لقد كان الأشراف في سبيل الإمارة يستعينون بكل من يمكن الاستعانة به
من أمراء الحج المصرى أو الشامى ، كما أن النفوذ المصرى في الحجاز كان يظهر
تارة ويختفي أخرى ، كان تارة مباشراً وأخرى غير مباشر إلى أن فتح الأتراك
مصر سنة ٩٢٢ هـ فقدم شريف مكة طاعته للسلطان سليم الذى بويع بالخلافة
ولقب بجادم الحرمين الشريفين ، وكان نفوذ الأتراك والمصريين يظهر تارة ويختفي
أخرى ، وكلما أنس الأشراف ضعفاً من الأتراك والمصريين وسعوا نفوذهم إلى

الجهات المجاورة . ولما ضعف الأتراك في القرنين الماضيين وساد الاضطراب مصر أصبح الأشراف ذوى الكلمة المسموعة في الحجاز والنفوذ الفعلى ، ولو أنهم مازالوا يتظاهرون بأنهم خدام السلطان ويخطبون باسمه فى المساجد . وإلى القرن الثامن عشر كان حق انتخاب شريف مكة محصوراً فى بنى بركات (نسبة إلى الشريف بركات بن السيد حسن الجعلان الذى خلف أباه سنة ٨٢٩ هـ وهو من جهة أمه ينتسب إلى الهواشم الذين خلعوا من حكم مكة سنة ٥٩٨ هـ)

وبعد حروب بين بنى بركات ومنافسيهم من القبائل غلبوا على أمرهم ، وتسنى الإمارة ذوو زيد ولم يكن فيهم منصب شريف مكة وراثياً ، ولكنه على كل حال بقى فى هذه القبيلة حتى غلبت على أمرها ، فكان بمجرد موت الشريف يعلو إلى المنصب أقوى العائلة سلطاناً وأكثرهم أنصاراً ، وربما كان أقوى الأشراف فى القرن الثامن عشر الشريف سُرُور ١١٨٦ هـ — ١٢٠٣ هـ فإنه أول من أذل الأشراف وكسر شوكتهم وسلطانهم وأسس حكماً عادلاً فى مكة

لقد كانت عادة الأشراف أن يكون فى بيت كل شريف ٣٠ — ٤٠ عبداً مسلحاً عدا الخدم والأقارب ، ومن يمت إليه بصلة القرابة من البدو الذين يعيشون بتربية الغنم والإبل وعطايا الحجاج ، وكان الأشراف قبل حكم الشريف سرور كلهم حكماً فى مكة قلما يخضعون لأوامر شريف مكة ، وكان همهم جمع المال بكل الوسائل الممكنة ، فكانوا كثيراً ما يفتالون الحجاج ويقطعون عليهم الطريق بين جدة ومكة ، أو مكة والمدينة ، بل كثيراً ما كانوا يفتالون الحجاج فى بيوتهم مما تاباه شيمة العربى الكريم

فبعد جهاد طويل تمكن الشريف سرور من إخضاع الأشراف فجعل سكان مكة يحبونه من كل قلوبهم ، وكان هو نفسه خير قدوة للطبقة الوسطى فى بساطة حياته وتواضعه وكرمه لأهله وعشيرته ، مع اشتهاره بالشجاعة النادرة والذكاء المتوقع

أما مارواه بركهوت من أن الشريف سروراً اكتفى بنفي المتآمرين عليه ، فإنه يخالف مارواه السيد دحلان من أن الشريف صلب رئيس العصاة ومثل ببعض العبيد وقتل البعض الآخر

ويلى سروراً في الشهرة الشريف غالب وإن كان دونه في حب العدل ، وفي أيام غالب غزا السعوديون الحجاز ، كما أنه في أيامه أيضاً كان غزوة المصريين للحجاز ونجد ، وقد قبض عليه محمد علي باشا ونفاه إلى سلانيك حيث مات هنالك وبعد استرداد مكة بأيدي القوات المصرية قوى النفوذ التركي والمصرى ، وأصبح الأشراف خاضعين تمام الخضوع لأوامر الباب العالي . وقد أراد المصريون أن يكون نفوذهم فعلياً فعينوا الشريف محمد بن عون وجعلوا إلى جانبه محافظاً في مكة ومحافظاً في جدة ، كما أنهم وضعوا لأول مرة حامية أجنبية في مكة لتضمن لهم السيطرة والسلطان وتحول دون انتقاص الأشراف عليهم

ولما انسحبت الحاميات المصرية سنة ١٢٥٦ هـ حسب الصلح الذي تم بين السلطان عبد المجيد ومحمد علي استبدل بالولاة المصريين الولاة الأتراك ، كما استبدلت بالحاميات المصرية الحاميات التركية في مكة والمدينة والطائف وجدة ، وأصبح الأشراف يعينون ويعزلون حسب أوامر الباب العالي المطلقة ، غير أن هذا لم يمنع الأشراف من إرهاب الحجاج وظلم السكان

كان الباب العالي يرسل رئيس القضاة إلى مكة كل مدة معينة لضمان العدل ، وحتى يكون القضاء مستقلاً عن الحكم ، فلا يكون للأشراف نفوذ أو تأثير في قضاء القاضى ، ولكن هذا الغرض لم يحصل إلا نادراً ، وكان أكثر القضاة آله في يد الشريف مكة ، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل أن تقدم الهدايا للقاضى وكان سكان مكة معفين من جميع الضرائب الشخصية والعقارية ، غير أن

الأشراف كانوا يضعون ضرائب صغيرة على الأغنام والمواشى ، كما كانوا يضعون ضرائب على الحجاج وقوافلهم

وفى سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م رشح كامل باشا الصدر الأعظم الشريف حسين بن على أميراً على مكة بعد وفاة ابن عمه الأمير عبد الإله فى طريقه إلى مكة ، وكان قد اختير شريفاً لمكة خلفاً للأمير على باشا الذى خلع من الإمارة وأبعد مع عائلته إلى مصر

ولد الشريف حسين بن على سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) بالآستانة وبقى مع والده مدة فيها ، ثم ذهب إلى مكة بمعية والده الذى عين أميراً لمكة ، وبقى بها إلى أن تولى إمارة مكة عمه الشريف عون الرفيق سنة ١٢٩٩ هـ فطلب إبعاده عن مكة لأنه خطر على الأمن فأبعد إلى الآستانة ، وبقى بها حتى أسندت إليه إمارة مكة ، وقد اختير الشريف حسين للعمل على نشر السلم فى بلاد العرب وتقوية نفوذ الأتراك فيها بعد أن كاد نفوذهم يتصدع ، وقد عمل الشريف مكة فى هذا السبيل بكل ما أوتى من قوة لأنها تتفق مع الخطة التى كان يضرها فى نفسه من تقوية نفوذه و بسط يده على بلاد العرب

لقد سافر سنة ١٣٢٧ هـ ١٩١٠ م على رأس الحملة التى أعدت لتأديب الإدريسي الشاق عصا الطاعة على الأتراك ، فدحر قوات الإدريسي ودخل أهبها دخول الفاتح الظافر ، وفى السنة نفسها سافر على رأس قوة وصلت للشعرا (١) لإجبار حاكم نجد على الاعتراف بتبعية عتبية للحجاز

وإذا كان الأشراف قد سلكوا فى الناس مسلك الكبر والجبروت والترفع عن الناس وعدم مخالطتهم ، فإن الشريف حسيناً قد امتازت أيام إمارته الأولى

(١) الشعرا : أول قرى نجد من ناحية الحجاز

بالتواضع والعدل والغيرة على أهل مكة والدفاع عن مصالحهم ، كما أنه اشتهر أيضاً
بالشجاعة وعلو النفس ونقاء الذيل

لقد وقف الشريف حسين في وجه جميع الإصلاحات التي كان يريد الأتراك
الاتحاديون القيام بها في الحجاز ؛ لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشل
يده عن العمل في الحجاز ، فعرقل مد سكة حديد (جدة — مكة) كما عرقل مد
طريق مكة إلى الطائف من جهة جبل كرى

لقد سمعنا ونحن في الآستانة سنة ١٩١٢ م ما يهيجس به الأتراك نحو الشريف
مكة ، ومن سوء ظنهم به وبخديوى مصر السابق وعزمهم على التخلص منه ،
ولكن الشريف تمكن من التغلب عليهم وعلى التخلص من مؤامراتهم ، واستعد
سراً للتخلص من سيادتهم ونفوذهم على الحجاز ، فاختار الوقت المناسب له فأعلن
الثورة عليهم وتغاب على حامياتهم الواحدة بعد الأخرى حتى دانت له الحجاز كلها



العرب والترك

في القرن العاشر الهجري بسط الأتراك نفوذهم على سائر البلاد العربية : الحجاز واليمن وسواحل الخليج الفارسي ، وأصبح القسم الأكبر منها جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، وبقيت معتبرة جزءاً منها في العرف الدولي حتى إعلان الصلح مع تركيا كانت الثورات تقوم من وقت لآخر في بلاد العرب بين الحكومة التركية وبين الأمراء المحليين سعيًا وراء الاستقلال الداخلي ، مرة في اليمن وأخرى في عسير ، وآونة في نجد ، وطوراً في سوريا ، فكانت هذه الثورات نتيجة للعسف التركي ، أو لجهل الأتراك عادات وتقاليد العرب

إن الواقع الذي لا ينكر أن الأتراك كانوا رجال فتح و حرب ، ولم يكونوا رجال تعمير وتمدين ؛ فالبلاد التركية والبلاد العربية التي خضعت للسيادة التركية مدة طويلة كانت في التقهقر والتأخر سواء ، لذلك انضم أحرار العرب و متعلموهم من ضباط وغيرهم إلى أحرار الأتراك ، وعملوا معهم في الجمعيات السرية واشتركوا معهم في جميع الأعمال الثورية التي أسقطت السلطان عبد الحميد ونجحت في إعلان الدستور العثماني في تركيا

كان متعلمو العرب يأملون أن بلادهم في ظل الدستور سيشملها الإصلاح الذي هي في أشد الحاجة إليه ، ولكن الأمل خاب ، فإن شبان الأتراك أخذوا ينظرون إلى الشعب العربي عامة وإلى زملائهم خاصة ، لا نظر الأخ إلى أخيه بل نظر الحاكم الغشوم إلى المحكوم ، فلم يكن بُد لقادة العرب المتعلمين من النظر في أمرهم وأمر بلادهم ، ووضع حد لغلو الأتراك ، فألفوا الجمعيات السرية في الجيش ، كما

ألفوا الأحزاب السياسية للدفاع عن حقوق العرب ولإصلاح البلاد العربية ، وأهم هذه الجمعيات :

الجمعية القحطانية

تشكلت في الآستانة سنة ١٩٠٩ م من قبل وزير الأوقاف خليل حمادة باشا ، والسيد عبد الحميد الزهراوى ، وسليم بك الجزائرى وزملائهم

جمعية العهد

شُعبة من الجمعية القحطانية ، أسسها عزيز على بك المصرى بعد عودته من طرابلس الغرب سنة ١٩١٣ م وحصرها في ضباط العرب

حزب اللامركزية

تألف في مصر سنة ١٩١٢ م من السيد الزهراوى ورفيق بك العظم ، والسيد رشيد رضا ، وحقى بك العظم وزملائهم ، وغايتة الوصول بكل الوسائل المشروعة إلى تأسيس حكومة لامركزية في جميع الولايات العثمانية كانت جميع هذه الجمعيات على اختلاف منازعها تواصل مساعيها في بث الدعوة القومية وإنهاض الروح العربية ، فأنشأت الفروع والشعب في معظم المدن العربية : بغداد ودمشق وحلب وحمص وحماة وبيروت

وفي سنتى ١٩١٢ و١٩١٣ م أخذت الصحف العربية والتركية تناقش بعضها بعضاً مناقشات كانت حادة في كثير من الأحيان ، وأخذ مُتطرفو الأتراك يؤلفون الكتب في الطعن في العرب وكل ماله علاقة بالعرب ، واتهموا القامئين بالحركة الإصلاحية بأنهم يعملون لحساب الأجانب وأن الأيدي الأجنبية هي التي تدير هذه الجمعيات

لم يكن حزب من الأحزاب العربية يرمى إلى الانفصال عن الترك ، بل كل ما كان يرمى إليه الجميع هو الإصلاح العربي وإحياء القومية العربية وبقاء العرب بجانب الأتراك كأخوة وحلفاء لا كسيد ومسود

المؤتمر العربي بباريس

فكر متعلمو العرب المقيمون في باريس في عقد مؤتمر عربي ، فخابروا الجمعية اللامركزية في مصر بفكرتهم وحددت المسائل التي ستكون مدار البحث وهي :

- (١) الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال
- (٢) حقوق العرب في المملكة العثمانية
- (٣) ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية
- (٤) المهاجرة من سوريا وإليها

فوافقت اللجنة العليا على الاقتراح ، وقررت إرسال مندوبين من قبلها ، فانعقد المؤتمر العربي في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية في باريس من ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ م إلى ٢٣ منه ، وقد قال السيد عبد الحميد الزهراوي في خطبة افتتاح المؤتمر :

« إن العرب كانوا أَلْفوا الترك ، وهؤلاء قد أَلفوا العرب منذ عشرة قرون ، ولكن كما مزجت بينهم السياسة فرقت بينهم السياسة أيضاً ، ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم إلا رابطة بين البعض ، وهذه الرابطة لا تزال تعد ثمينة عند الترك والعرب معاً ، ولكنها مع عزتها قد أصبحت مهددة بالسياسة أكثر مما كانت من قبل ، ومعلوم أن السياسة في هذه المملكة بيد الترك ؛ ولذلك تعرفها أوروبا أنها تركية ، فلما رأى العرب الآن ما وصلت إليه هذه المملكة بتلك السياسة التي مضى العمل عليها حتى الآن ، وكانوا حريصين على البقية الباقية من تلك الرابطة ،

تنهبوا إلى واجب عظيم كان الترك والعرب جميعاً غير مهتمين به كما ينبغي ، وهو اشتراك الفريقين في سياسة البلاد ، فإنه قد تبين واضحاً أنه لا العرب انتفعوا ببراءتهم من ذنب إضاعة البلاد ولا الترك انتفعوا بتحملهم وحدهم تبعة ذلك العبء الثقيل ، وبدهي أن هذا الاشتراك لا ينافي الإخاء بل النذى ينافيه هو عدم هذا الاشتراك »
قلقت جمعية الاتحاد والترقى لهذه الحركة فأيقنت أنها ان لم تعالج الموضوع بحكمة وعقل ؛ فإن بلاد العرب قد تفلت من أيديهم ، وأيد هذا الاعتقاد في نظرهم اغتيال قومندان البصرة بيد أعوان السيد طالب النقيب ، وانتزاع الاحساء والقطيف من أيديهم بيد الأمير ابن السعود ، وهم كما قدمنا يعتقدون أن الحركة العربية وليدة تحريضات الأجانب لا الشعور بالحاجة إلى الإصلاح

بدأت الحكومة العثمانية تستعمل الشدة في أول الأمر ، فألقت القبض على عدة من أعضاء الجمعية الإصلاحية في بيروت ، فأغلقت المدينة دكا كينها أياماً ، فأخرجهم الولى من السجن ، وأخيراً رأت أن تعالج المشكلة بالطرق السياسية ، وأرسلت جمعية الاتحاد والترقى مدحت شكرى بك سكرتيرها إلى باريس ليتفاوض مع أحرار العرب ، ويتفق معهم على خير الطرق التي تعيد إلى الأمتين العربية والتركية الثقة المتبادلة ، والصدقة الوطيدة القديمة التي ربطت بين الشعبين قروناً طويلة ، فاتفق الفريقان على أكثر المسائل المختلف عليها وأصدرت الحكومة العثمانية في أوائل أغسطس سنة ١٩١٣ م القرار الرسمي التالي :

إنه بالنظر للضرورات واختلاف الأمزجة في الولايات العثمانية إلى وجوب ترقية البلاد واسعاد أهلها وزيادة رفاهيتهم ، تقرر بعد الاتكال على الله ومفاوضة الولايات (١) أن يعهد في إدارة الأوقاف الموقوفة على أعمال الخير المحلية إلى المجالس المحلية في الولايات حسب قانون ينشر قريباً

(٢) أن تكون الخدمة العسكرية في زمن السلم في دائرة التفتيش ، إلا إذا رأت الحكومة أن هنالك من الأسباب ما يدعو إلى حشد الجنود في جهة من الجهات فترسل الجنود على الطريقة النسبية

(٣) يكون التدريس باللغة العربية في الجهات التي يتكلم أكثر سكانها اللغة العربية ، ويبدأ بذلك في المكاتب الرشدية والإعدادية ، والاستعداد لتوفير الأسباب في التعليم العالي

(٤) يختار الموظفون من الآن من الواقفين على اللغة العربية علاوة على اللغة التركية ، ويعين الموظفون الثانويون من الولاية رأساً حسب قانون الولايات

وعلى أثر ذلك تبادل العرب والترک الزيارات ، وأظهروا رضاهم وولاءهم للأتراك ، وفي الوقت نفسه عمل الأتراك على إيقاع الشقاق بين قادة العرب ، فعينوا السيد الزهراوى رئيس مؤتمر باريس عضواً في مجلس الأعيان ، وعينوا بعض شبان العرب في بعض الوظائف الهامة ، فاشتد غضب الشبيبة العربية على هؤلاء الذين قبلوا الوظائف ورموهم بخيانة الأمانة التي أوتمنوا عليها

أما الإصلاحات فبقيت حبراً على ورق ، وأراد الأتراك أن ينالوا من العرب بالتسوية والمطل ويضربوا زعماء الحركة الواحد تلو الآخر ، غير أن ذلك لم يطل كثيراً ؛ فإن الحرب العامة قد استعمر لهيبها وأظهر الأتراك ميلهم إلى الألمان وأخيراً انضموا إليهم



الثورة العربية

كان الشائع في الدوائر التركية العليا أن شريف مكة يعمل في الخفاء على الانفصال من الأتراك ، وأن أولاده أثناء مرورهم بمصر يمهّدون الطريق لذلك بواسطة اللورد كتشنر ، وأن شريف مكة لا يحاول الانفصال فقط من الأتراك بل يعمل أيضاً لاستعادة الخلافة منهم ، وكان يقوى هذه الإشاعات عند الأتراك مقاومة الشريف لكل عمل إصلاحى يراد إدخاله إلى الحجاز ، فصمموا على التخلص منه فعينوا وهيب بك والياً للحجاز للقيام بهذه المهمة ، ولكن شريف مكة كان عالماً بكل ما كان يدبره الأتراك له في الخفاء ، وكان يطلع على جميع المخبرات التي بين الوالي ووزارة الداخلية والحربية في الآستانة ، ولذا كان يعمل لإحباط المساعي من جانب وهيب بك والحذر من الوقوع في الفخ ، وهو يعلم أنه ليس أول شريف خلعه الأتراك من إمارة مكة

أعلن الأتراك الجهاد على الحلفاء ، ووزعوا المنشورات في سائر الولايات التركية كما أرسلوها سراً إلى بعض الجهات الخاضعة للحلفاء ، وظنوا أن المسلمين سيتبعونهم ، وكانوا جاهلين تمام الجهل حالة الإسلام والمسلمين المعنوية والمادية ، وغيرهم بعض الزعماء بأن أي حركة يقوم بها الأتراك ضد إنجلترا أو فرنسا لا تلبث أن توقد النار في المستعمرات البريطانية والفرنسية ، ولكن الحوادث كشفت خطأ الأتراك فيما تخيلوه . ولسنا ننكر ما حدث من الأثر بسبب دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء ، ولكن الأثر لم يكن عظيماً فإن ما أخذه الحلفاء من الاحتياطات وما بشوه من الدعايات في كل مكان قد أحبط مساعي الأتراك والألمان دخل البريطانيون في مفاوضات مع الشريف حسين لوصول ما انتقطع من

المفاوضات مع اللورد كاتشر ، واتفق الانجليز وشريف مكة على خطة العمل ،
واننا هنا لا نريد أن ننقل رأى الترك فى حركة الملك حسين ولا أن نعيد ما نشره
بعد الثورة العربية ، ولا نريد كذلك أن نعيد ما نشره الملك حسين لتبرير ما قام
به من الثورة ضد الأتراك الذين أجلسوه على امارة مكة ، ولكن الشئ الذى
لا يمكن أن يدفع ، والذى أدمى قلوب العرب هو تلك المأساة التى قام بها جمال باشا
فى الشام من قتل وتغريب ومصادرة ؛ مما جعل شريف مكة يتعجل الثورة قبل
أن يصل إليه الدور ، فقد قاموا يتآمرون على خلعه والانتقام منه ومن أولاده
فأحبط مساعيهم ، وأبطل خططهم بعد أخذ ما تمكن منه من ملهم وسلاحهم ،
وقد أوقفت الثورة العربية طغيان جمال باشا وأبدلت شدته ليناً ، ولكن الجرح
الذى أحدثه فى قلوب العرب لم يندمل

مقررات النهضة

يسمى الملك حسين الكتب المتبادلة بينه وبين الانجليز مقررات النهضة أى

الأسس التى قامت عليها الثورة العربية

والخبايا التى كانت دائرة بين الملك حسين والحكومة البريطانية حتى

اعلان الثورة ضد الأتراك كانت سرية شخصية لم يشترك فيها أحد من أمراء

العرب أو قادتهم ، حتى أبناء الملك حسين لم يكونوا محيطين بهذه الخبايا كما

كان يجب أن يكون ، وقد صرح المرحوم فيصل لأحد مراسلى الصحف العربية

بأن الحجب الذى يجب أن يتدرع بها لم يكن يملكها ؛ لأن والده لم يرسل إليه وهو

فى باريس الكتب الرسمية التى تعهد فيها الانجليز بتكوين المملكة العربية

ونرى لزاماً علينا أن ننشر الكتب الأربعة ونعقبها برأى الملك حسين فى

الامبراطورية العربية ، ثم رأى الجانب البريطانى ومايدلى به من الحجب للرد على

ما يتمسك به الملك حسين تاركين الحكم للقارئ ، فليس من غرضنا اصدار الحكم على هذا الفريق أو ذاك ، بل الغرض الأسمى هو نشر مالدينا من الوثائق لخدمة التاريخ العربي

الكتاب الأول

إلى السيد الحسيب النسيب ، سلالة الأشراف وتاج الفخار ، وفرع الشجرة الحمديّة والدوحة القرشيّة الأحمديّة ، صاحب المقام الرفيع ، والمكانة السامية ، السيد الشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع ، أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ، ومحط رجال المؤمنين الطائفين ، عمت بركته الناس أجمعين

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة ، والتسليمات القلبية الخالصة في كل ثانية ، نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاظهاركم عاطفة الإخلاص ، وشريف الشعور والإحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأى واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز ، والعكس بالعكس ، ولهذا النية فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت سيادتكم عن يد على أفندي ، وهي التي كان موضعاً بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها ، وإنا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة . وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم ، فالمفاوضة فيها يظهر أنها سابقة لأوانها ، وصرف للاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل ، في حالة أن الحروب دائرة رحاها ، ولأن الأتراك أيضاً لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً ، وعلى الأخص ما علمناه

وهو ما يدهش ويحزن ، أن فريقاً من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها ، وبدل اقدم ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مديد المساعدة إلى الألمان والأتراك . نعم مديد المساعدة لذلك النَّهَاب السلاب الجديد وهو الألمان ، وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك ومع ذلك فاننا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل ما تحتاجه البلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المتوفرة في البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة سيادتكم ، وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة بمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا ، ونحن على الدوام معكم قلباً وقلباً ، مستشقين رائحة مودتكم الزكية ، ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي ما

المخلص

السير ارثر سكماهوره

نائب جلالة الملك

تحريراً في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فرع الدوحة المحمدية ، وسلالة النسب النبوي ، الحسيب النسيب دولة صاحب المقام الرفيع ، الأمير العظيم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرزاً منيعاً للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين . وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم ، المؤرخ بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ ، وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما أورثه رضاء وحبوراً
إني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود
والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابي ، ولكني رأيت
حينئذ أن الفرصة لم تكن حانت للبحث بعد في ذلك الموضوع بصورة نهائية
ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من
المسائل الهامة الحيوية المستعجلة ، فلذلك قد أسرعت في إبلاغ حكومة بريطانيا
العظمى مضمون كتابكم ، وإني بكامل السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات
الآتية التي لاشك في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول

إن ولايتي مرسين واسكندرونه ، وأجزاء بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية
لولايات دمشق الشام ، وحمص ، وحمّة ، وحلب ، لا يمكن أن يقال عنها إنها
عربية خالصة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة ، مع هذا التعديل
وبدون توخ للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب ، نحن نقبل
تلك الحدود

وأما من حيث الأقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة
التصرف بدون أن تمس مصالح حليقتها فرنسا ، فإني مفوض من قبل حكومة
بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية ، وأجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة
بأن تعترف باستقلال العرب ، وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في
الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة

(٢) إن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي

وتعترف بوجوب منع التعدي عليها

(٣) وعند ما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها ،
وتساعدها على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة

(٤) هذا وإن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا
العظمى وحدها ، وأن المستشارين والموظفين الأوربيين اللازمين لتشكيل هيئة
إدارية قديمة يكونون من الانجليز

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة ، فإن العرب تعترف بأن
مصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية
هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي ، وزيادة خير سكانها ، وحماية مصالحنا
الاقتصادية المتبادلة

وإني متيقن بأن هذا التصريح يؤكّد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل
بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب ، وتنتهي بعقد محالفة دائمية ثابتة معهم
ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب ، وتحرير الشعوب العربية
من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال

ولقد اقتضرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى ،
وان كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فسنعود إلى البحث فيها في وقت
مناسب في المستقبل . ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة
الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية وتدابيركم
الحكيمة قد أنزلت إلى البر بلا تعب ولا ضرر ، رغماً عن الأخطار والمصاعب التي
سببتها هذه الحرب المحزنة ، ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعمل بالصلح الدائم
والحرية لأهل العالم . اني مرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ
محمد بن عارف بن عارفان ، وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي
في الدرجة الثانية من الأهمية ولم أذكرها في كتابي هذا . وفي الختام أثبت دولة

الشريف ذا الحسب المنيف ، والأمير الجليل كامل تحيتي وخالص مودتي وأعرب
عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راجياً من ذى الجلال أن يوفقنا جميعاً
لما فيه خير العالم وصالح الشعوب ، فيبده مفاتيح الأمر والغيب يحركها كيف
يشاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام ما

نائب جلالة الملك

السير ارثر مكماهون

تحريراً في يوم الاثنين ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ — ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥

الكتاب الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلك المقام الرفيع ذى الحسب الطاهر والنسب الفاخر ، قيلة
الإسلام والمسلمين ، معدن الشرف ، وطيد الحثد ، سلالة مهبط الوحي الحمدي
الشريف ابن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة
المعظم ، زاده الله رفعة وعلاء أمين . بعد ما يليق بمقام الأمير الخطير من التجارة
والاحترام ، وتقديم خالص التحية والسلام ، وشرح عوامل الألفة وحسن التفاهم
والمودة المعروجة بالحببة القلبية ، أرفع إلى دولة الأمير المعظم أننا تلقينا رقيمتكم
المؤرخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ من يد رسولكم الأمين ، وقد سررنا لوقوفنا
على التدابير الفعلية التي تنوونها ، وانها موافقة في الأحوال الحاضرة ، وان حكومة
جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها . وقد يسرني أن أخبركم بأن حكومة
جلالة الملك قد صادقت على جميع مطالبكم ، وأن كل شيء رغبتم الاسراع فيه
وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا ، والأشياء الباقية ستحضر بكل
سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت أمركم لحين ابتداء الحركة . وإبلاغنا

إياها بصورة رسمية (كما ذكرت) ، وبالمواقع التي يقتضى سوقها إليها والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق لتسليمها إياهم
إن كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورت سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم ، وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الأخير إلى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكملها بالنجاح وحسن النتائج ، وسيعود إلى بورت سودان وبعدها يصلكم بحراسة الله ليقتض على مسامح دولتكم نتيجة عمله

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم ، وما عساه ينتج سوء تفاهم ، ألا وهو أنه يوجد بعض المراكز أو النقاط العسكرية فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب يقال إنهم يجاهرون بالعداء لنا ، والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا البحرية البحرية في البحر الأحمر ، وعليه نرى من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ، ولكننا قد أصدرنا الأوامر القطعية أنه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب الأبرياء الذين يسكنون تلك الجهات ، لأننا لا تقدم للعرب أجمع إلا كل عاطفة ودية

وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكون على بينة من الأمر إذا بلغكم خبر مكذوب عن الأسباب التي تضطرننا إلى أي عمل من هذا القيل . وقد بلغتنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الألداء باذلون جهدهم في أعمال السفن ليثبتوا بها الألفام في البحر الأحمر ولا لحاق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر ، وأنا نرجوكم سرعة اخبارنا إذا تحقق ذلك اليوم لديكم ، وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد باع للأتراك عدداً عظيماً من الجمال ، وقد أرسلت إلى دمشق الشام ، وتوهم أن تستعملوا كل مالكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك ، وإذا صمم على ما هو عليه أمكنكم

عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها ، ولا شك أن في ذلك صالحاً لمصلحتنا المتبادلة

وقد يسرني أن أبلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي ، وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الألمان والأتراك ، قد ابتدأوا يعرفون خطأهم ، وهم يأتون إلينا وحداناً وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد إليهم ، والحمد لله قد هزمتنا القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا . قد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم ، وإن لسقوط أرض روم من يد الأتراك وكثرة انهزوماتهم في بلاد القوقاز تأثيراً عظيماً وهو في مصلحتنا المتبادلة ، وخطوة عظيمة في سبيل الأمر الذي نعمل له وتعملون له

ونسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح ، وأن يمهّد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج . وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والإخلاص مع المحبة التي لا يزعزعها كمر العصور ومرور الأيام

كتبه الخالص

السيد ارثر هفري مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

تحريراً في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤

الموافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦

الكتاب الرابع

من السير مكاهون إلى الشريف حسين بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الإحسان والرفعة وشرف الحنيد ، سلالة بيت النبوة والحسب
الظاهر والنسب الفاخر ، دولة الشريف العظيم السيد حسين بن علي أمير مكة
المكرمة ، قبة الإسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء ، وبعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ الحجة سنة ١٣٣٢ وسرني ما رأيت
فيه قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأطنه من حدود البلاد العربية

وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضاء تأكيدكم أن العرب عازمون على
السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وغيره من السادة
الخلفاء الأولين — التعاليم التي تضمن حقوق الأديان وامتيازاتها على السواء —
هذا وفي قولكم إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا
مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في
حدود الحكومة العربية ، لأن حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض
اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء . أما بشأن ولايتي حلب وبيروت
فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها
بعناية تامة ، ولكن لما كانت مصالح حليقتها فرنسا داخلة فيها ، فلمسألة تحتاج
إلى نظر دقيق ، وسنخبركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب

إن حكومة بريطانيا العظمى مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات
التي في وسعها إلى المملكة العربية ، ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة
ودية ثابتة كما رسمتم ، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً أدق وأتم

مما تسمح به الحالة الحاضرة ، والسريعة التي تجرى بها هذه المفاوضات ، وإنما نستصوب تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ، ولسنا نريد أن نلقتكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ، ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جدا أن تبدلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة ، وأن تحثوهم على أن لا يمدوا يد المساعدة لأعدائنا بأي وجه كان ، فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن أن يتخذوها لاسعاف غرضنا عند ما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته

وفي هذه الأحوال فان حكومة بريطانيا قد فوضت لى أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوى ابرام أى صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية ، وخلصها من سلطة الأتراك والألمان

هذا وعربونا على صدق نيتنا ، ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم الأمين مبلغ عشرين ألف جنيه ، وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية ، وخالص التسليمات الودية مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمودة الصرفة لمقام دولتكم السامى ، ولأفراد أسرتمكم المكرمة مع فائق الاحترام ما

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

السير ارثر هزرى مكماهون

تحريراً في ٨ صفر سنة ١٣٣٣ - ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥

وقد فهم الملك حسين من هذه الكتب ومن أحاديثه مع المندوبين البريطانيين أن الحكومة البريطانية توافق على إنشاء مملكة عربية على الأسس الآتية :

(١) تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، وتكون حدودها شرقاً بحر خليج فارس ، ومن الغرب بحر القلزم ، والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجمعه مع الدجلة إلى مصبها في بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود ، وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أى شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل محلها في رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد

(٢) تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أى مداخلة كانت بأى صورة كانت في داخليتها ، وسلامة حدودها البرية والبحرية من أى تعد بأى شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء ، أو من حسد بعض الأمراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام حين اندفاعه ، وهذه المساعدة في القيامات والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة ، أى حين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية

(٣) تكون البصرة تحت إشغال^(١) العظمة البريطانية لحين يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ، ويعين من جانب تلك العظمة مبلغاً من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية ، التي هي حكما قاصرة في حصن بريطانيا ، وتلك المبالغ تكون في مقابلة الاشغال

(٤) تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتا والذخائر والنقود مدة الحرب

(٥) تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من

(١) احتلال ، وهذا تعبير الملك حسين

النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها
هذه هي الحكومة العربية التي كان يتخيلها الملك حسين ، ويسعى لها
بمختلف الوسائل ، وسواء كانت هذه الحكومة بهذا الشكل تتفق مع آمال أحرار
العرب أم لم تتفق ، فالملك حسين كان يرى أن حكومة عربية يكون هو على رأسها
تسندها بريطانيا بما لها وسلاحها ستكون مقدمة لحكومة عربية مستقلة استقلالاً
من جميع الوجوه

بدأ ينفذ خطته بإعلان نفسه ملكاً على العرب في أوائل سنة ١٣٣٥ —
١٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ، فكان هذا الإعلان الذي لم يسبقه تفاهم مع أمراء
العرب ولا مع الحلفاء أنفسهم مثيراً لشكوك أمراء العرب ، كما أنه لم يقابل بالارتياح
من قبل الانجليز والفرنسيين

فالملك ابن سعود يقول إنه احتج على إعلان الملك حسين نفسه ملكاً على
العرب ، فانه حين كتب إليه عقب هذا الإعلان يطلب الدخول في مفاوضات
لتحديد حدود نجد والحجاز والقبائل التابعة لكلا البلدين ، أجاهه الملك حسين
أى حدود تطلب إنك إما مجنون أو سكران ، فلم يسع أمير نجد إلا الاحتجاج على
هذه الاهانة ، وأندرانجلترا بأن الحالة ستضطره للدخول في قتال ضد الملك حسين
لأن الرجل يضمم الشر لنجد وأمير نجد ، فتدخل الانجليز في الأمر مؤقتاً وحالوا
دون وقوع الحرب بين الفريقين ، وبذلك سكنت الزوبعة ، وفي الوقت نفسه
اضطروا الملك حسيناً إلى إلغاء اللقب الجديد مكتفياً بملكية الحجاز

فكان هذا أول قبلة أصابت آمال الملك حسين ، كما أنها دلت على أن
الانجليز والفرنسيين لا يشاركون الملك حسيناً في فهمه للمملكة العربية
ولكن الملك حسيناً كان كله آمالاً أن جميع العقد ستحل بعد انتهاء الحرب
لصالحه ، وأن المستقبل سيكون في مصلحته ، وأن انكائرا ستعمل كل ما يمكن

لارضائه وارضاء أمانى العرب الذين ثاروا ضد الأتراك في صف الخلفاء
وماذا كان يسع الملك حسيناً عمله بعد إعلان الثورة وطرد الأتراك من بعض
المدن الحجازية

وقد صرف الملك حسين كل همه لإخراج الترك من الحجاز وسائر المدن
العربية ، مذكراً إنجلترا كما سنحت الفرصة بالمملكة العربية وآمال العرب فيها ،
وكان قواد إنجلترا في بعض المناسبات يضربون على هذا الوتر الحساس مثل منشور
الجنرال مَور بعد فتح بغداد وغيره من سياسى الخلفاء
وبما أن القضية العربية أخذت شكلها الجدى بعد أن وضعت الحرب أوزارها
وعلى مائدة مؤتمرات الصلح ، نرى لزاماً علينا أن نعالجها بشيء من التفصيل
مستعينين بضوء الوثائق لا سيما التي لم يسبق نشرها قبلاً



مؤتمرات الصلح

قبل أن نعالج موضوع القضية العربية في مؤتمرات الصلح يجب علينا أن نرجع قليلاً إلى البلاد العربية قبل الحرب وتسرب نفوذ الأجانب إليها ، فإن ذلك سيساعدنا كثيراً على الحالة من كل وجوهها

كان احتلال تركيا الفعلي موجوداً فقط في العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، ومكة ، والمدينة ، ومدن الحجاز الساحلية ، وشاطئ عسير ، واليمن ، ولكن النفوذ الأجنبي القوى كان يتسرب إلى هذه البلاد ، فلم يبق للحكومة كبير احترام في نفوس رعاياها ، أما الجزء الشرقى الجنوبى من بلاد العرب من الكويت إلى عدن فلم يكن للأتراك سلطة يعتد بها ، بل كان النفوذ الانجليزى متغلباً ، ولو أنه لم يكن مباشراً إلا في عدن

لقد كان النفوذ الانجليزى سائداً في بغداد والبصرة وسواحل ما بين النهرين ، كما أن المصالح الانجليزية كانت متشعبة هناك ، ولكنه كان ضعيفاً في سوريا وفلسطين ، والنفوذ الأجنبى الآخر الذى كان يعمل بنشاط هو النفوذ الفرنسى والألمانى ، والفرنسيون الذين يعتبرون أنفسهم حماة المسيحية في الشرق قد أسسوا نفوذاً قوياً على شواطئ سوريا بما أسسوه من المعاهد ، وبما عملوه لنشر ثقافتهم ولعنتهم في تلك البلاد . وفي السنوات التى سبقت الحرب جاء الألمان ينافسون الفرنسيين ، ولكن قصر المدة لم يمكنهم من إيجاد أى أثر في سوريا وآسيا الصغرى ، وإن كان إنشاء السكة الحديدية (الآستانة — بغداد) قد جعل للألمان نفوذاً لا يستهان به

أما في فلسطين فإن النفوذ الأجنبى كان دينياً فى الأكثر ، إذ يعتبر مسيحيو

العالم القدس أرضاً مقدسة ، وقد تأسست بعثات مسيحية أهمها ألمانية ، كما أسس غيرها من المنشآت الأجنبية الدينية والعلمية . وبيت المقدس محترم أيضاً عند المسلمين ولهم فيه آثار دينية من أقدم العصور . وقد وضع اليهود أساس حركتهم لإنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، تلك الفكرة التي لا يزال اليهود يجهلون بها منذ كارثتهم الكبرى

وزيادة على ذلك فإن سلطة الأتراك في آسيا الصغرى لم تكن قوية ، نتيجة ما لبعض الحكومات الأوروبية من سلطة الامتيازات الأجنبية في المسائل التجارية والقضائية

هذه حالة تركيا قبل الحرب الكبرى ، أما بعد مغامرتها في ٣١ أكتوبر ، سنة ١٩١٤ ، فقد كانت تركيا حريصة على أن لا تفقد شيئاً من أطرافها لا سيما البلاد المقدسة ، فإن فقدانها يضرب الخلافة ضربة قاضية ، ووراء تركيا ألمانيا التي تحلم في تأسيس امبراطورية الشرق الأوسط الألماني ، تدفعها وتمدها بجميع المساعدات المادية والأدبية ضد الحلفاء . هذا من جانب ، ومن جهة أخرى ففرنسا تريد بسط نفوذها وتوطيد سلطتها في الشرق الأدنى ، لأنها حامية المسيحية ، ولكنها عاجزة عن إثارة حرب أخرى خارج بلادها ، واليهود يحاولون تحقيق أحلامهم القديمة ، والعرب يتطلعون إلى استرداد حريتهم واستقلالهم بعد انكسار تركيا . ويجيء بعد هؤلاء الانجليز ، وهم ليسوا بأقل من هؤلاء بالنظر إلى مصالحهم العديدة في خليج فارس والبلاد العربية ، تلك المصالح التي من أجلها جعلوا لهم السيادة في خليج فارس كما قال : The Duke of Argyll في سنة ١٨٧٠ ، والتي من أجلها أيضاً صرح اللورد لانسداي سنة ١٩٠٣ بأن بريطانيا تعتبر انشاء قاعدة بحرية ، أو تحصين أى ميناء على خليج فارس كتهديد لمصالحها التي يجب حمايتها بكل ما يؤديه معنى الحماية من معان

لذا فقد كانت السياسة الحربية البريطانية في الشرق الأدنى ترمى إلى غايتين رئيسيتين : الأولى أن تحتل رأس الخليج الفارسي فتحمي منابع الزيت ، وتمنع العدو من تأسيس مراكز بحرية تهدد المواصلات البريطانية مع الهند ، والثاني أن تحتفظ بهذه المواصلات مع الهند مفتوحة عن طريق قنال السويس والبحر الأحمر

هذه هي الحالة التي كانت تسود بلاد العرب والتي على أساسها تم الاتفاق والتفاهم بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩١٦ على تحديد نفوذ كل دولة منهما ، وعليها أيضاً كان اتجاه مؤتمر الصلح ولكن العرب الذين خاضوا غمار الحرب كانوا يجهلون كل ماتم في الخفاء أو كانوا لا يعترفون به لأنه مناقض لشروط ويلسن التي اختارها الحلفاء لاعلان الهدنة وأساساً للصلح

موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح

يجب علينا أن نذكر هنا الحقائق الآتية خدمة للتاريخ (١) إن الملك حسيناً كان يثق ببريطانيا ثقة لا حد لها ، وكان يعتقد اعتقاداً لا يشوبه أدنى شك ان بريطانيا التي قادت العالم ضد ألمانيا ستسعى بكل الوسائل الممكنة لتكوين المملكة العربية كما يفهمها وان الأتراك حاولوا في أثناء الحرب التأثير في هذه العلاقة بايجاد جو من الشكوك في نفوس العرب فلم يفلحوا لقد كتب جمال باشا إلى الأمير فيصل يخبره بما نشره الروس من وثائق تثبت ما اعتزمه الحلفاء من تقسيم البلاد العربية^(١) واستعداد الأتراك لعقد صلح مع العرب أساسه استقلال البلاد العربية ، ولكن الملك حسيناً الذي لا يشك في

(١) يشير إلى معاهدة سايسكي بيكو

نيات بريطانية رفض اليد التي قدمها جمال باشا بعد تأكيدات بريطانيا^(١)
(٢) إن الملك حسيناً لثقته ببريطانيا كان يعتقد من كل قلبه أنه لا فائدة
من المؤتمرات ، وأن إرادة بريطانيا ويدها فوق المؤتمرات وفوق كل شيء
وترى هذا واضحاً تمام الوضوح في كتاب الملك حسين إلى نائب الملك بمصر
(٢١ أغسطس سنة ١٩١٨ — ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٣٦) حيث يقول :^(٢)
« أما عطف الأمير وتعليقه على مؤتمر الصلح ، فالجواب عليه من الآن بأن
لا علاقة لنا به ، ولا مناسبة بيننا وإياه حتى نتظر منه سلباً أو إيجاباً ، ولو قرر
المؤتمر المذكور إضعاف مقرراتنا ، وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها ، فنكون
من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولى هذا ، الذى أتوسل إليه
أن يتولانا جميعاً بعنايات رأفته الأبدية »

وضعت الحرب أوزارها ، وقبل الأتراك شروط الهدنة ، وانسحبوا تماماً من
البلاد العربية التى أشغلت بالقوات الانجليزية الصرفة ، فيما بين الموصل والبصرة
وفلسطين ، والقوات الانجليزية والعربية وبعض القوات الفرنسية فى الجبهة السورية
اعتقد الملك حسين ومن التف حوله ، أنه ما دام الانجليز هم الشاغلون للبلاد
العربية ، فسيقومون بتشديد المملكة العربية المتحدة ، غير أن هنالك اعتبارات
خطيرة أمام الحكومة البريطانية ستحول دون هذه الأمنية ، ولها محلها الأول فى
نظرهم ؛ هنالك معاهدة (سايكس — بيكو) التى عقدت بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩١٦
وأفشى أمرها الروس ، وهنالك العهد الذى قطعه الانجليز للصهيونيين سنة ١٩١٧
وفرنسا دولة عظيمة لها نفوذها الدولى وقوتها الحربية ، واليهود لهم مكاتهم المالية
ونفوذهم المعنوى ، وجانبهم أقوى من جانب العرب ، غير أن العرب الذين خاضوا
غمار الحرب بغية الوصول إلى نعيم الاستقلال لم يبالوا بما أمامهم من المشاكل ،

(١) فى الذيل نس الكتاب (٢) نص الكتاب المذكور فى الذيل

واستسلموا كل صعب في سبيل غايتهم المقدسة ، وبالفعل فانهم ساروا في الطريق
الذي كانوا يعتقدون أنه متفق تمام الاتفاق مع ما كانوا يعتقدون أنه حق لهم ، ومع
ما كانوا يفهمونه من تصريحات قوات الحلفاء ، فبمجرد أن دخل الأمير فيصل
(المرحوم الملك فيصل) فاتحاً إلى دمشق في أوائل اكتوبر سنة ١٩١٨ أرسل
الجنرال شكري باشا الأيوبي حاكماً عسكرياً على بيروت ، فذهب الموصي إليه
وجلس في سراى الحكومة بدلا من الوالى التركى الذى انسحب من هناك
وفي أواخر اكتوبر احتل العرب اللاذقية ، وانطاكية ، وبيسان ،
والاسكندرونة ، فثار الفرنسيون واعتبروا هذا العمل خرقاً للمعاهدة (سايكس - بيكو)
واضطروا الانجليز أن يأمروا العرب باخلاء الأماكن الساحلية ، فكان ذلك أول
ضربة أصابت آمال العرب وأمانهم

أشارت الملكة العركبية المتحدة على الملك حسين أن يرسل من قبله مندوبا
إلى مؤتمر الصلح ، فقبل الاشارة وعين ولده الأمير فيصلاً مندوباً عنه ، وزوده
بالتعريف الآتى الذى يدل على مبلغ آمال الملك حسين فى بريطانيا :

« حليفتنا الوفية بريطانيا العظمى ترغب حضورك نائباً عن مصالح العرب ، وكل
ما يكون أساساً لحياتهم سواء ما يتعلق بالحدود أو الادارة مما هو معلوم لديك (فى
مجمع سيعقد فى باريس فى ٢٤ نوفمبر الجارى) ، فانفاذاً لرأى عظمتها تتوجه بكل
سرعة ممكنة لباريس (بعد مذاكرتك لفخامة القائد العام فى كيفية سفرك وطريقته ،
وبعد تقرير ما ترونه لحالات البلاد وإدارتها فى مدة غيابك الذى لا يتجاوز تقريباً
شهرًا) ، وحيث إن رابطتنا الوحيدة هى العظمة البريطانية ، ولا علاقة لنا ولا مناسبة
مع سواها فى أساساتنا السياسية ، فكل ملاحظاتك وما تراه فى الموضوع تبديه
لنوابها وعظماؤها الأماجد إن كانوا زملاءك فى المجمع أو معتمديها السياسيين ،
وما يكفونك به من قول أو عمل إن كان فى المجمع أو فى سواه تعمل به ، وتجتنب

كل ما سوى ذلك ، هذه درجة مآذونيتك عما يختص بالمجتمع ، وخير الأهالي
بالمصلحة والقصد (والله يتولاك)

الأمير فيصل بباريس

لقد قام الأمير فيصل بما يجب عليه من الدفاع عن قومه ، فبسط لمؤتمر
السلام القضية العربية ، ووعود الحلفاء لوالده ، وآمال العرب في عدل الحلفاء^(١) ،
فكان أول جواب عملي لسموه مذكرة مستر لويد جورج المؤرخة في ١٣ سبتمبر
إلى كل من الأمير فيصل والحكومة الفرنسية ، وتقضى هذه المذكرة :

(١) انسحاب الجيوش الانجليزية من سوريا وكيكلية في أول نوفمبر

سنة ١٩١٩

(٢) يحل محل الحاميات البريطانية جنود فرنسية في غرب الخط المعترف في
معاهدة سايكس بيكو وفي كليكية

(٣) المقاطعات التي تبقى فيها الجنود الانجليزية هي العراق وفلسطين ، وهذا
الاحتلال مطابق للاتفاق المعقود في ديسمبر سنة ١٩١٨ بين المسيو كمنصو والمستر
لويد جورج

كانت هذه المذكرة أول ضربة لأمانى الأشراف وأمانى العرب ، ولذا فان
الأمير فيصلا أجب على هذه المذكرة بمذكرة أخرى بتاريخ ٢١ سبتمبر تشتمل
على النقاط الآتية :

(١) اجحاف هذا القرار بقانون العرب ، وما كان يتوقعه العرب من
الحلفاء ، وقد تلقى الملك حسين ما يؤيد هذا من وزارة الخارجية البريطانية عند
ما أذاع جمال باشا ما عثر عليه البولشفيك من أمر هذه الاتفاقية وغيرها

(١) راجع نص المذكرة في الذيل

- (٢) إنه ما دام هذا التغيير مؤقتاً فما هي الضرورة الملجئة لهذا التغيير، ولماذا لا يبقى الاحتلال البريطاني كما هو إلى أن يتم الصلح مع تركيا
- (٣) الاحتجاج بشدة على تعيين الحدود لأنه مقدمة لتجزئة البلاد
- (٤) إذا كان لابد من انسحاب الجيش البريطاني من سورية ، فيجب أن تنسحب أيضاً سائر الجيوش الأوروبية ، وتترك المسؤولية للجيش العربي
- (٥) رفض العرب لتجزئة بلادهم وإنكارهم لكل اتفاق لم يكن لهم علم به
- وفي ٢٣ سبتمبر أرسل الأمير فيصل كتاباً^(١) إضافياً إلى رئيس الوزارة البريطانية يشرح فيه رفضه للبحث مع القائد العام للجيوش المتحالفة في سورية في مسألة الاحتلال ، ويطلب إعادة السواحل إلى الجيوش العربية كما كانت عليه الحال في أوائل الاحتلال ، وهي تتولى مسؤولية الأمن وحماية البلاد ، أو ابقاء الحالة على ما هي عليه الآن حين إبرام الصلح مع تركيا

الأمير فيصل في لندن

رأى الأمير أن يوم لندن لعله يجد له مساعداً هنالك لحل المسائل التي تعقدت وكادت تخيب آمال العرب

فكان باكورة أعماله إرساله مذكرة إلى رئيس الوزراء بتاريخ ١٩ أكتوبر^(٢)

(١) إنكار اتفاق باريس والأحرار على مضمون المذكرة المؤرخة في ٢١

و ٢٣ سبتمبر

(٢) التأكيد بأن انسحاب الجيوش البريطانية سيحدث أسوأ الأثر في

سوريا ويؤدي إلى كارثة عظيمة

وقد ختم سموه المذكرة بالطلبات الآتية :

(١) راجع نص الكتاب في الذيل (٢) راجع نص المذكرة في الذيل

(١) الغاء القرار الباريسى أو على الأقل إرجاء العمل به
(٢) عرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل
والنظر فيها من المؤتمر بأجمعه ، أو من لجنة فرعية مؤلفة من أعضاء بريطانيين
وفرنسيين وعرب تحت رئاسة أحد الأمريكان ، للبحث في هذه المسألة الخطرة ،
وتقديم تقرير عنها إلى مؤتمر السلام . فتلقى سموه جواباً مطولاً من وزارة الخارجية
بتاريخ ١٩ أكتوبر^(١) يتضمن :

(١) وصول الملاحظات الابتدائية على مذكرة رئيس الوزراء (التي أرسل
منها نسخاً أيضاً إلى كل من المستر فولك مندوب الولايات المتحدة ، وإلى السنيور
تيتونى مندوب المملكة الإيطالية)

(٢) أن المذكرة المذكورة لا تعبر عن اتفاق سابق بين الحكومتين ، بل
تشمل مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكري
في الولايات التي كانت تابعة لتركيا إلى أن يقرر مؤتمر السلام مستقبلها نهائياً

(٣) أن المقترحات التي تتمسك بها الحكومة البريطانية لم تضعها إلا بعد أن
قررت أنه يستحيل عليها أن تستمر على احتلال سوريا بالجيش البريطانية

(٤) أن الحكومة البريطانية لا ترى أن هذا القرار مغاير للجهود التي عقدتها
حكومة جلالة الملك مع الملك حسين

(٥) رفض الطلبات التي اقترحها الأمير فيصل ، لأن الشعب السوري عاجز
عن القيام بشئون نفسه في الوقت الحاضر ، ولأن تجربة هذا الحل الذي أشار به
سمو الأمير يكون مضرراً لترقى الشعب السوري سريعاً ، وبالنتيجة لاستقلال الشعوب
السورية والعربية

(١) راجع نص الكتاب في الذيل

(٦) أن تعهدات الحكومة البريطانية للحكومة الفرنسية قد بينتها الحكومة

البريطانية للملك حسين قبل دخوله الحرب

(٧) أن الحكومة البريطانية لم تستطع إلا بعد صعوبة أن توطد لسموكم

تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتمل على دمشق ،
وحماة ، وحمص ، وحلب

(٨) نصح الحكومة البريطانية للأمر فيصل بقبول التدبير المؤقت الذي

أشارت إليه المذكورة ، والبحث — حالا — في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية
وبعد هذه المذكورة اجتمع سمو الأمير فيصل ومعه الجنرال حداد باشا والشيخ
فؤاد الخطيب في وزارة الخارجية البريطانية باللورد كرزون ومعه الكولونيل
كورنواليس نائب المعتمد البريطاني بدمشق ، والكولونيل سكرلنج ، ودار البحث
تفصيلا في الموضوع ، وقد أخبر اللورد كرزون الوفد العربي بأن الفرنسيين يرون
أن محل البحث هو باريس لالندن . ثانياً لا يرون ضرورة لاشتراك عضو أمريكي
في الموضوع إلا إذا رغبت أمريكا نفسها في ذلك الاشتراك

وقد أشار اللورد كرزون على الأمير فيصل بالسفر حالا إلى باريس والاتصال
بالفرنسيين ، فان ذلك يكون أنجح لقصده ، وأن الفرنسيين قد لا يرتاحون
للمفاوضات الجارية في لندن ، فلم يسع الأمير إلا قبول النصح الذي أسدى إليه ،
وسافر إلى باريس مرة أخرى

الأمير فيصل في باريس للمرة الثانية

بمجرد وصول الأمير فيصل إلى باريس أرسل مذكرة^(١) بتاريخ ١٢٥ أكتوبر

إلى رئيس المؤتمر مسيو كليمنصو تتضمن :

(١) راجع نص المذكرة في الدبل

(١) علم الأمير فيصل رأى الحكومة الفرنسية في مذكرة المسترلويد جورج المؤرخة في ١٣ سبتمبر القاضي برد جميع الاقتراحات ما عدا انسحاب الجيوش البريطانية من كليكية وسوريا

(٢) اعتراض الأمير فيصل على هذا الانسحاب ، وتحذير فرنسا من السير في الموضوع حيث إنه سيقضى على السلم في البلاد العربية ، التي سيعتقد أهلها أن الحلفاء لا يزالون يريدون تقسيم بلادهم

فرد مسيو كليمينصو على كتاب الأمير بكتاب^(١) مؤرخ في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ وأخبره :

(أولاً) بوصول كتابه والاضطراب الذي أحدثه في نفس الأمير قرار المؤتمر الصادر في ١٥ سبتمبر ، بشأن انسحاب الجيوش البريطانية من سورية وكليكية ، واستبدالها بجيوش فرنسية

(ثانياً) اقتراح سمو الأمير بتأليف لجنة يعهد إليها درس طرق انسحاب الجيوش البريطانية ، وإيجاد إدارة مؤقتة تصون وحدة البلاد وتحفظ النظام بين المناطق المختلفة المحتلة

(ثالثاً) التأكيد لسمو الأمير بأن الحكومة الفرنسية لم تزل ترغب بكل اخلاص في توطيد دعائم الحكم المؤدى إلى الحرية والرقى والنظام في سوريا والعراق ، وسائر بلاد الشرق المحررة بفضل انتصارات الحلفاء ، عملاً بمبادئ سياستها الحرة التي هي نفس المبادئ لمؤتمر السلام ، وأن الثقة العموية المؤسسة بين العرب وحلفائهم في أيام الحرب ستساعد على توطيد علاقاتهم

(رابعاً) رفض اقتراح تعيين اللجنة لأنه فضلاً عن أنه مشوش للحالة

(١) راجع نص الكتاب في الذيل

الحاضرة فانه مخالف لقرار المجلس الأعلى ، ففي ١٥ سبتمبر أعلن المستر لويد جورج للمؤتمر بأن الجنود الانجليزية ستسحب من كليكية وسوريا ، وقد طلب استبدالها بجيوش فرنسية وقد وافقه المجلس الأعلى

(خامساً) أن المسيو كليمنصو مقنع بأن رؤساء الجيوش الفرنسية قادرون على تطمين الأهالي وحفظ النظام في جميع المناطق التي ستحتلها الجيوش الفرنسية بدلا من الجيوش الانجليزية ، وعلى الأمير بما لديه من السلطة أن يفعل ذلك في الشام وحلب

(سادساً) أن الحكومة الفرنسية مستعدة لتلبية أول طلب يصدر من سمو الأمير بمساعدته على صون النظام ، فيما إذا اختل بأغراض المحرضين الذين لا يقدر على غير إلحاق الضرر بمنافع العرب

(سابعاً) استعداد الحكومة الفرنسية للنظر مع سمو الأمير في جميع الشئون الخاصة بالمصالح المشتركة

لقد كان لهذا الرد أثر عميق في نفس الأمير فيصل ؛ ولذا فانه أرسل كتاباً آخر بتاريخ ٥ نوفمبر للرد على المذكرة الفرنسية ، وقد تضمن الكتاب النقط العالية (١)

(١) شكر الحكومة الفرنسية على مودتها التي ما زالت تظهرها نحو الأمة العربية ، وورغبتها الخالصة في تأييد حكم يضمن الحرية والنظام والرقى في سوريا والعراق ، وسائر البلاد العربية المحررة

(٢) حرصاً على توطيد عرى الثقة بين العرب والحلفاء قد ألح سمو الأمير في كتابه المؤرخ ٢٥ الشهر الماضي بوجود تأليف لجنة تبحث في انسحاب الجيوش وتأسيس إدارة مؤقتة في سوريا تكفل وحدتها وفقاً لرغائب الشعب

(١) راجع نص الكتاب في الذيل

(٣) أن مذكرة مستر لويد جورج التي كانت مثار البحث ، والتي لم توافق الحكومة الفرنسية على مجمل ما احتوته ، تشف عن تنفيذ معاهدة (سايكس - بيكو) السرية ، فليس القصد من هذا التبديل الجديد سحب الجند فقط بل تحديد مناطق سياسية واقتصادية ، وتقرير مصير بلادنا وفقاً لمصالح لا تتفق مع مصالحها ، ولهذا فقد لفت نظر الحكومة البريطانية إلى هذا الأمر وبعد المناقشات العديدة والاجتماعات المتوالية ، قبلت مبدئياً تأليف لجنة للنظر في هذا الشأن

(٤) أن الخوف على مستقبل البلاد قد أوجد اضطراباً في الأمة العربية ، وهذا الاضطراب لا يسكن إلا إذا أزيل الأثر السيئ الذي ولدته التدابير الأخيرة وأن الشعب السوري لا يمكن أن يتلاعب به المحرضون بقصد اخلال الراحة والأمن فقط ، وأن هذا الشعب لا يحجم عن أن يهب مرة أخرى للدفاع عن حريته وكيانه

(٥) ذكر في المذكرة الفرنسية أن الحكومة الفرنسية على يقين من اخماد كل حركة قد تثور في الجهات التي احتلتها ، والحقيقة أن الحركة التي ستثور في كل البلاد لا تنشأ عن أعمال المحرضين بل حركة وطنية عامة ، ولا يستطيع سمو الأمير أن يستعين بجنود أجنبية لخماد حركة وطنية نمت واختمرت تحت بيانات الحلفاء الرسمية وتأثيرها

(٦) اندهاش سمو الأمير من قرار مؤتمر الصلح بدون دعوته لسماع مآلديه من الملاحظات

(٧) إلحاح الأمير في العدول عن مسألة اخلال الجنود الفرنسية محل الجنود البريطانية ، ورغبته الصادقة في الوصول إلى اتفاق نهائي يضمن للأمة العربية التقدم والرفق مع الحرية والاستقلال
غير أن الحكومة الفرنسية أصرت على نظريتها ولم تصغ إلى مقترحات

الأمير ؛ ولذا فان الأمير رجع إلى الانجليز مرة أخرى لعلهم يساعدونه في حل هذا المشكل ، وهو يعتقد أن أمثال هذه المشا كل لا يستعصى عليهم حلها

كتب الأمير مذكرة^(١) لمستر لويديجورج بياريس بتاريخ ٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ يشرح فيها ما لقيته مفاوضاته مع الفرنسيين ، ورفضهم تشكيل اللجنة التي كان الانجليز قبلوها ، وأن الفرنسيين لم يقصدوا بدعوتهم إلا اجتماعه مع الجنرال غورو الذي صرح للأمير بأنه سيضطر إلى تنفيذ كل الأوامر التي يتلقاها وأنه مع كرهه لسفك الدماء لا يحجم عنه إذا دعت الأوامر . واتمس الأمير في آخر كتابه مساعدة رئيس الوزارة الانكليزية ، وفي ٢١ نوفمبر أرسل مذكرة^(٢) إلى رئيس الحكومة البريطانية يمتدح فيها باسم والده على ما يراى من احتلال بعض الأراضي السورية ، ويطلب مساعدتها ويذكرها بمعاهداتها مع الملك حسين . ويظهر لنا من البرقية التي أرسلها سمو الأمير لوالده في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ التي فيها يصرح بأن الحكومة الفرنسية مصرة على إشغال أقسام مهمة من مقاطعات دمشق ، وحلب ، تمسكاً بمذكرة مستر لويديجورج ، أن الأمور كانت سائرة في اتجاه مضاد لما كان يريده الأمير ويسعى إليه ، ولكن يظهر أن توسط بريطانيا قد أثر ، ففي ٢٦ نوفمبر أى بعد ارسال البرقية الأولى بأربعة أيام قد أرسل^(٣) الأمير فيصل إلى شقيقه الأمير زيد نائبه في سوريا ، وأرسل وزير الخارجية الفرنسية إلى الجنرال غورو الاتفاق المؤقت الذي تم بين سموه وبين وزارة الخارجية الفرنسية ليقوم الطرفان بتنفيذه ويقضى هذا الاتفاق :

(١) تأليف لجنة من فرنسي وانجليزي وعربي لأجل تسوية المشا كل التي

قد تحدث بين المناطق

(٢) راجع نص المذكرة في الذيل

(١) راجع نص المذكرة في الذيل

(٣) تجد نص البرقيتين في الذيل

(٢) انسحاب الجنود العربية من البقاع مع بقاء الدرك العربي فيها لحفظ النظام والامن تحت أوامر القائمقام

(٣) لا تحتل الجنود الفرنسية البقاع ولا محلاً آخر من المناطق الحاضرة

(٥) تشكيل لجنة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عرب لملاحظة حسن تنفيذ وظائف الشرطة والدرك في تلك الجهة ورفع تقريرها إلى القائمقام

وفي نوفمبر سنة ١٩١٩ أرسل مسيو برتلو السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية كتاباً^(١) للأمير فيصل يعبر فيه عن سرور مجلس الوزراء بالاتفاق على اللجنة العسكرية . الذي كان نتيجة لروح التآلف المتبادل ، غير أن مسيو برتلو صرح الأمير فيصلاً أن ما تم الاتفاق عليه هو تنازل مؤقت من الحكومة الفرنسية عن حقها الذي صادق عليه المؤتمر . وأنه إذا لم يؤكد هذا الاتفاق باتفاق مرضٍ وقاطع إلى ثلاثة أشهر فليكن معلوماً أن الفريقين يستأنفان حرية العمل

غير أن هذا الاتفاق لم يمض على تنفيذه وقت طويل ، فإن السلطة العسكرية الفرنسية رأت أن تقع الثورة الوطنية التي بدت في الأحزاب العربية والشباب العربي ، وأن أي سعة صدر أو تهاون قد يجعل مركزها في سوريا حرجاً ، وفي ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ حدث اعتداء على ضابط الارتباط الفرنسي فقتل وجرح جاويشه ، فأرسلت القيادة الفرنسية قوة من الجند فاحتلت بعلبك ، فاحتج الأمير فيصل على هذا الاحتلال المخالف لروح الاتفاقية بكتاب مؤرخ في ١٩ ديسمبر ، وأعاد الاحتجاج بكتاب آخر مؤرخ في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩^(٢) ، غير أن الاحتجاجات لم يكن لها أثر يذكر

(١) راجع نص الكتاب في الذيل

(٢) راجع نص الكتابين في الذيل

رجوع الأمير فيصل إلى سوريا

وإعلان الملكية في دمشق

سبقت الأمير فيصلاً إلى سوريا إشاعات كثيرة منها : أنه عقد اتفاقاً أولياً مع الفرنسيين في باريس في ٦ ديسمبر يتضمن الاعتراف بانتداب على سوريا وطلب المستشارين اللازمين لتنظيم الإدارات الملكية ، والعدلية ، والأشغال العمومية من الحكومة الفرنسية وحدها ، ومدربين للدرك والشرطة ، كما أن الاتفاقية أعطت للأمير فيصل حق تعيين مندوب مفوض في وزارة الخارجية للدفاع عن الشؤون السورية ، كما أن الممثلين السياسيين والقناصل الفرنسيين في الخارج يقومون بتمثيل المصالح الخارجية للدولة السورية

وشاع أيضاً في سوريا أن الاتفاق الأول عدل في ١٦ ديسمبر باتفاق آخر في ١٢ مادة لا يخرج في جوهره عن الاتفاق الأول ، وإن كان فيه شيء من التفصيل فيما يختص بعمل المستشار المالي ، وإعطاء حق الأولوية التامة للفرنسيين في المشروعات والقروض المحلية ، واعتبار اللغة الفرنسية لغة إضافية إجبارية بعد اللغة العربية

وقد قضت الاتفاقية الأولى والثانية على كتمان هذا العهد من الفريقين إلى وقت الإمضاء النهائي

لقد نشرت الصحف هاتين الاتفاقيتين في وقتها ، كما نشرها بعض المؤلفين العرب بدون أن يخبرونا عن المصادر الوثيقة التي استقوا منها هذه المعلومات واننا لم نعثر فيما لدينا من الأوراق عن شيء يتعلق بهذا الاتفاق . غير أنه في الكتاب المؤرخ في ٢٦ نوفمبر المرسل من سمو الأمير فيصل إلى المسيو برتولو

السكرتير العام للأمر السياسية الذي يشكره فيه على الحل الموفق الخاص بسحب الجنود الانجليزية وتعيين لجنة مشتركة الخ جاء في الكتاب المذكور الجملة الآتية : « واني لم أزل منذ وصولي إلى باريس أصركم كما هو معلوم لديكم على هذه النقطة ، وهي أن قصدي كان الوصول إلى عقد ائتلاف مع الحكومة الفرنسية التي مع قبولى ما يضمن للشعب السوري سيادته الوطنية ستمنح للبلاد بطلب منى معونتها المالية ، ومستشارين بقصد التعاون الودى مع الحكومة العربية الوطنية المؤسسة من قبل الأهلين »

وسواء كان الاتفاق المشار إليه صحيحاً أو غير صحيح ، فإن الأمير فيصلاً كان يود من كل قلبه الاتفاق مع الفرنسيين والاستعانة بهم على تسيير دفة الحكومة العربية ، غير أن سموه حينما وصل دمشق لم يجد جوها السياسى ملائماً لما كان يريده ؛ فهبت الأحزاب في وجهه لا ترضى بغير الاستقلال التام بديلا ، وأفلت زمام الأمور من يد القادة ، ووجد الشباب السوري (والشباب في كل بلد) قوة بريئة تندفع إلى ما تعتقده الحق بدون أن تفكر في النتائج التي قد تنتج . كثرت العصابات في البلاد ، وقامت المنازعات الطائفية مرة أخرى ، وهذا بالطبع لم يكن برضاء أو ايعاز الحكومة الوطنية السورية ، بل الظروف التي أحاطت بالبلاد هي التي حركت المنازعات من جديد

وأخيراً دعى المؤتمر السوري مرة ثانية للبت في قضية الاستقلال واعلان الأمير فيصل ملكاً على سوريا ، وأعلنت الأحزاب على اختلاف نزعاتها رفض الانتداب الفرنسي على سوريا ، كما رفضوا الانتداب البريطاني على فلسطين ، فاجتمع المؤتمر السوري العام وقرر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ — ٧ مارس سنة ١٩٢٠ بإجماع الآراء استقلال البلاد السورية بحدودها الطبيعية ، ومنها فلسطين استقلالاً تاماً . لاشائبة فيه على الأساس المدني النيابي ، وحفظ حقوق

الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو دار هجرة لهم ، واختاروا سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على سوريا ، وأعلن انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث . وقد حذا العراقيون المقيمون في سوريا حذو اخوانهم السوريين فاختاروا قادتهم الموجودين في سوريا الذين شكلوا المؤتمر العراقي الذي انعقد بجانب المؤتمر السوري وأعلن استقلال العراق وانتخاب الأمير عبد الله ملكاً له

وفي يوم الاثنين الموافق ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ هـ — ٨ مارس سنة ١٩٢٠ بويج الملك فيصل ملكاً على سوريا ، كما بويج شقيقه ملكاً على العراق ، وتألفت بعد ذلك الوزارة السورية الثانية برئاسة هاشم بك الاتاسي لم يقابل البريطانيون والفرنسيون هذه الحركة بالرضا واعتبروها تحدياً لهم ، وبالطبع فانهما لم يعترفا بالتغييرات التي وقعت في المنطقة السورية ، ولقد جرت حوادث احتكاك كثيرة بين السلطات العربية والحكومة الفرنسية جعلت سوء التفاهم يزداد بين الفريقين ، فالجانب السوري ينظر إلى الفرنسيين نظر المستعمر الذي يريد استعباد الشعب والتحكم فيه ، والفرنسيون ينظرون إلى السوريين نظر المحرض الكاره لهم ، العامل على خلق المتاعب في سبيلهم ، وبالرغم مما كان يبذله العقلاء لتسكين الخواطر الثائرة ، وإحلال الوئام مقام الخصام ، فان جميع المساعي التي بذلت ذهبت سدى ، حتى أنه كان يتهم بالخيانة كل من كان يشير بالاعتدال وأخيراً أرسل الجنرال غورو انذاره النهائي في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٠ باسم الحكومة الفرنسية ، وقد تضمن البلاغ المذكور :

- (١) تحمل حكومة سوريا كل تبعة إزاء سكان سوريا الذين عهد مؤتمر الصلح إلى فرنسا أن تمتعهم بحسنات إدارة مؤسسة على الاستقلال والنظام والرخاء
- (٢) أن سمو الأمير قد أجاب على ما أظهرته فرنسا من تأييدها رغبة السكان

الذين يتكلمون العربية على اختلاف مذاهبهم لحكم أنفسهم بأنفسهم ، بأن لسكان سوريا مصلحة كبيرة في طلب المشورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شؤون الأمة ، نظراً لما أصاب البلاد من الازهاق التركي ، وأن سمو الأمير دعا فرنسا إلى القيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية

(٣) ذكر حوادث متعددة نسبت إلى الحكومة العربية

(٤) سياسة حكومة دمشق العدائية بإدخالها بعض العناصر المشهورة بعداء فرنسا في الحكومة ، وانتخاب الوزارة من تلك الفئة التي لا تقتصر خطتها على إهانة فرنسا ورفض مساعدتها ، بل تتناول المجلس الأعلى الذي منح فرنسا الانتداب في سوريا

(٥) التدابير الادارية ضد فرنسا بمنع جميع المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك سورية في المنطقة الشرقية ، ورفض التعامل بالورق النقدي السوري

(٦) اجتياز السلطة الشريفة حدود المنطقة الشرقية ، وتقديمها داخل المنطقة لتظهر أنها توسعت توسعاً يقصد به اخراجنا

(٧) الاعتداء على الحقوق الدولية التي توجب على قائد جيش الحجاز المحتل قطراً سوريا أن يظل عثمانياً حتى تقضى المعاهدة بتغييره ، وألا يحاول تغيير الحالة الراهنة التي هو حارس عليها ، ولكنه تصرف عكس هذا متخذاً صفة السيادة العليا ، وقد قرر التجنيد الاجباري ونفذ مع أن البلاد لا تزال أجنبية ، وهذا العبث قد أكره عليه الشعب حتى في المناطق التي لها شكل خاص كاللبقاع ، واعلان المجلس الملقب بالمؤتمر السوري الذي تألف واجتمع بصورة غير قانونية بسن القوانين وتشكيل حكومة غير معترف بها ، فضلاً عن أنه قدم اللقب الملكي لسموكم بدون حق ولا وكالة

وطلب الجنرال غورو باسم الحكومة المطالب الآتية كضمانات لسلامة جنوده وسلامة السكان ، والضمانات هي :

(١) التصرف بسكة « رياق — حلب » الحديدية لاجراء جميع النقلات بمراقبة مفوضين فرنسيين

(٢) قبول الانتداب الفرنسي الذي يحترم استقلال سورية ولا يتضمن سوى المعاونة بين الدولة المنتدبة دون أن يتخذ شكل استعمار

(٣) قبول الورق السوري

(٤) تأديب المجرمين الذين كانوا أشد عداء لفرنسا

وقد أعطيت مهلة أربعة أيام للإجابة ، تبتدى من نصف ليل ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠ ، على أن الحكومة الفرنسية ستكون مطلقة اليد في العمل إذا لم يصلها إشعار بقبول هذه الشروط في الوقت المعين

ثم أعقب هذا الانذار منشوراً من الجنرال غورو على سكان سوريا ببيان موقف حكومة فرنسا تجاه الحكومة العربية في دمشق

لقد كان لهذا الانذار أسوأ أثر في سوريا كما أنه أوقع الخيرة في نفوس المسؤولين ، أسيرون إلى النهاية في خطتهم و ينتظرون ما يحكم به القدر ، أم ينزلون على إرادة الجنرال غورو ويقبلون مطالبته بلا قيد ولا شرط

بعد محاورات كثيرة بين رؤساء الجيش وبين جلالة الملك ، وبين الملك وبين المؤتمر السوري الذي كان يصر على خطة الدفاع عن حقوق البلاد مهما كانت النتيجة ، سلمت الوزارة لجلالة الملك الرد الذي وضعته على الانذار الفرنسي ، ويتلخص في إنكار التهم التي نسبت إلى الحكومة العربية بتألف العصابات وإيجاد جو مضاد لفرنسا ، وأن الحركة العربية هي في الحقيقة حركة طبيعية ضد الاستعمار ، وختمت المذكرة بما يأتي :

- (١) السماح بالورق السوري بالدخول إلى المنطقة السورية
- (٢) اجراء التحقيقات القانونية في قضية المشتركين في الجرائم ، ومعاقبة كل من تثبت إدانته حسب القانون
- (٣) الاكتفاء بالعدد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط
- (٤) قبول قرار مؤتمر سان ريمو على أن يعين شكله الصريح بواسطة الوفد الذي سيرسل إلى أوروبا لهذه الغاية
- (٥) الموافقة على وضع الخط الحديدي من رياق إلى حلب تحت أمر السلطة العسكرية المشتركة من الجيوش السورية والفرنسية ، واتخاذ مدينة حلب قاعدة حرية على شرط أن يشترك الجيش السوري مع الجيش الفرنسي في تحديد حدود سوريا الشمالية

ثم استعفت الوزارة الاتاسية عقب ذلك ، ويقول الذين كانوا في سوريا في هذا الحين إن الرد لم يرسل ، وهو في الحقيقة كان أساس قبول الملك فيصل شروط الجنرال غورو بلا قيد ولا شرط ، فقد أرسل جلالته في ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ برقية يخبره فيها بذلك ، فتلقى جواباً من الجنرال يقول فيه : إني أشكرك على تحكيم العقل في هذه الأمور ، وإنما أرغب إليك أن يكون جوابك على الوجه الآتي : أخذت اندارك المتضمن الشروط الآتية ، وقد قبلتها بمرتها ، وقد كانت هذه البرقية سبباً في مد مدة الانذار أربعة وعشرين ساعة أخرى ، ثم أربعة وعشرين ساعة أخرى ، حيث انتهت مدة الانذار في الساعة الثانية عشرة من يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٠ ، غير أن جواب الملك فيصل قد تأخر وصوله إلى الجنرال غورو لأسباب لا تزال مجهولة قد تكون من بعض الموظفين الذين لا يروقههم أن يروا الصفاء سائداً بين الفرنسيين والعرب ، وقد تكون الأسباب انقطاع الأسلاك البرقية ، وقد تكون غير ذلك . ولكن المهم أن الجنرال غورو

قد عرف رأى الملك فيصل في الموضوع ، ومع ذلك فقد تدرع بتأخير التفاوض ، وأمر الجيش الفرنسي بالزحف فهزم الجيش العربي بعد قتال لم يستمر أكثر من بضع ساعات ودخل دمشق في ٢٥ يوليو ، وأبلغ رئيس البعثة الفرنسية الملك فيصل أن يغادر دمشق عملاً بقرار حكومة الجمهورية ، ولم يكن يوم ٢٨ يوليو حتى وضعت فرنسا يدها على المدن الأربعة ، وقضت القضاء الأخير على الحكومة العربية السورية ولقد احتج الملك حسين أشد احتجاج على ما آتته فرنسا في سوريا ، ولكن الاحتجاجات لا تعدل من خطة القوى

لقد كان ما أصاب سوريا أكبر ضربة أصابت آمال الملك وهدمت صرح أحلامه في إنشاء الأمبراطورية العربية ، وفي الواقع لم تكن ضربة لآمال الملك حسين ، بل ضربة لآمال متعلمي العرب وشبانهم الذين طالما عارضوا الأتراك في أساليب حكمهم واستبدادهم بشئون البلاد العربية

على أن الملك فيصلاً في أثناء الحرب وأثناء إقامته في أوروبا ترك أحسن الأثر في نفوس عارفيه ومن اتصل به من البريطانيين ، فرشح لعرش العراق واختير في سنة ١٩٢١ ملكاً على العراق ، ومنذ ذلك الوقت وجلالته يدأب على السهر في مصالح العراق حتى تمكن بكياسته ومساعدة قادة العراق إلى إلغاء الانتداب على العراق ، واستخلاص استقلال العراق والاعتراف به بشكل دولي محترم ، وجعل للعراق منزلة تحسدها عليه سوريا

إن تطورات الحوادث وسعى ملوك العرب في التفاهم وترك الخصام والعداء الشخصي القديم مما يبشر بخير عظيم للأمة العربية ، وكل ما نرجوه أن تجتمع كلمة زعماء العرب وقادتهم ، ويجعلوا صالح الشعب العربي مقدماً على كل ما سواه ، ويسلكوا الطرق العملية للوصول إلى غرضهم ، فإن ذلك كفيل بمستقبل حسن للعرب وإن من ينظر إلى الروح العربية قبيل الحرب في سائر البلاد العربية ، ويقارنها بالروح الحالية يشعر بتقدم عظيم في الشعور القومي

أثر الثورة العربية في الحرب العامة

لا يصح أن نبالغ كثيراً في تأثير الثورة العربية في الحرب العامة ؛ فإن الحجاز كانت مفتقرة إلى الحلفاء في كل شيء ، في السلاح والذخيرة ، والمؤونة والغذاء ، والقوات الفنية . ولكننا من جهة أخرى لا يصح أن نقلل من أهمية الثورة وتأثيرها في موقف الأتراك في الشرق

واللورد سسل وزير الحصار (وهو أخبر من غيره بمدى هذا التأثير) قد وصف

الأعمال العسكرية بعد إعلان الثورة في مجلس اللوردات في خطبته الآتية : —

« إنى بإذن مجلس الندوة أصف بقدر ما يمكن من الايجاز أدوار الأعمال

الحرية التي جرت منذ إعلان الاستقلال العربي في مكة في شهر يوليو سنة ١٩١٦

كان للترك في ذلك الوقت في الأقطار الحجازية جيش نظامي مؤلف من عشرين

ألف جندي مزوداً بالمدفعية المتناسبة وكل لوازم الثقليات والمواد الغذائية والمهمات

الحرية ، علاوة على السكة الحديدية العسكرية التي تصل الجيش المذكور مباشرة

مع مراكزه الشمالية . ان العرب الذين انضوا تحت لواء الحرية والاستقلال لم

يكونوا منظمين ولا مزودين بالأسلحة الحديثة ، وبالرغم من ذلك فقد تسنى لهم

منذ أول الحركة الاستيلاء على جدة ، ومكة ، والطائف ، وينبع ، والوجه ،

والعقبة ، وتيما ، وعلى أثر ذلك انضم كثير من القبائل العربية إلى جانب جلاله

ملك الحجاز ، وتطوع كثير من الضباط والجنود العرب الموجودين عندنا في

الأسر في الجيش العربي ، فشكل جلالته منهم قوة متمرنة مستديمة ليحفظ بها

ما استولى عليه ، ويوسع نطاق الاستقلال العربي ، ولقد كانت نتيجة الجهود

الذي بذله هذا الجيش القومي بقيادة أصحاب السمو : الشريف علي ، وعبد الله ،

وفیصل ، وزید ، أن سواحل البحر الأحمر طُهرت من الأتراك على مسافة ٨٠٠ ميل ، كما أن مواصلات السكة الحديدية العسكرية انقطعت مراراً عديدة ، وألحقت خسائر جسيمة في أدوات السكة الحديدية وعرباتها ومستودعاتها ، والمدينة المنورة نفسها محصورة منذ سنة . وقد تقدم الشريف فيصل بجهة جيشه من مكة أي من شمال الطُّفَيْلة على شواطئ البحر الميت يعني على مسافة ٨٠٠ ميل ، وقد كانت نتيجة الغارة التي قام بها فريق من الجيش البريطاني على عمارة أنها ساعدت الجيش العربي على الاحتفاظ بمراكزه ، والخسائر التي ألحقت بالأتراك حتى الآن جسيمة جداً ، ويمكننا أن نقول بكل اطمئنان : إن القوات العربية منذ الاستقلال العربي حتى الآن قد حصرت وأسرت وأشعلت ٤٠٠٠٠ جندي تركي ، وغنمت أكثر من مائة مدفع ، وبالرغم من انهماك الحكومة الحجازية في الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال فقد تسنى لها افتتاح عصر جديد من النظام والترتيب لم تعرفهما الأقطار الحجازية منذ دخلت تحت سلطة الأتراك ، وقد نجحت الحكومة العربية باتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل الحج في السنتين الأخيرتين ، ولقي الحجاج من ضروب الرفاهية والعناية الطبية ما لم يسبق لهم التمتع به من قبل ، وكان الحج في كلتا السنتين سالماً من الأوبئة والتعديات العادية والاضطرابات . وفي القسم الشرقي من جزيرة العرب قد برهن الأمير ابن سعود أنه حليف متين ، وقد أسس استقلال القسم الأعظم من نجد ، وما زال أمير حایل شخصياً تحت حكم الأتراك ، وقد مضى عليه سنة وهو متغيب عن عاصمته »

وقد أطرى اللورد النبي شجاعه الجيش العربي وابلاءه البلاء الحسن في اقضاء الأتراك عن البلاد العربية ، كما أطرى المساعدات العظيمة التي أسدوها والأثر الحربي الذي لا ينكر في ميدان فلسطين ، وأن العرب بانضمامهم للحلفاء لم يفيدوهم فقط فائدة عادية ، بل إن الملك حسيناً بذل نفوذه المعنوي في سائر الجهات

التي كان دعاة الأتراك يثنون فيها دعوتهم ضد الحلفاء
أرسل الملك حسين الشيخ (عباس مالكي) من علماء الحجاز إلى الحبشة
حسب طلب الانجليز ، فشر الدعوة للشريف أو بعبارة أخرى للحلفاء ، لأن غاية
الجميع واحدة ، وأحبطت بعثة الشريف حسين مساعي رسل الأتراك وأعادت
السكون إلى تلك الأطراف . كما هيا الشيخ سليمان أزهر لارساله إلى بلاد
التركيستان ، ولكن الانقلاب الروسي حال دون سفره

نعم ان الجيش العربي كان يستمد من الحلفاء لاسيا الانجليز كل شيء : المال
والذخيرة والغذاء والسلاح ، ولكن العرب لم يضمنوا بشيء في سبيل استخلاص
بلادهم من الأتراك ، بل بذلوا نفوسهم وهي أعز شيء بذل السماح ، ولقد أمد
الحلفاء بعضهم البعض بالسلاح والرجال وغيرهم ، كما أمد الألمان الأتراك بالسلاح
والمال ورجال الفن

ومهما قيل فإن ما أسداه العرب للحلفاء من الأعمال العسكرية وما خفقوا به
الضغط عنهم أثن من الذهب الذي تدفق مرة ثانية إلى الخارج بما اشتراه
العرب من الضروريات

لقد بالغ الناس كثيراً في هذه الإعانات ، ولم نر كتاباً من الكتب التي
نشرت أخيراً أزال الستار عن هذا وأوضح لنا هذا الغموض ؛ ولذا فإننا نحاول
باختصار أن نذكر شيئاً هنا من الأوراق التي تحت أيدينا خدمة للتاريخ العربي ،
والحقيقة التي ينشدها المنصفون

في كتاب بتاريخ^(١) ٢٩ مارس سنة ١٩١٧ من دار الاعتماد البريطاني للملك
حسين أن الاعانات كانت توزع كالاتي : —

(١) راجع نص الكتاب في الدليل

٤٠	ألف جنيه	لسمو الأمير فيصل
٣٠	» » » »	عبد الله
٢٠	» » » »	علي
٢٠	» » » »	زيد
١٥	» »	لجده
<hr/>		
١٢٥	ألف جنيه	

وانه من ذلك التاريخ سيزاد ١٠ آلاف على ما يدفع لسمو الأمير فيصل ،
ومثلها لسمو الأمير عبد الله ، فيصبح ما يتناوله الأول ٥٠ ألفاً وما يتناوله الثاني
٤٠ ألف جنيه أى أن المبلغ الشهرى كان أولاً ١٢٥ ألف جنيه فأصبح ١٤٥ ألف
جنيه على أن هذا المبلغ قد زاد حتى وصل إلى ٢٠٠ ألف جنيه

وفي كتاب^(١) لدار الاعتماد البريطانى بجدة بتاريخ ١٣ ابريل سنة ١٩١٩
أن الحكومة البريطانية خفضت الاعانة التى تدفع إلى الحجاز ١٢٠ ألفاً منها
٨٠ ألفاً لحكومة دمشق أو بعبارة أخرى للأمير فيصل ، ولكنها زيدت بعد
ذلك ١٥٠ ألفاً ، ثم خفضت إلى ١٢٠ ألفاً مرة ثانية ، ثم إلى ١٠٠ ألف ، وأن
النية فى تخفيضها إلى ٨٠ ألفاً ، غير أن الحكومة البريطانية استمرت تدفع ١٠٠
ألف للحجاز حتى شهر يوليو سنة ١٩١٩

وفي كتاب^(٢) آخر من دار الاعتماد البريطانية للملك حسين بتاريخ مايو
سنة ١٩٢٠ أن المبلغ الذى وصل إليه من الخزانة البريطانية عن المدة ما بين ابريل
سنة ١٩١٨ لغاية ٣١ مارس هو مبلغ ٢,٤٧٥,٠٠٠ باعتبار ٢٠٠ ألف جنيه كل
شهر مع اضافة ٢٥ ألف جنيه علاوة على كل من ثلاثة الأشهر ابريل ومايو ويونيو

(١) راجع نص الكتاب فى الذيل (٢) راجع نص الكتاب فى الذيل

وفي كتابين بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٢٢ وأول فبراير سنة ١٩٢٣ أن المبلغ الذي وصل إليه من أول ابريل سنة ١٩١٩ إلى ٣١ مارس سنة ١٩٢٠ كان

بنس	شلن	جنيه
٥	٧	٩٢٥,٥٧٥
٦	١٥	٢٧,٢٥٣

هذا ما يختص بالنقود التي كانت ترسل من الجانب البريطاني لمساعدة الثورة العربية ، أما الأغذية فيكفي أن نقول : أن الحجاز ليس بلداً زراعياً يمكن أن يقوم بحاجات سكانها وما فيه من الأودية المزروعة لا يكفي بحاجات السكان ؛ ولذا فقد كان الحجاز دائماً محل عطف ورعاية من سائر ملوك المسلمين ، وفي أثناء الثورة العربية كانت إنجلترا تقوم بتقديم كل ما يحتاج إليه الجيش العربي في سائر الميادين ، كما أنها كانت ترسل إلى مكة مقادير غير قليلة للأهالي الذين كانوا في أشد حاجة لهذه المساعدة وربما كان من المفيد أن ننشر قائمة بما أرسل من الأغذية في سبتمبر من ١٩١٧ ليكون لدى القارئ صورة صحيحة مما كان يقوم بها البريطانيون أثناء الحرب لتموين الثورة العربية



شهر سبتمبر

ما يبقى بمجده لحين وصول باخرة الذخيرة الثانية من الهند	يرسل على باخرة الحب	يرسل على الأريشوزا	ما أرسل في هذا الشهر
٥٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	دقيق ١٠٠٠
٣٠٠٠	٥٠٠٠	٣٢٠٠	أرز ١٠٠٠
—	٢٥٠	—	بن ٦٠
—	١٨٠	—	سكر ٣٠
—	٢٠٠	٥٠	شعير ٥٠٠
	٣٠٠٠	—	دقيق ١٦٠٠
	٥٠٠٠	—	أرز ٤٠٠٠
	—	٢٥٠	بن ٠
	—	٢٥٠	سكر ٠
	—	—	شعير ٠
			دقيق ١٢٠٠
			أرز ١٢٠٠
			بن ٥٠
			سكر ٥٠

ملاحظة

- ١ — كل الأعداد معتبرة بأ كياس صغيرة بخلاف الشعير فمحتسب بأ كياس كبيرة
- ٢ — البن معتبر بالصناديق

أما الأسلحة والذخيرة فالثورة كلها كانت مسلحة بأسلحة الإنجليزية وقليل من الأسلحة الفرنسية ، ولكن الشيء الذي يجب أن نذكره هنا : أن الحكومة البريطانية كانت دائماً تتجنب كل ما من شأنه أن يثير شبهة تداخلها في الحجاز فلم ترسل طياراتها أو رجالها الفنيين إلا إلى الأماكن البعيدة عن مكة والمدينة ، ولعلمها أن جيش الشريف ينقصه الشيء الكثير من الضباط المدربين والعسكر النظاميين فقد أمدت جيشه بعدد من ضباط الجيش المصري وجنوده في الطائف ، ومكة ، والوجه ، كما أن الفرنسيين أيضاً أمدوا الجيش العربي ببعض الضباط ، ولكن أثرهم كان ضعيفاً بالمقارنة إلى المساعدات البريطانية ويظهر أن هذه المساعدات كان دون حاجة الجيش ، فان الملك حسيناً كان كثير الشكوى ويطلب من وقت لآخر المزيد ، كما أنه كان يتهدد البريطانيين بالاستقالة إذا لم تجب طلباته ، ولكن البريطانيين كانوا يعالجون الأمر بالحكمة والصبر والأناة شأنهم في معالجة سائر الأمور حتى انتهت الحرب كما يشتهون من انتصاراتهم وانتصار حلفائهم على ألمانيا وشركائها



المعاهدة البريطانية مع الملك حسين

لا شك أن آمال الملك حسين قد أصابها شيء من التصدع بعد حوادث سورية، ولكن الآمال انتعشت قليلاً بعد أن تبوأ ولده المرحوم الملك فيصل عرش العراق، غير أن الملك حسيناً ما زال من وقت لآخر يلح على البريطانيين بالوفاء بعهودهم المقطوعة له، والبريطانيون كما يتبين من أحاديثهم مع الملك فيصل شرحوا موقفهم جليلاً، وأنهم لا يتفقون مع ما يفهمه الملك حسين من العهود، ولكنهم من جهة أخرى كانوا يعترفون بمساعدات الملك حسين لهم في الحرب العامة، فكانوا يودون أن يصفوا الحساب بينهم وبينه بمعاهدة سياسية، فأوفدوا لهذا الغرض الكولونيل لورانس سنة ١٩٢١ فتفاوض مع الأمير علي، والشيخ فؤاد الخطيب، ودار البحث بين الطرفين على الحدود الحجازية النجدية المختلف عليها، والحدود اليمنية والاتحاد العربي، ثم على مشروع معاهدة بين الطرفين^(١)، ويظهر أن الاتفاق كان تاماً، لأنه ليس من المعقول أن يتم أي شيء بين الأمير علي وبين الكولونيل لورانس بدون موافقة الملك حسين، ولكن الملك حسيناً رفض المعاهدة لأنه لم يجدها متفقة مع أمانيه، لا سيما ما يتعلق منها بالبلاد المجاورة للحجاز وخاصة ابن سعود ولقد أراد سمو الأمير عبد الله حينما كان في لندن في خريف سنة ١٩٢١ أن يتدخل في الموضوع بانتهاء موضوع المعاهدة، لا سيما وقد سبق له البحث مع الكولونيل لورانس أيضاً في جدة، وبالفعل فقد استخبرت دار الاعتماد الانجليزي في جدة في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ عما إذا كان الملك حسين يرغب في أن يعيد سمو

(١) في ذيل الكتاب نص مشروع المعاهدة وخلاصة المباحث التي دارت بين الكولونيل

لورانس والأمير علي

الأمير عبد الله فتح المفاوضات و إمضاء المعاهدة بالنيابة عن جلالة الملك ، فأجاب جلالته بكتاب صدره بالشكوى والعتاب ، وأنه أمضى المعاهدة وأرسلها للأمير عبد الله بناء على مذاكرة الكولونيل لورانس بعد تعديل بعض المواد ، وإنما وإن لم تقف على التعديلات التي أدخلها الملك حسين ، غير أن تداخل سمو الأمير عبد الله لم يقدم الموضوع خطوة ، وأن التعديلات التي أدخلها على النص الموضوع لم يقبلها الجانب البريطاني

ولقد أوفد الملك حسين الدكتور ناجي الأصيل عدة مرات إلى البلاد الانجليزية لحل معضلة المعاهدة والقضية العربية على الوضع الذي يريده ، أما مايتعلق بالقضية العربية والعهود التي قطعت للملك حسين ، فالدكتور ناجي الأصيل لم يكن له من النفوذ والشخصية التي كانت للملك فيصل والأمير عبد الله ، ولذا فإنه لم يكن ينتظر له الفوز من هذه الناحية

أما من جهة المعاهدة فإن الحكومة الانجليزية قد استفهمت من الحكومة الهاشمية بكتاب سرى مؤرخ في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢ عما إذا كان الملك حسين مستعداً لقبول بعض اصلاحات في المعاهدة التي يحملها الدكتور ناجي الأصيل ، فإن معتمد وقنصل بريطانيا في جدة مستعد للبحث والتوقيع على المعاهدة والاصلاحات المشار إليها قد ذكرت في كتاب سرى آخر مؤرخ في أول فبراير سنة ١٩٢٣ وهي :

- ١ — يحذف ما يتعلق بالاعانة لأن الاعانات كان قد تقرر قطعها
- ٢ — حذف ما يتعلق بالتمثيل القنصلي بمصر لأن مركز مصر قد تغير عن

سنة ١٩٢١

- ٣ — إضافة مادة جديدة كالآتي : إن جلالة الملك حسين يعترف بالمرکز الخاص لصاحب الجلالة البريطانية في العراق وفلسطين وإضافة مادة أخرى بترجيح النص الانجليزي في حالة وقوع خلاف في فهم

حدى المواد ، فأجاب الملك حسين على هذه التصحيحات بكتاب مؤرخ^(١) ١٧ / ٦ / ١٩٢١ بأنه قد تحقق ظنه الآن بأن الغيظ والغضب علينا من بريطانيا العظمى بشأن المعاهدة هو من جهة المواد المتعلقة بابن سعود ، وهذه المسألة لا نقول عنها إلا شيئاً واحداً ، هو أن عظمتها ترجح ابن سعود علينا ، فهل من يقول إذا لم تروا اننا نكون معه على ما كان الآباء والأجداد في المادة والمعنى ، خذوا البلاد كلها وسلموها إليه ، ولا تبقى عليه مؤاخذه أو معاتبة ، وهل من موجب بعد هذا على مشاركة بريطانيا له على ما يسفك من الدماء ، وما ينهب من الأموال ويسحق ويمحق من الديار ، لاعاتها له بالمال والسلاح ، وإني لم أزل ولن أزال على هذه الفكرة

أما إدخال المادة الخامسة عشرة (وهي الخاصة بالعراق وفلسطين) فحيث إننا معتقدون وجازمون بأن كافة البلاد العربية المحدودة في الوعود والعهود هي معنى قائمة بما يراد بقولكم في العراق وفلسطين ؛ فلا نرى لهذا إلا التشويش والاضطراب على شخص جلالته خاصة والبلاد عامة ، وأشرنا إلى ذلك في كتابنا إلى مندوبنا الأصيل ، وفي بريقتنا إلى دار الاعتماد في ١٩ رجب سنة ١٣٣٧ ، وهو طلب ما تقرر أساساً من جهة حدود الشام والعراق والبصرة ، وجعلت الإعانة الشهرية في مقابلة اشغالها للبصرة وأن أول شرط في مقرراتي المذكورة جعل بلادنا المحدودة بتلك الحدود والمعلومة في تلك المقررات تحت حماية بريطانيا من كل تعدّ الخ وهكذا فشلت هذه المحاولة كما فشلت المحاولات التي سبقتها ، وقد ارتطمت المعاهدة بصخرة قضية فلسطين وموقف بريطانيا من ابن سعود ، وقد أتاحت هذه الخلافات الفرصة لابن السعود أن يغير على الحجاز ويضع آخر حد للخلاف مع الملك حسين

(١) قد اخترنا نص العبارات التي استعملها الملك حسين بدون أى تغيير

المسألة الفلسطينية

لا نريد هنا أن نأتى على تاريخ محاولة اليهود إنشاء مملكة يهودية في فلسطين فقد أفردت لهذا الغرض مؤلفات خاصة ، ولكن الذى يهمنا أن نقرره هنا أن الحركة الصهيونية التى ظهرت بعد الحرب واتخذت شكلا أزعج العرب لم تكن جديدة ؛ فالحكومة التركية كانت تعلم خطر هذه الحركة فوضعت فى سنة ١٩٠٠ م تعليمات تقضى بمنع مهاجرى اليهود من الإقامة فى فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر ، وقد احتجت إيطاليا وأميركا على هذا الحجر ، ولكن الحكومة التركية لم تصغ إلى ذلك ، وقد بذل هرتشل أكبر القامئين بالدعوة مجهودات عظيمة فى الآستانة ، ولكنه فشل فى حمل الباب العالى على الموافقة على إنشاء حكومة يهودية فى فلسطين ، غير أن المساعى اليهودية لم تعرف اليأس بل سارت فى أعمالها الاقتصادية والزراعية بكل تكتم ، كما أنها نشطت فى عقد المؤتمرات المتعددة لإثارة حماسة اليهود وتوحيد مساعيهم والتفاهم فى الوسائل الممكنة

قد أرادت الحكومة الاتحادية بيع نحو ثلاثة ملايين فداناً من الأراضى فى فلسطين وسورية ، ولكن الشهيد شكرى بك العسلى هاجم المشروع فى المجلس النيابى التركى وبين المضار والأخطار التى تصيب البلاد من أجله ، فحبطت المساعى المبذولة وطوى المشروع ، غير أن الصهيوين لم يعدموا الوسائل التى يمتلكون بها الأرض ، والدرهم تسخر كل شىء . دخلت تركيا الحرب فى صف ألمانيا وحلفائها فانتعشت آمال اليهود يوم صرح مستراسكويث رئيس الوزارة الانجليزية بأن جرس جنازة تركيا قد دق ، لافى أوروبا فقط بل فى آسيا أيضاً ، فاستبشروا بأن تأسيس دولة يهودية فى فلسطين أصبح ممكناً ومعقولاً ، وبرز

الدكتور ويزمن الأستاذ في جامعة مانشستر واندفع حتى أصبح قائد الحركة الصهيونية العامة ، وهو الذي اعتبر دخول تركيا في الحرب عهداً جديداً لفلسطين وفرصة نادرة يجب الاستفادة منها

قابل الدكتور ويزمن مستر لويد جورج وكان يومئذ وزير المالية ، ووسط له آراءه وآماله بجعل فلسطين بلاداً يهودية ، فارتاح إلى هذا الطلب ثم عمل على الاجتماع مع مستر بلفور فأنس منه كل تشجيع . لقد بحث الحلفاء (فرنسا وبريطانيا) في تقسيم تركيا (تركيا) . وأمضى اتفاق (سايكس — بيكو) في ربيع سنة ١٩١٦ ، ولم يخطر ببال الحلفاء إذ ذاك مسألة اليهود ، غير أن اليهود الأقوياء الأذكاء استطاعوا أن يصلوا إلى غرضهم بإقناع الإنجليز بأهمية مايرمون إليه وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٧ أى بعد تصريح بلفور بأسبوعين أرسل السير مارك سايكس كتاباً^(١) دورياً إلى زعماء العرب يوجه نظرهم فيه إلى أن الاهتمام بالقضية العربية يجب أن لا يوجه فقط إلى نجاحها في ميدان الحرب ، بل يجب أن يوجه أيضاً إلى بقائها سائرة بالاتفاق مع سياسة العالم والنهضة العصرية ، لأن النهضة العربية إذا صادفت نجاحاً في ميدان الحرب فقط ، ولم تكن موافقة لآراء الحكومات وعناصر العالم المختلفة ، فإنها لا تنال التأييد السياسي اللازم لحفظ كيانها والضامن لحياتها بعد الحرب

ووجه نظر قادة العرب أيضاً إلى أن العرب مع اتحادهم في اللغة والجنس منقسمون انقساماً عظيماً جغرافياً وتهديبياً علاوة على الاختلاف الناشئ عن تأثير الظالم مدة سنين طويلة وقد أسدى النصيحة الآتية :

إن الحكومة البريطانية قد اعترفت بالصهيونية ، والصهيونيون أعظم قوة يهودية ، واليهودية منتشرة في العالم أجمع ، فإن اتحدت قوة الصهيونية والعرب فإن

(١) راجع نص الكتاب في الدليل

تحرير العرب محقق ، وأما إذا انشقت هاتان القوتان فإن ذلك لا يفضى إلى الارتياب فقط ، بل يؤدي إلى الفوضى التامة ، وينحل العرب إذ ذاك إلى عناصرهم المختلفة من بدوى وحضرى ، ومسلم ومسيحى ، ويستحيل ضمهم وجمع كلمتهم ، والصهيونيون الآن مستعدون لأن يتحدوا مع العرب فى تحرير سوريا وغيرها من البلاد الباقية تحت نير تركيا فى اتفاق تام مع الأرمن ، وغاية ما يبغيه الصهيونيون أن ينالوا حق الاستعمار فى فلسطين ، وأن يعيشوا فى مستعمراتهم عيشتهم القومية الخاصة ، وقد طلب السير مارك سايكس من حكومة الحجاز أن ترسل مندوباً فى اللجنة المؤلفة من الدكتور يزمن رئيس الصهيونيين البريطانيين ، والمستر مكلوم مندوب الأرمن فى لندن ، وهذه اللجنة تحت رئاسة السير مارك سايكس لمراقبة الاتفاق العربى الأرمينى الصهيونى ونشر دعوته فى العالم ، ومنع حدوث ما يضر به وحفظ الاتفاق بين النهضات الثلاث ، وضبط الأركان على الدوام ، غير أن الملك حسيناً لم يرسل مندوباً من قبله للاشتراك فى أعمال اللجنة المذكورة ، كما أنه لم يبد رأياً خاصاً فى هذا الموضوع الخطير ، إما لعدم علمه بالقضية الصهيونية ومخاطرها ، وإما لتفته التامة بالبريطانيين ، وأنهم بعد انتهاء الحرب العامة وانسحاب الأتراك من البلاد العربية سيسلمونها إليه كلها ، وهو يديرها بمساعدة الحكومة البريطانية توطدت العلاقات بين الصهيونيين والحكومة الانجليزية وحازت رضاء كل

من فرنسا وإيطاليا

أخذت الصهيونية تدخل فى دور دولى جديد بسماع مجلس الحلفاء الأعلى سنة ١٩١٩ ويزمن ومستر سكولوف للحضور أمامه لتمثيل اليهود وشرح مطالبهم ، وقد سمع المجلس المذكور فى ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩ اقتراحاتهم وهى :

(١) وجوب اعتراف الدول بحق اليهود التاريخى فى فلسطين وشد أزهم

لإعادة بناء وطنهم القومى

(٢) أن تسلم سلطة الحكم العليا في فلسطين إلى جمعية الأمم ، وأن يعهد إلى إنجلترا بالوصاية عليها وتكون مسئولة أمام جمعية الأمم

(٣) أن يضاف إلى صك الانتداب لحكومة فلسطين الشروط الآتية :

(١) أن توضع فلسطين في أحوال إدارية وسياسية واقتصادية يضمن معها تأسيس الوطن القومي اليهودي ، وأن يؤول ذلك في النهاية إلى إيجاد حكومة مستقلة بشرط أن لا يعمل شيء يعثب بحقوق غير اليهود (العرب) في فلسطين ، أو بحقوق اليهود التي يتمتعون بها خارج فلسطين

(٢) للوصول إلى هذه الغاية تقوم الدولة الوصية

١ — بتشجيع الهجرة اليهودية وإسكان اليهود في الأرض الفلسطينية

مع المحافظة على حقوق السكان الحاليين من غير اليهود

ب — تعضيد وكالة يهودية في فلسطين وفي العالم للإشراف على بناء

الوطن القومي اليهودي في فلسطين

ح — وبعد الاقتناع بأن قانون هذه الوكالة لا يتضمن جلب الربح

الخاص يجب أن يفضل على غيره بإعطاء المشروعات الاقتصادية وتمنح له الأولوية

في كل امتياز في الاعمال العامة أو في تثير الثروة الطبيعية التي تجد الحكومة من

الضرورة إعطاءها لها

ومع أن مجلس الحلفاء لم يبد جواباً حاسماً لمندوبي اليهود ، إلا أن

اليهود كانت تثقهم عظيمة ببريطانيا ، وأنهم بواسطتها سيصلون إلى الغاية

التي يتوخونها

وفي سنة ١٩٢٠ بحث الحلفاء مرة أخرى في مسألة فلسطين فاعترفوا بمطالب

الصهيونيين ووعد بلفور ، وقد تقرر أيضاً في سان ريمو بناء على أماني الصهيونيين

أن تكون الحكومة الإنجليزية هي الحكومة الوصية على فلسطين ، فأبدلت الحكومة البريطانية الإدارة العسكرية بحكومة مدنية ، وعهدت برياستها إلى السير هربرت صمويل

العرب واليهود

لم يكن من الطبيعي موافقة العرب على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود ولا موافقتهم على فتح باب الهجرة لليهود بلا قيد ولا شرط ، لأن أراضي البلاد الزراعية محدودة ، وقدرتها على قبول السكان محدودة أيضاً ، وفتح باب الهجرة لليهود فقط معناه إيجاد مزاحمين جدد للسكان

لذلك فإنهم قد هبوا في وجه تصريح بلفور واحتجوا على السياسة الجديدة التي أدخلت على فلسطين ، وأرسلوا الوفود إلى كل من مكة ولندن ، فاما وفد لندن فانه لم يصادف نجاحاً كبيراً لقوة اليهود المادية والأدبية وعظم نفوذهم في مختلف الأحزاب الإنجليزية ، أما وفد مكة فانه أثار الملك حسيناً وحكومة مكة ووجد صدرراً رحباً من جريدة القبلة ، فنشر كل ما يريد نشره كما أنه أثار حماسة الحجاج المسلمين

لم يسع الإنجليز السكوت على الحملات الموجهة إليهم قبل اليهود لأنهم هم المسئولون عن إدارة البلاد ، فكتبوا كتاباً طويلاً للملك حسين بتاريخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٢ هاجموا فيه الوفد الفلسطيني واتهموه بسوء النية ، وكذبوا كثيراً من دعاويه التي نشرها في الحجاز ، كما أنهم لاموا حكومة الحجاز والقائمين بتحرير القبلة على تركهم البيانات بدون تعليق ، وأردفوا الكتاب ببيان من وزير المستعمرات عن سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين ، فرد الملك حسين على هذا الكتاب المطول مدافعاً عن الوفد تارة ومعتذراً تارة أخرى وقال :

وحيث ان هذه المباحث كلها مخالفة لمقررات جلالة الملك مع بريطانيا
وتعهداتها لذلك لا يمكن البحث في الموضوع . ثم أنحى باللائمة على مشروع
رتنبرج وتسليح اليهود ، ثم على وعد بلفور مما لا نرى ضرورة لتفصيله هنا
وقد استمر الملك حسين على موقفه في فلسطين تحت تأثير الأحزاب العربية
حتى آخر لحظة من حكمه ، وكان موقفه في فلسطين وتصريحاته المتعددة من أهم
المسائل التي عرقلت المفاوضات بينه وبين الانجليز ، وقد كانت عقيدة الملك
حسين أن فلسطين هي جزء من المملكة العربية التي وعد بتشكيلها ، وان وعد
بلفور باطل لخالفته للعهود والوعود المتطوعة له من بريطانيا
ولقد رأى الملك حسين أخيراً أن يوجه خطاباً للشعب البريطاني في نوفمبر
سنة ١٩٢٣ يشكو فيه ما أصابه هو وقومه من خيبة الأمل ، وما أصاب البلاد
العربية من التقسيم بالرغم من العهود والاتفاقات ، واستنهض هممة الشعب البريطاني
المعروف بتقاليده في انصاف الشعوب المظلومة . . . فلم تطمئن الحكومة البريطانية
إلى موقف الملك حسين الجديد وتشجيعه للأحزاب العربية ، فصرفوا النظر عنه
وتركوه لخصمه ابن السعود يحل مشاكله معه بنفسه ، فتغلب عليه وأقصاه
عن الحجاز



الملك حسين وهجرته

قلنا من قبل : إن جلالة الملك حسين كانت كل آماله موجهة إلى إنشاء إمبراطورية عربية^(١) يرأسها ، وسواء كانت هذه الفكرة سهلة المنال أو مستحيلة فإنه ما زال حتى آخر لحظة يدعو إليها ويدافع عنها حتى فقد ملكه في سبيل تحقيقها ، ونقول هنا أيضاً : إن أنجاله كانوا يوافقونه على هذه الفكرة ويسعون إليها بالرغم من أن الحلفاء عارضوا في لقب ملك العرب لأنه سيثير شكوك حكام العرب الآخرين لقد كان جلالة الملك فيصل من المعتقدين بهذه الفكرة ، فقد كتب إلى والده في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ يخبره بمساعيه في فرنسا وتتمنى لو يرفع العلم العربي على كافة أنحاء الجزيرة كالين وعسير وغيره ، وإعلان انضمامهم له لكي يبلغ ذلك للدول ، ويتخلصون من كلمة ملك الحجاز ويقولون ملك العرب . والأمير عبدالله في كتابه المؤرخ ٢٨ إبريل سنة ١٩٢٠ إلى نائب الملك بمصر الذي يطالب فيه الحكومة البريطانية بالامبراطورية العربية التي وعدتهم بإنشائها ، يقول في آخره :
وخلاصة المقال أن جلالته يبحث عن أمرين :

الأول — عن المسألة العربية الكبرى

الثاني — في المسائل البدوية لمشايخ العربان الذين كانت لهم صلات بالحكومة البريطانية منذ الحكم العثماني على سواحل خليج فارس والمحيط الهندي ، كابن الصباح وابن سعود وغيرهما ، ولا سيما الأخير الذي يدعى أن العهد البريطاني الذي بيده يسوغ له أن يفعل ما فعله من الحركات المعلومة التي شرع فيها إبان الحرب ولقد كتب الملك حسين بعد وفاة السيد محمد الإدريسي كتاباً لرؤساء قبائل

(١) راجع في الذيل مشروع الوحدة العربية الذي وضعه الملك حسين

عسير يجب إليهم الانضمام إلى الحجاز ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح كما حاول الاتفاق مع الإمام يحيى . أما ابن سعود فالخصومة بينه وبين الملك حسين كانت أشد وأعنف ، ولذا فإننا سنوفيهما حقهما من التفصيل

ابن سعود والملك حسين

إن النزاع بين الأشراف وآل سعود يرجع عهده إلى حركة الإصلاح الديني التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمساعدة آل سعود ، فهذه الحركة صحبها حركة فتح و بسط نفوذ في سائر جزيرة العرب ، وأصبحت الحجاز مهددة في ذلك الوقت ، ومكة والمدينة كاتنا كالقاهرة من حيث المركز العلمي ، كما أن الأشراف كانوا يرون في أنفسهم الامتياز بالنسب وحكم البلاد المقدسة ، وكان شأنهم كشأن حكام جزيرة العرب من حيث الاتصال بالبادية والاشتغال بالغزو أيضاً ، فكان من الطبيعي أن يقوم بينهم وبين آل سعود ما وقع من الخلاف :

أولاً — بسبب الدعوة الدينية ، وأساسها قائم على إنكار البدع والخرافات والقبور والعاكفين عليها

ثانياً — النزاع على السيادة . فالأشراف يرون أن مركزهم الديني بالقراية وبإمارة مكة جعلهم في مركز لا يصح أن يقارن بمركز أى أمير آخر ، والنجديون طبعاً يخالفونهم في هذا

في سنة ١١٨٥ هـ أرسل الأمير عبد العزيز بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب هدايا إلى أمير مكة الشريف أحمد بن سعيد مع الشيخ عبد العزيز الحصيني ، الذى أوفد إلى مكة بطلب من الشريف ليشرح ما عليه أهل نجد ، وبيان وجهة نظرهم الجديدة . وقد وصل المذكور إلى مكة وتباحث مع علماء مكة في بعض المسائل . ويقول ابن غنام المؤرخ النجدى : إنهم أحضروا كتب الخطابلة فاقتنعوا بأن

ما عليه أهل نجد من هدم القباب ومنع دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم حق ،
وأن هذا مذهب الإمام الأعظم ، وأن الشيخ عبد العزيز انصرف مبعجلاً مكرماً
وفي سنة ١٢٠٤ هـ أوفد الأمير عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى
الشريف غالب الشيخ عبد العزيز الحصيني مرة أخرى إلى مكة حسب رغبة
الشريف غالب ، ولكن علماء مكة في هذه المرة لم يقبلوا مناظرة الشيخ عبد العزيز ،
ويقول ابن غنام : إن الشريف غالباً قبل دعوة أهل نجد ، وقد يكون الشريف
غالب تظاهر بذلك ليخفي ما كان يدبره سرّاً من غزو نجد والقضاء على الدعوة
الجديدة في عقر دارها ، إذ ليس من المحتمل أن يكون شريف مكة أراد أن يخدع
أمير نجد حتى ينصرف لتسكين الأحوال الداخلية في مكة لاسيما مؤامرات بني عمه
ضده ، فإن الدعوة الدينية وقوة أمير نجد لم تبلغ من القوة التي يخشى على مكة منها
ويقول السيد دحلان : إن أمير نجد قبل اتساع أمره أراد حج البيت الحرام
في أيام الشريف مسعود بن سعيد ، فأرسل يستأذن في الحج ، وكان أرسل قبل ذلك
ثلاثين من علمائهم ، وطلب من الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء
النجديين ، فأمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم وأمر
بسجنهم ووضعهم في السلاسل والأغلال ، وفي أيام الشريف مساعد أخي الشريف
مسعود أرسل يستأذن في الحج ، فأبى وامتنع من الاذن له ، ولما تقلد الأمر
الشريف أحمد بن سعد أرسل أمير الدرعية جماعة من علماء نجد للمناظرة مع علماء
الحرمين ، فأبى الشريف بعد ذلك أن يأذن لهم بسبب الاختلاف الواقع بين
الفريقين ، وفي أيام الشريف سرور أرسل إليه يستأذنه في الحج ، فأجابه إن
أردت الوصول فاني آخذ منك مثل ما آخذ من الأعمام ، وآخذ منك مائة من
الجياد فلم يقبل . وفي أيام الشريف غالب أرسل أيضاً يستأذنه في الحج ، فمنعه
وتهدده بالزحف عليه

ومهما كان الفرق بين رواية النجديين والسيد دحلان ، فما لاشك فيه أن أشراف الحجاز كانوا يعتبرون أنفسهم ملاك البيت ، يسمحون لمن يريدون ، ويمنعون من يريدون ، ولاشك أنهم كانوا يضعون العراقيل في سبيل الحجاج النجديين بسبب الدعوة الدينية التي قامت في نجد

وفي ١٢٠٥ هـ جهز الشريف غالب حملة كبيرة لغزو نجد ، والقضاء على الدعوة الدينية واجتثاث أصلها ، وثل عرش آل سعود ، وسار الشريف بنفسه إلى الشَّعْرا ولكن هذه الحملة وما تبعها من حملات رجعت تجر وراءها الخيبة والفشل ، كما كانت فاتحة شريين آل سعود والأشراف ، فان آل سعود لم يقبلوا تحكيم الأشراف في البيت الحرام ومنعهم من الحج ، كما رأوا في الأشراف قوة أخرى لاتزال تهددهم من وقت لآخر ، وهي موئل للرجعية وللتعصب للقبور ، ولذا فإنهم بعد أن استتب لهم الأمر في الجزيرة وقضوا على الإمارات الصغيرة واحدة تلو الأخرى ، ولم يبق لهم منازع في نجد وجوهوا نظرهم شطر الحجاز ، ففتحوه وحكموه من سنة ١٢١٩ هـ إلى سنة ١٢٢٧ هـ ، ولولا الأغلط التي ارتكبوها ضد الأتراك والمصريين ما اعترض حكمهم أحد في الحجاز ، فإنهم يفضلون الأشراف بقوتهم وقدرتهم على بسط الامن والضرب على أيدي قطاع الطرق والطامعين في الحجاج من البدو

وفي سنة ١٢٦٣ هـ تولى الشريف محمد بن عون جد الشريف حسين قيادة حملة تركية للقضاء على سلطة الإمام فيصل جد الملك عبد العزيز ، فوصلت هذه الحملة إلى القصيم ، غير أن الإمام الداهية البعيد النظر أحبط هذه المؤامرة بالاتفاق مع الأتراك على أن يكون مستقلاً في بلاده خاضعاً لسيادتهم ، ويدفع لهم مقابل ذلك مبلغاً سنوياً قدره عشرة آلاف ريال ، ولقد كنا نظن أن مرور الأيام طوت صحائف العداوة والحقد بين هاتين العائلتين ، ولكن الزمن بدد هذا الظن ، وظهر أن الأشراف لاتزال قلوبهم ملأى بالحقد على آل سعود بالرغم من أن

آل سعود لم يكن لهم قبل ربع قرن من الزمن من القوة والنفوذ ما يؤبه له ، ولقد سمعت من كثير من النجديين لاسيما من كانوا في بطانة آل رشيد ، وقد أكد هذه الرواية الملك عبد العزيز أن الشريف علياً باشا أمير مكة الأسبق كانت باكورة أعماله في إمارة مكة بعد الشريف عون إهداءه أسلحة ورمحاً إلى الأمير عبد العزيز الرشيد خصم الأمير عبد العزيز آل سعود والقارى يعرف أثر هذه الهدية في نفس الأمير عبد العزيز آل سعود (الملك عبد العزيز الآن)

ولما تولى الشريف حسين إمارة مكة بعد الدستور العثماني ظننا أن عهداً جديداً سيكون للبلاد العربية ، لأن الشريف ذاق من ظلم الأتراك بإبعادهم له من مكة كما ذاق طعم الحرية بعد عصر الحرية ولكنه نبي إلا أن يكون آلة في يد الأتراك لضرب العرب ، فقد سار هو وأولاده في الحملة التي سيرها الأتراك لضرب الأدريسى في عسير ، وهذا كله ليبرهن للأتراك إخلاصه التام . أما الأمير عبد العزيز بن سعود فقد كان له من مشاكلة في نجد ما يغنيه من خلق مشاكلة جديدة بينه وبين الشريف حسين ، ولكن الشريف حسيناً بحجة المطالبة بعتيبة خرج من الحجاز حتى الشَّعْرَاء أول قرى نجد ، واعتقل سعد بن عبد الرحمن شقيق أمير نجد كرهينة ولكن أمير نجد تفاهم مع الشريف حسين وجاراه في أغراضه وأعلن أنه لم يكن له من مصلحة إلا إخلاصه للدولة التركية وللإشراف ، فإن النزاع بينه وبين أبناء عمه ، وبينه وبين خصمه الألد ابن الرشيد كان على أشده ، بل إن مصلحته تقضى بخطب ود الشريف مكة ومحاسنته وهذا ما كان وبعد هذا التفاهم أرسل أمير نجد في رمضان سنة ١٣٢٨ أحد أبناء عمه إلى مكة مع هدية من جواد الخليل ، وقال في كتابه^(١) : « إنا حاسبون^(٢) أنفسنا من

(١) راجع نص السكتب التي أرسلها الأمير عبد العزيز إلى الشريف حسين في الذيل

(٢) هذه لغة السكتب نشرها كما هي طبق الأصل

خواصكم وإلا هديتنا رؤسنا وما تحت أيدينا ، وحررنا هذا الكتاب لموجب
التعرض لخدمتكم وما يبدو من اللازم ، وإلا أمركم علينا تام على كل حال وما تفعلون
معنا وتحطون أنظاركم علينا تجدون إن شاء الله مضاعفاً بالخدمات والسمع والطاعة »
وفي كتاب آخر مؤرخ ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٣٠ يقول : « اطلعنا على تحرير
عطوفتكم لحضرة سيدى الوالد المحرر فى ٢١ صفر سنة ١٣٣٠ ، وقد سرنا سلامتكم
وبما أشرت من اجتناب كل ما يخالف مرضى ساحتكم العادة ، فالله المطلع أنى
أسعى إليها ، وإنى حريص لاستجلاب مرضيكم لأن من أخص آمالنا وأقصى
مرامنا رضاكم ، وبالعكس نحن محرومون من التفاتكم حتى نال منا الأشقياء
المفسدون الذين لا غاية لهم إلا النهب والسلب ، وإفلاق الراحة وإحداث الفتن ،
فاعتقدوا أننا لم نخالف مرضيكم ولم نقصر فى إبراز الصداقة والمحبة والمحسوبة
لحضرتكم فى جميع مساعينا ، ونرجو من لطفكم بأن لا تكونوا من فكر من جهتنا
أبداً ، وألا تخرجوا من دائرة المحبة والصداقة ، ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة
قوية بيننا وبين متبوعنا الحكومة الشورية ، وتعرضوا لإخلاصنا وخدماتنا الصادرة
فى مرضاة دولتنا الدستورية ، وترونى حاضراً استعداداً مع عموم أهل نجد لكل
ما تكلفونا وتأمرونا به ، أفدى السدة العثمانية بعزيروحى »

فابن السعود فى كتبه كان يعترف للأشراف بما لهم من المنزلة والرياسة ،
وذلك على شرط أن لا يتداخل الأشراف فى الشؤون النجدية المحضنة
بعد اشتعال نار الحرب أوجس الأتراك بشى مما سيحاوله شريف مكة ،
فعرضوا على أمير نجد إمارة مكة ، غير أن ابن السعود رفض هذا العرض ، لأنه
سيجر عليه مشاكل لا قبل له بها ، ولأن قبول هذا العرض سيجعله فى موقف
عداء مع الإنجليز ، وابن سعود يحرص على مصافاتهم ومصادقتهم
وفى سنة ١٩١٦ م خلع الشريف حسين نير الأتراك ، وأعلن الثورة العربية

واستقلال البلاد العربية وانفصالها نهائياً من الحكم التركي
رحب أمير نجد بالحركة العربية ، وتبادل هو وشريف مكة الكتب الودية
والهدايا مما جعلنا نعتقد أن العرب سيدخلون في عصر جديد من التفاهم والاتحاد
غير أن اعلان الشريف حسين نفسه ملكاً باسم ملك العرب ، أثار شكوك
أمير نجد ، فاحتج فلم يسع الانجليز إلا الاعتراض على لقب ملك العرب
لقد كان من آثار تجديد الدعوة الدينية في نجد دخول العشائر المتاخمة للحجاز
من سبيع وعتيبة في دين الله ، تلك العشائر التي اشتركت مع الملك حسين في
اعلان الثورة وكان لها أثر يذكّر في فتح الطائف وجدة ، والتغلب على الحاميات
التركية ، فكان من آثار ذلك ازدياد الجفاء بين الملك حسين والأمير ابن سعود
وبالرغم من سعي الحكومة البريطانية للتوفيق بين الفريقين ، فان هذا السعي لم
يثمر الثمرة المطلوبة وإن قلل حدة الخلاف . لقد دخل كثير من العشائر التي كانت
موالية للملك حسين في الدعوة الدينية ، وأصبحوا بمقتضى هذه الدعوة يرون أن
ملك الحجاز ليس من حماة الدين بل بالعكس حامى البدع ، وأخذت زيارة شيوخ
القبائل لأمير نجد تثير سخط الملك حسين ، واعتبر هذا خيانة عظيمة له
أرسل الملك حسين بعض قوات تأديبية لتأديب أولئك الخارجين وأدبهم
بالفعل ، فعد ابن السعود هذا التهديد موجهاً إليه ؛ اختل الأمن على حدود الحجاز
بالغزو المستمر ، ووصلت الكتب التي يرسلها أمير نجد إلى شيوخ القبائل يدعوهم
إلى التمسك بأهداب الدين ، وأن أهل نجد لا يقصدون إلا اعلاء كلمة الله . فثارت
ثائرة الشريف حسين على ابن سعود ، ومن ابن سعود هذا ؟ أليس هو بأمير صغير ؟
كيف يتناول على مقامنا ويتجاوز حدوده ؟ كانت نفس الملك حسين تجمش
بهذه الكلمات طبعاً ، إذن يجب تأديبه أو اقصاؤه عن ملكه حتى يقف غيره
عند حده

قام الملك حسين بالتجهيزات العسكرية في الطائف وتربة وجهاز كل قواته بالمدافع والرشاشات ، إن عشائر العُرَومة لا تحتاج إلى كل هذا ، فإلى أين هذه القوات ؟ إلى الاحساء أى إلى الساحل الغربى على خليج فارس ، هذا كان يقوله قواد الملك حسين ، وماذا فى نجد ؟ ألم تكن لكم عظة بمن حاول هذه المحاولات قبلكم من الأشراف والأتراك ، ألم تبتلعهم رمال نجد ؟ إلى نجد ! نحن لانكلفكم مؤونة الذهاب إليها ، إن دون نجد أهلها ورجالها . هذا جواب أمير نجد عبد العزيز بن سعود

سار أمير نجد بجنوده حتى أصبح قريباً من تربة ، والجند الشريفى لا يزال فيها ، غير أن عتبية وبعضاً من سبيع أغنوا ابن السعود مؤونة الوصول إلى تربة ، فصبحوا جيش الشريف على غرة ، وانقضوا عليه من كل جانب ، وقتلوا كل من أوقعه القدر فى أيديهم ، والسعيد من وجد سبيلاً للفرار ، ولم يجد هذا السبيل إلا نفر قليل بينهم القائد العام الأمير عبد الله أمير شرق الأردن الآن

هل يتقدم ابن السعود إلى الأمام ؟ لقد وصل إلى تربة وأقام حولها يحصى الغنائم ويقسم الأسلاب ، وليس هنالك ما يمنع من دخوله الطائف وهو على بضع ساعات منها ، بل لا شئ يمنع من دخول مكة إذا أسرع إليها ، فان القوات التى يعتمد عليها الملك قد فنيت فى وادى تربة ؛ فزع الشريف حسين إلى الانجلىز أن انظروا إلى ابن السعود يريد الاستيلاء على الحجاز ، والانجلىز لا يمكن أن يتركوا حليفهم فريسة لأمير نجد ؛ أيدخل الأمير فيصل دمشق ليؤسس دولة عربية هنالك ويخرج والده من الحجاز ؟ إن هذا غير معقول طبعاً

أرسلت الحكومة البريطانية انذاراً لأمير نجد فى ٤ يونيو سنة ١٩١٩ م
٥ رمضان سنة ١٣٣٧ ، وحادثة مغبّة تقدمه فى الأراضى الحجازية ، لم يسع الأمير

عبد العزيز إلا الرجوع إلى نجد لأنه وهو الرجل العاقل البعيد النظر لم ير من
مصلحته الدخول في محاصمة مع الحكومة البريطانية

ثم سعت الحكومة البريطانية من جانبها لإزالة سوء التفاهم ، ولكن الملك
حسيناً ليس سهل القياد ، فقد سعت الحكومة البريطانية بين أمير نجد وملك
الحجاز لتبادل كتب مودة وصدقة ، لعل تلك الوسيلة تكون سبيلاً لازالة
سوء التفاهم المستحكم بين الفريقين ، على أن الملك حسيناً لم يرسل كتاباً إلى أمير
نجد ، كما أنه رفض استلام كتاب أمير نجد ، فكتب إليه نائب الملك في مصر
كتاباً مطولاً بتاريخ ٥ نوفمبر جاء فيه :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا نظراً إلى عنايتها بمصالح العرب الجوهرية
تقف ازاء اشتعال الحرب في جزيرة العرب موقف القلق المضطرب خصوصاً لكون
حدوث ذلك يؤثر على القرارات السياسية التي سيتفق عليها قريباً

ثم انه لا يجب أن يخامر جلالتم أقل ريب في وفاء الحكومة البريطانية
نحوكم ، التي يتحتم عليها عدم اتخاذ جانب ابن سعود أو غيره فيما يضر بمصالح
جلالتم ، غير أن جلالتم لا تجهلون شروط المعاهدة الحالية بين الحكومة
البريطانية وابن سعود الضامنة حقوقه داخل حدود بلاده ، إلا أنها بلغته بصفة
رسمية أنها تنظر إلى كل عمل يأتي به خارج بلاده بعين السخط ، بل رفضت
طلبه زيادة الذخائر والمهمات الحربية ، زد على هذا أنها طلبت منه إيقاف الحركات
العداوية ضد ابن الرشيد صديق الأتراك التي كان قد شرع بها بناء على طلب
الحكومة البريطانية نفسها

إنني لا أذكر هذا إلا لغرض إيقاف جلالتم على حقيقة الحال ، ولكي
تقدروا حق التقدير البواعث التي حملت الحكومة البريطانية على الإشارة لجلالتم
بالوقوف عند حد معلوم فيما يتعلق بمسألة الحرمه وغيرها من شؤون القبائل ، ونظراً

إلى ما سبق ذكره ، وما تكرر وروده في كتب جلالتم يصعب على تصديق الخبر
الذي جاءني وهو أن جلالتم رغبت في قطع العلاقات الودية مع ابن سعود مما يكنى
عنه بأرجاعكم رسوله ورفضكم كتابه

إنني أرجوكم أعظم الرجاء أن تجتهدوا لمنع كل البواعث الجوهرية التي تؤدي
إلى سوء التفاهم مع الأمير المشار إليه بشأن سياستكم نحوه ، فإنه وإن كان أقل درجة
من جلالتم وأضعف موارد ، لا ينكر أنه ذو تأثير وأهمية في السياسة العربية »
ساد السكون الحدود الحجازية بقية سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ تقريباً وتبودلت
الكتب الودية بين الفريقين ، فالأمير عبد الله في كتاب له مؤرخ ٢٧ من
ذى الحجة سنة ١٣٣٨ — ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ يقول :

« إنني قبل كل شيء أحمد الله الذي ألهمكم وأفهمكم على إركاب الأخ أحمد
إلى هذا الجنب ، لحسم ما هو واقع من الأمور المحزنة والحوادث المفجعة التي
لا سبب لها سوى غلطات متتابة ، إذ أني على يقين من أن والدي وشخصكم
لا تريدون لبعض ما يريده العدو لعدوه ، وإن لكل منكم متسعاً فيما هو لآبائه ،
كما أن فطنتكم الذاتية وحنكتكم السياسية لا شك أنها أوحى إليكم كما هي أوحى
إلينا مفروضية تغير الشكل الحاضر ولزوم التفاهم في كل وارد وصادر »

إن تبادل الكتب بين الفريقين لم يمنع من وقوع حوادث بعد ذلك على
الحدود ، وهذا بالطبع للاختلاف في النزعات الدينية بين القبائل الخاضعة للحجاز
والقبائل الخاضعة لنجد

ولذا فإن الملك حسيناً رأى أن يمنع النجديين من الحج في عام ١٣٣٨ —
١٩٢١ ، غير أن الحكومة البريطانية أغلقت الكتابة لابن السعود لكي يعمل
على إسكان الحالة في حدود الحجاز ، وتداخلت مع الملك حسين للإذن للنجديين
بالحج أسوة بسائر المسلمين

وفي سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م، أذن للنجديين أن يحجوا فحجوا تحت إمارة مساعد بن سويلم، وقد عثرنا على كتاب من سلطان نجد (كان الأمير عبد العزيز أعلن نفسه سلطاناً على نجد سنة ١٩٢١) للأمير على أكبر أنجال الملك حسين يقول فيه :

« لما رأيت بفضل صاحب الجلالة الوالد المعظم ببذل عنايته بالرخصة والسماح لأهالي نجد لأداء فريضة الحج حيث برهن على حسن عواطفه وإظهار فضيلته، أحببنا أن نرخص لبعض رعايانا لزيارة بيت الله الحرام بصحبة خادمكم مساعد بن سويلم، فاتخذت هذه خير وسيلة وأعظم فرصة لأهدى حضرتمكم جزيل السلام ولأعبر لسموكم عن عظيم اشتياقي وخالص نواياي لتجديد عهدود الصداقة، وتمكين الصلات الحسنة والمناسبات الودية المشتركة التي تربط القطرين الإسلاميين غير ملتفتين إلى ما قدر الله رغم إرادتنا أن يقع فيما مضى بين الطرفين من الحوادث التي طالما أوجبت لتأسفاتي وكدرى . . . الخ »

غير أن الخلاف قد عاد مرة أخرى بطريقة أشد، فان الملك حسيناً أبي أن يسمح للحجاج النجديين مرة أخرى، والحكومة البريطانية تتوسط بين الجانبين فيتمهما الملك حسين بمحابة ابن السعود وترجيحها إياه

إن الواقف على المراسلات التي كانت تدور بين الملك حسين وبين الحكومة البريطانية^(١) في هذا الموضوع لا يرى موقفاً أشرف من موقفها للتوفيق بين الجارين المسلمين العربيين، للسماح بفتح أبواب الحجاز للحجاج النجديين أسوة بسائر المسلمين، وإزالة أسباب النزاع والخصام بين الفريقين كي يسود السلام جزيرة العرب

ولقد كان جلالة الملك حسين مرة يرفض السماح للحجاج النجديين خشية

(١) اخترنا نشر كتابين في هذا الموضوع في الذيل

إخلاقهم بالأمن ، وتارة يتنازل بقبول عدد قليل منهم ، كما أنه في بعض الأحيان يشترط قدومهم بالبحر كسائر الحجاج

وفي ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سلطان نجد إلى المندوب السامي بالعراق يخبره أن ليس في إمكانه تحديد عدد الحجاج النجديين لعام ١٩٢٣ . كما فعل في العام السابق ، ولم تر الحكومة البريطانية سبباً مشروعاً لتغيير موقفه ، فأرسلت الحكومة البريطانية التعليمات لممثليها بجدة ، فكتب بدوره للحكومة الهاشمية بتاريخ ٢٨ يناير يخبرها بموقف سلطان نجد ورأى الحكومة البريطانية ، واقترح الدخول في مفاوضة مع سلطان نجد لعقد معاهدة على نسق المعاهدة التي عقدت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل

وفي ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ كتب سلطان نجد للحكومة البريطانية يخبرها أن عدداً كبيراً من رعاياه يرغبون في أداء فريضة الحج ، وأنه لا يقدر أن يحدد العدد كما فعل في حج سنة ١٩٢٢ ، وأن الحكومة البريطانية لا ترى أى مانع لفتح باب الحج لكل من يريده من النجديين ما دام الحج في العام الماضي كان على خير ما يرام ، وقد اقترحت الحكومة البريطانية بمناسبة الوقت للمفاوضة في معاهدة حدود مع ابن سعود على طريقة المعاهدة التي تمت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل ، فكان جواب الملك حسين أن لا يقبل حجهم في هذه السنة إلا إذا أخلوا الجوف وسائر الجهات التي اغتصبوها من البلاد كركانية ، وبيشة ، وتربة ، ونواحي خيبر وما شا كلها . وأما المعاهدة مع ابن سعود على طريقة معاهدته مع العراق ، فإن هذا البحث مفروغ منه لأننا كلفناه المرة بعد الأخرى كما هو معلومكم بأننا مستعدون لذلك على أساس الشروط التي أخبرناكم بها ، وهي إما أن يعود ابن سعود إلى ما كان عليه في زمن الآباء والأجداد من جهتنا وجهته ، وإما أن يأتي ويستلم البلاد جميعها لأن الأساس المقصود هو خدمة البلاد

وما زالت الحكومة البريطانية جادة في تقريب مسافة الخلف بين سلطان نجد وملك الحجاز حتى هيأت الجو لمؤتمر الكويت ، فجمعت بين جهة الاشراف : — الحجاز . العراق . شرق الأردن — وبين سلطان نجد في يناير سنة ١٩٢٣ ، ولكن هذا المؤتمر قد فشل . وقد أحسَّ الملك حسين بما بينه وبين البريطانيين من الخلف ، فكتب وزير خارجيته كتاباً إلى رئيس المعتمدين البريطانيين في شرق الأردن يظهر فيه رغبته في التقارب بين البلدين ، غير أن فشل مؤتمر الكويت وتتابع الحوادث في الحجاز التي انتهت بسقوط الملك حسين حالت دون نجاح هذه الرغبة الأخيرة



بيان الملك حسين الراحل

لا يزيد أن نأتى هنا على تاريخ الاشراف ونفوذهم في الحجاز ، فقد أوردنا فصلاً خاصاً في هذا الموضوع ، كما أنا أوردنا أشياء كثيرة في ثنايا الكتاب تبين ما كان لهم من النفوذ والسلطان في الحجاز ، لا سيما إذا كان شريف مكة على اتفاق تام مع الوالى

عندما أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك ظننا أن البلاد العربية ستدخل في دور جديد من الإصلاح والتقدم ، وكاد هذا الظن يكون يقيناً عندما رأينا كثيراً من شبان العرب وهم القائمون أولاً بالحركة العربية في تركيا التفوا حوله وأسندت إلى بعضهم إدارة بعض الأعمال

لقد قام الملك حسين في أول سنة من القيام بالحركة بتأسيس الوزارات ومجلس الأعيان ، كما أنه هم بفتح بعض المدارس في مكة والمدينة

ولكن يظهر أن جلالة الملك حسين وما يغلب عليه من سوء الظن وسرعة تأثره بالوشايات جعل بعض هؤلاء الشبان يفضل ترك العمل بالمرّة ، و بعضهم يفضل الاشتغال مع أولاده ، لا سيما الأمير فيصل والأمير عبد الله ، لأن العمل مع الملك حسين لا يجدى ولا يثمر ، على أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى رأينا ميدان الحجاز قد خلا من الشبان العرب النزيهين ، ولم نر حول الملك حسين إلا أولئك الضعفاء الذين لا يهمهم إلا ضمان مصالحهم الشخصية ، غرقت السفينة أو سلمت إن بلاد الحجاز في حالتها الحاضرة أشبه بحالة البلاد الاسلامية الأخرى قبل مائتى سنة ، ولكن الزمن الآن قد تغير كثيراً ، والحجاج يأتون من كل ناحية ولا يجدون في الحجاز التقدم الذى حدث في بلادهم ، لا يجدون طرقاً ولا وسائل

مواصلات كالتى يشاهدونها فى بلادهم ، وكذلك وسائل الإنارة والشرب والصحة والتعليم وغير ذلك من وسائل العمران الضرورية

والحجاز وإن كان من البلاد الفقيرة التى لا تكفى مواردها للقيام بهذه الإصلاحات إلا أنه بمر كزه الدينى يجد شتى المساعدات من الأمراء المسلمين ومن أغنياء المسلمين إذا رأوا عزمًا صادقًا من الحكومة المهيمنة على شؤونه

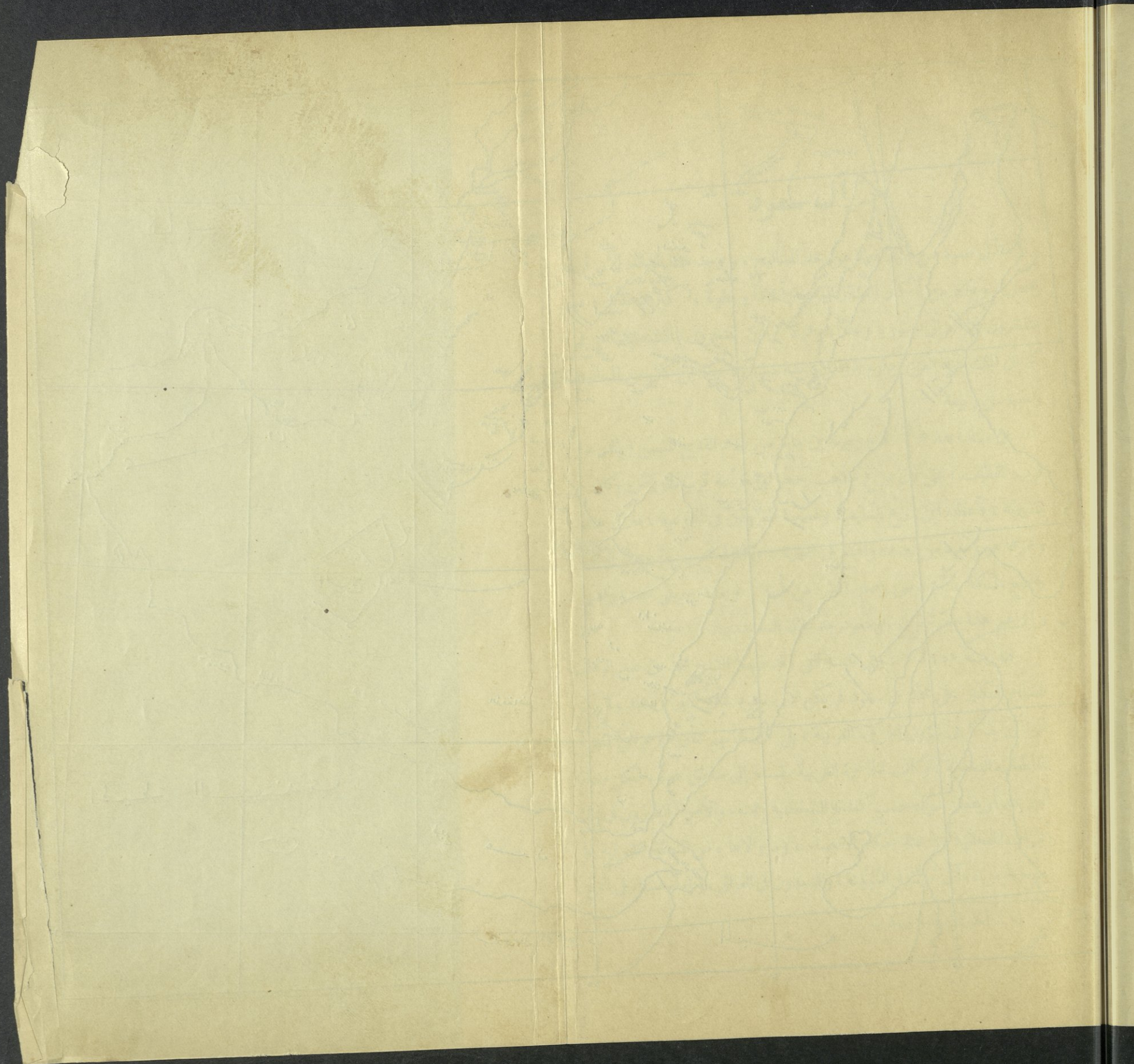
لقد كنا نظن أن الملك حسينًا بحكم ماله من النسب الكريم والمنزلة الرفيعة فى نفوس المسلمين ، وأنه — وهو الرجل الذى وقف على وسائل الحضارة فى الآستانة — سيضرب للناس أفضل الأمثلة بمقدرة العرب على الإدارة والتنظيم ، ولكن الأيام خيبت هذا الظن ، فالملك حسين فى هذه الناحية كان كغيره من الأشراف لا يفهم ما يجرى فى العالم ، كما أنه لم يقيم بالواجب المنتظر منه للبلاد المقدسة ، ولقد حاولت الحكومة البريطانية أن تساعد الملك حسينًا على تنظيم مالية الحجاز فى سنة ١٩١٩ — سنة ١٩٢٠ لأنها فى ذلك الوقت كانت لا تزال تدفع إعانة للملك حسين — وميزانية الدولة هى أساس الإدارة فى المملكة فلم توفق ، حاولت كذلك إصلاح إدارة الكرتينة والصحة وهى أهم شىء فى الحجاز لأنها هى الركن الأول لسلامة الحج فلم توفق أيضاً ، حاولت أيضاً أن تساعد الحجاز ببعثات طبية ترسل من الهند لأن إدارة الصحة فى الحجاز غير منظمة من جهة ، ولأنه فى زمن الحج حيث يكثُر الوافدون لا تكفى الاحتياطات التى تقوم بها حكومة الحجاز ولا عدد الأطباء الموظفين ، وهذه مهمة إنسانية لا غضاضة فيها على حكومة الحجاز ، ولكن الملك حسينًا رفض هذا الطلب من بريطانيا كما رفضه من مصر أيضاً ، معتقداً أن ذلك يحط من شأن حكومته ويمس استقلاله ، ولم يجد توسط الأمير فيصل (المرحوم الملك فيصل) فى هذه الأمور ولا غيره أما السياسة المالية فلم تكن تمتاز عما كان معروفاً فى أيام غيره من الأشراف (العبد وما ملكت يده لسيدة)

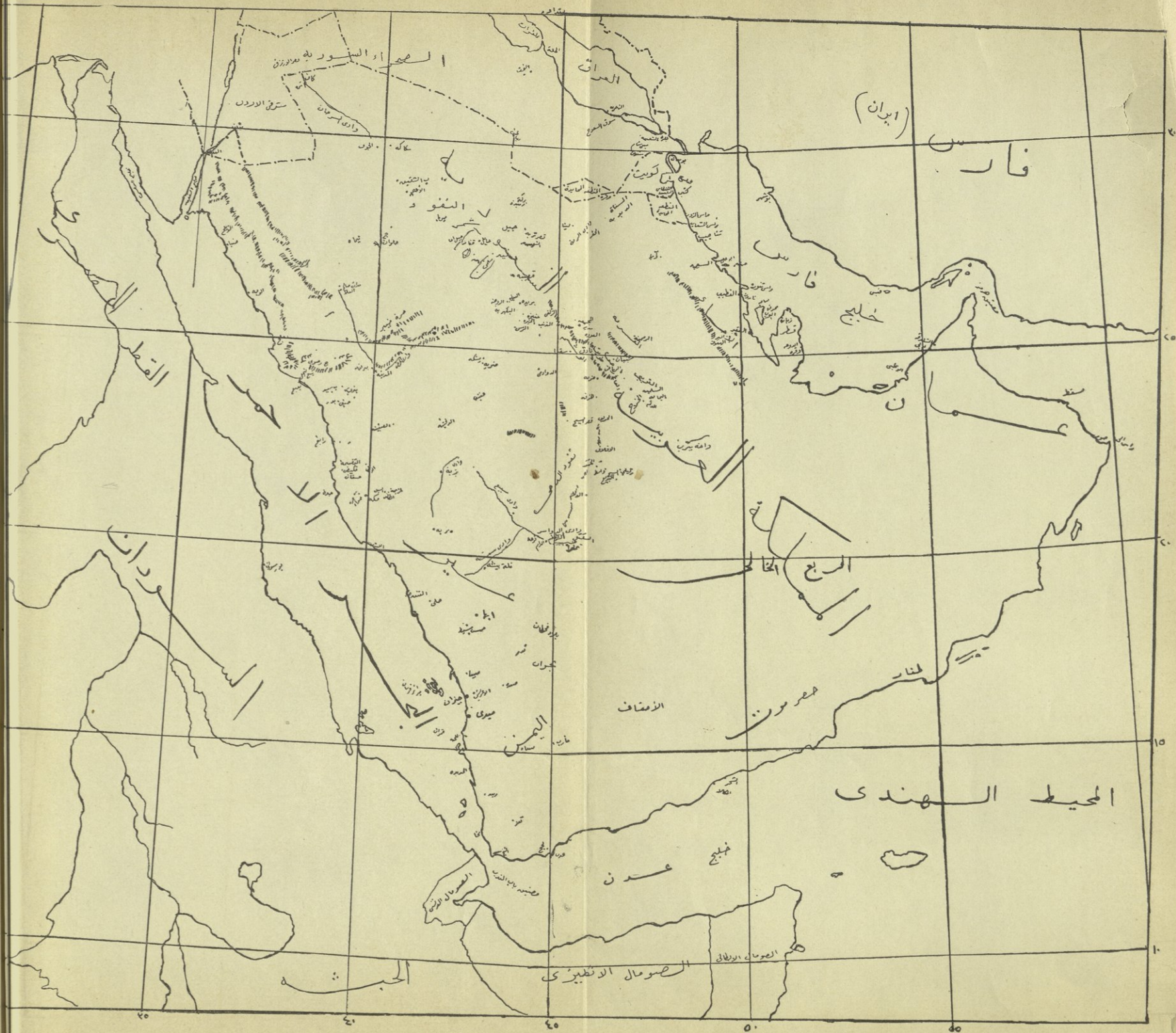
فالضرائب تؤخذ بغير انتظام حسب إرادة الملك ويهرق بها الناس . وهكذا يخرج الملك حسين من الحجاز ولا يترك أثراً من آثار الإصلاح فيه ، كما أنه لم يستطع أن يبسط الأمن في جميع أنحاء المملكة ؛ فما عدا المدن الحجازية كانت سيوف العشائر مصلثة على رقاب الحجاج ، لا يتركونهم يسافرون إلى المدينة إلا بعد أن يأخذوا منهم ما يفرضونه عليهم من النقود . وفي سنة ١٩٢٤ رجعت قوافل الحجاج من « رابع » لأن العشائر رفضوا أن يدفعوا ثمانية جنيهات للملك حسين من أربعة عشر وهي الأجرة المفروضة للجمل ، وبالطبع قد ضاع ما دفعه الحجاج بين الملك حسين وبين العشائر

على أنه مهما كانت أغلاط الملك حسين السياسية فإن الرجل كان أفضل الأشراف المتأخرين وأقلهم ظلاماً ، وأعلامهم جميعاً نفساً وأعظمهم شخصية ، فهو بلا شك أفضل من الشريف عون الذي ضج من ظلمه كل من زار أو سكن الحجاز ، وأفضل من ابن عمه الشريف علي في كثير من الصفات الشخصية ، ويجب هنا أن لا نغبط الرجل حقه ؛ فهو أول عربي جعل للبلاد العربية شخصية دولية وشأناً لا ينكر في أوروبا

والآن وقد وصلنا إلى الصراع بين العاهلين الكبارين في الجزيرة العربية : الملك حسين ، والملك عبد العزيز بن السعود ، وانتصار أحدهما على الآخر بعد معارك حربية وسياسية دامت سبعة عشر عاماً ، نرى من الواجب علينا أن نأتي بخلاصة تاريخية وافية لحياة الملك عبد العزيز ، والدور الذي لعبه في السياسة العربية ولا سيما في الخمسة عشر سنة الماضية (١٩١٥ — ١٩٣٠)

ويجمل بنا قبل أن نأتي على حياة الملك عبد العزيز أن نذكر فصلاً تاريخياً عن عائلة آل سعود ودورهم التاريخي ، وأثرهم في الانقلاب العظيم الذي كان في القرن الثامن عشر لقرب الشبه بين ما تم في عهد آل سعود وعبد العزيز الحالي





ایران

فارس

خلیج فارس

البحر الاحمر

المحيط الهندي

الجمهورية السورية

العمارة

النفط

القطر

الامم المتحدة

عموم

عمان

الصومال الاثيوبي

الصومال الفرنسي

الساحل

البحر الابيض المتوسط

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

آل سعود

آل سعود من قبيلة عنزة من فخذ المساليف ، ويوجد هذا الفخذ الآن قرب حمص ، وعنزة من أكثر العشائر العربية أخذاً و بطوناً وأكبرهم عدداً ، فهم منتشرون في العراق وسوريا ونجد ، وهم لا يزالون يفتخرون بالملك عبد العزيز ، كما أن الملك عبد العزيز يكرم الوافدين عليه منهم ولا سيما من كان من المساليف ، وعنزة من ربيعة

في سنة ٨٥٠ هـ ^(١) قدم ربيعة بن مانع من بلدهم القديم المسمى (بالدرعية) قرب القطيف ، على ابن درع صاحب حجر والجزعة قرب الرياض وكان من عشيرته ، فأعطاه ابن درع المُلَيْبِيدَ وَغَصِيْبَةَ المعروفين في الدرعية ، فنزل هنالك وعمرهما هو وبنوه من بعده واتسع في العمارة ، وولد لمانع ربيعة وصار له شهرة واتسع ملكه ، ثم موسى وصار أشهر من أبيه ، وبعد موسى ابنه ابراهيم ؛ وابراهيم هذا جد مُقْرِن ، وسعود جد عائلة السعود

قبل سنة ١١٥٠ هـ ، وهي السنة التي وفد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الكبير على محمد بن سعود لم يكن لآل سعود شأن كبير في نجد ولم يكن لهم تأثير يذكر في شؤون الجزيرة العربية ، بل كان شأنهم شأن غيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية ، وكانت الجزيرة العربية مقسمة إلى مناطق عدة ، لكل منطقة أمير يمتد أو يقصر نفوذه حسب كفاءته الشخصية ومهنته ، والأمرء البارزون في ذلك أشرف الحجاز : بنو خالد حكام الاحساء ، وما والاها ، من المنطقة الشرقية على خليج فارس ، وآل مُعَمَّر في العُيَيْنَة ، والسعدون في العراق ، وإمام صنعاء في اليمن ،

(١) أنظر ابن بشر ويكرت

والسادة في نجران ، و سلطان في عمان . و بعد أن تعاهد الأمير محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب على تطهير جزيرة العرب من البدع والخرافات ونشر كلمة التوحيد ، دخلت نجد أو بالأحرى الدرعية مع سائر الإمارات الأخرى في حرب دينية دامية ، كان النصر فيها لجيوش التوحيد ودعاة الإصلاح

وربما كانت سنة ١١٧٨ هـ — ١٧٦٥ م من أشد السنين على محمد بن سعود فقد تحالف فيها حاكم الاحساء عرعر بن الخالدي وحاكم نجران السيد حسن بن هبة الله ، وتواعدا على الزحف على الدرعية للقضاء على عهد الدعوة الدينية وخضد شوكة دعائها ، وقد زادت هموم محمد بن سعود عند ما رأى ولده وجيشه ينكسر في الحخير بين الخرج والرياض ، هذا وعرعر ومن معه من الجنود لم يصل بعد ، غير أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب شدد من عنيفة محمد بن سعود وذكره بما وقع للنبي في غزوة أحد ، كما أن زوجة محمد بن سعود وكانت من الصادقات المخلصات للدعوة ؛ كان لها أثر لا ينكر في زوجها ، وقد تمكن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب من الصلح مع صاحب نجران وإطلاق ما تحت أيديهم من أسرى ، ثم رجع صاحب نجران قبل أن تصل جنود بني خالد ، ولذا فإن جموع بني خالد ومن التف حولهم من عشائر العجمان قد رجعت بعد ما وصلت قرب الدرعية

وفي سنة ١١٧٩ هـ — ١٧٦٦ م توفي الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ومؤيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته ، وتولى الأمر بعده أكبر أولاده عبد العزيز^(١) ، فسار على خطة أبيه في التعاون مع الشيخ على تجديد ما اندرس من معالم الدين وإعلاء كلمة الله ، كما أنه واصل غزواته على الإمارات والبلدان التي أظهرت التمرد ورفض الدعوة الدينية الجديدة ، ففي سنة ١٢٠٨ هـ فتح الاحساء جيش التوحيد ففرض على بني خالد ، كما أنه في سنة ١٢١٢ هـ قضت

(١) ولد عبد العزيز سنة ١١٣٢ هـ

هذه القوات على جيش الشريف غالب حول الحرمة وهو أقوى خصم لهم ، وقد قضت السياسة : أن تعقد هدنة بين الفريقين ، ويفتح سبيل الحج للحجاج النجديين ، فخرج سعود لأول مرة في سنة ١٢١٤ هـ ، كما أنه حج في السنة التي تلتها ، غير أن الهدنة انقطعت ورمى كلا الجانبين الآخر بعدم احترامه لشروطها المتفق عليها ، وعلى كل حال فإن السياسة التي وضعها المصلحون النجديون هي : نشر علم التوحيد في كل جزيرة العرب والقضاء على القوات المعارضة ، حتى يسود الأمن سائر الجزيرة ، وحتى تأمن الدعوة شر الانتقاض والمعارضة

ففي سنة ١٢١٥ هـ ساعد آل خليفة على استرداد الزُّبارة والبحرين من سلطان مسقط ، وشمل آل خليفة بحمايته ، ولم تأت سنة ١٢١٧ هـ حتى كان سعود في جوف الحجاز ، وفي ١٧ محرم سنة ١٢١٨ هـ دخل سعود مكة بجيوشه بعد ما أمن أهلها وبعد ما أظهر العلماء قبولهم للإصلاح الجديد ، غير أن الشريف ما لبث أن استرد مكة بعد رجوع الأمير سعود إلى الدرعية

وفاة الامام عبد العزيز

في ١٠ رجب سنة ١٢١٨ هـ اغتال أحد الأجانب الامام عبد العزيز وهو في الصلاة ، وقد اختلف الرواة في جنسيته ، ويرجح أنه من شيعة كره بلاء المتعصبين ؛ أراد الانتقام للبلدة وما أصابها وما أصاب أهلها من الأمير سعود في غزوته عليها سنة ١٢١٦ هـ من هدم قبة الحسين ومصادرة أموال المقيمين في تلك البلدة

صفات الامام عبد العزيز

اشتهر الامام عبد العزيز بالتواضع والبعد عن زخارف الحياة ، لا يبالي بما يلبس ولا بما يأكل ، وكانت غاية الوحيدة هي مواصلة عمل أبيه العظيم من

القضاء على البدع والخرافات ونشر دعوة التوحيد ، كان شديداً في الحق وتنفيذ أوامر الشريعة الاسلامية لا يبالي بمن ينفذ عليه الحكم ؛ فريضة الله عنده مقدمة على كل اعتبار

وكان قاسياً على قطاع الطرق والعاثين بالأمن من البادية ؛ لا يكتفى بالتعزير البدني . بل يضيف إليه غالباً شيئاً من المصادرة المالية : ومال البدوي هو الجمل والحيل والغنم ؛ ولذا فقد ساد الأمن جميع الطرق والبلدان التي امتد نفوذه إليها

سعود بن عبد العزيز

بويح للأمير سعود بعد وفاة أبيه سنة ١٢١٨ هـ (١٨٣٠ م) وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أخذ له البيعة بعد أبيه في سنة ١٢٠٢ هـ ؛ لأنه كان أكبر أبناء عبد العزيز سناً وأشدهم بأساً وأنفذهم بصيرة وأكبرهم عقلاً وأكثرهم تفانياً في الدعوة إلى الله ، وقد كان في حياة أبيه هو القائد للجيش والفتاح لأكثر البلدان التي دانت لهم

وقد استمر حكمه من سنة ١٢١٨ إلى ١٢٢٩ هـ فتح فيها الحجاز كله ، كما أنه واصل زحفه في الشمال إلى ضواحي دمشق فدانت له بادية الشام والعراق ، كما امتدت فتوحاته جنوباً إلى رأس الخيمة في عمان وزبيد في اليمن

وقد بلغت الدولة في أيامه أوجها وغايتها ، إلا أن أغلاطه السياسية والادارية أوقعته في مشاكل مع الأتراك والمصريين ، وشدته المتناهية صرفت القلوب عنه وجعلت الناس ينتهزون الفرص للانتفاض عليه

كان سعود من أحسن الرجال صورة وجلالاً ، ورث عن عائلته جمال التقاطيع ووسامة الوجه ، وقد كان يرخي لحيته أكثر مما اعتاده العرب ، وكان العرب حتى خصومه يمتدحون شجاعته ومهارته الحربية ، وكان عالماً بأصول الدين والفقه

والحديث ؛ حيث درس ذلك على جده لأمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب
وسعود لم يأذن قط لأولاده أن يتدخلوا في شئون الدولة بل حصر ذلك في
نفسه وفي ولده الأكبر عبد الله

وكان يسكن هو وعائلته في بناء كبير خارج الدرعية ، كان بناه أبوه على سفح
الجبيل ، وكان كل أولاده وعائلاتهم ، وكل إخوته وعائلاتهم يسكنون في هذا
البناء ، كل له جناح خاص به وعائلته

وفي هذا البناء كان سعود يستقبل مشايخ القبائل ويمد لهم الموائد ، وينزل
الكبار منهم فيه . أما الأشخاص الثانويون فإنهم كانوا ينزلون في منازل الدرعية
وترسل إليهم التعيينات والعلوف لدوابهم . وقصر سعود كان دائماً غاصاً بالضيوف
وكان مجلس سعود مفتوح الأبواب للجميع ، وكان من عادته أن يستقبل
الزائرين في الصباح الباكر ، وبعد الظهر ما بين الساعة الثالثة والسادسة ، وكان
من عادته بعد أن يتناول طعام العشاء أن يجلس بين قومه وزأريه ويتلو أحد
العلماء^(١) شيئاً من القرآن وتفسيره أو من أحاديث النبي ، وكثيراً ما كان سعود
نفسه يتولى تفسير ما يصعب تفسيره على السامع ، وكان دائماً يقول في نهاية كلامه
« والله أعلم »

وكان من طباع سعود أن تأخذه الحدة والانفعال عند ما يتبين أن أحد
الأعراب خدعه أو غشه ؛ فيتناول عصاه ويهوى بها بنفسه عليه ، ولكنه كان
يعود إلى نفسه بعد قليل ويستغفر الله ، وقد أصدر أمره لمن يكون حوله وقت
غضبه أن يحولوا بينه وبين ضرب أى أحد من الناس ، وقد كان دائماً يحمدهم
هذا التدخل بعد أن تهدأ ثأثرته

ولم يكن سعود ممن يحفل بالألقاب ؛ فكان الناس ينادونه باسمه أو بيا أبا عبد الله

(١) لا تزال هذه العادة متبعة في العائلة السعودية إلى وقتنا هذا

أو يا أبا الشوارب ، كما كان هو بدوره لا يسمى الناس إلا بأسمائهم مجردة
عن الألقاب

وكان سعود في ملبسه مثل باقي الشعب لا يتميز عنهم بشيء ، غير أنه كان
أنيقاً في ملبسه ويحب التعطر دائماً

وكانت مصاريف سعود في الغالب على الضيوف وعلى الخيول ، فإنه يقال
إنه كان لديه ما لا يقل عن ألفي فرس ، وكان من هذا العدد حوالي ٣٠ أو ٤٠ دائماً
في الدرعية ، والباقي في الاحساء حيث المرعى الجيد ، فكانت أكرم جياذ بلاد
العرب عنده . إما أنه يكون قد أخذها من أربابها عقاباً لهم على مخالفة
ارتكبوها أو دفعاً لغرامة استحقت عليهم أو انه اشتراها من أصحابها بماله الخاص ،
ويقال إنه كان لا يتأخر أن يدفع خمسمائة أو ستمائة جنيه ذهباً ثمناً لفرس

وأباح سعود أن يكون لكل ولد من أولاده حرس خيالة من ١٠٠ — ١٥٠
فارساً . أما عبد الله فكان له وقت حياة أبيه أكثر من ثلثائة فارس تحت أمره
وفي خدمته . يضاف إلى هذا العدد كثير من الجمال أو النوق السريعة ؛ حيث
كان لدى سعود أحسن وأجود أصنافها في بلاد العرب

وكان عدد الذين يتناولون الطعام يومياً في قصره يتراوح ما بين الأربعمائة
والخمسائة شخص : منهم خدمه وحاشيته والأضياف . وكانت أصناف الطعام هي :
الأرز والبرغل والبلح واللحم ، وكان سعود يأذن لأولاده الكبار ولكبار المشايخ
أن يتناولوا الطعام على مائدته الخاصة

ولم يحتفل سعود في سرايه بأى عيد من الأعياد كما يحتفل به في الأمصار ،
وكان يقول : ان هذه العادة لم تكن موجودة في صدر الاسلام
والنظام الذى أوجده سعود^(١) من إلقاء مسئولية الجرائم التي تقع في

(١) وهذه السياسة هي التي اتبعها الملك عبد العزيز في سياسته الداخلية

منطقة على شيخ القبيلة التي تقع هذه المنطقة تحت نفوذه قد جعل الأمن يسود كل جزيرة العرب تقريباً ، وأفرح قلوب الذين كانوا معرضين للغارات والنهب . والسكان سواء في نجد أو الحجاز أو اليمن قد استراحوا إلى نظام الحكومة السعودية ، ولا سيما إذا قورنت بحالة الفوضى القديمة ، وأقبل الأهالي على الزراعة لأنهم أمنوا شر القبائل التي تهدد محصولاتهم

كان سعود مشهوراً بالقسوة على المجرمين . سمعت مراراً من جلالة الملك أنه حبس مرة بعض شيوخ مطير ، فجاء بعض كبارهم للاستشفاع لهم وأنس منهم روح الاعتزاز ، فأمر بقطع رؤوس المسجونين ، وأحضر رؤوسهم على مائدة قدمت لبني عمهم الذين جاءوا للاستشفاع فيهم ، ثم أمرهم بالأكل من المائدة !! وقد قص هذه الحكاية جلالة الملك عبد العزيز على بعض شيوخ مطير الذين جاءوا للاستشفاع في فيصل الدويش ، ولكن جلالة الملك عبد العزيز لم تعرف عنه قسوة من هذا النوع ، غير أن سعوداً وان عرف بالشدة في معاقبته لمن يتجاوز حدود الشرع فإنه كان كذلك مشهوراً بوفائه لأصدقائه المخلصين معه ، فأى شيخ يخلص الخدمة لسعود يمكنه أن يعتمد عليه في جميع الملمات والشدائد وكانت ولا تزال أشد عقوبة يمكن أن تنزل بمجرم أن تحلق لحيته ويطاق به في الطرق ، والعربي يفضل الموت على حلق اللحية

فتح الحجاز

لقد فتح سعود الحجاز في أوائل سنة ١٢١٨ هـ في أيام والده ، وعين الشريف عبد المعين أميراً على مكة من قبله ، ولكن الشريف غالباً تمكن من التغلب على القوة التي وضعت في مكة واستردها منهم ثانية ، ثم استمرت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى تمكنوا من الاستيلاء على الحجاز مرة أخرى في سنة ١٢٢٠ هـ .

على أن يبقى الشريف غالب في إمارة مكة من قبل سعود ، وأمر الشريف غالباً
بهدم القبور في جدة ، وأمر أهل جدة ومكة بالاقلاع عن شرب الدخان ومنع بيعه
في الأسواق ، وأمر بمنع المنكرات والمجاهرة بها ، وترك لبس الحرير والذهب
وإبطال المكوس والمظالم ، ومصادرات الناس في أموالهم . وعاهده الشريف غالب
على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز : من إخلاص التوحيد
لله وحده واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون
والصحابية والأئمة ، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء إلى غير الله من الخلقين
الأحياء والأموات في الشدائد ، وما أحدثوه من بناء القباب والزخارف وتقبيل
الأعتاب ، إلى غير ذلك مما جد وحدث وجعل ديناً والدين منه براء ، كما أمر
الناس أن يبادروا إلى الصلاة حين سماع الأذان ، وألا يصلي في الحرم إلا جماعة
واحدة ، كما أمر العلماء أن يقرأوا الرسائل التي وضعها علماء الدرعية . ولقد استمر
حكمهم للحجاز من سنة ١٢٢٠ إلى ١٢٢٨ هـ ، وكان سعود وأهل نجد يحجون في
كل سنة ، ونفذ هذا النظام في المدينة أيضاً وسائر البلدان الحجازية
لقد خضع أهل الحجاز وشريف مكة للحكم السعودي ، وأصبحت مكة
قطعة من الامبراطورية السعودية ، ونفذت أحكام الدين حسب الحركة الإصلاحية
التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن كل هذا لم يكن إلا مسaire
لقوة الفاتحين

بدء الخلاف مع المصريين والآتراك

في سنة ١٢٢٠ هـ قال الأمير سعود لأميرى الحج الشامي والمصرى : ما هذه
العويديات التي تأتون بها وتعظمونها ، فأخبراه بأن هذه الحامل إشارة لاجتماع
الناس ، وهي عادة قديمة ، فقال لهم : لا تفعلوا ذلك بعد هذا العام ، وإن أتيتم بها

فإني أكرسها ، وكذلك شرط عليهما أن لا يأتيا بطبول أو زمور ، وفي السنة التي بعدها أى سنة ١٢٢١ هـ كتب الأمير سعود إلى أمير الحج الشامي ، وكان قد وصل قرب المدينة : لا تدخل الحجاز إلا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي ، فرجعوا تلك السنة من غير حج

ويقول العلامة ابن بشر في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢١ هـ : إن سعوداً حشد جيوشاً عظيمة قرب المدينة وأمرهم أن يمنعوا الحجاج الآتين من الشام واستنبول ونواحيها ، فرجع الحمل الشامي إلى وطنه ، وكان أميره عبد الله باشا العظم ؛ لأن سعوداً خشى من مكائد غالب ، وأخرج سعود في تلك السنة من كان في مكة من الأتراك ، كما أخرج منها كل من كان فيها من العساكر التركية ، و بعد حجه تلك السنة زار المدينة المنورة فقوى حاميتها وأجلى من المدينة كل من يحاذر منه

قال العلامة الجبرتي المؤرخ المصرى : وفي سنة ١٢٢٣ هـ انقطع الحج الشامي والمصرى معتلين بمنع الوهابى الناس من الحج ، وليس الأمر كذلك ، فانه لم يمنع أحداً أتى إلى الحج على الطريقة المشروعة ، وإنما منع من يأتى بالبدع التي لا يجيزها الشرع : مثل الحمل والطبل والزمر ، وقد حج طائفة من المغاربة فلم يتعرض لهم بسوء

أما ما رواه السيد دحلان من حرق سعود للمحمل المصرى في سنة ١٢٢١ هـ وأمره أن ينادى : لا يأتى إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن ، فلم أجد فيما كتبه النجديون ما يؤيده أو ينفيه ، والذي يظهر لنا من هذه الروايات أن سعوداً لم يقبل دخول الحمل لأنه بدعة ، كما أنه لم يقبل دخول العساكر التي تصاحب الحمل خشية أن تحدث حدثاً في الحجاز ، وهو بعد ليس مطمئناً ولا يأمن

جانب الشريف غالب ، فكبر على الأتراك والمصريين هذا الأمر الذي اعتادوه
مدة طويلة

ولقد سمعت من بعض شيوخ نجد وسمعت هذه الرواية أيضاً من جلالة الملك
انتقاداً لسياسة سعود : انه في الوقت الذي غاضب فيه الأتراك ورد حجاجهم ،
وكان فيه أحد بنات أو شقيقات السلطان التركي ، كان يتهادى مع شاه إيران ويتقرب
منه ، كما أنه انتقده أيضاً في قبول نصائح غالب التي لم تكن تنطوي على الإخلاص
بل كانت تنطوي على استثارة الناس ضد الحكم السعودي ، وان الشيخ عبد الرحمن
ابن حسن قد نصح سعوداً بعدم الإصغاء لنصائح الشريف غالب ، كما نصحه
أيضاً بالاعتدال في معاملة الأتراك والمصريين ، غير أن سعوداً كما قدمنا كان
شديداً ، كما أنه كان شديد التعصب لرأيه

أما أهل الحجاز فقد كرهوا الحكم السعودي لأنه قطع عنهم الحجاج وحال
بينهم وبين ما كان يردهم من الصدقات ؛ ولذا فقد هاجر كثير منهم إلى مصر
واستنبول وشكوا للسلطان ولحمد على باشا ما أصابهم من الشدة والضييق بعد
الاحتلال الجديد وانقطاع ما كان مرتباً لهم من الاحسانات . أما الشريف غالب
فانه لم يقدم خضوعه للأمير سعود ولم يبايعه على الطاعة اعتقاداً منه أو إخلاصاً له
بل لأنه غلب على أمره ؛ ولذا فانه ما فتى يكاتب محمد علي وسلطان تركيا
يستنجدهما على خلاص الحرمين الشريفين

وفي سنة ١٢٢٢ هـ صدر الأمر من السلطان سليم محمد علي بتوليته الحجاز
ومحاربتة الوهابيين ، غير أن محمد علي لم يكن يستطيع تنفيذ الأمر فوراً ؛ لأنه لم
يستقر أمره بعد في مصر ولا يزال يخشى من نفوذ المالك

وفي سنة ١٢٢٦ هـ بدأت الحملات العسكرية من مصر فاحتلت ينبع في السنة
نفسها ، وبالرغم من انكسار طوسون في الصفراء والقضاء على الحملة قضاء تاماً ، فان

محمد على أعاد الكرة مرة أخرى وأخذ يستميل بالمال أمراء العربان ، والشريف غالب يمهده له السبيل حتى تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف في سنة ١٢٢٨ هـ ولقد سمعت من بعض كبار النجديين أن محمد على حاول أن يعقد هدنة لمدة عشر سنوات بينه وبين سعود لأن المهمة التي وكلت إليه وهي استرداد الحجاز قد انتهت وليست هنالك فائدة من الحرب ولا مطمع لمحمد على في نجد ، ولكن سعوداً أبى أن يعقد هدنة أو صلحاً مع محمد على

ويقول السيد دحلان : إن سعوداً نفسه هو الذي طلب الصلح من محمد على واقتداء عثمان المضايقي عامله على الطائف ، ولكن مساعي الصلح لم تتم حيث اشترط محمد على دفع المصاريف التي صرفت على الحملة العسكرية ، ورد المأخوذ من الجواهر والأموال التي كانت بالحجرة النبوية أو ثمنها ، وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد على ، وسواء صحت الرواية الأولى أو الثانية ، فان محمد على وضع خطته للقضاء على الدولة الجديدة ، وقد عمل على استتباب الأمر في مكة فقبض على الشريف غالب وأولاده وأرسلهم إلى مصر ، وبذلك لم يبق له منازع في الحجاز

وفاة الامام سعود

وفي ربيع الثاني سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م) توفي الإمام سعود بالدرعية على أثر حمى أصيب بها ولئن شاء القدر أن يشاهد سعود قبل موته افلات الحجاز من يده مرة أخرى فإن ذلك لم يفت من عضده ولم يكن له أثر يذكر في حالة مملكته الداخلية ، وذلك بفضل شخصيته الجبارة والصلابة والشدة التي عرف بها وبموت سعود فقدت نجد تلك الشخصية المهمة ، وبدأ التصدع يظهر شيئاً فشيئاً في أيام ولده عبد الله بن سعود

عبد الله بن سعود

بويع لعبد الله بعد وفاة أبيه ، وقد كانت الحرب مستمرة بين نجد ومحمد علي باشا ، فلم يستطع أن يمسك زمام المملكة بيد من حديد ، كما لم يستطع أن يدير الحرب بمهارة كما كان يديرها أبوه

لقد افتتح عهد عبد الله بن سعود بخلافات عائلية بينه وبين عمه عبد الله ، ولم يكن هو البادى بها ، بل إن عمه رأى نفسه أحق بالإمامة لأنه ولد محمد بن سعود المؤسس الأول ، ولكن هذا ليس بمبرر صحيح ، فإن سعوداً تولى الإمامة في حياة أعمامه ، والحقيقة أن عبد الله العمّ أنس لين قناة عبد الله ابن أخيه فأراد أن يخلعه ، وليست هذه الحادثة بمجديدة في بلاد العرب

تغلب عبد الله على عمه غير أن التصدع قد بدأ وانحلال المملكة قد ظهر ، وأخذ أعداء الحكومة السعودية من النجديين يستفيدون من الفرصة فكاتبوا محمد علي سراً ، ومحمد علي لا يترك هذه الفرصة تمر دون أن يستفيد منها كان عبد الله في حياة أبيه يشار إليه بالحكمة والعقل والفظنة ، غير أنه لم يكن له من الصفات الحربية مثل أبيه

كان عبد الله محبوباً من البادية للين عريكته ، ولكنه كان قصير النظر في سياسته ، كما أنه لم يكن له من قوة الإرادة ما يمكنه من القبض على زمام البادية ، والبدو أسرع الناس إلى الانتقال فسقطت إمارة آل سعود على عهده ، ودخل ابراهيم باشا الدرعية وقبض على عبد الله وأرسله إلى الآستانة

ويقول النجديون المحنكون : إن عبد الله قد أخطأ كثيراً في إدارة الحرب وخالف طريقة والده في الحرب ؛ فعبد الله كان يعمد إلى منازل المصريين ، والمصريون أقوى منه آلات حربية وأقدر على إدارة الفنون الحربية . أما أبوه فكان يعمد

إلى الحيلة الحصيفة فيناوش أعداءه بقوات صغيرة حتى ينهك قوتهم ، ثم ينقض عليهم فيقضى عليهم ، وهذا ما فعله في ضرب جيش طوسون باشا سنة ١٢٢٦ هـ ، وفي تربة سنة ١٢٢٩ هـ ، ولذا فإن عبد الله لما عمد إلى مقاتلة المصريين وجهاً لوجه انكسر في تربة سنة ١٢٣٠ هـ ، وتبع هذا الانكسار استيلاء المصريين على القسم الجنوبي من الحجاز

ولقد خطأ النجديون أيضاً عبد الله في قتاله مع المصريين في الدرعية ، فالصحراء واسعة والمصريون لا يستطيعون إبقاء حاميات في جميع الأراضى النجدية ولقد خطأ أيضاً (Burchart) عبد الله بن سعود في عقد الهدنة مع طوسون باشا سنة ١٢٣٠ هـ ، فان هذه الهدنة كانت من أكبر الأسباب التي عملت على تقويض عرش آل سعود ؛ لأن المصريين كانوا في أشد الظروف حرجاً : فقد كانت ذخائرهم على وشك النفاد ، كما أن الجو قد فتك بالجنود والحيوانات ، فبالهدنة مكنهم من تجديد حملاتهم على الحجاز ، ولو أن عبد الله تابع القتال لكان من المحقق القضاء على الحملة المصرية الصغيرة

أسباب سقوط الدولة السعودية

- ١ — كانت الدولة مستندة إلى القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب ، والدعوة الدينية لم تتمكن بعد من قلوب الناس ؛ فقد كانت الثورات تشب من وقت لآخر لطرح الحكم السعودي لا سيما في البلاد البعيدة عن نجد كعسير وعلان ؛ ولذا فقد وجد محمد علي باشا ونفوذه المجال واسعاً في جزيرة العرب
- ٢ — تحرش سعود بالأتراك والمصريين بإشارة غالب ونصائحهم ، والأتراك أهل الخلافة ويهمهم المحافظة على لقب (خادم الحرمين الشريفين) فهل يصبرون على عربي ينزع منهم الحرمين الشريفين ويحول دون حجهم ، إن هذا أكثر

من ثورة ضدّهم ؛ لذلك لم يكن لهم بد من إلقاء هذا الحمل على محمد على باشا بعد فشل (باشا) بغداد و (باشا) الشام في تأديب هذه الفئة . ووالى مصر يهيمه أيضاً بسط نفوذه في الحجاز ؛ لأن ذلك يتفق مع مطامعه الواسعة ويشهر اسمه في العالم الإسلامى

إنى أعتقد لو أن سعوداً اقتصر في الدعوة على جزيرة العرب وترك الحج حراً للأتراك والمصريين ، ولم يمس الناحية الحساسة في الترك ؛ وهى السيادة على الحجاز ما اهتم الأتراك بأمره ؛ فقد مكثت جزيرة العرب مدة طويلة ونار الفتن تأكل الأخضر واليابس ، بل لقد كان الحجاج الأتراك والمصريون عرضة للنهب والقتل في كل ناحية حلوا بها في الحجاز ، وكانوا يمتثلون هذا ويعدون من الأعمال الطبيعية . وأى فرق في نظر الأتراك بين آل سعود والأشراف ، الفريقان من العرب ، وأفضلهم من يحتفظ بسيادة الأتراك ولو اسمياً مع نشر الأمن والمحافظة على سلامة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم

رأى علماء نجد

أما بعض علماء القصيم فيحملون تبعه ما وقع على نجد من تخريب وتدمير على أيدي الحملة المصرية آل الشيخ^(١) ؛ لأنهم كانوا المسيطرين على السياسة الموحين إلى الأمراء باتباعها ، فهم الذين أملوا عليهم خطة الشدة والعداء العام لسائر الناس

أما آل الشيخ فيدفعون هذه التهمة عنهم طبعاً بالطعن على هذا الصنف من العلماء ، وبمبالأة أهل القصيم لوالى مصر ، وترغيبهم إياه لغزو نجد وتمهيدهم السبيل

(١) يطلق آل الشيخ على ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لذلك ، وهم ينسبون ما وقع عليهم من الحن إلى الذنوب والتقصير ، والله قد يتبلى
عباده المؤمنين بشتى الحن

أثر الدولة السعودية في نجد

مهما قيل في الدعوة الدينية الإصلاحية ، ومهما قيل في الطريقة التي اتبعت
في نشر هذه الدعوة ، فإن هذه قد تركت في نجد أثراً عظيماً لا ينكر ، وقضت
قضاء تاماً على ما كان شائعاً في نجد من الخرافات ، وما كان شائعاً من تعظيم
القبور والنذر لها ، والاعتقاد في بعض الأشجار ، وأحيت معالم الشريعة بعد
اندثارها ، وجعلت الرجوع إليها في مختلف الشئون أساساً من أسس الحكم . أما أهل
العلم والقضاة لا سيما آل الشيخ فإنهم فوق كل اعتبار ، وأصبح مقروناً اسم آل
الشيخ وآل سعود بعقيدة التوحيد والدعوة الإصلاحية لا سيما في إقليم العارض .
أما الجهات الشمالية : القصيم وجبل شمر ، فهم أقل حماسة من الجهات الجنوبية

الدولة السعودية الثانية

بعد إبعاد عبد الله بن سعود من نجد ، وسفر إبراهيم باشا إلى مصر سنة ١٢٣٤ هـ
رجعت إلى نجد فوضاها القديمة ، وحل الفساد وقطع الطرق محل النظام والأمن
حانت الفرصة لآل سعود مرة ثانية ، ولكن من يقودهم ؟ اختلف آل سعود
فيما بينهم على الإمارة كما طمع غيرهم أيضاً

طمع محمد بن مُشارى بن مُعمر في الإمارة ؛ فانتقل من العيينة إلى الدرعية ،
وأخذ يستميل الناس إليه فدانت له العارض والوشم وسدير ، غير أن أمر ابن
معمر لم يطل ؛ فإن مشارى بن سعود وصل إلى الدرعية في جمادى سنة ١٢٣٥ هـ
وانتزع الأمر من ابن معمر بلا مقاومة تذكر وبإيعاز مشارى ، غير أن ابن

معمر قام ثانية فاسترد الإمارة وألقى القبض على مشارى . وهنا يقوم تركى بن عبد الله فيثأر لابن مشارى ، فيقبض على ابن معمر وولده ويقتلها جزاء تسليمهم مشارى للترك

تركى بن عبد الله

١٢٣٥ — ١٢٤٩ هـ

هو تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وعبد الله والد تركى ليس هو عبد الله الذى أسره ابراهيم باشا وقتله الترك ، كما توهم بعض الكتاب ، ويعتبر تركى المذكور منشى الدولة الثانية لآل سعود فى سنة ١٢٣٥ هـ ، لأنه منذ هذه السنة اعتبر الزعيم الساعى لاسترداد إمارة آل سعود . لقد هرب تركى هذه السنة من الرياض بعد حصار الأتراك له ، ولكنه خرج من الرياض وهو رافع علم الثورة ضد أولئك الفاتحين ، وقد استمر ينتقل من بلد إلى أخرى مرة مهاجماً وأخرى مدافعاً ، ولسان حاله يقول ما قاله امرؤ القيس :

فقلت له لا تبك عينيك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

وقد تمكن بعد محاولات من استرداد الرياض التى جعلها مقراً له ومن إخضاع نجد كلها ، وفى آخر سنة ١٢٤٩ هـ دبر مشارى بن عبد الرحمن بن سعيد للأمير تركى مؤامرة اغتاله فيها ، وأعلن نفسه أميراً على نجد ، غير أن فيصل بن تركى الذى كان فى القطيف وقت اغتيال أبيه بادر إلى الرجوع إلى الرياض ليثأر لأبيه من مشارى بعد أن استعد لذلك . وفى ١١ صفر سنة ١٢٥٠ هـ دخل فيصل بن تركى الرياض وحاصر مشارى فى قصره ، ولم تمض بضعة أيام حتى تسلق فيصل ورجاله القصر ، وقتلوا مشارى ومن ساعده على تدبير المؤامرة لاغتيال أبيه ، وأعلن فيصل نفسه إماماً وحاكماً على نجد

فيصل بن تركي

سنة ١٢٥٠ — ١٢٥٤ هـ

أُتِيَ القبض على الأمير فيصل فيمن ألقى القبض عليهم في الدرعية من آل سعود وآل الشيخ ، وبقى في مصر من سنة ١٢٢٤ — ١٢٤٢ هـ ، حيث فرّ من مصر ، ووفد على والده في تلك السنة ، وشارك والده في كثير من غزواته وحملاته ضد المعتصبين تارة ، وضد بعض أمراء آل سعود الذين رأوا الفرصة سانحة للإمارة أيضاً

كان فيصل من أعظم الأمراء همة وشجاعة ، كما كان من أتقى آل سعود وأكثرهم حمية وغيره على الدين والقومية

لم يمكن مشاري بن عبد الرحمن بن سعود من الإمارة ، وقد صعد إليها باغتيال تركي والد فيصل . بل ركب متن الخطر ، وهل للإمارة في بلاد العرب غير طريق الحاضرة ؟ فأسقطه بسرعة وقتله وقتل من عاونه . تسلم فيصل عرش الإمارة الشانك ، فلم يجد من كثير من الأمراء إخلاصاً وخضوعاً : أما بعضهم فيفضل الاستقلال حتى يتحكم في الناس ويتسع المجال لهواه ومطامعه ، وبعضهم يخاف من بطش المصريين والأتراك ، غير أن فيصلاً كان كجده محمد بن سعود ليناً لمن ينفعه اللين ، شديداً على من لا يصلح له غير الشدة . شمر فيصل عن ساعد الجد حتى أخضع أكثر البلاد العربية ما عدا الحجاز طبعاً ، وأعاد عهد النظام والأمن في البلاد العربية بعد أن سادت فيها الفوضى وانتشر الفساد

لقد هال الأتراك ومحمد على أمر نجد مرة أخرى ، وخوفهم أن يعود الأمر لآل سعود كما كان ، فأرسلوا حملة عسكرية ومعها خالد بن سعود ، فأصبحت الحرب أهلية بين آل سعود ، غير أن أهل نجد لا سيما الجنوبيين كانوا

يميلون إلى فيصل لأنه لم يستعن بأحد من الأتراك ، وصرحوا لخالد بأنه إذا كان يريد منهم الطاعة فهم مطيعون ، أما إن كان يريد الطاعة للأتراك فهم لا يحبون الأتراك ولا يريدون الخضوع لهم . وقد استمرت الحرب الأهلية بين خالد ومعه جنود محمد علي ومن تبعهم من النجديين ، وبين فيصل بن تركي والنجديين الصميمين من جهة أخرى ، وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين ، وأخيراً رأى ولاة الأمور — المصريون والأتراك — أن يضعوا آخر حد لفصل بن تركي الذي يرمى إلى إعادة حكومة سعودية مستقلة لا تتأثر بالنفوذ التركي أو المصري ، فوكلوا هذا إلى خورشيد باشا الذي أوفد إلى نجد سنة ١٢٥٤ هـ بحملة عسكرية للقضاء على فيصل ، ووصل خورشيد باشا إلى الرياض في رجب من السنة المذكورة ، فانضم إليه خالد بن سعود وساروا جميعاً إلى فيصل الذي كان في ذلك الوقت في الدلم من إقليم الخرج ، وبعد معارك دامية رأى فيصل أن ليس له قدرة على مقاومة المصريين ، فاستسلم لهم فأرسله خورشيد باشا مع أخيه جلوي وولديه عبد الله ومحمد إلى مصر

وقد بقي الإمام فيصل في مصر من سنة ١٢٥٤ إلى سنة ١٢٥٩ هـ ، كانت نجد تخوض فيها فتنة أهلية بين خالد بن سعود وبين عبد الله بن ثنيان ، الذي يريد استخلاص نجد من قوات الأتراك . استتب الأمر فيها لعبد الله بن ثنيان ، وهرب أخيراً خالد بن سعود من الرياض إلى الاحساء فالتطيف فالكويت فمكة حيث توفي بها

فصل

من سنة ١٢٥٩ — ١٢٨١ هـ

تمكن الإمام فيصل بن تركي من الفرار من مصر مرة ثانية ، ويقال : إنه تمكن من ذلك بمساعدة عباس باشا الأول ؛ فإنه كان معجباً به وبعقله ، فذابت قوة ابن ثنيان ، وأسلم له سائر الرؤساء ، وتمكن بعد مدة قصيرة من استعادة المملكة القديمة ما عدا الحجاز ، وقد ساعده على ذلك أولاً انسحاب الجيوش المصرية من البلاد العربية ، وزوال نفوذهم من تلك البلاد نتيجة لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م ، وثانياً مسلك الحكمة والتبصر الذي اتبعه الإمام فيصل مع الأتراك الذين اكتفوا بسيادتهم الاسمية على بلاد العرب ، وبذلك عادت الطمأنينة إلى قلوب السكان ، وشمل الأمن الطرق والبلاد التي بسط عليها فيصل سلطانه ونفوذ

صفات فيصل بن تركي

كان الإمام فيصل قصير القامة ، يميل إلى السمن ، متوقد الذكاء ، كثير التواضع ، يميل إلى العدل ، شديداً على عماله إذا رأى منهم انحرافاً عن الخطة التي رسمها لهم ، وكان في أخريات أيامه شديد العطف على الأيتام ، بنى لهم في الرياض داراً خاصة لهم ، وكان يتفقدهم بنفسه ويكرم مثواهم ويواسيهم بكلماته الرقيقة ، وقد أخبرني المرحوم الشيخ عيسى بن علي أنه مر بالرياض في حجه سنة ١٢٧٨ — سنة ١٨٦١ م فرأى الإمام فيصلاً يزور دار الأيتام ، وراه مرة يبكي حينما قال له أحد المتخاصمين : خف الله يا محفوظ ، وتمتعت نجد في أيامه بسعادة ورخاء عظيمين وقد زار الرياض الرحالة « بلجريف » ، فوصف بلاط فيصل وما يسوده من الجاسوسية والإشاعات ، كما وصف الإمام فيصلاً بالضعف في آخر أيامه وسيادة

عبد الله ولده في خارج القصر ، ومحجوب — عتيق تركي والد فيصل — في داخل القصر ، كما وصف سلطة الشيخ عبد اللطيف حفيد الشيخ محمد عبد الوهاب ، وأنها تأتي بعد فيصل مباشرة ، وذكر أيضاً المنافسة بين عبد الله بن فيصل وسعود بن فيصل حتى اضطر فيصل إلى تعيين ولده سعود أميراً على اليمامة والخروج ؛ دفعاً للاحتكاك والمنافرة بين الولدين ، وان أهل الدين المتعصبين يرون في عبدالله الزعيم ، كما أن فريق المعتدلين المتسامحين يرون في سعود الزعيم البصير العاقل

إن فيصلاً وأكثر أهل نجد يكرهون الأجانب من كل قلوبهم ويسئثون بهم الظنون ، وهم لا يلامون على هذا فقد ذاقوا من المصريين والأتراك ومن جيوشهم الأمرين ، وقد ذاق فيصل نفسه الشيء الكثير منهم في الحبس والإبعاد ؛ ولذا فإنه يرصد العيون على كل أجنبي قادم ولا يترك له المجال للإقامة في الرياض ، ولكنه في الوقت نفسه كان واسع الصدر مع المسلمين غير النجدين الذين فضلوا الإقامة في بلاده ؛ حيث وجدوها وطناً صالحاً لتعاليم الإسلام الصحيحة كما ذكر بلجريف نفسه إكرامهم لبعض الهنود ؛ ولهذا السبب لم يجد بلجريف صدرًا واسعاً لإقامته ، ووجد العيون تبث حوله

وقد نشطت الدعوة النجدية في أيام الإمام فيصل بعد ما أصيبت بالجهود في أيام حملات المصريين ، غير أن هذه الدعوة سواء كانت سلمية أو حربية لم تخرج عن دائرة نجد والاحساء وعمان وقطر وعسير . أما الحجاز والعراق وسوريا فلم يشأ فيصل أن يدخل معها في نزاع جديد ؛ لأنه رأى سلامته وسلامة بلاده في حفظ صلوات المودة مع الأتراك

واعتراف الإمام بسيادة الأتراك لم يمنعه سنة ١٨٦٢ م من مفاوضة بيلى المقيم السياسي في بوشهر باسم الحكومة البريطانية لتوطيد صلوات المودة والصدقة بين البلدين

أما المملكة السعودية في أيام فيصل فقد كانت حدودها حسب وصف بيلى^(١) من الشمال خط يمتد من جوف العامر إلى قرب الكويت مباشرة عند نهايتها الشرقية ، ومن الجنوب تحد نجد بالربع الخالي أو الصحراء الكبرى ، ومن وادى الدواسر من نهايته الغربية إلى تقطة غير معينة في الصحراء في اتجاه الخليج الفارسي ، ومن الشرق تنحدر حدود نجد إلى الخليج الفارسي إلى الكويت في طرفها الشمالي فنازلاً إلى أبي ظبي ، وبعد أن يمر خط الحدود إلى الداخل قليلاً حتى يصل إلى بريمي ينحني خط الحدود نحو الجنوب الشرق ويمتد وراء تلال مسقط وعمان ، ومن الغرب خط يمتد تقريباً من الشمال والجنوب بين الحجاز من جهة ، ووادي الدواسر من جهة أخرى بحيث يقع وادي الدواسر في نهاية الطرف الجنوبي لهذه الحدود . فهذه الجهات كان سكانها ورؤساؤها يخضعون فعلاً للإمام فيصل . وهناك جهات أخرى كان يكتفي منها الإمام فيصل بضريبة سنوية علامة على الخضوع . فأمير البحرين كان يدفع أربعة آلاف ريال ، وسلطان مسقط ستة آلاف ، ورئيس ساحل عمان من رأس الخيمة إلى أبي ظبي ١٢ ألف ريال

وفاة الامام فيصل

في سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٦ م) توفي الإمام فيصل ففقدت نجد بموته شخصية عظيمة كان لها أثرها في جمع الكلمة ، تلك الشخصية الحكيمة التي كان لها الفضل في إحياء النظام والقضاء على الفوضى وسيادة الأمن والقانون وبموت الإمام فيصل أوجد التنافس بين ولديه عبد الله وسعود سبيلاً لأعدائهم ، فاستفادوا من مقاتلة الأخوين حتى انتهى الأمر أخيراً بالقضاء على إمارة آل سعود مرة أخرى

(١) محاضرة الكولونيل بيلى في الجمعية الملكية الجغرافية سنة ١٨٦٥ م

الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود

كان التنافر بين الأخوين معروفاً منذ أيام فيصل ، ولكن الإمام فيصلاً أراد وضع حد لهذه المنافسة ، فجعل ولاية العهد لولده الأكبر عبد الله وأطلق يده في كثير من الأحوال ، وكان عبد الله معروفاً بالكرم والتقوى ، وكان معروفاً بالتعصب الديني ، وهو يرى نفسه الوارث الشرعي للإمارة

أما سعود فكانت شخصيته تختلف تمام الاختلاف عن شخصية أخيه عبد الله : كان طويلاً كأخواله بني خالد ، وكان يميل إلى الاعتدال والتسامح ، وهذه الصفات ربما كانت محبوبة لدى البدو أكثر . يقول عارفو عبد الله ابن سعود : إن الرجل كان طيب القلب شجاعاً ، ولكنه أسند الأمور إلى غير أهلها ، وأطلق يد موظفيه ، وبعضهم ليسوا من العائلات المعروفة فعملوا رؤساء البلدان والقبائل بغير ما اعتادوه في أيام فيصل ، من كرم الضيافة والرعاية ، ولا شيء أسوأ أثراً في نفس العربي من سوء المعاملة ، كما لا شيء يحدث أحسن الأثر أكثر من الإكرام وطلاقة الوجه ، ولقد سمعت كثيراً جلالة الملك عبد العزيز ينصح أولاده بعدم الركون إلى الخدم وبعض الموظفين ، وتصفح الشئون العامة بأنفسهم ، وكثيراً ما يضرب المثل بعمه عبد الله بن فيصل وركونه إلى خدمه الذين أساءوا إلى الناس ، فانصرفت قلوب الناس عنه وانفضوا من حوله ، وعلى كل حال فإن الخصومة بين الأخوين أخذت تزداد وأخذ كل فريق يجمع أنصاره حتى ينازل خصمه ويتغلب عليه ، وقد بدأت أجزاء المملكة في الانحلال ؛ فإن القسم الشمالي من نجد أصبح تحت نفوذ آل رشيد ، ولم تبق لآل سعود إلا سلطة اسمية ، ولم تبق على ولاء مع آل سعود إلا الرياض والخرج وبعض الأقسام الجنوبية ترك سعود الرياض بعد وفاة أبيه وأخذ يبحث عن أنصار له ؛ فوجد في العجمان

أنصاراً أقوياء ، والعجمان وبنو خالد كانوا أصحاب النفوذ في إقليم الاحساء ، وقضى فيصل وأسلافه على نفوذهم في تلك البقاع ، وهاهي الفرصة سانحة لاسترداد نفوذهم فهل يتركونها تفلت من أيديهم

تحالف رآ كان بن حنبلين زعيم العجمان مع ابن خليفة حاكم البحرين يساعدهم قبائل آل مرة وتقدموا إلى الهفوف (عاصمة الاحساء) ؛ وكان فيها أحمد السديري حاكماً من قبل عبد الله بن فيصل فحاصروه فيها ، وأخذ عبد الله بمساعدة أخيه محمد بن فيصل يجمع القوات لضرب خصومه وفك حصار عامله ، ولكن لبعده المسافات بين البلدان لم يتمكن عبد الله من حشد عدد كبير من الحجازيين ؛ ولذلك أسرع بقوة صغيرة لنجدة البلد المحاصر ، وقد بقي حاكم المدينة محاصراً عدة أسابيع ، ولكن سالمها لهم لما هددوه بإتلاف البساتين ، وقد علم عبد الله بسقوط الهفوف وهو في منتصف الطريق من الرياض إليها ، فقرر الانتقام والأخذ بالثأر فوراً ، فقسّم قوته إلى عدة سرايا وأمرهم أن يجدوا السير من طرق مختلفة إلى الماء المسمى جودة ، حيث كانت تعسكر قوة العدو الرئيسية ، وحيث تتقابل كل هذه السرايا في ليلة معينة فيأخذوا العدو على غرة قبيل شروق الشمس ، غير أن خصومه الذين كانوا يحتلون منازل المياه على مسافات واسعة بددوا هذه الفرق الصغيرة ، وقتلوا أكثر من ألفي مقاتل من محاربي عبد الله المخلصين

أما سعود فإنه سارع وأتباعه لاحتلال الرياض عاصمة ملك عائلته فدخلها في نهاية سنة ١٨٧٠ م واستولى عليها وأقام نفسه حاكماً عليها ، وقد حاولت بعض المدن وأهملها البرّة أن تقاوم سعوداً ، ولكن عبد الله هزم هناك مرة أخرى ، وبعدها لم يستطع الإقامة في بلاد أجداده ، فحمل خزائنه ونفائسه على مائة بعير وصار يتنقل من ناحية لأخرى لعله يجد نصيراً أو مساعداً ، فتوجه أولاً إلى زامل السليم حاكم عنيزة ، ولكن خوفه من بطش سعود جعله يوعز إلى عبد الله

الرحيل عن بلاده ، فتوجه عبد الله إلى محمد بن الرشيد في حائل ، غير أنه لم يجد صدرًا رحباً منه ، فرحل إلى سلطان الدويش (والد فيصل الدويش المعروف) وعساف أبو ثنين رئيسي مطير وسبيع ، وكانا يحقنان على حاكم الرياض سعود ويسعيان لإضعاف نفوذه

وأراد عبد الله أن يسعى من جهة أخرى لإضعاف نفوذ أخيه سعود . فأرسل عبد العزيز بن بطين إلى مدحت باشا والى بغداد ليستمد منه المعونة ضد أخيه ، فوجد مدحت باشا الفرصة سانحة للاستيلاء على الاحساء وسائر البلاد التي كانت خاضعة لتركيا قبل دولة آل سعود ، فاستعان على غرضه هذا بناصر باشا السعدون رئيس قبيلة المُنْتَفِق ، وعبد الله بن صباح حاكم الكويت ، وبمساعدة هؤلاء وبني خالد أنصار عبد الله احتلت القوة التركية الاحساء وأطلقوا عليها ولاية نجد وقد تحقق عبد الله الذي كان يحسد أخاه سعوداً على ولاية الاحساء أنها قد خرجت من أيديهما جميعاً

أما سعود فقد بدأت القلوب تنصرف عنه بسبب الفظائع التي ارتكبتها أنصاره وأصهاره العجبان ، فاجتمع أهل الرياض تحت قيادة عمه عبد الله تركي وطرده من الرياض سنة ١٨٧١ م ، فوجد عبد الله بن فيصل المقيم في الاحساء الفرصة سانحة ، فترك الاحساء ودخل الرياض بدون مقاومة ، ولكن سعوداً لم يهن عنزمه ، فجمع أنصاره وأصدقاءه الدواسر ، ونازل أخاه عبد الله في الجَزَعَة وضربه ضربة شديدة ودخل الرياض ظافراً

أراد سعود أن يسترد الاحساء من الأتراك بعد أن أضاعها أخوه عبد الله ، فرأى البدء في مفاوضات مع الأتراك لحل هذه المشكلة ، فأرسل أخاه عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز إلى بغداد ، فأقام عبد الرحمن بن فيصل في بغداد أربع

سنوات دون أن يصل إلى نتيجة ، وأنى له ذلك والأترك يرنون بيصرهم إلى داخل الجزيرة

ترك عبد الرحمن بن فيصل بغداد سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) مصراً على الاستيلاء على الاحساء بالقوة ، بعد أن فشلت المفاوضات السياسية ، فنزل إلى بادية الاحساء واستحتمها على قتال الترك ، فاجتمع حوله العجمان فهاجموا الاحساء واستولوا عليها ماعدا الكوت (القلعة) ولكن الأتراك بمساعدة بنى خالد هزموا عبد الرحمن والعجمان وطرده من الأماكن التي احتلها ، فرحل عبد الرحمن إلى الرياض وأخبر أخاه سعوداً بما منى به من الفشل في محاولاته السياسية والحربية . ولم يكن حظ سعود نفسه بأسعد من حظ أخيه عبد الرحمن ؛ فان مُسلط بن ربيعان من رؤساء عتيبة حينما أنس الضعف من سعود وما منى به في الاحساء أخذ ينهب الجانب الغربي من الرياض ، وأخيراً حينما خرج سعود لغزو عتيبة أحاط به أعداؤه في واد ضيق وقتلوا أكثر أنصاره ، وجرح هو نفسه جرحاً بليغاً ، وقد نقله عبيده إلى الرياض فبقي بها مريضاً حتى مات في صيف سنة ١٢٩١ هـ — (١٨٧٤ م)

فبايع أهل الرياض أخاه عبد الرحمن بن فيصل إماماً لهم وحاكماً عليهم ، ومضى على ذلك نحو سنة ، غير أن عبد الله بن فيصل عز عليه أن يرى أخاه الأصغر حاكماً في الرياض وهو طريد من عشيرة إلى أخرى ، فدخل الرياض وأعلن نفسه إماماً وحاكماً عليها ، فرأى أخوه عبد الرحمن أن يضع حداً للفتن الداخلية ، فتنازل عن الإمارة وبايع أخاه عليها ، غير أن هذا الحكم لم يدم طويلاً ؛ فإن خصومه وأعداءه من أبناء أخيه سعود تمكنوا من القبض عليه وحبس سنة ١٨٨٧ م ، فأسرع محمد بن رشيد حاكم حائل إلى مساعدته ، فضرب أعداءه وفك أسره وأخذ معه إلى حائل ، وأقام في الرياض عاملاً من قبله بجانب عبد الرحمن

ابن فيصل ، ثم ما لبث أن استقدم عبد الرحمن إلى حایل ليقیم مع أخیه عبد الله
ومن ذلك الوقت أخذ نجم آل سعود في الأفول ، وأصبحت الكلمة العليا
في نجد لآل الرشيد عمال السعود بالأمس ، فأخذوا يبسطون نفوذهم على سائر
الأجزاء النجدية . وشخصية محمد بن رشيد زعيم الرشيد قد ساعدت على ذلك أتم
مساعدة ، فقد اشتهر الرجل بالكرم ولين الجانب وكبر العقل وحبه للسلم ، فدانته
له العشائر كلها راضية أو مكروهة

وقد رأى أن يملك قلوب أهل الجنوب فأذن في سنة ١٨٩٠ م لعبد الله بن
فيصل بسكنى الرياض بالنظر إلى تقدمه في السن واشتداد المرض عليه ، وأذن
لأخيه عبد الرحمن أن يصحبه وأن يسكن الرياض أيضاً ، غير أن المنية لم تمهل
عبد الله بن فيصل ، فمات بعد وصوله إلى الرياض بيوم واحد

أما الإمام عبد الرحمن فقد كبر عليه أن يعيش في الرياض بلد آبائه وأجداده
بعيداً عن النفوذ ، يرى بعينه عامل ابن الرشيد هو السيد المطاع ، وكان عامل
الرشيد من جهة أخرى لا يسير نحو آل سعود من الإكرام وحسن المعاملة بما
ينسيهم تراثهم الزائل ، فقام عبد الرحمن بن فيصل يشد أزره أهل الرياض والموالون
لآل سعود ، وقبضوا على عامل محمد بن الرشيد وبايعوا الإمام عبد الرحمن بالإمامة ،
فجهز محمد بن الرشيد جيشاً حاصر به الرياض ، ولكنه لم يتمكن من دخولها فصالحه

أهلها على أن يترك لعبد الرحمن الإمارة ، وهم يطلقون عامله المدعو ابن سبهان
غير أن الأمير عبد الرحمن الذي أصبح تحت رحمة الرشيد والذي لم تتعد
سلطته الرياض وما حولها كبر عليه أن يرى من كانوا بالأمس عمالاً من قبلهم لهم
هذا النفوذ العظيم ، وكذلك أهل القصيم كبر عليهم أن يروا حاكم حایل يتمتع
بهذا السلطان ، وليس أقدم منهم بيتاً ولا أكرم حساباً أو نسباً ، ولكن القوة هي
التي أملت عليهم الخضوع والاستسلام

كانت فكرة أهل القصيم وفكرة الأمير عبد الرحمن ترمى إلى غرض واحد ، فاتفقوا على مبايعته ومباغته محمد الرشيد في حایل ، وضربه ضربة تضعف سلطته وتقلل من نفوذه ، ولكن محمد الرشيد لم تكن عينه غافلة عما يكيد له خصومه في الخفاء ؛ فإنه ما كاد يعلم بأن خصومه أخذوا يتأهبون ، حتى باعتهم بقواته في عينزة ، وانقض عليهم فمزقهم شرمزق وقد قتل في هذه المعركة زامل آل سليم حاكم عينزة وابن مهنّا حاكم بريدة ، وتعرف هذه الواقعة بواقعة المليدة

ومنذ سنة ١٨٩١ م وهي السنة التي كسر فيها محمد الرشيد خصومه ، أصبح السيد المطاع في نجد ، وإن كان لا يزال يعاني بعض الصعاب في جمع الضرائب من الأقاليم الجنوبية

أما عبد الرحمن بن فيصل فقد نقل أهله من الرياض إلى آل مرة قرب الاحساء ، ومكث لديهم نحو سبعة أشهر ، ثم هجم على الرياض فاستخلصها من الرشيد هي وسائر اقليم العارض ، ولكن ابن الرشيد جهز جيشاً عظيماً التقى بجيش عبد الرحمن بحريملا ، ففضى عليه القضاء الأخير ، فأيقن عبد الرحمن أن الأمر فوق مقدوره ، فترك نجداً إلى الاحساء فالتقطيف فالكويت ؛ حيث ألقى عصا التسيار فيها منتهزاً الفرصة وماتتأى به المقادير

فأقام ابن الرشيد محمد بن فيصل أخا الإمام عبد الرحمن حاكماً على الرياض ، وقد كان معتقلاً في حایل ، أما عبد الرحمن الذي اختار الإقامة في الكويت في سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٩١ م) ، فأخذ يقيم العراقيل في وجه ابن الرشيد . وأوغر صدر الأتراك عليه في بغداد والاحساء ، كما ساءت العلاقات بينه وبين حاكم الكويت أيضاً ، فأخذ ابن الرشيد في تجهيز حملة لفتح الكويت المنفذ الطبيعي لنجد سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٥ م) ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل بعد أن كبده خسائر فادحة في المال والرجال ، كما أنها وسعت هوة الخلاف بين الكويت وحایل

الدور الثالث لآل سعود

لقد كتب القدر أن يرى عبد الرحمن بن فيصل مجد أبيه ، ويرى مأساة
خلاف بين أخويه عبد الله وسعود ، تلك المأساة التي انتهت بانسحابه إلى
الكويت يعيش فيها ضيقاً غريباً بعد أن كان أميراً مهيب الجانب ، ولكن الله
الذي أعد للصابرين أجرهم عوض عبد الرحمن بن فيصل خيراً ، فأراه قبل موته
راية ولده عبد العزيز ترفرف لآل على مملكة الإمام فيصل فحسب ، بل على مملكة
الحجاز أيضاً

في آخر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) اغتال الشيخ مبارك بن صباح أخويه
الشيخ محمد والشيخ جراح خلاف بينهما ، وتبوأ عرش الكويت ثم استكتب
أعيان الكويت عريضة يتهم فيها الشيخ يوسف بن ابراهيم بقتل أخويه ، وأرسل
عريضة إلى والى البصرة ، فاطلع الشيخ يوسف بن ابراهيم على العريضة ، وقد كان
خارج الكويت في الصيد ، فقرر هجر الكويت واتخذ الدَّوْرَةَ وهي من أملاكه
الواسعة قرب مصب نهر شط العرب . وحاول مبارك في الوقت نفسه أن يغري
الشيخ يوسف بالقدوم إلى الكويت أو أن يقبض الأتراك عليه فلم يفلح ؛ لأن
يوسف بن ابراهيم لم يأمن كيد مبارك

لجأ أولاد محمد الصباح وجراح إلى يوسف خشية من عهدهم ، وهو يعتبر كحال
لهم ، واستجاروا به وطلبوا منه الأخذ بثأر أبيهم . فبدأ الخلاف الخطر بين بيت
آل ابراهيم يعاونه قسم من أهالي الكويت وبعض عائلة الصباح وبين
الشيخ مبارك

لقد حاول الشيخ يوسف أن يهجم على الكويت فيأخذها عنوة ، فجهز حملة
بحرية في بعض شواطئ إيران وملا السفن بالمقاتلة ، ولكن الحظ خدم مباركاً

بوقوفه على المؤامرة قبل وصول السفن إلى الكويت بيوم واحد ، فرجعت الحملة خائبة حينما رأت أن أمرها قد انكشف ، وأخيراً لجأ الشيخ يوسف إلى الأتراك وابن الرشيد ، وهنالك بذل الذهب وبين للجميع سهولة الاستيلاء على الكويت ، وكانت نتيجة هذه المحاولات إعلان الحماية البريطانية على الكويت حينما أرسل الأتراك سفينة حربية صغيرة لنقل شيخ الكويت إلى استنبول ؛ لأنه عين عضواً في مجلس الشورى ، فلم يقف البريطانيون مكتوفي اليد فأعلنوا حمايتهم وهددوا السفينة بإطلاق النار عليها إن لم تنسحب فانسحبت حالاً ، وقد أخبرني الشيخ مبارك والسيد رجب النقيب بقصة إعلان الحماية البريطانية على الكويت ، وسند كرها في مذكراتنا إن شاء الله

وقد ازدادت العداوة بين حاكم الكويت وعبد العزيز آل رشيد ، ويوسف ابن ابراهيم يذكي نار الخلاف ، وفي سنة ١٢١٨ هـ (يناير سنة ١٩٠١ م) ، وصلت إلى عبد العزيز بن رشيد أسلحة كثيرة من الأتراك ، فاستغلها في حملة ضد مبارك الذي كان يتقدم للغزو بمساعدة بعض العشائر التي تميل إلى ابن سعود ، وبعض القبائل الجنوبية التي كانت ترغب في الخلاص من حكم الرشيد ، فاصطدمت قوات الطرفين في الصَّرِيف — الماء المعروف في القصيم — وانقضت قوات ابن الرشيد على قوات ابن صباح ومزقتها شرمزق ، وفر مبارك إلى الكويت لايولى على شيء ، وقد أصيب أهل الكويت في هذه الواقعة بمصيبة لا يزالون يذكرونها ، فلم يكذب بيت من بيوت الكويت يخلو من قتيل ، غير أن هذه الواقعة أثبتت أن عبد العزيز الرشيد كان سفاهاً لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً ؛ فإن أكثر من قتلوا لم يقتلوا في المعركة بل قتلوا بعد ما ساموا سلاحهم ، وقد سقنا هذه القصة هنا وإن كانت ألصق بتاريخ الكويت لما لها من العلاقة الوثيقة في تاريخ نجد الحديث

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

في الوقت الذي هاجر فيه الأمير عبد الرحمن بن فيصل إلى الكويت كانت سن ولده عبد العزيز (الملك عبد العزيز الآن) لا تزيد عن اثنتي عشرة سنة ، فهو لم يشاهد مجد جده فيصل بل شاهد محنة أبيه عبد الرحمن وعائلته

تقد ذاق عبد العزيز مرارة العيش في الكويت ، ولم يخطر على باله أن يعيش تلك الحياة الهادئة ، وقد كبر على نفسه أن يعيش تحت جناح الشيخ مبارك بعد ما كانوا بالأمس سادة نجد ، فقرر أن يخاطر : فإما أن يفوز فيكون قد أدى واجبه نحو نفسه ونحو عائلته ، وإما أن يموت فيستريح من عذاب الضمير

بدأ الأمير عبد العزيز مخاطراته بالحملة على الرياض لبعدها عن مركز قوة ابن الرشيد ، ولما فيها وفي بلاد الجنوب من الأنصار والمخلصين لعائلة آل سعود

خرج عبد العزيز بن سعود من الكويت سنة ١٣١٩ هـ — ١٩٠١ م ، ومعه أربعون رجلاً كلهم من آل سعود والموالين لهم ، وكانت خطة ابن سعود أولاً ترمي إلى ضرب العشائر التابعة لابن الرشيد حتى يلتف حوله رؤساء البدو ، وبالفعل فإنه نجح في ذلك حتى بلغ جيشه ألفاً وقرنانه نحو ٤٠٠ ، واتخذ هدفه نجداً الجنوبية

شكا ابن الرشيد للدولة العثمانية من هذا العدو الصغير ، وكتب لقاسم بن ثاني — أمير قطر — يجرّضه عليه ، فمنعت الدولة ابن السعود أن يُموّن من الاحساء ، وقطعت راتب والده ، وانفض البدو من حوله ، ولم يبق حوله إلا الأربعون رجلاً الذين خرجوا من الكويت وتحالفوا معه على الحياة أو الموت كتب له الشيخ مبارك ووالده بالرجوع إذ لا قبل له بمناوأة الدولة العثمانية وابن الرشيد ، ولكن ابن سعود كان يحاول ملكاً ، فإما أن يصل إليه أو يموت



صورة تاريخية لجلالة الملك ابن السعود مع الشيخ مبارك شيخ الكويت

و
و
ع
ع
نا
ال
د

أراد عبد العزيز أن يضرب ضربته الأخيرة فسار بجماعته الأوفياء ، وقد التف حولهم عشرون رجلاً ، فوصل إلى حدود الرياض أول الليل ، فترك من قومه هنالك عشرين رجلاً على مسافة ساعتين من الرياض ، وتقدم الأربعة الآخرين ، فلما وصل الشمسية — وهي بساتين خارج الرياض — ترك من جماعته ثلاثين على رأسهم أخوه محمد بن عبد الرحمن ، ثم تسلق سور البلد ، ولكنه ماذا يصنع في هذا الليل البهيم وكيف يقضى ليلته ؟

طرق باب البيت المجاور لقصر عامل ابن الرشيد المدعو عجلان

— من الطارق ؟

عبد العزيز بن سعود مجيباً : — رجل من خدم الأمير عجلان يريد

زوجك لغرض

المرأة — إذهب لا بارك الله فيك ما جئت إلا لتبغى النساء ، وهل يطرق

باب الناس في الليل إلا فاسد

عبد العزيز — لا والله يا خالة ما جئت لهذا ، ولكنني أخشى على زوجك

من القتل غداً إذا لم يلب نداء الأمير حالاً

سمع الرجل التهديد فخرج ليرى جلية الخبر ، وكان ابن السعود يعرفه جيداً

ويعرف نساءه ، ومنهن من كن في خدمة بيوت آل سعود ، فلما خرج أمسكه

وقال : اسكتي وإلا قتلتك في الحال ، ثم دخل البيت فلما رآه النساء صحن : عمنا

عبد العزيز ، فقال : اسكتي ولا بأس عليكين ، ثم جمعهن جميعاً في غرفة وأغلق

عليهن الباب جميعاً ، ثم تسلق الجدار إلى البيت المجاور للحصن ، فوجد اثنتين

نائمتين فلفهما في فراشهما بهدوء ، ثم أدخلهما في إحدى الغرف وأغلق عليهما

الباب ، ولما اطمأن بالله أرسل إلى أخيه محمد من الخارج ومن معه فجاءوا إليه

دون أن يشعر بهم أحد

كان البيت المجاور للبيت الذي هو فيه أحد بيوت عجلان عامل ابن الرشيد ، وكان عجلان يزوره نهائياً وأحياناً في الليل . فمشى عبد العزيز ومعه عشرة من رجاله فدخلوا البيت ثم فتشوا غرفه واحدة واحدة ، فوجد اثنين نائمين على فراش واحد ظنهما ابن سعود وعجلان وزوجته ، فدنا منهما عبد العزيز ليتحقق من شخصيتهما على ضوء سراج كان يحمله أحد الخدم ، فوجدها زوجة عجلان وأختها عرفت المرأة عبد العزيز فسألته : أنت عبد العزيز؟ فأجابها : نعم ! أنا هو...!

— من تبغي؟ وما مآربك هنا؟ فأجابها : أريد عجلان لا سواه ، فقالت : يا بني لا تغرر بنفسك ، انج بنفسك في هذا الليل وإلا قتلك

عبد العزيز — ما جئنا لنسمع منك نصيحة ، ولكن نريد أن نعرف متى يخرج عجلان من القصر الداخلي

زوجة عجلان — بعد شروق الشمس بساعة

عبد العزيز — هذا كل ما نريد ، وإنكن إذا لزمتم السكوت والسكون فلا بأس عليكم ، وإلا فالموت لا محالة ، ثم جمع النساء جميعاً في غرفة واحدة وأغلق عليهن الباب

انتصف الليل وخيم السكون على البلد كأن لم يكن هنالك شيء ، ثم في هذا السكون أخذوا يحكمون الرأي في تدبير الهجوم على قصر عجلان . انبثق الفجر وأخذت الشمس تشرق بنورها الساطع على البلد ، وفتح باب القصر وأخرج العبيد الخليل ، فدخل عبد العزيز القصر وتبعه من رجاله خمسة عشر فقط وكنوا في داخله ، وبعد دقائق خرج عجلان ليرى الخليل كعادته ، فصادفوه في الطريق فراعهم منظرهم ، فهم يريد الرجوع ، فأدركه عبد العزيز بطلقة لم تدرك منه مقتلاً فتبعه عبد العزيز ، وتصارع ابن سعود وعجلان ، ابن السعود يريد القضاء على

خصمه ، وعجلان يحاول إدخال ابن السعود إلى الباب الداخلي . في هذه اللحظة أخذ رجال عجلان يطلقون النيران من نوافذ الحصن المشرفة على السوق ، فقتلوا اثنين من رجال ابن سعود ، وجرحوا أربعة وتراجع المهاجمون ، ياله من خطر داهم ! هنا دخل عبد الله بن جلوى (أمير الاحساء اليوم ، وابن عم عبد العزيز بن سعود) وعدا وراء عجلان الذي أفلت من عبد العزيز فرماه بطلقة أودت بحياته ، وبعد ساعة تبادل رجال عبد العزيز وحرس القصر النار ، ثم سلم حرس القصر على أن يتركوا أحياء ظناً منهم أن عبد العزيز معه من الجند ما يكفي للقضاء عليهم ، وما كاد النهار ينتصف حتى أذن المؤذن أن الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وأن عجلان عامل ابن الرشيد قد قتل ، فسمع الناس وأطاعوا

إن هذه القصة التي تشبه قصص أبطال اليونان ترينا عظم الأخطار التي أحاطت بابن السعود ، وهي تعطينا صورة من مخاطرته بحياته ، وهل العظمة إلا ناحية من نواحي المخاطرة ؟ وهل يمكن أن يكون الجبان عظيماً ؟

وأخذ الأمير عبد العزيز بعد فتح الرياض يعمل لنقض مملكة ابن الرشيد ، واسترداد ملك آباءه وأجداده ، وقد مكث أكثر من عشرين سنة يجالذ ، ويغالب الخصوم من النجديين والأشراف والأتراك ؛ يضربهم حيناً ويلين حيناً يرى السياسة واللين أنجح من الخصام والقتال

قم له في سنة ١٣٢٠ هـ الاستيلاء على القسم الجنوبي من نجد (الخرج والأفلاق) وفي سنة ١٣٢١ هـ تم له الاستيلاء على سدير والوشم والحمل والتقصيم ، وقد تداخل الأتراك في الخصام بين ابن الرشيد وابن سعود ، وكانوا دائماً في صف ابن الرشيد ، وأعقب هذا التداخل معارك دموية بين ابن سعود من جهة وابن الرشيد وحلفائه الأتراك ، وكانت الحرب سجلاً بين الفريقين ، ولكن انتهى الأمر بانكسار الأتراك وانسحابهم من نجد سنة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م

وقد ضعف أمر آل الرشيد بقتل زعيمهم عبد العزيز بن متعب سنة ١٣٢٤ هـ ، واستراح ابن سعود بعض الراحة لأن آل الرشيد قد كفوه أمرهم بخلافاتهم الداخلية على الإمارة ، وسعى بعضهم لاغتيال البعض الآخر . وربما كانت أشد السنين على الأمير عبد العزيز هي سنة ١٣٢٨ هـ — ١٩٠٩ م ، فقد واجه ثلاث جهات مرة واحدة : ابن الرشيد من جهة ، وثورة أبناء عمه في الجنوب ، وتقدم الشريف حسين إلى نجد وأسر سعد بن عبد الرحمن شقيقه ، ولكن ابن سعود الذي لا يعرف قلبه الخور تمكن من التغلب على خصومه . استعمل السيف مع التأثير وابن الرشيد ، والسياسة بعد ذلك مع الملك حسين ، ونجح في ذلك نجاحاً عظيماً ، وكانت هذه الحادثة هي أول احتكاك بين الشريف حسين وبين الأمير عبد العزيز ، استطاع منها أن يزن أمير نجد كياسة الأمير حسين السياسية ومباغ أطاعه وطموحه

وفي سنة ١٣٣٠ هـ — ١٩١٣ م رأى الأمير عبد العزيز الدولة التركية آخذة في التصدع والانهدام ، ورأى المطامع تكسنتفها من كل ناحية ، فانتهاز فرصة خروجها من حرب البلقان منهوكة القوى ، وانتقض على إقليم الاحساء واستخلصه من النفوذ التركي ، وأعاد إلى ذلك الإقليم الأمن والسكينة بعد ما كان مسرحاً لأطاع البدو ، وباستيلائه على الاحساء نفذ إلى خليج فارس ، واتصل بالحكومة البريطانية بعد ذلك اتصالاً سياسياً ما زال آخذاً بالتوثق والنمو إلى الآن

في سنة ١٩١٤ م اندلعت نيران الحرب العظمى ، واندفع الأتراك يخوضون غمارها في صف الألمان ، فرأى الأمير عبد العزيز الفرصة سانحة للاستفادة من الحرب ، فكتب لأمرء العرب يحثهم على التفاهم والاستفادة من الفرصة ، ولكن لم يصف إلى ندائه أحد من أمرء العرب ، وانضم بعضهم (ابن الرشيد) إلى الأتراك يشد أزرهم . أما الأمير ابن سعود ففضل الوقوف على الحياد المشرب بروح المودة

للبريطانيين ، وفي سنة ١٩١٥ م^(١) عقد معاهدة القطيف مع البريطانيين كسائر المعاهدات التي عقدها أمراء الخليج مع البريطانيين ، وفي هذه المعاهدة تجلّى قِصْر نظر مستشارى ابن سعود بما يجرى في العالم والاستفادة من الفرص ، على أن هذا الخطأ قد أصلح بمعاهدة جدة سنة ١٩٢٧ م ؛ حيث اعترف له بالاستقلال التام وبمخابرة الدول والاتفاق معها حسب ما تمليه مصلحة بلاده ، بعد ما كان محروماً من هذا الحق في معاهدة القطيف ، وفي صفر سنة ١٣٢١ هـ تمكن من الاستيلاء على حائل والقضاء على أقوى خصم نجدى بعد ما رآه يحاول التفاهم مع الأشراف وحاكم الكويت ، وبذلك طويت صحيفة بيت الرشيد من حكم نجد

(١) راجع نص المعاهدة في الذيل



ابن سعود وجيرانه

ابن سعود والكويت

كانت الصلات التي تربط آل صباح والسعود دائماً ودية يرعاها الفريقان بما ينميها ويقويها ، وكان مبارك يلقب أمير نجد دائماً بولدى عبد العزيز ، كما كان الأخير يلقب الأول بالوالد ، وكانت مصالهما المشتركة تقضى عليهما بالتعاون ، وكان كل واحد منهما لا سيما ابن سعود كثيراً ما يفضى عن أخطاء الآخر ، لأن موقفهما من أعدائهما لا يسمح لهما بدقة الحساب . ومبارك الداهية المراوغ كان يعرف كيف يرضى صديقه أمير نجد ، كما كان يعرف كيف يزيل من نفسه كل أثر لسوء تفاهم يحدث

في سنة ١٩١٥ م قامت فتنة في الاحساء ، ثار العجنان وهم من عشائر ابن السعود على حكمه ، وكان ينفخ في بوق الفتنة بعض أبناء عمومة ابن سعود . والسبب الحقيقي للثورة هو سعى ابن سعود لتأديب العجنان الذين تجرأوا بنهب إبل لابن صباح وأهل الكويت ، وكانت هذه الفتنة بعد معركة جراب التي وقعت بين ابن الرشيد وابن سعود ، وخرج منها ابن السعود منهوك القوة ، ولكن العجنان بعد أن حاصرهم ابن سعود وضيق عليهم وجدوا لهم ملجأ في الكويت ، كما وجدوا في الكويت سوقاً لبيع منهوباتهم التي أخذوها من أهل الاحساء ، فأحدث هذا العمل أثراً سيئاً في نفس ابن سعود الذي أراد أن يحاسب مباركاً على هذا العمل غير الودى ، ولكن المنية عاجلت مباركاً فمات بموته كل أثر لسوء التفاهم ، وعاد الصفاء إلى ما كان عليه في السنة التي تولاه الشيخ جابر بن الشيخ

مبارك ، كما عاد سوء التفاهم مرة أخرى في عهد الشيخ سالم المبارك ، حتى أدى ذلك إلى معركة حِمص سنة ١٣٣٧ هـ — ١٩١٩ م وفيها خسر الكويت من المهمات والذخائر والإبل ما لا تقل قيمته عن ثلاثين ألف جنيه ، ثم إلى معركة الجهرة حيث حاصر الإخوان الشيخ سالماً فيها سنة ١٣٣٨ هـ — ١٩٢٠ م وكادوا يأسرونه لولا استعماله السياسة في فك الحصار

وقد توفي الشيخ سالم سنة ١٩٢١ م فعاد الصفاء إلى سابق عهده ، وفي سنة ١٩٢٢ م حددت الحدود بين الكويت ونجد في ميناء العُقَيْر

ابن سعود والأشراف

شرحنا في فصل سابق شيئاً عن تاريخ الصلات بين الأشراف وآل سعود ، ولكن الأشراف الذين لا يتعدى مركزهم الحجاز أصبح لهم شيء من النفوذ والسلطان في العراق وشرق الأردن أيضاً ، وازدادت الجبهة التي يواجهها ابن سعود ، وما كاد الأمير فيصل يصل إلى العراق ويباع له بالملك ، حتى رأينا الحدود العراقية النجدية يسودها الفوضى والاضطراب . غير أن الانجليز الذين يهتمهم استتباب الأمن وسيادة القانون والسلم علجوا هذا الأمر مع ابن السعود ، بوضع معاهدة المُحَمَّرَة وبروتوكول العُقَيْر سنة ١٩٢٢

ولما رأى البريطانيون أن المعاهدة المذكورة لم تف بالغرض عمدوا إلى محاولة أخرى لاقتلاع جذور الخلف بين ابن السعود والأشراف ، وإزالة كل أسباب سوء التفاهم بين الأشراف وابن السعود ، فعقدوا لهذا الغرض مؤتمر الكويت ، وهو الذي سنتكلم عليه في الفصل التالي

مؤتمر الكويت

ربما كان هذا المؤتمر أهم المؤتمرات التي عقدت في جزيرة العرب أثناء الخمس عشرة سنة الأخيرة : ففي هذا المؤتمر ظهر الأشراف في بغداد والحجاز وشرق الأردن بمظهر الحلفاء المتضامنين ضد خصمهم ابن السعود ، الذي أحس بالخطر المحيط به فأخذ يعمل لدفع هذا الخطر ، فوجه همه إلى الشجرة الشريفة في مكة فاقتلعها من جذورها على ما سيجيء بعد

حاولت الحكومة البريطانية أن تزيل سوء التفاهم بين الشريف حسين والملك ابن سعود ، فسعت في أثناء الحرب لاجتماعهما في عدن أو في مكان آخر محيد ، وسعت لفتح باب المفاوضات بين الفريقين ، ولكن هذه المحاولات لم تثمر الثمرة المطلوبة

وقد حاولت كذلك حل مشكلة الحدود بين العراق ونجد ، فنجحت بعض النجاح ، ولكن النفوس كانت لا تزال تحمل الإحن ، وقد عمل « السير برسي كوكس » صديق الملك ابن السعود لاجتماع الملك فيصل بالسلطان عبد العزيز ، ولكن الظروف على ما يظهر لم تكن مساعدة من كل وجه فحبط المسعى ، ثم أخذت حوادث الحدود النجدية وشرق الأردن تتكرر فيها الاعتداءات من عشائر الفريقين ، وأخذ الإخوان يهددون شرق الأردن نفسه أخذاً بثأر إخوانهم ، وأخذت الحوادث في الحجاز تأخذ شكلا لا يقل خطورة عما يحدث على حدود العراق وشرق الأردن

ويجب أن نقرر هنا للحقيقة أنه فيما عدا حادثة تربة سنة ١٩١٩ م التي أيدت



المملك عبد العزيز بن سعود والمرحوم المملك فيصل على ظهر البارجة « لوبن » سنة ١٩٣٠

1871

فيها قوات الشريف حسين لم يكن للملك ابن السعود يد ظاهرة في هذه الحوادث ، وما كان يستطيع أن يمنعها تماماً إلا بثورة أهلية ، ولكن طبيعة التطور الأخير في البادية وانتقال الإخوان من البادية إلى سكنى الحضر وتشريرهم بروح الدين والتعصب ضد كل من خلفهم ، وبالأخص المجاورين لهم . والملك ابن سعود وإن لم يرغب في الاعتداءات على البلاد المجاورة المشمولة بالنفوذ الإنجليزي أو يشجع عليها ، فإنه لم يكن يكره ذلك ، فما دام الإخوان يخضدون شوكة الأعداء ويعودون بالغنائم سالمين ، وما دام الأعداء يسعون للقضاء عليه وعلى دولته فلا بأس من تركهم والإخوان يتصارعون . لقد كان الملك ابن السعود ينصح الإخوان من وقت لآخر بالكف عن أذى الحكومات المجاورة والركون إلى السلم ، ولكن نصحه لم يكن يلقى أذناً سمیعة من الإخوان ، وكانوا يقولون : يا للعجب ! أليس هؤلاء كفاراً ؟ أليسوا محاربين لنا ؟ أليس كبيرهم يحول بيننا وبين أداء فريضة الحج ؟ فما بال ابن السعود يأمرنا بالكف عنهم ، وماله ومالنا إننا نقوم بفريضة الجهاد ، فمن عاش رجع غانماً ، ومن مات لقي الله شهيداً وهو عنه راض ، ولكن الحكومة البريطانية وقد أصبح لها مركز خاص في العراق وشرق الأردن يهمنها أن ينجم السكون على تلك البلاد ؛ لذلك فكرت في عقد مؤتمر في الكويت تحت رئاسة الكولونيل نو كس رئيس المعتمدين في الخليج الفارسي لحل جميع المسائل المتعلقة بين الأشراف جميعاً وبين ابن السعود

وصلت الدعوة إلى المؤتمر وكان السلطان مريضاً مرضاً خطراً ، فتأخرت الإجابة طبعاً ، وبعد أن زال عنه الخطر وعرضت عليه الدعوة رأى أن يطلب من الحكومة البريطانية تأجيل المؤتمر ريثما يتم شفاؤه . ولكن الكولونيل نو كس الذي تقررت إحلته على المعاش كان حريصاً على عقد المؤتمر وعلى حل المشاكل المتعلقة التي لا تزيد الأيام إلا تعقيداً وإشكالاً . وهل هناك فخر أعظم من حل هذه

العقدة التي تركها السير برسي كوكس ، وهو أقدر رجل عرفه العرب وأعظم
الانجليز مهارة في حل المشاكل

ظن الكولونيل نو كس وهو عين الحكومة الانجليزية في خليج فارس أن
ابن السعود يريد أن يتخلص من الاشتراك في المؤتمر ، فأرسل إليه باسم حكومته
رسالة شديدة اللهجة لا تخلو من تهديد ، فقبل ابن السعود الاشتراك في المؤتمر على
مضض ، واشترط لقبوله أن لا يشترك الأشراف في المفاوضات ، بل يفاوض كل
حكومة على حدها ، فقبلت الحكومة البريطانية هذا الشرط

دور المؤتمر الأول

اجتمع المؤتمر في الكويت ، واجتمع مندوبو نجد والعراق وشرق الأردن
ولم يحضر أحد عن الحجاز ، وبعد عدة جلسات رأينا جميع المندوبين متضامنين ،
فاحتج مندوبو نجد واعتبروا هذا إخلالاً بما اشترطه سلطانهم لقبول الدعوة ،
ووافقهم وزارة المستعمرات على ذلك ، واعتدل مندوبو العراق ، وبقي مندوب
شرق الأردن على شططه بالرغم من تنبيه رئيس المؤتمر له مراراً ، ويكفي أن
نذكر هنا طلبات شرق الأردن لتعلم ما يمكنه القدر لمؤتمر الكويت
يطلب مندوب شرق الأردن ما يأتي : —

١ — تنفيذ مقررات النهضة التي عقدت بين الشريف حسين وبين
الحكومة البريطانية ، والتي تقضى بأن تكون حدود حكومة نجد كما كانت سنة
١٩١٩ م ، ويجب إخلاء الجوف وسكاهه ووادي السرحان جميعه والأراضي
الحجازية التي شغلها مثل : تربة والحرمه والحائط والحويط وخيبر وبيشة ووادي
شهران وبلاد بني شهر

٢ — تكون الحدود الفاصلة بين الحجاز ونجد هي الصحراء القاحلة



منظر آخر لجلالة الملك ابن السعود والمرحوم فيصل على ظهر البارجة « لوبن »

1875

٣ — لا يمكن عقد صلح على غير هذا الأساس

وينبغي أن يفهم هنا أن الغرض من الاعتراف بحدود معاهدة سنة ١٩١٤ م فقط ، هو عدم الاعتراف بما تم من القضاء على حكومة الرشيد وإلحاقها بنجد ولما كانت هذه الطلبات عبء كاداء في سبيل الاتفاق لم يكن هنالك بد من أن تؤجل الحكومة البريطانية المؤتمر بضعة أسابيع ، ويرجع كل فريق إلى حكومته لإيقافها على النقط التي دار عليها البحث وأخذ تعليمات جديدة منها ، وتقوم الحكومة البريطانية بتقريب مدى الخلاف ونصح كل فريق بالاعتدال كي يمكن الوصول إلى طريق للاتفاق وإزالة سوء التفاهم السائد بين الجميع . وقد سعت الحكومة البريطانية لحمل الملك حسين على الاشتراك في المؤتمر ، فاشتراط أن يرسل الأمير زيدا على شرط أن يرسل سلطان نجد أحد أولاده فلم يقبل ابن سعود وصرح بأنه يثق بمندوبيه ، ولا يرى أى ضرورة لتغييرهم ، وهكذا فشل اشتراك الحجاز في مؤتمر الكويت ، وقد أبدى سلطان نجد مهارة فائقة ومرونة سياسية دلت على بعد نظره وتقديره الظروف حق قدرها ، وأنه يعرف عقلية خصومه معرفة تامة

لقد أوصانا رئيس المؤتمر قبل مغادرتنا الكويت بأن نبذل نفوذنا لإقناع سلطان نجد بالتساهل ، وأرسل في الوقت كتاباً لعظمته يشرح له حقيقة الموقف . وبالرغم من التكتّم الشديد الذي ساد جو المؤتمر ؛ فإن الإشاعات الكثيرة سبقتنا إلى نجد فقام وقعد لها النجديون . لقد كبر على الإخوان أن يسمعوا شرق الأردن والعراق تملى عليهم هذه الشروط القاسية ، وهم لم تنكس لهم راية ولم ينكسر لهم جيش ، فقام الدويش ومعه رهطه من الإخوان ومظير وهم على عشائر العراق ، كما أن بعض الأشقياء من مظير كانوا يهجمون من وقت لآخر على حدود نجد وينهبون كل ما تصل إليه أيديهم

الدورة الثانية للمؤتمر

لم يحضر في هذه الدورة أحد من جهة العراق أو الحجاز ، بل حضر مندوبان فقط من شرق الأردن ولم يعد لهما طلباء في المرة الأولى ، ولكن رئيس المؤتمر منعهما من البحث في أى مسألة من المسائل الخاصة بالحجاز ، فأنحصر البحث في حدود شرق الأردن ونجد ، فطلبوا من نجد أن يكون حدودها النفوذ وتتخلى عن الجوف ووادي السرحان بأكمله ، وقد طلب مندوبو سلطان نجد استفتاء أهل الجوف وأخيراً فشل المؤتمر

أما السبب الحقيقي في فشل المؤتمر فهو صلابة الملك حسين وتعسفه ، وعدم وقوف الأشراف في العراق وشرق الأردن على حقيقة الحالة في نجد ، وأن أحكامهم على نجد المبنية على ما يصل إليهم من الأخبار كانت خاطئة ، ولو أنهم تغلبوا على العقبات التي وقفت في طريق المفاوضات في المؤتمر بشيء من التساهل لكان ابن السعود حتى الآن في نجد

لقد أخبرني إبراهيم بك هاشم أحد مندوبي شرق الأردن أنه سمع في بغداد أن عمر سلطنة نجد لا تتجاوز الستة أشهر ، كما أخبرني حضرة الضابط على خلقي بك بأنه يستطيع أن يقضى على سلطنة نجد في مدة أقصر من هذه ، وقد أفهمناهم بأنهم مخطئون جداً ، وأن ما يرى من الاختلال على الحدود ومن شغب الأشقياء لا قيمة له ، وأن البادية من قديم لم ينقطع منها أمثال هذا الشغب ، وأن ستة الأشهر التي قدرت عمراً لسلطنة نجد ربما كانت عمر حكومة الحجاز ، وأنه لئلا يمكننا الأسف والأسى على ما وصل إليه العرب من التخاذل ، وأن يكون موقف المتعلمين من العرب هذا الموقف المزرى . والحقيقة أن الأشراف جميعاً ومن اشتغل معهم ما كانوا ينظرون إلى ابن سعود إلا أنه رجل بدوي أو شيخ عشيرة ، وأنه

ليس بأهل للتفاهم معه ، وأنه ليس من الخطر بمكان حتى يخشى ، ولكن الحوادث كانت كفيلة بإظهار خطتهم ، وأن الآمال التي كانوا يعقدونها على قيام ثورات في نجد لم يتحقق شيء منها ، وأن ما عجز مؤتمر الكويت عن حله قد حل في أكتوبر سنة ١٩٢٥ م في مؤتمرى حدّاء و بجرّة ، وفي سنة ١٩٣٠ م بين ملكى العراق والحجاز ونجد

وها هو السكون يخيم على الحدود العراقية النجدية ويعود الصفاء بين مكة وبغداد ، ويتناسى الفريقان الأحقاد العائلية القديمة ويعملان كلاهما على ما فيه خير الشعبين العربيين ، وهاهى شرق الأردن تحذو حذو العراق وتصفى مشاكلها مع الحجاز ويتبادل أميرها مع الملك عبد العزيز كتب الود والصداقة ، ويتعاون الفريقان تعاوناً صادقاً على الضرب على أيدي المفسدين من البدو ، فيسود السكون على الحدود وتعود الحياة إلى مجراها العادى ، ولا تزال آمال مفكرى العرب وعقلاهم معقودة على اتحاد الأمراء وتعاونهم لخير العرب



غزوة الحجاز والمؤتمر الإسلامي^(١)

كيف نشأت فكرة الغزوة؟

لم يكن لجلالة الملك ابن السعود أى فكرة عن غزو الحجاز وفتحه حتى سنة ١٩٢٣ م؛ أولاً: لأنه لم يكن واثقاً تمام الوثوق بإمكان تغلب قواته على الحجاز، وثانياً: لأنه لم يكن واثقاً من موقف الحكومة البريطانية، ويحتمل له أن يحسب لموقفها ألف حساب؛ فهى التى أرغمته على ترك الحجاز والرجوع إلى نجد سنة ١٩١٩ م بعد ضرب القوات الشريفية فى تربة، وقد كان فى إمكان قواته فى ذلك الوقت أن تتقدم وتستولى على الطائف ومكة، لولا إنذار إنجلترا له بأنها تعتبر تقدمه فى الحجاز عملاً عدائياً موجهاً ضدها

من سنة ١٩٢٢ م رأينا علاقات الملك حسين تسوء مع المصريين، فرجع الحمل من جدة، كما ساءت بينه وبين الإنجليز والهنود على شتى المسائل: على المعاهدة، والبعثات الطبية، وسوء معاملة الحجاج الهنود، مع عجزه عن تأمين الطريق بين مكة والمدينة. ومما لا شك فيه أن فريقاً كبيراً من مسلمى الهند ومصر لم ينظروا نظرة استحسان لقيام الشريف حسين ضد الأتراك؛ ولهذا فإنهم قابلوا إعلان الملك حسين نفسه خليفة سنة ١٩٢٤ م فى فلسطين إثر إلغاء الخلافة التركية بالاستياء الشديد

كانت نجد فى سنة ١٩٢٣ م تكاد تكون فى عزلة تامة عن العالم، وقد أتاح لها الملك حسين الفرص، فهل تتركها تفلت من يدها. لقد تمكن مستشارو

(١) لارتباط المسألتين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً وضعناهما بجانب بعضهما

السلطان عبد العزيز من إقناعه بفائدة الاتصال بالعالم الخارجي ، فبدأ بإرسال برقية منه إلى جلالة الملك فؤاد يهينه بافتتاح أول برلمان مصرى ، ثم بأحد الأعياد ، وأعلن الأمير فيصل فى منشوراته كلها موقف نجد إزاء مسألة الخلافة ، وإزاء بعض المسائل العربية ، كالاتحاد العربى ، واتصلت الهيئات الإسلامية فى الهند بسلطان نجد ، وتم التفاهم على الأغراض الإسلامية العامة ، والجميع متفقون على الاستياء من حالة الحجاز وسوء النظام السائد فيه

أخذت كتب التأييد تترى من سائر المدن الإسلامية ، وقوى الصلة بين نجد ومصر أن جلالة الملك ابن السعود شارك علماء مصر فى موقفهم حيال مسألة الخلافة وحلها فى مؤتمر يعقد فى مصر ، فاكتمست نجد قوة أدبية لا تنكسر فشل الإنجليزى فى محاولتهم تصفية المشاكل بين ابن سعود والأشراف فى مؤتمر الكويت ، وكان المسئول الأول عن هذا الفشل الملك حسين ، وخرج ابن السعود من المعركة ظافراً ؛ لأنه كان متواضعاً فى مطالبه على خلاف الأشراف ، فإنهم كانوا مغالين ، ولو أن الأشراف انتصروا على ابن السعود فى الحرب وأملاوا عليه ما يريدون من الشروط لم تكن شروطهم أشد قسوة مما اشترطوا ، فكيف وهو حتى هذه الساعة لم يهزم له جيش ، والبلاد التى يطالب بها الملك حسين ويدعى ملكيتها لا تزال بيده . وضعت نجد لأول مرة الكتاب الأخضر وشرحت فيه المسائل المختلف عليها ، وما يطالب به الحجاز وشرق الأردن والعراق ليضع الموضوع كله أمام العالم الإسلامى والعربى ، فكانت خطوة موفقة اكتسب بها السلطان عبد العزيز عطف عقلاء العرب والمسلمين ، ولكنه لم يصغ إلى ما أشار به مستشاروه من الهجوم على الحجاز ولو لتصفية الخلاف مع الملك حسين لاعتبارات كثيرة

خرج السلطان من مؤتمر الكويت وهو موقن بأن الأشراف لا يريدون به خيراً ، وأنهم لا يألون جهداً فى خلق المشاكل له ولبلاده ، ولكنه قنع أخيراً

بفكرة المهجوم على الطائف والاستيلاء عليه فقط ليساوم الملك حسيناً عليه ؛ ففعل الرجل يعدل عن غطرسته ، وتقرر أن يكون ذلك بعد رجوع الحجاج إلى ديارهم دفعاً لما قد يحدث من المشاكل ، وسينجلي موقف الملك حسين وموقف الحكومة البريطانية بعد احتلال الطائف

لقد كنت موقناً بأن الإخوان سيتغلبون على قوة الشريف ، وموقناً بأن انكاثرا ستقف موقف الحياد ، لأن سياسة ابن السعود إزاءها كانت سياسة مجاملة تامة وودية للغاية بعكس سياسة الملك حسين

جاء عيد الأضحى وقدم رؤساء الإخوان — أهل الخرمة وعتيبة وأهل الغطّظ — وغيرهم من قادة الإخوان للمعايدة على ولى أمرهم ، واتهم هو هذه الفرصة وعرض عليهم مسألة غزوة الحجاز فهشوا وبشوا للمشروع ، لأنهم سيظهرون بيت الله من البدع وينشرون دين الله الصحيح ، ولأنهم سيغنمون الأموال وقد ذاقوا حلاوتها في تربة ، كما سيغنمون أجر الجهاد من الله . وقد وضعت خلاصة عما دار في المؤتمر من الأحاديث وأرسلت إلى جميع الصحف العربية والهندية ، فكان لها صدى استحسان

ترك الإخوان الرياض إلى بلدانهم ليستعدوا للجهاد : جهاد الملك حسين ، وما أسهل استعدادهم للغزو وهل يحتاج الأمر إلا إلى الناقة والبنـدقية والزاد والذخيرة ؟ لم ينتصف شهر محرم سنة ١٣٤٣ حتى بدأ الإخوان بمناوشاتهم مع بادية الحجاز وأكثرها ناقم على الملك حسين ، ثم أخذوا يتقدمون وجيوش الملك حسين لا تقف في وجوههم حتى استولوا على الطائف في ٥ صفر ، ثم وقفوا ينتظرون أمر مولاهم . ولقد حاول الملك حسين أن يستغل الحوادث التي وقعت في الطائف ضد خصمه في تنفيذ العالم الإسلامي ، ولكنه فشل في ذلك ومرت الحادثة بدون أن يكون لها أثر عظيم في نفوس المسلمين . وبرنامج ابن سعود خلاب يجتذب النفوس

ويتفق مع الروح الطيبة التي يتمناها عقلاء المسلمين لمهبط الوحي
إن برناجه أنه لا يريد الفتح ولا علواً في الأرض ولا فساداً ، وكل ما يريده
هو طرد الأشراف وتطهير بيت الله ومهبط وحيه من ظلمهم وتحكمهم ، وأن مكة
للمسلمين عامة ، وأنه سينزل على رغبة العالم الإسلامي في ذلك كله

ظل الإخوان في الطائف ينتظرون أمر إمامهم ، وليس هنالك سيارات
أو تلغراف بين الطائف والرياض . والمواصلات الوحيدة هي الجمل ، والمسافة ذهاباً
وإياباً لا تقل عن ٢٥ يوماً ، إذن يجب أن ينتظر الإخوان هذه المدة وساطنتهم
قد شدد عليهم ألا يتجاوزوا الطائف ، وإلا فهو يبرأ إلى الله منهم ، أي إنهم
سيكونون عاصين في عملهم ، ولا داعي إلى ذلك فالغنائم التي استولوا عليها تحتاج
إلى وقت لتقسيمها بينهم بالعدل

جمع الملك حسين آخر ما لديه من جنود وجهزهم بأخر ما لديه من الأسلحة ،
وسيرهم إلى الطائف لضرب الإخوان وطردهم منها ، وهنا كانت معركة الهدى التي
انقضت فيها الإخوان على جنود الملك حسين وهزموهم هزيمة منكرة ، واستولوا على
جميع ما كان لديهم من مال وسلاح

هنا رأى الملك حسين أنه لم يبق له مقام في مكة ، فاستعد للرحيل منها وتنازل
عن الملك لولده علي ، بعد أن أخذوا مكة ونقلوا كل ما يمكن نقله ، ثم وصل
الإخوان مكة صلحاً لا حرباً ، فدخلوها خاشعين ، وتولى الشريف خالد بن لؤي
إمارة مكة . ولقد صدق المثل « كما تدين تدان » ، فكما سلب الشريف حسين
البدو على الأتراك وبيوتهم ، فأعملوا فيها يد النهب والسلب ، كذلك سلب الله
عليه الإخوان فقاموا بنفس الرواية التي مثلت مع الأتراك ، ما عدا القتل فإن يدهم
لم تمتد إلى قتل أحد في مكة

وبعد فتح مكة أرسلت الدول التي لها ممثلون في جدة مذكرة إلى الطرفين

المتحاربين يذكرونهم برعاياهم وحسن معاملتهم ، ويحملونهم تبعه ما يقع عليهم من التعويضات ، وانهم جميعاً سيقفون موقف الحياد في النزاع بين الفريقين ، فكانت هذه المذكرة أحسن بشرى للملك الذي كان يساوره بعض القلق ، فعجل بالسفر إلى الحجاز ليتولى بنفسه استصفاء الحجاز ، وليحول دون تكرار مأساة الطائف . ولم يكن هنالك ما يمنع الإخوان من الاستيلاء على جدة ، لولا ما أمرهم به إمامهم ، فكانت هذه خير فرصة للشريف عليّ حصّن فيها جدة ، وحشد فيها من القوات العسكرية التي جمعها من فلسطين وشرق الأردن ما جعلها تقاوم نحو سنة حاول الملك عليّ عقد الصلح ، فوسط الأستاذ الريحاني ومسترفلي (والسيد طالب) النقيب ، ولكن البرنامج معروف : المسألة إسلامية ياريحاني ويا مسترفلي ، فليس من شأنكما التوسط فيها ، والرأى يا « سيّد طالب » للعالم الإسلامي ، فما على الأشراف إلا أن يرحلوا من الحجاز ، ويجتمع مؤتمر إسلامي ينظر في مسائل الحجاز من كل نواحيه

وقد مضت مدة والحرب دائرة بين الطرفين ، وكل يعانى شدتها ، ولكن شدتها على الملك عليّ كانت أشد على كل حال . وفي ابريل سنة ١٩٢٥ م عرض قنصل السوفيت ، ووكيل قنصل إيران ، ووكيل قنصل هولاندا وساطتهم للصلح بصفة خاصة ، لأن دولهم لم تكلفهم بذلك ، فلم يقبل السلطان ذلك وفي مايو من السنة نفسها قدم فؤاد بك الخطيب إلى معسكر السلطان ابن سعود محاولاً الوصول إلى طريقة يوقف بها الحرب ويضمن بها بقاء الأشراف في الحجاز فلم يفلح . وفي أغسطس وسط الملك عليّ الدولة الانجليزية للصلح ، ولكن الحكومة البريطانية حينما عرضت وساطتها بين الفريقين صرحت بأنها تقبل الوساطة إذا رضى الفريقان هذه الوساطة ، فكان جواب ابن سعود :

« إنه أعطى عهداً للعالم الإسلامي أن تكون الحجاز ومكة للمسلمين عامة »

وفي سبتمبر سنة ١٩٢٥ وصل فضيلة الشيخ المراغي وكان رئيساً للمحكمة العليا الشرعية ومعه عبد الوهاب بك طلعت من موظفي السراي الملكية ، ومعهما كتاب رقيق من جلالة ملك مصر جواباً لكتاب سلطان نجد بمناسبة عزمه على زيارة مكة

إنه ظرف ملامم جداً وفرصة نادرة لتوثيق العلائق بين مصر ونجد ، و سلطان نجد كان ولا يزال معترفاً بزعامه مصر من وجهة الثقافة والمدنية ، ويجب أن توطد العلائق بينه وبين مصر

رأى عظمة السلطان بعد الاجتماع مع الوفد المصري والتجاذب معه في شتى المباحث أن أقوم بالبحث التمهيدى ، وما نصل إليه من النتائج نعرضه على عظمته أولاً بأول

لقد سبقت الوفد عدة شائعات : منها أن الشريف علياً طلب بسط حماية مصر على الحجاز ، وطلب أن ترسل الصدقات المعتاد إرسالها إلى مكة والمدينة إلى جدة ، لتوزع على جنوده واللاجئين إليها من أهل مكة ، ولكننا لم نقم وزناً لهذه الإشاعات أو غيرها

لقد تبين من المباحثات الأولية أن الوفد جاء لغرض وساطة مصر للصلح بين الفريقين المتحاربين ، فما المخرج من هذا الموقف الدقيق ؟ إننا لا نريد إغضاب مصر ، و سلطان نجد يجب ملك مصر ويحرص على اتصال جبل المودة معه ، ولكننا لانحب الصلح الآن ، لأن حكم الأشراف في الحجاز قد آذن بالزوال ، فالملومات تصل إلينا عما تقاسيه جدة والمدينة ، وان النصر قاب قوسين أو أدنى أخبرت الوفد بسعى الحكومة البريطانية قبل شهر للصلح ، واعتذار السلطان عن قبول هذه الوساطة ، وليس من اللياقة قبول توسط مصر الآن . ما ذا جنته مصر من الملك حسين ؟ ألم يرد الحمل المصري من جدة ؟ ألم يتهم البعثة المصرية

بأنها تحاول تسميم المياه؟ ألم ينزع من كسوة الكعبة المشرفة اسم ملك مصر؟ ألم يعمد إلى الإساءة إلى كل ما هو مصرى؟ إذا كنتم تريدون أدلة أخرى فيها كم ملفات الحكومة الهاشمية، اقرأوها إن شئتم فإنها دليل ناطق على ما كانت تطويه جوائح الملك حسين نحو مصر وملكيها وشعبها. ألا يحسن أن نبحث موضوعاً آخر يكون فيه الخير للبلاد المقدسة ولأهلها وللوافدين عليها من المسلمين؟ إذا وضعنا أساساً لذلك فإننا بلا شك نكون قد قمنا بواجب عظيم نحو ديننا، ونكون قد خدمنا الإسلام والمسلمين أجل خدمة. أما الأساس الذي كان نتيجة البحث فهو:

(١) ان الحجاز للحجازيين من جهة الحكم، وللعالم الإسلامي من جهة الحقوق التي لهم في البقاع المقدسة

(٢) اجراء استفتاء عام لاختيار حاكم للحجاز تحت إشراف مندوبي

العالم الإسلامي

(٣) يجب أن تكون الشريعة الإسلامية الدستور للحجاز

(٤) استقلال الحجاز الداخلي

(٥) جعل الحجز على الحياد

(٦) لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دولة غير إسلامية

(٧) تحديد الحدود الحجازية، ووضع النظم المالية والاقتصادية والإدارية

موكول مندوبي الممالك والشعوب الإسلامية

وقد وافق عظمة السلطان ابن سعود على هذا الأساس وقال للوفد المصري:

لكي تعلموا محبتي لمصر ولملكها، وللمنزلة العظيمة التي له في قلبي، أوكل جلالته أن يدعو في مصر مندوبي المسلمين لينظروا في هذه الأمور، وما يقررونه سأقوم بتنفيذه. فسر الوفد كثيراً وعد النتيجة التي وصل إليها خيراً من المهمة الأولى. وسررنا نحن أيضاً، لأننا اكتسبنا مودة ملك مصر، وهي شيء عظيم

عندنا ، وسافر الوفد المصرى حاملاً كتاب عظمة سلطان نجد المتضمن هذا الأساس
وفي أكتوبر سنة ١٩٢٥ م وصل جلالُ السلطنة وزير إيران المفوض بمصر ،
وعينُ الملك قنصل إيران الجنرال في سوريا إلى الحجاز ، وأخبرا عظمة السلطان
بأنهما موفدان للوقوف على صحة أو كذب ما أشيع عن إصابة القبة النبوية بالقنابل ،
وفي أثناء إقامتهما في المعسكر السلطاني في حدّاء وفي مكة بحثنا معهما شئون الحجاز :
ماضيه ومستقبله ، وأخبرناهما بالكتاب الذي حمله الوفد المصرى ، وبالدعوة التي
سيوجهها جلالة ملك مصر إلى العالم الاسلامى لوضع مسألة الحجاز على بساط
البحث على الأساس الموضح في الكتاب ، فأظهر الوزير امتعاضه ، وصرح بأن
حكومته لا تقبل دعوة مثل هذه من مصر ، لأن مصر دولة غير مستقلة من كل
وجه ، ولا شأن لها بالبلاد المقدسة ، وقال لعظمة السلطان : لماذا لا يدعو هو
المسلمين في مكة ؟ أليس هو أولى بالدعوة ؟ أوليس هو صاحب الشأن ؟ فأجابهم
عظمتهم انه اختار مصر لقربها من سائر البلاد الإسلامية ، ولأن الحجاز لا يزال
في حالة حرب ، وقد وكلت ملك مصر ولن أرجع في قولى ، فطلب الوفد الايرانى
كتاباً من عظمة السلطان إلى رئيس حكومة إيران ، يتضمن الأسس المتقدمة ،
ورجع الوزير مسروراً من زيارته بعد ما وقف على الشيء الكثير من المعلومات
من الايرانيين المقيمين في الحجاز عن حكم الأشراف في الحجاز ، وما تركه السلطان
ابن السعود في نفوس الحجاز من تواضعه وحلمه ، وبساطته ولطفه ، وحسن معشره
ولين جانبه ، وانه لولا خشونة الإخوان لكان حكم السلطان ابن السعود نعمة من
نعم الله لا يعادلها نعمة

مضى نحو أربعة أشهر والحرب لا تزال على حالها ، ولم يصل إلى عظمتهم شيء
عاماً في أمر المؤتمر : إن الحرب قد تطول أكثر من ذلك ، فلماذا لا يفتح طريق
الحج من جهة « رابع » فيفضى القضاء الأخير على جدة ؟ لقد نجح هذا الطريق

بعض النجاح في الحج الماضي ، ووفد من الحج نحو أربعة آلاف نفس
رأى عظمة السلطان أن يوفدني إلى مصر للبحث مع حكومتها في الإذن
للحجاج من هذا الطريق ، وقبل مغادرتي رابع دخلت جيوش السلطان المدينة
ظافرة فكان ذلك مشعراً بأن حكم الأشراف في الحجاز في حالة النزاع
وصلت إلى مصر في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٥ م ، وبعد مدة قصيرة استسلمت
جدة آخر المدن الحجازية ، ففرح المسلمون فرحاً عظيماً ، وقابلت الصحف العربية
والهندية هذا الحادث بحماسة شديدة ، ونشر عظمة السلطان في ٢٤ ديسمبر سنة
١٩٢٥ م منشوراً عاماً على أهل الحجاز : يحضهم على الاخلاص إلى السكون
والانصراف إلى أعمالهم ، وختم المنشور بالجملة التالية :
« وأما مستقبل البلاد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه
لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها »

العدول عن المؤتمر

وبعد أسبوعين من صدور المنشور الأول ، أصدر عظمة السلطان بلاغاً عاماً
بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة — ٧ يناير سنة ١٩٢٦ م يعلن فيه عدوله عن فكرة
المؤتمر الإسلامي ، لأن دعوته التي وجهها إلى الشعوب الإسلامية وإلى قادة المسلمين
لم يجبه عليها أحد ، وفي اليوم نفسه بايع جلالتة أهل الحجاز ملكاً على الحجاز ،
فأصبح لقب جلالتة « ملك الحجاز وسلطان نجد وملاحقاتها »
تمت هذه الخطوة الجديدة وأنا في مصر أفأفوض حكومتها في شؤون الحج ،
ولم يُخف على أولو الأمر استياءهم ، كما أن التلغرافات والصحف نشرت الشيء
الكثير من استياء الهنود وجمعية الخلافة على الأخص ، وعدوا ذلك نكثاً بوعود
جلالة الملك الكثيرة ، وقد أبرقت لجلالة الملك أخبره بحقيقة الحالة في مصر والهند ،

وإن جلالته لو كان تريث قليلاً لكسب الحجاز وقلوب المسلمين ، فأجابني جلالته ببرقية يشرح فيها الأسباب التي دعت له للتعجيل وهي إصرار أهل نجد والحجاز على ذلك ، وإن حالة البلاد تستدعي البت في هذا الأمر ، وقد نشرت الصحف هذه البرقية في حينها ، غير أن السلطات المصرية لم يقنعها هذا الجواب ، واعتقدت أن مسألة البيعة وما اكتنفها من طلب الحجازيين والنجديين إن هي إلا إيحاء من حكومة الحجاز

أما أنا شخصياً فكنت أهتم بموضوع المؤتمر الإسلامي لأنه وسيلة من وسائل تفاهم المسلمين وإصلاح كثير من الشئون الدينية والاجتماعية ، وطريقة من الطرق المثلى التي يمكننا بها خدمة الحجاز وأهل الحجاز والوافدين على الحجاز فالحجاز يحتاج إلى كثير من وجوه الإصلاح ، وهو وحده لا يقوى على القيام باعباء هذا الإصلاح ، ويجب أن يستعين الحجاز بعقول المسلمين المدبرة كما يجب على المسلمين أيضاً أن يعينوا الحجاز بالأموال للقيام بهذه الإصلاحات ، وواجب على حكومة الحجاز أن توسع صدرها لسماح كل نقد ، والأخذ بكل رأى صالح لقد سئلت في مصر عن المؤتمر الإسلامي هل عدل عنه نهائياً . سئلت هذا السؤال من كثير من كبار المصريين ورجال الحكم في ذلك الحين ، فلم أكن أملك الاجابة ، لأن الفصل في هذا الموضوع الخطير في مكة

لقد كتب كثير من أصدقائي الهنود يسألون نفس السؤال ، ويلحون عليّ في بذل نفوذى لعقد المؤتمر ، لأن هذا العمل من أعظم الأعمال لخدمة الإسلام والمسلمين غادرت مصر راجعاً إلى مكة فاجتمعت بجمالة الملك عبد العزيز ، وأخبرته عن رحلتي والأثر الحسن الذي تركته في مصر حكومة وشعباً ، ولم أخف مبلغ التأثير السيئ الذي تركه اعلان الملكية في مصر والهند ، ولكن ليس في الامكان الرجوع فيما تم طبعاً ، فماذا يمكن أن نعمل للقضاء على سوء الأثر

ببحث مع جلالة الملك مسألة المؤتمر الإسلامي فلم أجد جلالته مستعداً لقبول
الفكرة فتركت الموضوع للزمن

تكررت الكتب والتلغرافات من الهند وغيرها من الممالك الإسلامية بطلب
عقد المؤتمر ، ووصل عينُ الملك قنصل إيران العام في سوريا للبحث مع جلالة الملك
في شئون الحج الإيراني ومسائل القباب والأضرحة المهدامة ، وأخبرني أن المرحوم
ابراهيم وجيه باشا لا يزال ينتظر مني أن أخبره عن مسألة عقد المؤتمر الإسلامي ،
وبالطبع أخبرت جلالة الملك بذلك ، فكانت هذه العوامل الكثيرة لها أثرها في
نفسه ، فقبل عقد المؤتمر الإسلامي في مكة على شرط ألا يتعرض المؤتمر لمسألة
الحكم في الحجاز ، وعلى ذلك أرسلت الدعوة إلى الشعوب الإسلامية والحكومات
الإسلامية ، وحدد يوم ٢٠ القعدة سنة ١٣٤٤ هـ لاجتماع المؤتمر ، وقد لبي الدعوة
أكثر من دعوا

فشل المؤتمر

ليس هنالك من شك في أن الذين حضروا إلى المؤتمر كانت تحذوهم الرغبة
في إصلاح الحجاز والخير للبلاد المقدسة ، وسكانها والوافدين عليها من جميع طوائف
المسلمين ، وليس من شك في أن الملك ابن سعود لا يقل رغبة عن هؤلاء ، فلماذا
إذن لم ينجح المؤتمر في الغرض الذي عقد من أجله مادامت رغبة المليك والمؤتمرين
تلتقي عند خير الحجاز والمسلمين ؟

إن السبب الرئيسي هو عدم التجانس بين أعضاء المؤتمر ، وبينهم وبين
النجديين من جهة أخرى . فما يعده النجديون أساساً للعمل ويتعصبون له
لا يشاركونهم فيه بعض الشعوب الإسلامية الأخرى ، وما يعتقد الهنود من وسائل
الإصلاح لا يشاركونهم فيه الجاويون والهنود من أهل الحديث

إن النجديين يرون أن التوحيد هو الدواء الوحيد لما أصاب العالم الإسلامي من الأمراض . لقد كانت مكة والمدينة مهبط الوحي ومصدر التشريع ، فيجب أن نبدأ فيهما بهدم القبور وتسويتها ، وهدم القباب والمساجد المقامة على القبور ، وهدم كل مكان يشتم منه رائحة الإخلال بالتوحيد ، كما يجب إبطال جميع البدع من الحجاز

إن سائر المؤتمرات سياسيون أكثر منهم دينيين ، فهم وإن كانوا يتفقون مع النجديين على إصلاح حالة العالم الإسلامي وإصلاح الحجاز ولكنهم لا يتفقون مع النجديين في طريقة الإصلاح ، ويقولون : إن العالم الآن يختلف تمام الاختلاف عنه قبل ثلاثة عشر قرناً ، وإن الواجب الآن تأليف القلوب وجمع الكلمة والتدرج في الإصلاح ، وهنا يقع الخلاف بين الفريقين ويشند النزاع ولا سبيل إلى التوفيق وهناك مسائل سياسية عربية يرى بعض المؤتمرات إثارتها ، وترى حكومة الحجاز عدم الخوض فيها

لقد كان الملك ابن السعود حكماً ، فإنه في حفلة افتتاح المؤتمر منح الحرية المطلقة للمؤتمرين ، إلا ما يتعلق بالسياسة الدولية ، وما بين بعض الشعوب الإسلامية من خلاف ، ولكن بعض أعضاء المؤتمر لم يصغ إلى نصيح الملك ابن سعود ، وحاولوا البحث في مشا كل سياسية لم يكن هنالك حاجة في إثارتها ، لاسيما وحاجات الحجاز كثيرة ووجوه الإصلاح عديدة ، ولكنهم على كل حال كان رائدهم حسن النية وخير المسلمين

أريد أن أذكر القصة الآتية لأنها تدل على ما كان يسود جو المؤتمر وما كانت حكومة الحجاز تعانیه ، لأنها لا تريد أن تسوء علاقتها السياسية مع الحكومات الأجنبية ، كما لا تريد أن تمس عواطف أعضاء المؤتمر المتحمسين : أخبرني جلالة الملك أن السيد رشيد رضا والشيخ عبد الله بن بليهد رئيس

القضاء في ذلك الوقت ، أخبراه بأنهما بالاتفاق مع وفد الخلافة سيأخذون قراراً من المؤتمر ، على أن يجتمع أعضاء المؤتمر جميعاً أمام الكعبة ، ويتعاهدوا في اليوم السابع أو الثامن صباحاً بأنهم سيسعون بكل قواهم لتخليص جزيرة العرب من نفوذ الأجانب ، وأنهم يعتقدون أن لهذا تأثيراً عظيماً في الرأي الإسلامي ، فقلت لجلالته : إن نية إخواننا حسنة بلا شك ، وإنهم لا يريدون إلا الخير للإسلام والمسلمين ، وإن ما يتمونه هي أمنية كل مسلم ، ولكن ما هي الفائدة من هذا العهد ، إن من يريد أن يعمل فيجال العمل أمامه واسع ، وعلى كل حال فالمشروع إلى الآن لم يعرض على لجنة المشروعات ، فقال لجلالته : إن الجماعة سيجتمعون عندي بعد العشاء ، وكنا في اليوم الرابع من شهر ذي القعدة ، فيجب أن تحضر للتفقوا جميعاً على رأى واحد

حضرنا عند جلالة الملك بعد صلاة العشاء ، وكان الحاضرون هم الشيخ عبد الله ابن بليهد والسيد رشيد رضا والسيد أمين الحسيني والمرحوم محمد علي ومولانا شوكت علي ، وكاتب هذه الأسطر ، والدكتور عبد الله الدموجي ، والشيخ يوسف ياسين والشيخ محمد أبو زيد المصري وغيرهم ممن لا أذكر أسماءهم الآن

افتتح الحديث الشيخ عبد الله بن بليهد ، فقرأ صيغة القسم ، وشرح الأغراض من العهد والروح الجديدة التي تسرى في المسلمين والعرب حين سماعهم ذلك ، وبعد أن ساد المجلس السكون طلب مني جلالة الملك رأياً

فطلبت من الشيخ ابن بليهد الايضاح عن المقصود بجزيرة العرب ، فقال : إن المراد منها فلسطين — سوريا — العراق — وسواحل الجزيرة التي للأجانب نفوذ فيها ، فقلت : إنى أشكر أصحاب الفكرة على هذه الروح الطيبة ، ولا شك أن كل عربي ومسلم يتنى أن يتمتع العرب في كل ناحية بما يتمتع به غيرهم من الاستقلال . ولم هذه العجلة ؟ إن تركيا ومصر والأفغان والبن قد أرسلوا مندوبين

إلى المؤتمر وهم في طريقهم؛ أليس من الحكمة أن نأخذ رأيهم في هذا الموضوع الخطير، وهم أعلم منا بالسياسة الدولية، وأعرف بطرق معالجة هذه الشؤون، فإذا وافقوا على هذا الاقتراح فإن موافقتهم من القوة المعنوية ما ليس لموافقتنا، فقبل الجميع هذا الاقتراح، وسر جلالة الملك من هذه الفكرة التي تركت له فرصة للتفكير وبالطبع لم يقبل أحد من مندوبي الدول هذا الاقتراح لأنه توريط لدولهم في مشكلة هي في غنى عنها

وقد انتهى المؤتمر الإسلامي الأول بقرارات ورغبات وتمنيات كان نصيبها الإهمال من العالم الإسلامي، لأنه لم يعد لها القوة ولم يتمكن المندوبون من جمع الإعانات التي كانوا يؤملون جمعها، وحكومة الحجاز لا تستطيع أن تقوم بما طاب منها، فليس لديها من المال ما تستطيع به تنفيذ جميع رغبات العالم الإسلامي. وبالجملة فإن جميع الآمال التي كنا نرعى إليها من المؤتمر الإسلامي من الإصلاح الديني والاجتماعي العام، وإصلاح البلاد المقدسة إصلاحاً يتفق مع مقتضيات هذا الزمن، ورفع مستوى الحجاز إلى المستوى اللائق بجلاله وقديسيته، قد فشلت فعمل المساميين ينتفعون من أغلاطهم، ويعملون لعقد مؤتمر آخر يعمدون فيه إلى الإصلاح، ويتركون المساعي السياسية التي ليس من ورائها فائدة إيجابية

ابن السعود وإمام صنعاء

لم تكن هنالك صلة مراسلة أو غيرها بين ابن سعود وإمام صنعاء حتى سنة ١٩١٩ م، فإن حادثة الحج اليماني^(١) في عسير كانت سبباً للتعارف وتبادل الرسائل من وقت لآخر، ثم أخذت مصالح الحكومتين في التضارب بعد موت السيد محمد

(١) من يريد تفاصيل مخبرات اليمن فليراجع الكتاب الأخضر الذي أصدرته وزارة خارجية الحجاز

على الإدريسي ، واتتهاز الإمام يحيى الفرصة لطي صحيفة حكمهم من عسير ، وتقدم سلطان نجد في الحجاز ، كل هذا جعل الفريقين وجهاً لوجه ، فإن الأدارسة بعد ما أحسوا بالخطر المحقق بهم ولوا وجههم شطر ابن سعود حليف محمد على الادريسي ، فأعلن الحماية على عسير ، وأخبر الإمام يحيى بذلك في خريف سنة ١٩٢٦ م ، ثم أخذ الفريقان يتبادلان الكتب والوفود للوصول إلى حل حاسم خاص بالحدود والقبائل فلم يوفقوا إلى ذلك ، لأن حسن النية لم يكن متوفراً من كل وجه ، وأخيراً اضطر ابن سعود لامتناسق الحسام بعد أن أعيته الخيل ، وبعد أن انتهك الإمام يحيى حرمة بلاده باحتلال قسم منها ، وقد تمكن في مدة قصيرة من التقدم في تهامة حتى الحديدية ، غير أن الملك عبد العزيز — وهو الرجل العاقل النافذ البصر — لم يكن يرمى في الحقيقة إلى فتح اليمن ، لأن ذلك يلقى عليه مسئوليات جديدة ، وربما يعرض البلاد العربية للتداخل الأجنبي ، والملك عبدالعزيز يفضل أن يفتح قلب إمام اليمن ويكتسب وده وصداقته أكثر من فتح اليمن نفسها ، وقد وصل إلى الغرض الذي كان يرمى إليه . فإمام اليمن قد أفهمته الحوادث قوة ابن سعود ، وان ما توهمه من ضعف لم يكن إلا حملاً وطول اناة ، وقد ضرب الملك عبد العزيز بالصلح الذي عقده مع إمام اليمن أفضل الأمثال في التسامح واكتساب صداقة خصمه ، كما ضرب أفضل الأمثال في حبه للتفاهم مع أمراء العرب وسعيه للاتحاد العربي الذي ينشده أحرار العرب ومفكروهم من نصف قرن . ولعلنا نرى في المستقبل القريب الرغبة الصادقة من ملوكهم وأمرائهم في التفاهم وإزالة ما بينهم من إحن شخصية ، وتقديم المصالح المشتركة العامة على الاعتبارات الشخصية ، فإن مجد العرب لا يسترد إلا باجتماع كلمة العرب واتحادهم « بصر الله العرب وملوكهم بما فيه خيرهم وصلاتهم »

حياة الملك عبد العزيز الشخصية

لقد صحبت الملك عبد العزيز في السلم وفي الحرب ، وعاشرته في البادية والحاضرة ، وخبرته في حالي الرضا والغضب ، وحياته الشخصية لا تكاد تختلف إلا سيراً ، فهي أشبه بنظام أتوماتيكي لا يكاد يتغير

يقوم الملك عبد العزيز عادة قبل الفجر بساعة ، فيقرأ القرآن حتى إذا أذن مؤذن الفجر أدى فريضة الصلاة ، ثم انصرف إلى بيته يقرأ شيئاً من القرآن والأوراد الصحيحة النسبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تعرض عليه الأشياء التي يقتضى البت فيها بسرعة ، ثم ينام بعد ذلك قليلاً فيغتسل كل يوم صباحاً ويلبس ثيابه ويفطر ، ثم يخرج إلى مجلسه الخاص فتعرض عليه مهام الحكومة ، ويعطى أوامره لموظفيه ، وإذا انتهى من ذلك قابل الناس من شيوخ البدو وكبار العرب مقابلات خاصة ، يسمع شكوى المشتكى ونصح الناصح ، ويباحث زعماء الزوار فيما يهمهم من شؤونهم ، ثم يذهب إلى المجلس العام الذي يجتمع فيه كل من يريد مقابله ، ويقضى في هذا المجلس نحو ساعة يمضيها في حديث أشبه بخطابة فيما يهمهم من أمور الدين والدنيا وينصرف إلى الغذاء ، ثم يرجع إلى بيته فينام قليلاً ، ثم يصلي الظهر ثم يرجع إلى مجلسه الخاص ، فتعرض عليه الشئون الهامة ، ثم ينصرف لصلاة العصر ، فيحضر عنده إخوانه وأولاده وأقاربه وكبار الموظفين يسامروهم ، ثم يخرج بعد ذلك في سيارته إلى الخارج للرياضة ، وبعد العشاء يجلس في مجلس عام ، وهناك يحضر قارئ ويقرأ نحو ساعة ونصف من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والتاريخ والأدب ، وبعد ذلك ينصرف إلى بيته ومما يجب أن يذكر أن الملك عبد العزيز أثناء إقامته في الرياض يقوم بزيارة

والده المرحوم الإمام عبد الرحمن كل يوم ، وكذا سائر أقرابه الأدينين ، ولا تزال هذه عادته في مكة يزور كل يوم الحاضر من أقرابه

والملك ابن سعود مشهور في بلاد العرب بكرم الخلق وبسط اليد ، لا يعرف أى قيمة للدرهم إلا أنه وسيلة لبناء المجد أو حسن الذكرى ، فقلما يرد سائلاً يطالب معونته ، أو محتاجاً قصد بابه ، وهو يشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم ، لأنه هو يعرفهم حق المعرفة ، وقلما يعتمد على أحد آخر في ذلك ، على أن هذه العطايا قد يكون لها مرام سياسية بعيدة يرمى إليها ، وديوانه مفتوح للقادمين يقابل زائريه مهما صغر مقامهم بوجه باش ، ويأخذ ألبابهم بابتسامته التي لا تتكاد تفارقه ، ومجلسه لا يخلو من خطبة صغيرة يراعى فيها نفسية السامعين

ولا يضيق صدر الملك عبد العزيز إلا عند ما يجد خزائنه تضيق بالطلبات والعطايا ، فهو يتكدر خوف أن يظهر بمظهر العاجز أمام السائلين الذين تعودوا رفده

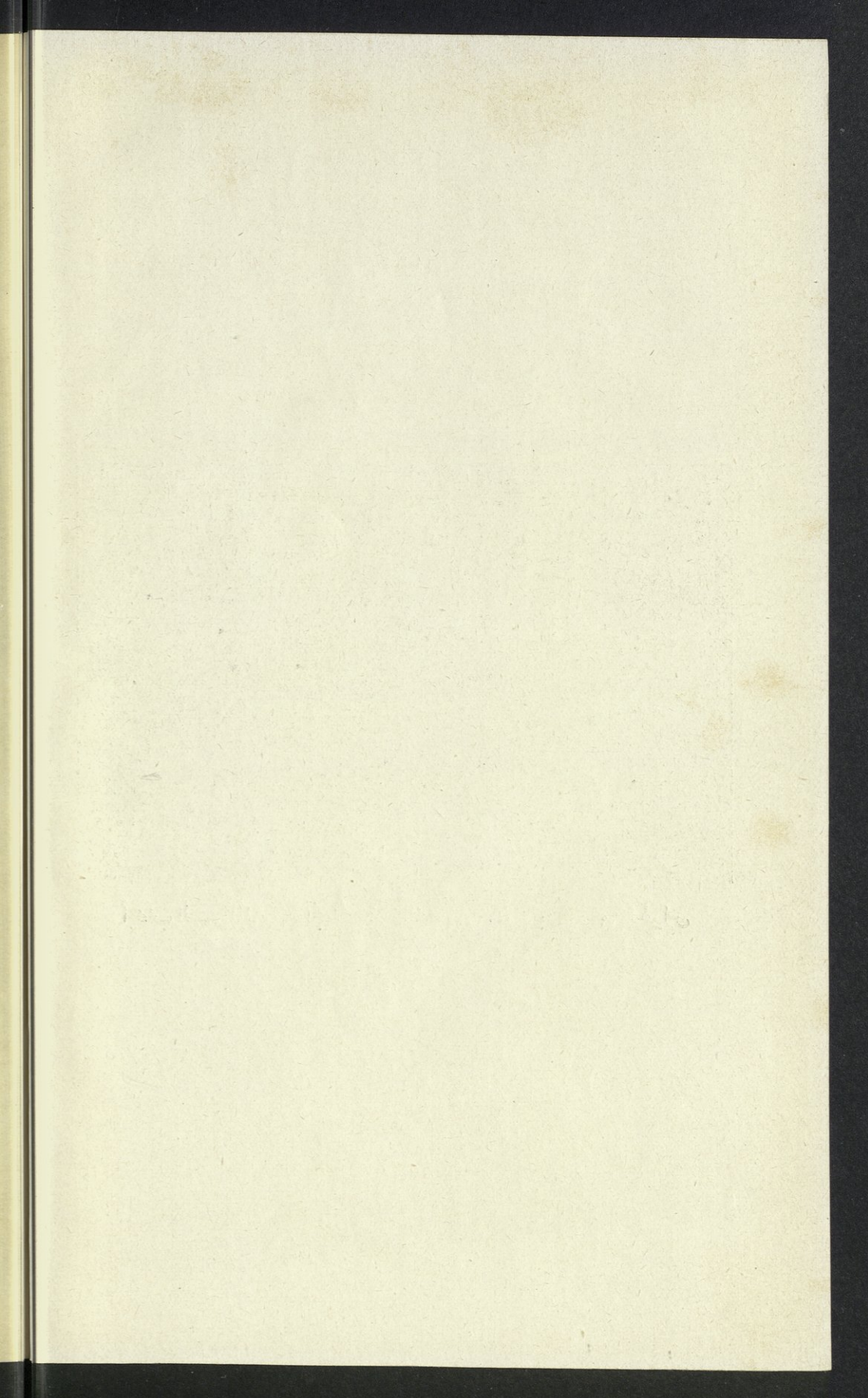
وكان الملك يسخر منا كثيراً حينما ننصحه بالإدخار ونقول إن المستقبل علمه عند الله ، وإن الرخاء ليس بدائم ، فيقول : إن المال لا ينفع ، هل أفادت عبد الحميد خزائنه وما ادخره من المال ، وهل أفادت خزائن الرشيد الرشيد ؟ وأعتقد أن الملك قد غير فكره في هذه الأزمة التي أخذت بالخناق ، وأصبح يعتقد في المال وفائدة ادخاره لوقت الشدة

والملك عبد العزيز من المعجبين بمحمد بن الرشيد أمير حایل والذي امتدت سيادته على نجد كلها ، والذي في أيامه هاجر الأمير الصغير مع والده إلى الكويت وهو ينحو نحوه في طريقة العطاء ، وهو دائماً يقص القصة الآتية إعجاباً بتصرف الرجل :

وفد شيخ من مشايخ البدو الكبار على محمد بن الرشيد ، فأكرمه وأعطاه



أصحاب السمو الملكي ، أنجال جلالة الملك ابن السعود بين نفر من الحراس



شيئاً قليلاً ، وفي نفس الوقت وفد شيخ من مشايخ البدو الصغار ، وكان الأخير في وقته يقطع الطرق مع رجال قبيلته في شمال نجد ، فأكرمه إكراماً زائداً ، وكساه وأعطاه منحة كبيرة ، فسئل محمد بن الرشيد عن هذا التصرف الغريب ، فقال : أما الأول فإنه وإن كان قوياً وكبيراً ، ولكنه يحس بما عليه من المسؤولية ، وإنه يحافظ على مركزه وماله بالولاء لنا فهو في حاجة إلينا ، وأما الآخر فمثل العصفور ينتقل من شجرة إلى أخرى يتعبك صيده ، فنحن في حاجة إلى تأليفه وإرضائه ، وما نكف به شره لا يساوى شيئاً إذا قورن بما نبذله لتأديبه وعقوبته

والملك عبد العزيز وفي لأصدقائه محافظ على ودهم ، لا يجب أن يبدأ أحداً بالعداء ، ويميل إلى استرضاء الناس واكتساب ودهم مهما كلفه ذلك ، ولكن إذا تيقن أن ليس هنالك من سبيل للصدقة فإنه يعادى — ويعادى بشدة ، ولكنه قلماً يهاجم خصمه ، فإذا هاجمه خصمه فإنه يبذل كل ما يمكنه بذله للقضاء عليه ، وهو في هذه الحالة يأخذ بسياسة « الغاية تبرر الوسطة »

والملك عبد العزيز طيب القلب لا يكاد يضر حقداً ، وهو إذا غضب — وغضبه قليل — فإنك ترى أسداً يزأر أو جمللاً يهدر ، وتكاد عينك تكذب أن هذا الغضبان هو عبد العزيز بن سعود الرضى الخلق الوسيم الوجه ، وكثيراً ما يعتذر عن بعض التصرفات التي تصدر في حالة الغضب ، كما أنه كثيراً ما يغمر خدامه الذين يصيبهم شرر غضبه فينسيهم ألم ما أصابهم

وهو متواضع ، طيب العشرة ، رقيق السمر ، له جاذبية لمن يعرفه تشبه السحر . وإني لا أذكر أن واحداً من كبار الإنجليز عرفه وعامله إلا أحبه ، ولا يزال له أصدقاء من الإنجليز الذين كان له معهم اتصال سياسى ، وهو كثير الشبه بمعاوية بن أبي سفيان في حلمه وبعد نظره وحسن حيلته في تصريف الأمور في سنة ١٩٢٥ م كان الملك ابن السعود يظهر إعجابه بالإنجليز وسعة ملكهم

وإخلاص رجالهم لبلادهم للجنرال كلايتون ، فقال الجنرال : إن ما ذكرته صحيح ، ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا في مئات السنين ، ولكن ألا يصح لنا نحن الإنجليز أن نعجب بك فإنك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسعاً ، وإذا طرد لك هذا الفتح وهذا التقدم فأظن أنه في نصف المدة التي أسسنا فيها ملكنا تؤسس أنت امبراطورية مثل أو أكبر من امبراطوريتنا ، وهذا ليس ببعيد إذا ساعدتكم تصرفات الزمان وأخذتم أنتم بسنن التقدم ، فإن أسلافكم العرب قد شيّدوا امبراطورية عظيمة في مدة قصيرة جداً لم يعرف التاريخ مثلها ، فقال الملك : هذه وإن كانت أمنية العرب ، ولكني لا أعتقد في نفسي القدرة لتحقيق ذلك ، وكل ما أتمناه أن يجعل من رجالنا من يماثلكم في الإخلاص والتضحية لبلادهم

والملك ابن سعود ربما كان أحلم أمراء العرب وأبعدهم عن الانتقام من لموظفين ولا سيما الموظفون الذين يعرف لهم سوابق خدمة أو إخلاص ؛ فإن هؤلاء أقصى عقوبة لهم العزل

والملك ابن سعود يتساهل في كل شيء إلا ما يمس سيطرته الشخصية أو ما يمس مركز حكومته فإنه لا يتساهل فيه ، وقد يعاد المعزول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العزل تصرفاً يرضى الملك . لقد عزل الملك أمير الطائف سنة ١٩٢٧ م لشدته ، فلما أن حضر إلى مكة قال له الملك : إننا لم نعزلك من منصبك لنقص في دينك أو شبهة في أمانتك ، ولكننا نحبنا لشدتك ونحن نريد اللين مع الناس ، فقال له الأمير : الحمد لله لقد ولاك الله على المساهين وأنت أعلم بمصالحهم ، ولئن حرمت من المنصب فإني أتمتع برويتكم صباحاً ومساءً ، وهذا لا يعادله شيء في هذه الدنيا ، فسر الملك لهذا الجواب اللطيف وواظب هذا الأمير على حضور مجلس الملك كل يوم ، فلم تمض بضعة أشهر على عزله من الطائف حتى عين أميراً للمدينة ، وهو فيها إلى الآن حائر لرضا الملك متمتع بثقته

الملك عبد العزيز من الرجال العاملين الذين لا تغيرهم مظاهر الأمور . كان علماء الرياض لما اعترضوا عليه سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) إذنه بإقامة الاحتفالات لمناسبة عيد جلوسه على عرش الحجاز ومخالفة ذلك للسنة أراضهم بالنزول على رأيهم ؛ لأن ما يتعلق بشخصه لا أهمية له في نظره ، ولكن هذا لم يمنعهم من معارضتهم في تميم المواصلات اللاسلكية في بلاده وتشيدها ، لاعتقاده بخطأ المعلومات التي تصل إلى نجد عن التلغراف اللاسلكي من أنه من عمل الشيطان وأنها بالعكس ركن من أركان السلم وحفظ الأمن وإنجاز الأعمال



أعمال الملك عبد العزيز الإصلاحية

لا يقدر مجهودات الملك عبد العزيز حق قدرها إلا الواقفون على أحوال البلاد العربية ، المتصلون بها ، الخابرون لشؤونها ، الملمون بأحوال سكانها وطرق معيشتهم . إن الذى يعرف بلاد العرب قبل ثلاثين سنة عن خبرة شخصية ، أو يقرأ كتب الجوايين من الانجليز يعرف ما لهذا الرجل من فضل فى استتباب الأمن والضرب على أيدي قطاع الطرق من القبائل

والذى يعرف بلاد العرب وما كانت عليه من تشاحن بين أمرائها وحروب مستمرة بين حكامها يقدر مجهود هذا الرجل فى قطع دابر الخصومات بتوحيد بعض الإمارات المتخاصمة

ولقد ذكرنا فى فصول متفرقة فى هذا الكتاب ما له من الأيادي كأدخال النظام الصحى الحديث فى نجد والاحساء : بالإكثار من الأطباء ، وإنشاء المستشفيات المتنقلة لمعالجة المرضى ، لأن حالة البلاد المالية لا تساعد على إنشاء مستشفى فى كل بلد ، كما أدخل نظام التطعيم ضد الجدري بالرغم من معارضة بعض المتعصبين ، كما ذكرنا فضله على العمل لنشر التعليم والإكثار من المدارس ، ومكافحة الجهالة بكل الوسائل الممكنة ، ولولا المال الذى يعوز كل مشروع إصلاحى لوجدنا البلاد العربية التى يقود سفينتها عبد العزيز أسبق البلاد العربية وأسرعها خطأ فى طريق التقدم

والملك عبد العزيز فى طريقه الإصلاحى يفضل التؤدة والتأنى واستعداد

الشعب لما يريد من الإصلاح

إن كثيراً من القراء لا يدركون الصعوبات التى يعانها الملك عبد العزيز

ولا العقبات التي تقف في سبيل ما يريد من المشروعات
لقد مكث الملك عبد العزيز يجاهد ويجالد في سبيل التليفون والتلغراف
اللاسلكي مرة مع الاخوان ، وآونة أخرى مع العلماء نحو عشر سنوات ، وكان
هذا الموضوع من الموضوعات التي أثارته حفيظة الاخوان
سأقص عليك القصتين التاليتين ، من كثير ، لتعرف المحيط الذي يشتغل
فيه الملك عبد العزيز ، وتعرف الصعوبات التي يتغلب عليها :

أوفدني جلالة الملك للمدينة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م مع عالم من علماء
نجد للتفتيش الاداري والديني ، فجرى ذكر التلغراف اللاسلكي وما يتصل به من
المستحدثات ، فقال الشيخ : لاشك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجن ،
وقد أخبره ثقة أن التلغراف اللاسلكي لا يشتغل إلا بعد أن تدبح عنده ذبيحة ،
ويذكر عليها اسم الشيطان ، ثم أخذ يذكر لي بعض القصص عن استخدام بني
آدم للشيطان ، ولقد كان شرحي لنظرية التلغراف اللاسلكي وتاريخ استكشافه
ليس له نصيب من اقناع الشيخ ، فلم أجد أي فائدة من وراء البحث فسكتُ
على مضض

وفي يوم من الأيام دعاني الشيخ لمرافقته لزيارة قبر حمزة عم الرسول عند جبل
أحد ، وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة ، فلبيت الدعوة وسرنا من
المدينة بعد صلاة العصر ، وفي أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التلغراف
اللاسلكي ، وهنا دار بيني وبينه الحديث التالي :

سأل الشيخ لماذا وقتت السيارة ، فأجبتته لنرى التلغراف اللاسلكي ، فان
كان هنالك ذبائح ودعوة لغير الله ، فاني سأحرقه مهما كانت النتيجة ، فالدين لله
لا لابن سعود ، وقد يكون الملك مخدوعا في أمر هذه التلغرافات وتذكر له الأشياء
على غير حقيقتها ، فقال الشيخ : بارك الله فيك ، فدخلت الحطة ، وبعد البحث لم يجد

الشيخ أى أثر لعظام الذبائح وقرونها أو صوفها ، ثم أراه العامل طريقة المخابرة ،
وفى دقائق تبودلت المخبرات والتحيات بينه وبين جلالة الملك فى جدة
كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة للشك فيما كان يعتقد من عمل الشيطان
فى المخبرات ، ولكنه ظن أنى ربما دبرت هذه المكيدة بايعاز من الملك ، فزار
الشيخ محطة التلغراف بضع مرات منفرداً فى أوقات مختلفة بدون أن يخبر أحداً
بعزمه ، فكان يفاجئ العامل بالزيارة ويسأله عن كل ما يغمض عليه ، وقد أخبرنى
الشيخ ونحن فى طريقنا إلى مكة بأنه يستغفر الله ويتوب إليه عما كان يعتقد
ويتهم به بعض الناس (وربما كان يقصدنى) فى هذا الأمر ، ثم ختمت الموضوع
بقولى : ماقولكم يا حضرة الشيخ فى رواية أولئك الثقات أخشى أن تكون رواياتهم
لكم عن أكثر المسائل العلمية كرواياتهم عن التلغراف ، فقال : حسبي الله
ونعم الوكيل

وقد أخبرنى جلالة الملك فى شعبان سنة ١٣٥١ هـ — ديسمبر سنة ١٩٣٢ م
أثناء زيارتى للرياض أن المشايخ (أى رجال الدين) حضروا عنده سنة ١٣٣١ هـ لما
علموا بعزمه على إنشاء محطات لاسلكية فى الرياض وبعض المدن الكبيرة فى نجد ،
فقالوا له : يا طويل العمر ، لقد غشك من أشار عليك باستعمال التلغراف وإدخاله
إلى بلادنا ، وإن « فلبى » سيجر علينا المصائب ، ونخشى أن يسلم بلادنا للانجليز ،
فقال لهم الملك : لقد أخطأتم فلم يغشنا أحد ، ولست والله الحمد بضعيف العقل
أو قصير النظر لأخضع بخداع المخادعين ، وما فلبى إلا تاجر وكان وسيطاً فى هذه
الصفقة ، وإن بلادنا عزيزة علينا لا نسلها لأحد إلا بالثمن الذى استلمناها به .
اخوانى المشايخ : أتم الآن فوق رأسى تماسكوا بعضكم ببعض لا تدعونى أهرز
رأسى فيقع بعضكم أو أكثركم ، وأتم تعملون أن من وقع على الأرض لا يمكن
أن يوضع فوق رأسى مرة ثانية ؛ مسألتان لا أسمع فيهما كلام أحد لظهور فائدتهما

لى ولبلادى ، وليس هنالك من دليل أو سنة رسول يمنع من أحداث
اللاسكى والسيارات

وعند ما وضعت الآلة اللاسكية فى الرياض واستعملت ، كان الناس يغرى
بعضهم بعضاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحد بين الخير والشر ، وكان العلماء يرسلون
من يأتمنونهم لزيارة المحطة ورؤية الشياطين والذبابح تقدم لهم ، فلم يجدوا شيئاً
وقد أخبرنى عامل المحطة بأن بعض المشايخ الصغار كانوا يترددون عليه من
وقت لآخر لسؤاله عن موعد زيارة الشياطين ، وهل الشيطان الكبير فى مكة
أو الرياض ؟ وكم عدد أولاده الذين يساعدونه فى مهمة نقل الأخبار ؟ فكان يجيبهم
بأن ليس للشياطين دخل فى عمله ، وكان بعضهم يغريه بالنقود وأنهم سيكتمون
هذا السر ، ولكن العامل كان يأخذ الأخبار ويرسلها أمامهم ويخبرهم أن الموضوع
صناعى محض . كانت الأيام تعمل عملها فى نفوسهم ، ورسلمهم ينقلون إليهم حقيقة
ما يرونه ويشاهدونه حتى لمسوا فائدة سرعة الأخبار فى فتنة ابن رفاة وعسير ،
فقد ساعدهم ذلك فى قمع الفتنة سريعاً ، ولو كان الاعتماد على الجمال لكانت
الأخبار لاتصل قبل ٢٥ يوماً أو أكثر ، ومثلها فى الرجوع ، ولا يعلم إلا الله
ماذا يجرى من الحوادث أثناء ذلك

وتذكرنا هذه القصة بما كان يجرى فى القرون الوسطى فى أوروبا ، فماذا
قوبل القائل بدوران الأرض ؟ وبماذا قابل امبراطور فرنسا ووزراؤه الساعة التى
أهداها له هرون الرشيد ؟ ألم يفزعوا منها ، ولقد حدث مثل هذا فى نجد قبل ستين
سنة ؛ فإن أول ساعة دفاقة كسرت وعدت من عمل الشيطان ، وحدث أن بعض
الجهلة أذاع بين الإخوان هذه الفكرة ، فقامت قيامة الإخوان منكرين على المشايخ
استعمالها ، وأن أقل الأحوال فيها أنها بدعة فتصدى لهم الشيخ سعيد بن سحمان
ورد عليهم فى رسالة صغيرة سنة ١١٣٤ هـ (١٩١٦م) وطبعت فى مصر سنة ١٩٢٣

فهذه القصص وأمثالها ترينا ناحية من نواحي عظمة بن سعود ومقدار ما يعانیه من الصعوبات في طريق الإصلاح ، وترينا ناحية من نواحي الكفاح بين القديم والجديد

ومن أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبد العزيز مشروع تحضير البادية ، وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة ، وتعليمهم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق . ولما كان هذا المشروع قد شغل قسماً من التاريخ النجدى الحديث ، أحببنا أن نفرده له الفصل الآتي مفضلين التفصيل على الإيجاز



الإخوان

إذا ذكر الإخوان على حدود العراق أو شرقي الأردن أو الكويت استولى
العرب على قلوب السكان ، وهب البدو يطوون الصحراء لانذين بالبلاد القريبة
منهم يحتمون بجدرانها وأبراجها . فمن هم رسل الذعر والهلح في بلاد العرب ؟
إن كلمة « الأخ » قد استعملت بمعنى الحليف والمعاهد أول نشأة الإسلام ،
فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج من الأنصار ، وتناسوا
ما بينهم من العدا والنزوات ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : « واعتصموا بحبل
الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »
أما في السنوات الأخيرة فقد أصبحت علماً على سكان البادية الذين تركوا
السكنى في الخيام واستقروا في أماكن معينة ، وبنوا السكناهم بيوتاً من الطين
سميت هجرة ، إشارة إلى أنهم هجروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى محبوبة
إن أول هجرة بنيت هي هجرة الأزطوية سنة ١٣٣٠ هـ — ١٩١١ م ، وسكانها
خليط من حرب ومطير ، ثم الغطفط وسكانها من عتيبة ، ثم دخنة وأكثر سكانها
من حرب ، ثم الأجر وأكثر سكانها من شمر ، وتبلغ الهجرة نحو ستين هجرة ،
ولكن أهمها ما تقدم

ثم أخذت الهجرة تنتشر بسرعة ، وأخذت العشائر تقلد بعضها في ترك حياة
البادية التي أصبحت تسمى بالجاهلية كما يسمون الحياة الجديدة بالإسلام
وقد غالى فريق كبير من عتيبة في كره الجاهلية أو حياة البادية ، فأرأوا أن
من آية الإخلاص لله ودينه وآية الإيمان الصحيح التخلص من كل ما يشتم منه

رأحة الجاهلية ، فأخذوا يبيعون إبلهم وأغنامهم ، وينقطعون في الهجرة للعبادة
وسماع السيرة النبوية ، وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ انتشار
الإسلام في جزيرة العرب ، فوجدوا أن حياتهم الأولى تشبه في كثير من الوجوه
حياة الجاهلية ، كما أن حياتهم الأخيرة تشبه حالة الإسلام في أيامه الأولى ، فعكف
أكثرهم على تعلم مبادئ القراءة وحفظ شيء من القرآن والحديث . غير أن هذا
الانقلاب كان خطيراً جداً وعنيفاً جداً

لقد تشرب هؤلاء كثيراً من المبادئ والتعاليم ، واعتقدوا أنها هي الدين ومساواها
ضلالة ، كما أساءوا الظن بغيرهم من حضر نجد ، بل وبولئى أمرهم الإمام عبد العزيز
أصبحوا يعتقدون أن لبس العمامة هي السنة ، والعقال من البدع المنكرة ، بل غالى
بعضهم فجعله من لباس الكفار ويجب مقاطعة لابسيه ، وكان كثير منهم يعتقد أن
لا إسلام لمن لم يسكن المهجر مهما كانوا عليه من الإسلام ، وترك شرور البادية
وعوائدها ، فلا يبدأون غيرهم من هؤلاء بسلام ، ولا يردون عليهم السلام ،
ولا يأكلون ذبائحهم . وذنوب هؤلاء هو عدم الهجرة

وكان من عوائد الإخوان إذا قدموا زائرين قاموا في المسجد وقالوا : السلام
عليكم (ياإخوان) إخواننا يسلامون عليكم

وكان فريق منهم يعتقد أن المشايخ مقصرون مداهنون لابن سعود ، وقد
كنتموا الحق عنهم

وكانوا يعتقدون أن الحضر ضالون ، وأن غزو المجاورين واجب ، وأنه ألقى
عليهم هذا الواجب من قبل الله فلا يسمعون كلام أحد في منع الغزو
ولقد نال بعضهم الإمام عبد العزيز فرموه بموالاة الكفار والتساهل في الدين ،
وأنكروا عليه تطويل الثوب والشارب ولبس العقال ، إلى غير ذلك من ضروب
الجهالة ، وأصبحوا يجرمون كل ما لا يتفق وهوام . وإن سرعان هذه الروح المتمردة

يرجع إلى هؤلاء الجهلة أنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الإخوان باسم العلم ، ولقنوم هذه التعاليم وحببوا إليهم التعصب الذميم . وربما كانت سنة ١٣٣٥ هـ من أشد السنين في نجد ، إذ كادت تقع فيها فتنة أهلية بين الإخوان من جهة ، وبين الحكومة والحضر من جهة أخرى ، ولقد جرد الإمام جيشاً من طلبة العلم المتفقيين في دينهم وأرسلهم إلى الإخوان كي يصلحوا ما أفسد الأولون ، كما أنه انتزع أولئك الذين بذروا الجهالة والغواية ومنعهم من السكنى في المهجر . على أن السلطان وإن نجح في ذلك كثيراً فإنه لم يتمكن تماماً من استئصال تلك الجذور التي تمكنت من نفوسهم ، ولولا أنهم يخافون سيفه ويهابون سلطانه وسطوته لعمت الفوضى جزيرة العرب

لقد عرفت البدوي في حروبهم وفي حياتهم البدوية ، وعرفتهم بعد ما سكنوا المهجر ، وعرفت كثيراً من قاداتهم في جاهليتهم وإسلامهم ، فرأيت أن الدين قد غيرهم تغييراً تاماً

كان البدوي لاهم له إلا النهب والسلب وقطع الطرق ، ويعد هذا العمل من مفاخر البادية ، والويل للضعيف في البادية ، وكان لسان حالهم يقول : المسال مال الله ، يوم لى ويوم لك ، نصبح فقراء ونمسي أغنياء ، ونصبح أغنياء ونمسي فقراء . والقوافل التجارية كانت تحت رحمة البادية ، لا تمر من المنطقة إلا بإتاوة أوفريق ، والبدوي لم يكن محاطراً بحياته ، فاذا رأى أن النهب سيكون من ورائه خطر تركه ، وكذلك إذا رأى دفاعاً قوياً من خصمه تركه ، والبدوي لا يعرف قلبه الاخلاص تقريباً ، شيمته الرياء والنفاق ، لا تنفع معه إلا الشدة المشوبة بالعدل ، ولذا فلا يعول الأمراء كثيراً على عددهم ولا على قوتهم ، وكثيراً ما كانوا وبالاً على صديقهم ، فاذا بدرت منه بوادر الهزيمة فانهم يكونون أول الناهبين له ، ويحتجون بأنه ما دام صديقهم منهوباً أو مأخوذاً كما يقولون فهم أولى به

أما الاخوان الآن فهم حماة الطريق يرون حرمة التعدى على المسافر وابن السبيل ، ويرون للجار والسلم حرمة ، فالمسلم حرام دمه وماله
أصبح الاخوان لا يهابون الموت بل يندفعون إليه اندفاعاً طلباً للشهادة ولقاء الله ، وأصبحت الأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات : « اللهم اجمعنا وإياك في الجنة » وأصبحت كلمة التشجيع على الحرب « هبَّت هبوب الجنة وَيَنْ أَنْت يَا بَاغِيهَا »

وكلماتهم عند الهجوم : إياك نعبد وإياك نستعين
ولقد شاهدت بعض مواقعهم الحربية ، فوجدتهم يقدفون أنفسهم إلى الموت قدفاً ويتقدمون إلى أعدائهم صفاً صفاً ، ولا يفكر أحدهم في شيء إلا هزم العدو وقتله . والاخوان على العموم لا تعرف قلوبهم الرحمة ، لا يفلت من تحت يدهم أحد ، فهم رسل الموت أينما رحلوا

قد ظهرت قوة الاخوان الحربية في هزيمة أهل الكويت هزيمة منكرة في واقعة حمض سنة ١٩١٩ م ، ثم في حصار شيخ الكويت في الجهرة سنة ١٩٣٠ م وفي إبادة جيش الشريف عبد الله في واقعة تربة سنة ١٩١٩ م ، ثم في هجومهم المتكرر على العراق والكويت وشرق الأردن

وبالرغم من أن إمامهم كان ينههم كثيراً عن هذه الغزوات ، وأنه كان دائماً يأمرهم بالرفق وعدم القتل ، وبالرغم من أن علماءهم كانوا يوصونهم دائماً بعدم قتل الأسير أو المستجير ، فانهم لم يصغوا إلى أحد

وإن من يقرأ رسائل العلماء في الإنكار عليهم وعلى أنصاف المتعلمين الذين سمعوا أفكارهم ، يرى أن علماء نجد لم يقصروا في النصيحة ، ويعلم أن ما يعمله بعض الاخوان مما تأباه طبائع العرب ولا تقره الشريعة الإسلامية ، لا يصح أن تلقى تبعته على علماء نجد أو سلطان نجد

وللاخوان قصص طريفة تدل على بساطتهم وشدة تأثرهم بالدين :
جاء أحد الإخوان إلى أحد المشايخ وسأله عن النفاق ، فأخبره بحده الشرعي .
ثم سأله عن الخوف في الحرب ، فقال له العالم : مادمت لم تعط العدو ظهرك فلا
يسمى هذا فراراً أو نفاقاً ، فقال : لا (إن شاء الله أعطى العدو ظهري) إن هذا
كفر يا شيخ . لا إن في قلبي نفاقاً إني حينما كنت أجهم وجدت في نفسي شيئاً من
التردد بسبب أزيز الرصاص ، لا بد أن يكون النفاق في جنبي . أخرج النفاق
بعصاك أيها الأخ . ولكن الشيخ أفهمه بصعوبة أن هذا ليس من النفاق
أو الكفر أو الهزيمة

وجاء رجل آخر حاملاً صرة فيها نقود ذهبية وجدها بعد معركة تربة ، فسأل
الشيخ هل هي حلال له ، فقال الشيخ : إنها من الغنيمة ولا يحل لك إلا ما سيصيبك
بعد القسمة فسامها من فوره لتتولى الغنيمة ، ثم قال : لا والله لا استحلها ، فأين
هذا من خلق البداية ؟

إذا وجدك الأخ في الطريق ووجد شاربك طويلاً فإنه يدعوك إلى السنة ،
ثم يضع يده على شاربك ويقص الزائد . أما إذا كنت ماراً بالهجرة فإن العملية
تتم قسراً وزجراً لا بطريق النصح واللطف

وكذلك إذا وجدوا الثوب زائداً فإن المقص يعمل عمله في الزائد تنفيذاً
للحديث : « فضل الإزار في النار » . وبالرغم مما يأتيه الإخوان من الخطأ والخطل
وتجاوزهم حدودهم إزاء الحكومة ، فإن الملك ابن السعود كان يغضى عن أذاهم
ويحتمل تقدمهم بحلم وصبر قلما عرف عن غيره من ملوك العرب ، وكان دائماً
يقول : إن الإخوان يجب احتمالهم ومهما فعلوا فحالتهم الآن خير من حالتهم الأولى ،
وأما هذه الغيرة والشدة فالزمن كفيل بتخفيف حدتها

أما شدة الإخوان في مكة أول دخولهم لها فحدث عنها ولا حرج ، فلم تكن

هنالك أى هيبة للحكومة ، فكل ما يعتقده الأخ منكرًا يزيد به بنفسه ببندقته
أو بعصاه أو بيده

وكثيراً ما كان الملك ابن السعود ينزل على رأيهم اتقاء لفتنة قد تحدث ،
كما أنه كثيراً ما يقبض عليهم بيد من حديد إذا رأى أن المسيرة قد تضعف
سلطانه في جزيرة العرب

لأول مرة شاهد الملك ابن السعود التليفون في مكة ، ورأى الفائدة العظيمة
التي يسديها التليفون في الحجاز الأعمال وسرعة المواصلات ، ولما نقل معسكره من
الزاهر (الشهداء بقرب مكة) إلى حدّاء أراد أن يمد سلكاً تليفونياً بين مكة
وبين حدّاء ، وسلكاً آخر بين الرغامة وبين حدّاء ، حتى يكون على اتصال تام
فيما بين مكة ومقره وبين ميدان الحرب . وكنا نقطع المسافة بين مكة وبين
معسكره الخاص في ٤ ساعات ذهاباً ، ومثلها إياباً بالبعال أو الابل السريعة ،
وكانت الخيل تقطع المسافة أيضاً في مثل هذه المدة من الرغامة إلى حدّاء ، ولكنه
عدل أخيراً عن هذه الفكرة لأن إنشاء التليفون يهيج نائرة الاخوان فأرجأ هذه
المسألة ، وكثيراً ما كان الاخوان يقطعون أسلاك التليفون لأنه منكر يجب إزالته
وكثيراً ما كانوا يتعمدون قطع الأسلاك الموصلة إلى قصر السلطان أثناء وجوده في
مكة . كل هذا كان يتحمّله على مريض معتمداً على الزمن ، وحدث مرة أن أحد
الاخوان ضرب خادماً للملك يركب عجلة (بسكايت) وتسمى بلغة نجد (عربة
الشیطان) أو (حصان إبليس) بدعوى أنها بدعة ، وأنها تسير بقوة السحر وعمل
الشیطان ، بدليل أن الراكب إذا نزل لم تقف ، ولكن الملك أدب هذا المعتدى
أدباً أرجعه إلى رشده

وفي سنة ١٩٢٦م اضطر جلالة الملك أن ينزل على رأيهم في إيقاف تلغراف
المدينة اللاسلكي وهدم بعض المساجد المقامة على القبور ؛ لأنه لم يكن يسهه غير

ذلك ، والحكمة كانت تقضى بذلك فهو لا يقف أمام التيار بل يتركه يسير بطبيعته ، ثم بعد أن تهدأ العاصفة يعمل فكره لضرب خصومه في الظروف المناسبة وعند سنوح الفرج المناسبة

وأشد الناس على الاخوان الأمير عبد الله بن جلوى حاكم منطقة الاحساء ، فكثيراً ما سمعته يقرع رؤساء بني خالد وآل مرة والعجمان على شدتهم وغلوهم ، وان حالتهم الأولى على ما فيها من الشرور خير من حالتهم هذه ، وان الدين ليس في العامم . وهو لا يسمح لأحد منهم كائناً من كان أن تمتد يده إلى أحد من أهل الاحساء ، وإذا تجرأ أحد فجزأؤه أصرم العقوبات ، ولذلك إذا دخلوا الاحساء للميرة نزعوا عمائمهم وقضوا حوائجهم في هدوء وسكون . لقد سمعت الأمير عبد الله بن جلوى وغيره من آل سعود وكبار آل الشيخ ينصحون الملك عبد العزيز بالتبصر في غلو الاخوان وخروجهم عن حدودهم ، ولكن الملك كان دائماً يقول هؤلاء أولادى وواجبى احتملهم والتجاوز عن سيئاتهم وخطئهم وبذل النصح لهم ، وانى لا أنسى أعمالهم وأعتقد أنهم حسنو النية وسينكشف الحق لهم

أول مؤتمر للاخوان

في عيد الفطر سنة ١٣٤٣ هـ وهو أول عيد لنا في مكة زرت الشريف خالد ابن لؤى أنا والدكتور عبد الله الدموجي ، وكان لديه فيصل الدويش وجماعة من الاخوان اجتمعوا هنالك بعد صلاة العيد للمعايدة على بعضهم ، فخطب الحضور فيصل الدويش ، وهذه عادة من عادات الاخوان لا تخلو مجالسهم من نصيحة أو عظة ، فقال مخاطباً خالداً وجماعته :

نحمد الله ياخالد ويا « الاخوان » على نعمته ، فقد دخلنا بلد الله الحرام وطردنا الشريف من هذا البيت . اننا جند الله وخدم لدينه لا نريد إلا أن تكون

كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر ، ولا تريد الإرفع المظالم وإزالة البدع والمنكرات ، وإن هذا السيف وهذا الجند سيعمل هذا العمل في كل من يسير في طريق الشريف ويعمل عمله ، فأمن الاخوان كلهم على كلامه
فكان هذا في الحقيقة أول انذار من أحد قادة الاخوان ، ولم تمض سنة على هذه الخطبة حتى سمعنا أن هنالك مؤتمراً يعقد في الأرتاوية حضره رؤساء الاخوان من مطير وعُتبية والعجمان تعاهدوا فيه على نصرته دين الله والجهاد في سبيله ، ثم أنكروا صراحة على الملك عبد العزيز :

أولاً : إرسال ولده سعود إلى مصر بلد الشرك

ثانياً : إرسال ولده فيصل إلى لندن

ثالثاً : استخدام السيارات والتلغرافات والتليفونات

رابعاً : الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد

خامساً : الاحتجاج على إذنه لعشائر العراق وشرق الأردن الرعي في

أراضي المسلمين

سادساً : الاحتجاج على منع المتاجرة مع الكويت ؛ لأن أهل الكويت

إن كانوا كفاراً حوربوا ، وإن كانوا مسلمين فلماذا المقاطعة

سابعاً : النظر في شريعة الاحساء والقطيف وإجبارهم على الدخول في دين

أهل السنة والجماعة

لقد عجل الملك عبد العزيز بالرجوع من الحجاز إلى نجد عن طريق المدينة

ليعالج الحالة بحكمته ، فدعا زعماء الإخوان إلى مؤتمر أمر بعقده في الرياض في ٢٥

رجب سنة ١٣٤٥ هـ — يناير سنة ١٩٢٧ م ، وقد لبى الدعوة جميع زعماء الإخوان

ماعدا سلطان بن بجاد ، ففي هذا الاجتماع شرح الملك عبد العزيز موقفه شرحاً

وافياً ، فوصف نفسه بأنه خادم الشريعة محافظ عليها أتم المحافظة ، وأنه هو الذي

يعهدونه من قبل لم يتغير ، كما يتوهم بعض الناس ، ولا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين

وقد انتهى هذا الاجتماع بالفتوى المشهورة التي أصدرها علماء نجد في صدق المسائل التي كانت سبب تشويش الإخوان ، وأعلن الحاضرون تعلقهم بإمامهم وملكهم ، وبايعوه بالملكية على نجد ، فأصبح لقبه الرسمي ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، وفيما يلي نص الفتوى :

من محمد بن عبد اللطيف ، وسعد بن عتيق ، وسليمان بن سحمان ، وعبد الله ابن عبد العزيز العتيق ، وعبد الله العنقري ، وعمر بن سليم . وصالح بن عبد العزيز وعبد الله بن حسن ، وعبد الله بن عبد اللطيف ، وعمر بن عبد اللطيف ، ومحمد ابن ابراهيم ، ومحمد بن عبد الله ، وعبد الله بن زاحم ، ومحمد بن عثمان الشاوي ، وعبد العزيز بن العثري ، إلى من يراه من إخواننا المسلمين سلك الله بنا وبهم الطريق المستقيم وجنبنا وإياهم طريق أهل الجحيم ، آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد ورد علينا من الامام « سلمه الله تعالى » سؤال من بعض الاخوان عن مسائل تطالب منا الجواب عنها ، فأجبناه بما نصه :

أما مسألة البرقي ^(١) فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان ولا نعلم حقيقته ، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم ، فتوقفنا في مسألته ، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم ، والجزم بالاباحة والتحریم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته ، وأم مسجد حمزة وأبي رشيد فأفتينا الامام وفقه الله بهداهما على الفور ، وأم القوانين فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً ، ولا يحكم إلا بالشرع المطهر ،

(١) التلغراف اللاسلكي

وأما دخول الحاج المصرى بالسلاح والقوة في بلد الله الحرام ، فأفتينا الامام بمنعهم من الدخول بالسلاح والقوة ، ومن اظهارهم الشرك وجميع المنكرات ، وأما الحمل فأفتينا بمنعه من دخول المسجد الحرام ، ومن تمسكين أحد أن يتسح به أو يقبله ، وما يفعله أهله من الملاهي والمنكرات يمتنعون منها . وأما منعه عن مكة بالكيفية فان أمكن بلا مفسدة تعين ، وإلا فاحتمال أحد المفسدين لدفع أعلاها سائغ شرعاً .
وأما الرفضة فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل ، وعلى الإمام أيضاً أن يلزم نائبه على الاحساء أن يحضرم عند الشيخ ابن بشر ، ويبايعوه على دين الله ورسوله وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم ، وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على ما تمهم وغيرها مما يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل ، ويمنعون من زيارة المشاهد . كذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد ، ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة ، ويلزمون بتعليم ثلاثة الأصول ، وكذلك إن كان لهم محال مبنية لإقامة البدع تهدم ، ويمنعون من إقامة البدع في المساجد وغيرها ، ومن أئى قبول ما ذكرينى من بلاد المسلمين . وأما الرفضة من أهل القطيف فيلزم الإمام أيده الله الشيخ ابن بشر أن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا . وأما البوادى والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين فأفتينا الإمام أن يبعث لهم دعاة ومعلمين ، ويلزم نوابه من الأمراء في كل ناحية بمساعدة المذكورين على إلزامهم بشرائع الإسلام ومنعهم من المحرمات . وأما رفضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين ، فأفتينا الامام بكفهم عن الدخول في مراتع المسلمين وأرضهم . وأما المكوس فأفتينا أنها من المحرمات الظاهرة ، فان تركها فهو الواجب عليه ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا طاعة المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها . وأما الجهاد فهو محول إلى نظر الامام ، وعليه أن يراعى ما هو الأصلح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة

الغراء ، ونسأل الله لنا ولهم ولكافة المسلمين التوفيق والهداية ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حرر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ

إزاء هذه الفتوى اضطر الملك إلى عدم قبول الحمل كما اضطر إلى هدم مسجد حمزة ، وتعطيل التعرّاف اللاسلكي فعمل بذلك على تلافى الفتنة أو تأجيل وقتها لم يرض الدويش وهو الرأس المدبر لثورة الإخوان أن يحبط ابن سعود عمله وتدييره ، فوضعه أمام مشكلة جديدة ، وذلك أنه أرسل قوة صغيرة في أكتوبر سنة ١٩٢٧ م قتلت عمال مخفر بضيّة على الحدود العراقية النجدية ، وقتلت بضعة أنفار من الشرطة كانوا مع العمال ، فأدى هذا العمل إلى انذار السلطات البريطانية في العراق للعشائر التي على الحدود للابتعاد إلى داخلية نجد ، ثم هجوم الطيارات البريطانية واشتباكها مع العشائر النجدية نحو ثلاثة أشهر ، فرأت الحكومة البريطانية بعد مفاوضات مع جلالة الملك عبد العزيز إيفاد السير جلبرت كلايتون لحل المشاكل القائمة ، وقد رأى جلالة الملك أن يعقد مؤتمر بُريّة في أبريل سنة ١٩٢٨ م تهدئة نائرة الإخوان وإفهامهم أنه يشار إليهم في سحقهم على بناء المخافر على الحدود ، ولكنه يرى الأفضل حسم المشكل بطريق المفاوضات ، وأخبرهم أنه مسافر إلى جدة للاجتماع بالمفاوض البريطاني ، ووعدهم بالاجتماع معهم في الرياض بعد رجوعه من الحجاز ، ومفاوضة الحكومة البريطانية لايقافهم على جلية الأمر ، غير أن المفاوضات البريطانية لم تسفر عن قبول وجهة النظر النجدية ، وأصرّت الحكومة البريطانية والعراقية على موقفها في بناء المخافر

رجع الملك عبد العزيز من الحجاز إلى الرياض فوصالها في ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وأمر بعقد المؤتمر النجدى أو الجمعية العمومية كما سمّتها أم القرى في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ م

اجتمعت الجمعية العمومية في أحد أروقة القصر الداخلية ، وكان عدد الحاضرين نحو ٨٠٠ من علماء ورؤساء حضر وبدو ، ولم يحضر الدويش ولا ابن بجاد هذا المؤتمر ، وقد افتتح الملك المؤتمر بخطبة شرح فيها تاريخه في نجد من بدء استرداده الرياض إلى الوقت الحاضر ، وأعماله في توحيد الجزيرة ، وتأمين الطرق ، والاخاء بين العشائر ، وبعد أن انتهى من خطبته عرض على الحاضرين تنازله عن العرش ، ووجوب اختيار غيره من آل سعود ، وأنه يعاهدكم أنه سيساعد من يختارونه ، وأخبرهم أيضاً بنتيجة المفاوضات البريطانية وتمسك الانجليز بالمباني ، ولكنه ألقى على الدويش مسؤولية بناء المخافر بسبب تعديه على الحدود العراقية من وقت لآخر أما مسألة التنازل عن العرش فلم تقبل بالطبع ، لأنهم يعلمون أن ابن سعود لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمعونة الله ثم بسيفه ، ولذا فقد بايعوه مرة أخرى على السمع والطاعة والسير وراءه ، وفي الواقع لم يكن الملك يرمى في هذا المؤتمر إلا إلى اجتماع كلمة النجديين وإثارة حميتهم ضد الإخوان المتطرفين ، وهذه الناحية قد نجح فيها نجاحاً تاماً . أما الإخوان المتطرفون الذين التفتوا حول ابن بجاد وفيصل الدويش وابن حثلين فانهم لم يأبهوا لهذا المؤتمر . وقد أذاعوا في المهجر أنهم قائمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي كاد يهدمها ابن سعود ، وأن ابن سعود طالب ملك ، وموال للسكفار ، وشريك لهم في جميع الأعمال ، وأتبعوا هذا التهديد بالاغارة على حدود الكويت والعراق أحياناً ونهب القوافل النجدية أيضاً

وقد أثبتت حوادث ثورة الإخوان أنه لا يزال للعصبية شأن كبير في جزيرة العرب ، فان كثيراً من الإخوان الذين حضروا الجمعية العمومية من مطير والعجنان وعتيبة كانوا تحت لواء الدويش وابن حثلين في الثورة بالرغم من مبايعتهم وعهودهم التي قطعوها للملك ابن السعود ، ثم أخذوا يتعدون على السابلة بدون أن

يفرقوا بين أهل نجد وغيرهم ، وأخذوا يعملون السيف في رقاب من توقعه الأقدار
تحت أيديهم لأنهم كفرة

لم يستطع الملك ابن السعود صبراً على هذه الحالة التي أصبحت تهدد البنيان
النبى أسسه في ثلاثين سنة فاستحث أهل نجد عليهم وكلهم ناغم عليهم ، بل
أكثرهم كان ناقداً على سياسة ابن السعود في ملايتهم وإرخاء الجبل لهم
اجتمع أهل نجد حول راية ابن السعود في القصيم ، كما اجتمع حوله كثير
من الإخوان : حرب ، وقحطان ، وبعض من مطير وعتيبة الناقين على الدويش
وابن حميد ، فلما أن علم الإخوان بوصول ابن سعود إلى بريدة اجتمعوا كلهم بعد
ما كانوا مشتتين ، واعتزموا على مهاجمة ابن السعود ، وهم واثقون من الفوز تمام
الثقة ، ولقد كان مع ابن سعود سلاح آخر لا يقل عن سلاح الجند وهم العلماء ،
ولكن العاصين لم يعودوا يثقون حتى بالعلماء

استمرت المفاوضات بين ابن السعود وبين الإخوان مدة ، والملك وجنوده
تقرب منهم حتى تقارب الجيشان في السَّيْلة قرب الزلفي

ابن بجاد يرسل رسولا الى ابن سعود

أرسل ابن بجاد رسولا إلى ابن سعود في معسكره ، فدخل الرسول يحمل
كتاباً إلى ابن سعود ، فلم يسلم هذا الرسول على الملك لأنه مبتدع في زعمهم . إنها
لكبيرة ، وهل يصبر ابن السعود على هذه الإهانة ؟

— من أنت ألسنت ماجد بن حثيلة ؟ وأخذ يسرد عليه تاريخه . أتدخل على
ولا تسلم ؟ اذهب من فورك إلى الذى أرسلك ، وأخبره أننا قادمون للهجوم عليهم
غداً ، فإذا أرادوا أن يحقنوا دماءهم فليستسلموا بلا قيد ولا شرط ، والشريعة هي
الحكم بيني وبينهم ، وهؤلاء العلماء حاضرون ؛ قم واذهب إلى رفيقك

وقد أخبرني ماجد وكان كالوزير لابن بجاد بأنه أشار عليه بتقديم خضوعه إلى إمامه قبل أن يحم القضاء ، لأن ابن سعود ليس الرجل اللين الذي كانوا يعهدونه ، ولكن الدويش طلب منهم أن يذهب هو بنفسه ليرى جلية الأمر ، وأخبرهم أنه إذا لم يرجع إليهم مساء يكون ابن سعود قد اعتقله

وصل الدويش إلى المعسكر ثم أخذ يملق الملك ومن معه ، وأظهر استعداده للتسليم ، وأنه ليس على رأى ابن حميد ، وأنه سيبيت عندهم ، فقال له الملك : قم فقم عند قومك وموعدكم غداً بعد شروق الشمس ، وإن كنت صادقاً فتنح عن الجماعة ، وإن لم تكن صادقاً فسترى وخامة العاقبة ، والله ولى الصابرين

— ماذا رأيت (يا الدويش ؟) سؤال وجه إليه من أركان حرب الإخوان — ماذا رأيت ! رأيت حضرياً ترتعد فرائصه من الخوف ، وليس حوله إلا طبايخ (طهارة) لا يعرفون إلا النوم على الدواشح (المراتب) ، ابشروا يا إخوان لقد وجدت لديهم حلالاً كثيراً وأموالاً عظيمة ، فابشروا بالكسب والغنيمة ، وسنقهر هذا الطاغوت غداً ونستولى على ماله . هذه رواية بعض الإخوان الذين كانوا مع العصاة

وفي اليوم الثانى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩ م هاجمت جيوش الملك ابن السعود جنود الإخوان وحملت عليهم حملة عنيفة لم يقدروا على ردها ، ولم ينتصف النهار حتى ولى الإخوان الادبار ، ففر ابن بجاد من المعركة وحمل الدويش جريحاً إلى الملك يحوط به بناته وزوجته وهن يبكين يستشفعن فيه ، فتأثر الملك من هذا المنظر وعفا عن الدويش الذى عاهده على السمع والطاعة بعد ذلك ، وبعد ثلاثة أيام استسلم ابن بجاد فى شقراً ، فأمر بسجنه لأنه كان خطراً على الأمن ولا يأمن شره من الانتقاض ، ثم أمر الملك ولده وأخاه بتأديب العصاة حسب درجاتهم كما أمر ابن جلوى بتأديب العجبان

الثورة تعود مرة أخرى

رجع الملك إلى الحجاز بعد أن قهر الإخوان ، غير أن الضربة لم تكن فاصلة فان الدويش الذي كان يظن أنه سيموت متأثراً من جراحه قد برئ ، وبدلاً من أن يعود إلى صوابه ويستغفر الله مما ارتكب ظن أن ابن سعود قد يقبض عليه ويلقيه في غياهب السجن مثل ابن بجاد وجماعته ، قترك الارطاوية واستقر بين الكويت والاحساء ، وانضم إليه العجمان بعد أن قُتل زعيمهم بيد فهيد بن جلوى ، وبعد أن قتلوا هم أيضاً فهيداً انتقاماً لزعيمهم ، وأخذوا يعمثون الفساد تارة جنوباً وتارة شمالاً ، ولم يقتصر أمرهم على النهب والسلب بل تعداه إلى قتل الشيب والنساء والأطفال

عادت الثورة أشد ما كانت ، فعتية انتشرت بين نجد والحجاز ، وفضلوا الملكتين بعضهما عن بعض ، وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والرياض وخليج فارس ، غير أن أهل نجد لا سيما الحاضرة لا تحمل في قلبها إلا الاخلاص والولاء لامامها ومليكها لتواضعه وكرمه وسهره على مصالحهم ، وتقانيه في الدفاع عنهم ، وقد كون منهم أمة لها نصيبها من الحياة تحت الشمس

وهل كانوا يتمنون عليه إلا تساهله مع الإخوان وغضبه الطرف عن مساوئهم ؟

إن الفرصة قد سنحت لتقليم أظافر الفوضى ودعاتها

أخذ الملك عبد العزيز يعالج الموقف بما عرف عنه من سعة الحيلة وبعد النظر ، فقوى الحاميات في الاحساء والقطيف وحائل ، ثم أخذ يجمع الجند فأرسل قوة كبيرة من الرياض يسندها القسم الموالي من عتبية وضرب عتبية ضربة لا تقوم لها قائمة بعدها ، وصادر جملهم وسلاحهم ، وترك لهم الضرورى لحياتهم ، والتقى ابن مساعد بعبد العزيز فيصل الدويش في أم الرضمة ، ف وقعت بين الفريقين

موقعة دامية قتل فيها ولد الدويش ، ولم يفلت من العصاة سوى بضعة أنفار ،
وهؤلاء كانوا أفضل رجال مطير الحرييين ، ففتت هاتان الضربتان من عضد
الدويش وهزته هزاً عنيفاً ، وأيقن أنه مقضى عليه لا محالة ، ولكن كيف
يكون المصير

الدويش يطلب الصلح

أخذت الرسل تغدو بين الرياض وبين الدويش لطلب الأمان ، ولكن الملك
أصر على التسليم بلا قيد ولا شرط ، ثم الخضوع لحكم الشريعة ، وأنه يعد بالعفو
عن حياة الدويش فقط

خرج الملك يقود القوات بنفسه مستعيناً هذه المرة بالسيارات والمدافع الرشاشة .
وفي ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩م هجم على الدويش مُحْسِنُ الفِرْمِ (من حرب) من
الإخوان ، ومعه عربان العراق ابن طُوالة وابن سُويط ، وهؤلاء كانوا موتورين
من الدويش ، فالتهبوا الفرصة السانحة للانتقام قرب الحفر ونهبوهم وأشعلوا النار
في خيمة الدويش ، وهؤلاء لم يكن لهم علم بوجود الملك ابن السعود قرب آصافة^(١)
وكان الدويش حتى تلك الساعة يكذب وجود ابن السعود في آصافة ،
ويقول : إنه يستحيل أن يقدم ابن سعود لأن نجداً محلّ وليس هنالك ما ينقل عليه
ابن سعود قوته . ومع أني أنا الذي أذعت الخبر إذ كنت بالكويت أمثل ابن
السعود لدى السلطات الانجليزية ، ومع أن الخبر وصل إلينا بسيارات خاصة ،
فإن الدويش كذب هذه الأخبار حتى لا ينفذ من حوله العشائر والطامعون
في النهب والسلب ، ولكن بالرغم من تكذيب الدويش هذه الأخبار ، فإن الأخبار
انتشرت في جميع القبائل المشتركة معه في العصيان وأيقنوا أن ليس في طاقتهم

(١) اسم الماء



في اجتماع « خباري واضحة » - من اليمين : قائد الطيران في العراق ، الملك
عبد العزيز بن سعود ، الكولونيل بيسكورئيس الوفد البريطاني
وذلك بمناسبة تسليم « الدويش » سنة ١٩٣٠

مكتبة
مكتبة
مكتبة

المقاومة ، ففرقوا من حول الدويش ، كما لجأ بعضهم إلى الحدود العراقية ، وفر بعضهم إلى نجد ، واستسلم الدويش وبعض رؤساء مطير والعجمان إلى السلطات الإنجليزية التي كانت بالجهرة في ٩ يناير سنة ١٩٣٠ م

مؤتمر خباري وأضحة^(١)

كانت المفاوضات منذ سنة تقريباً بين الملك ابن السعود والحكومة البريطانية بخصوص العصاة وطلب تسليمهم إذا لجأوا إلى حدود العراق والكويت ، وهام الإخوان قد استسلموا الآن

أوفدت الحكومة البريطانية في ١٩ يناير سنة ١٩٣٠ م الكولونيل بيسكو رئيس قناصل خليج فارس يساعده الكولونيل ديكسون قنصل الكويت ، وفي عشرين منه سافرت على الطائرة فيكتوريا مع البعثة إلى خباري وأضحة في جنوبي الكويت حيث عقد المؤتمر ، واستمر المؤتمر منعقداً نحو أسبوع انتهى بموافقة الحكومة البريطانية على تسليم الدويش ورفقائه على أن يبقى الملك على حياتهم وعلى أن يتعهد بتسليم النهوبات التي نهبها هؤلاء من أهل الكويت والعراق وفي ٢٨ يناير وصل الكولونيل ديكسون وقائد البارجة الحربية في طائرة إنجليزية ومعه الدويش ورفقاؤه المعتقلون ، فاستقبلتهم بالنيابة عن جلالة الملك ، ثم أقلتهم السيارات إلى خيمة جلالة الملك

الدويش في حضرة ابن سعود

وصل الدويش إلى خيمة جلالة الملك بعد أن اخترق المعسكر ، ولم يسمع اللعنات التي كانت تصوب إليه بسبب مسير السيارة . دخلنا خيمة جلالة الملك

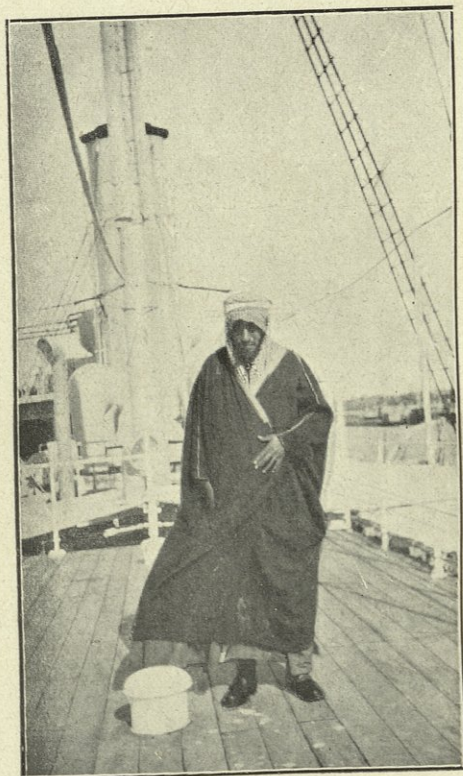
(١) اسم مكان

فقدمت قائد البارجة إلى جلالته ، ثم الكولونيل ديكسون بالنيابة عن حكومة بريطانيا ، وأنهم قدموا ليسلموا الدويش ورفقائه إلى جلالة الملك ، فشكرهم وشكر الحكومة البريطانية على صداقتها ومودتها ، وأنها في كل يوم تقيم لنا برهاناً جديداً على مودتها الوطيدة . . . ثم انصرفوا

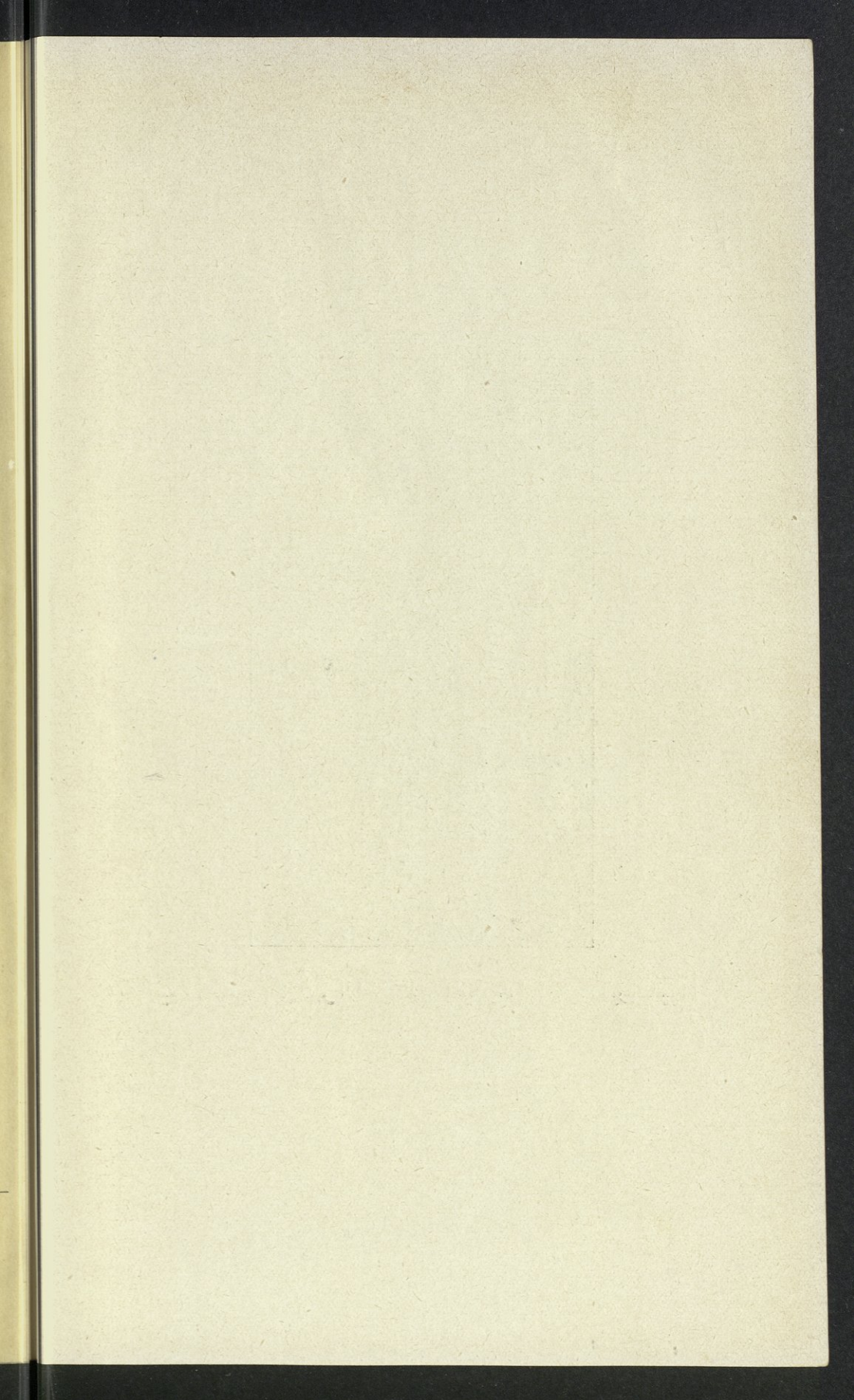
لقد رأيت الدويش هذا اليوم ورأيت مراراً يزور الملك في الرياض ، فما أعظم الفرق بين الحالتين ! كان الدويش حينما يقدم على الرياض يصحبه نحو ١٥٠ رجلاً مسلحاً ، يدخلها كقائد عظيم وكرجل عظيم له منزلة عظيمة في نفوس أهل الرياض وعلمائها وملك نجد ، إذا جلس لا يجلس إلا بجوار ابن سعود ، يعتبره الملك كصديق قديم وقائد من قواده العظام . أما غطرسة الدويش وجفاؤه وترفعه عن السلام لأى مخلوق يضمه القصر — ما عدا العلماء طبعاً — فحدث عنه ولا حرج ، وكان كل من يعرف الدويش في الجاهلية ويعرف أخلاقه الشخصية يجزم بأنه منافق في دينه وأن ما يظهره من الشدة والغلو مصطنع . أما إذا استأذن الدويش الملك في الرجوع إلى الأوطان فإن القائمة التي اعتاد تقديمها للملك تبتدىء من حبال الآبار ونعاله إلى السلاح والجواري وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود ، وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات ، ولكن قائمته تكون محلاً للرفض أو التحوير ، أما قائمة الدويش فلا يدخلها أى تحوير أو تعديل اليوم يقف الدويش ذليلاً أمام الملك ابن السعود وأمام قواد الجيش ، وكلهم دونه منزلة

ابن السعود يخاطب الدويش

— إنك تعلم يا فيصل ما عملت معك في الماضي ما قصرت في شيء نحوكم ، لقد كنت في حرب دائمة مع أهل نجد من أجلكم ، فهل هذا جزأى معكم ؟ هل



فيصل الدويش على ظهر الباخرة البريطانية بعد استسلامه للبريطانيين



كنتم تريدون الملك؟ لقد كنتم كلكم ملوكا في الجهات التي كنتم فيها، من منكم له الفضل على؟ الفضل لله وحده، من منكم من لم أخذه بسيفي؟ ليس منكم إلا من قتلت أباه أو أخاه، ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف. قد كنت أنفذ رعايتكم فكنت أشقى لأجلكم، وأواصل الليل والنهار لراحتكم وسعادتكم. ألا تخاف الله حينما تكتب لجلوب^(١) أنك تريد الهجرة للعراق وأنتك تحب أن تكون تابعا له؟ فهل تظن أنك كنت ستكون في منزلة أعلى من منزلتك التي كنت فيها؟

الدويش يتكلم

— يعلم الله يا عبد العزيز أنك لم تقصر معنا، وقد فعلت كل ما يبيض وجهك، وقد قابلنا معروفك بالإساءة، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار فحملونا إليك في طيارة من طياراتهم، ويكفي ما أشعر به من الهوان والصغار أمام الإخوان بعد ما كنت عزيزاً محترماً؛ قاتل الله الشيطان! لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا فأوصلنا إلى ما أصبحنا فيه الآن!

فأمر الملك أن ينقل الدويش وزملائه إلى خيمة قريبة منه وأحاطها بالحرس، وبعد ثلاثة أيام نقلوا إلى الرياض في سيارات حيث اعتقلوا فيها. ويصحح أن تعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة بين الفوضى والنظام، ونصراً للتقدم على الرجعية؛ ولا تسل عن سرور أهل نجد والحجاز فهؤلاء قد قاسوا الشيء الكثير من تعذيبهم وإساءتهم وغلوهم

أما الملك عبد العزيز فإن سروره قد عبر عنه بمجملتين في خيمته بعد تسليم الدويش: «من اليوم سنحيا حياة جديدة»

نعم إن الملك ابن السعود قد حيى حياة جديدة، فقد ربط بلاده بالتغيرات

(١) جلوب: المفتش الإداري على الحدود

الاسلوكية ، وربط مكة والرياض بالتليفون الاسلوكى ، ولم يعد للإخوان ذلك
السلطان القاهر ، وأصبح شأنهم شأن غيرهم من الرعية
ولقد عاقت حركة الإخوان الأخيرة تقدم المشروع الأصلي وهو تحضير البادية ،
فإننا لم نسمع منذ سنة ١٩٣٠م أن قبيلة من القبائل رغبت فى سكنى جهة من
الجهات ، على أن حركة وعظ البادية وإرشادهم إلى مبادئ الدين ومكارم الأخلاق
لا تزال سائرة فى طريقها ، وبذلك يعمل الملك عبد العزيز لاستئصال شرور
البادية بالسيف من جهة ، والعلم من جهة أخرى
وبالجملة فإن حركة الإصلاح الموجودة الآن فى جزيرة العرب هى غرس يد
هذا الرجل الفذ الذى لا يزال يراها برعايته وعنايته حسب موارد بلاده المادية ،
وحسب استعداد أمته وشعبه لقبول الإصلاح



الدعوة الإصلاحية في نجد

نرى واجباً علينا أن نتحدث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدور الإصلاحى العظيم الذى قام به فى نجد ، ونمهد لذلك بذكر نبذة يسيرة عن حياة مصلح عظيم آخر : هو ابن تيمية الذى قام فى القرن السابع الهجرى وأوائل القرن الثامن سنة ٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ ، لما بين الرجلين من التشابه العظيم فى الدعوة إلى الحق ، ولأن ابن تيمية كان المثل الأعلى للمصلح النجدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان الإمام ابن تيمية آية من الآيات فى فهم الشريعة الإسلامية وأسرارها ، كما كان آية فى رفع علم الدعوة إلى الحق ، واحتمال كل أذى فى هذا السبيل كان ابن تيمية شجاعاً لا يخشى إلا الله ولا يخاف سطوة سلطان ، وعقيدته : من كان مع الله كان الله معه ؛ وله مواقف معروفة فى غزوات التتر أثناء هجومهم على الشام كانت الدعوة التى يدعو إليها ابن تيمية ترمى إلى ما يأتى :

(١) الرجوع إلى الكتاب والسنة ، واتباع سبيل السلف الصالح فى فهم آيات وأحاديث الصفات ، وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين والصوفية حيث إنها لا تتفق مع الروح السلفية القديمة

(٢) محاربة البدع والمنكرات ولا سيما ما كانت وسيلة للشرك ، كالتمسح بالقبور والصلاة عندها وطلب الحاجة منها ، والاستعانة أو الاستغاثة بغير الله ، والتبرك بالأشجار والأحجار التى يعتقد فيها العامة الخير أو دفع الشر

(٣) ترك الغلو فى الرسول صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالاهتداء بهديه

(٤) فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، وإعلان الحرب على التقليد المتعصبين

هذه هى الأسس التى قامت عليها دعوة ابن تيمية ، والتى وقف عليها حياته ،

وهي نفس الأسس التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد .
أثارت دعوة ابن تيمية في الشام ومصر تائراً الصوفية وأرباب الطرق عليه ،
كما أثارت أيضاً تائراً المتعصبين للمتكلمين والفلاسفة ، وأكثرهم من القضاة وأهل
المناصب في الدولة وذوى النفوذ فيها ، فأوغروا صدور الأمراء عليه وصوروه خطراً
على مستقبل الدولة ، وأن أمره قد يعظم كابن تومرت في المغرب فيصبح صاحب
الحول والطول ، فيضمحل نفوذهم أمام نفوذه . وفي كل زمن لا يجد الخصوم
ذوو الضمائر الميتة سبيلاً إلى النكاية بخصومهم إلا التوسل بوسائل الخوف على
المملكة وسلامتها وأمن الدولة ، وغير ذلك من الوسائل التي تمس الناحية الحساسة
في الأمراء ، ومن من الأمراء يسمع أن حياة الدولة في خطر من شخص ويغضب
عينه عن هذا الشخص ؟ إن كثيراً منهم في سبيل الملك يقتلون الإخوة والأقارب
ولا يردعهم رحم أو يؤنبهم ضمير ، فهل يسكتون عن رجل أجنبي ؟

تعتبر سنة ٧٠٥ هـ بدء عهد الاضطهاد لابن تيمية ، ففي هذه السنة اجتمع
العلماء لمباحثة ابن تيمية في قصر نائب السلطنة ، غير أن هذه المجالس كانت في
صف ابن تيمية ، لأن نائب السلطنة كان يؤيده ويأخذ بناصره
وأخيراً لم يسع نائب السلطنة في الشام إلا أن يرسل الإمام ابن تيمية إلى مصر
حسب أمر السلطان الجاشنكير ، فإن دسائس الصوفية وخصوم ابن تيمية قد
ملأت قلب السلطان حقداً وغضباً على الرجل

وصل ابن تيمية مصر في رمضان سنة ٧٠٥ هـ . فأحضر أمام العلماء للمناظرة
وكلهم من خصومه ، وهل تكون أمثال هذه المناظرات وسيلة من وسائل الإقناع
أو الرجوع عن الخطأ . أدخل الشيخ ابن تيمية السجن لأنه امتنع عن الإجابة لأن
القاضي ابن مخلوف المالكي الذي كانت الدعوى أمامه كان من خصوم ابن تيمية
وقد أعيدت المناظرات عدة مرات بدون طائل ، وبعد ثمانية عشر شهراً

أخرج من السجن فعاد إلى الدعوة الإصلاحية ، وأعاد الكرة على الصوفية وزعمائهم : ابن سعيد وابن عربي وأشباههم ، كما شن الغارة على سائر المبتدعة ، فاعتقل ثانية في شوال سنة ٧٠٧ هـ ، وفي السجن اشتغل بإصلاح المساجين وترك ما هم فيه من العيث وإضاعة الوقت . حتى اشتهر أمره ، وصار الناس يترددون على السجن لاستماع وعظه ودعوته ، فنقل إلى الإسكندرية وضيق عليه ، ومنع الناس من الاختلاط به والتردد عليه خشية انتشار دعوته الإصلاحية

وفي ٨ شوال سنة ٧٠٩ هـ أطلق سراح الشيخ ابن تيمية من برج الإسكندرية وأرسل إلى القاهرة ، إجابة لرغبة السلطان الملك الناصر الذي تغلب على خصومه فقر به إليه ، فأقام بالقاهرة داعياً إلى مقاومة البدع ووجوب الرجوع إلى الله في كل الملمات ، وترك البدع التي تقام على القبور لمخالفتها للتوحيد الذي جاء به النبي الكريم

وفي ذى القعدة سنة ٧١٢ هـ رجع الشيخ إلى دمشق بعد أن تغيب عنها سبع سنوات ، فكان يوم رجوعه إلى دمشق يوماً مشهوداً خرج فيه لاستقباله مريدوه والناصرون لدعوته

وفي دمشق استأنف الشيخ دعوته الإصلاحية بنشاط وعكف على نشر دعوة التوحيد ، ومقاومة المبتدعة والرجوع إلى الكتاب والسنة . وقد كان يفتي بمسائل تختلف عن رأى الأئمة الأربعة ، ولكنها في نظره تتفق مع آراء غيرهم من الأئمة الآخرين ، وهو يعتقد أن هذا الرأى أقرب إلى السنة

لقد كان طبيعياً أن يشور الرجعيون الجامدون والمتعصبون للقبور والمتصوفة على الشيخ ، كما ثاروا عليه بالأمس ، وكان طبيعياً أن تعود المناظرات مع الشيخ مرة أخرى

ولقد أراد الله أن تغلب قوة خصوم الشيخ ابن تيمية ، وهم أهل الحل والعقد

في الدولة ، وأخيراً حبس الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٠ هـ ثم أطلق سراحه بعد خمسة أشهر ونصف ، فعاد إلى ما عاهد الله عليه من الدعوة إلى الله والرجوع إلى الكتاب والسنة ، فتألب عليه خصومه مرة أخرى ، ووجدوا الفرصة سانحة للنيل من الشيخ واتهامه بعدم احترام الأنبياء والصالحين ، لأن الشيخ أفتى بتحريم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فلا تشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين

لقد اجتمعت كلمة خصوم الشيخ على القضاء عليه وعلى الدعوة التي قام بها ، فطلبوا من السلطان قتله فلم يوافقهم على طلبهم ، ولكنه اكتفى بحبسه اتقاء الفتنة ، ولما لهؤلاء الخصوم من قوة لا يستهان بها اعتقل الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٦ هـ بقلعة دمشق ، واضطهد تلاميذه والمتسبون إليه حتى خفت صوت الدعوة إلا من قلوب الخالصين ، وقد بقي الشيخ في معتقله حتى توفي سنة ٧٢٨ هـ فلم يصبح لهذه الدعوة القوة التي كانت لها من قبل ، ولئن قام تلاميذ الشيخ وأنصاره الفترة بعد الأخرى ، فلم يكن لهذه الدعوة القوة والنشاط التي كان لها في أيام الشيخ

ولا يسهل الإنسان بعد أن يلم بسيرة ابن تيمية ، وما لقيه من الاضطهاد في سبيل الدعوة إلى الحق إلا أن يجد تشابهاً عظيماً بين حياته وبين حياة لوثر المصلح البروتستانتي ، الذي جاء بعد عصر ابن تيمية بنحو قرنين ، فإن الأركان التي قامت عليها الدعوتان واحدة بالرغم من الاختلاف الديني ، والوسط الديني الخاص كان ابن تيمية يدعو إلى الاجتهاد ونبذ التقاليد المخالفة للكتاب والسنة ، والرجوع إليهما غير ملتفت إلى ما سواهما

وكان لوثر يدعو الناس إلى تفهم الكتاب المقدس ، وقد عمل هو على ترجمته تقريباً لأفهام الناس ، وكان ينكر على رجال الدين دعواهم أن حق التفسير والفهم خاص بهم

كان ابن تيمية ينكر على الصوفية تعاليمهم التي لا تتفق مع الكتاب والسنة ، كما كان ينكر الغلو في حب الأنبياء والأولياء : بالصلاة على القبور والدعاء عندها والاستغاثة بها وطلب الغفران منها . وكان لوثر ينكر على القسس بيع صكوك الغفران ، كما كان ينكر عليهم حق التداخل بين العبد والرب

وليس من غرضنا في هذا الفصل البحث التفصيلي بين الدعوتين ولا بين الرجلين لخروجه عن موضوع الكتاب

غير أن الذي نريد أن نقرره هو أن الدعوة الإسلامية والإصلاحية التي قام يدعو إليها ابن تيمية في آخر القرن السادس وأول القرن السابع من الهجرة ، أي (الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي) قد انتهت بالفشل ، وأن الجهود التي بذلها ابن تيمية لم تثمر الثمرة المطلوبة ، لأن رجال الدولة كانوا ضده ، ولأن الرجل كان ينقصه اللين السياسي

أما مارتن لوثر — الذي جاء في القرن الخامس عشر — فقد نجح بفضل المؤازرة التي لقيها من الأمراء والحكام . ولقد أراد الله أن تحيا دعوة ابن تيمية وتنال نصيبها من القوة والانتشار والذيعوع على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، بمعاوضة الأمير محمد بن سعود في القرن الثاني عشر الهجري ، أي بعد عصر ابن تيمية بأربعة قرون تقريباً ، والذي كان له الفضل الأعظم في نشر كتب ابن تيمية وتلاميذه وبعثها من جديد ، والتنويه بفضلهم وعظيم أثرهم هو

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

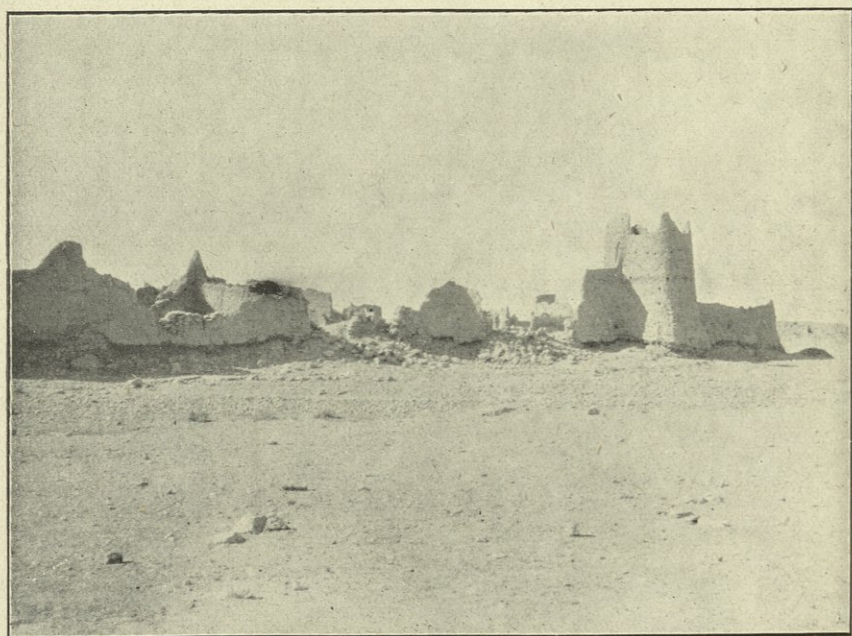
وُلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ الموافقة سنة ١٧٠٣ م في بلدة العيننة الواقعة شمال الرياض عاصمة نجد الحاضرة . وقد تلقى على والده دروسه

الأولية ، ثم سافر بعد ذلك إلى الاحساء والحجاز والبصرة^(١) باحثاً وراء العلم والتحصيل ، ولذلك صار حجة في الحديث والفقه واللغة العربية ، وصار أيضاً ذا قدم ثابتة في كل ماله علاقة بدراسة الدين ، وقد وقف في رحلاته على الأمراض التي انتابت المسلمين وما أصاب الشريعة الإسلامية في كثير من الأمصار من انصراف العلماء إلى الدنيا ومتابعتهم لأهواء الحكام ، فرجع إلى نجد وقد أخذ على عاتقه التفرغ للدعوة الإصلاحية الدينية ومحاربة البدع والخرافات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فدرس دراسة وافية كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأتباعه وخاصة ابن القيم وابن كثير

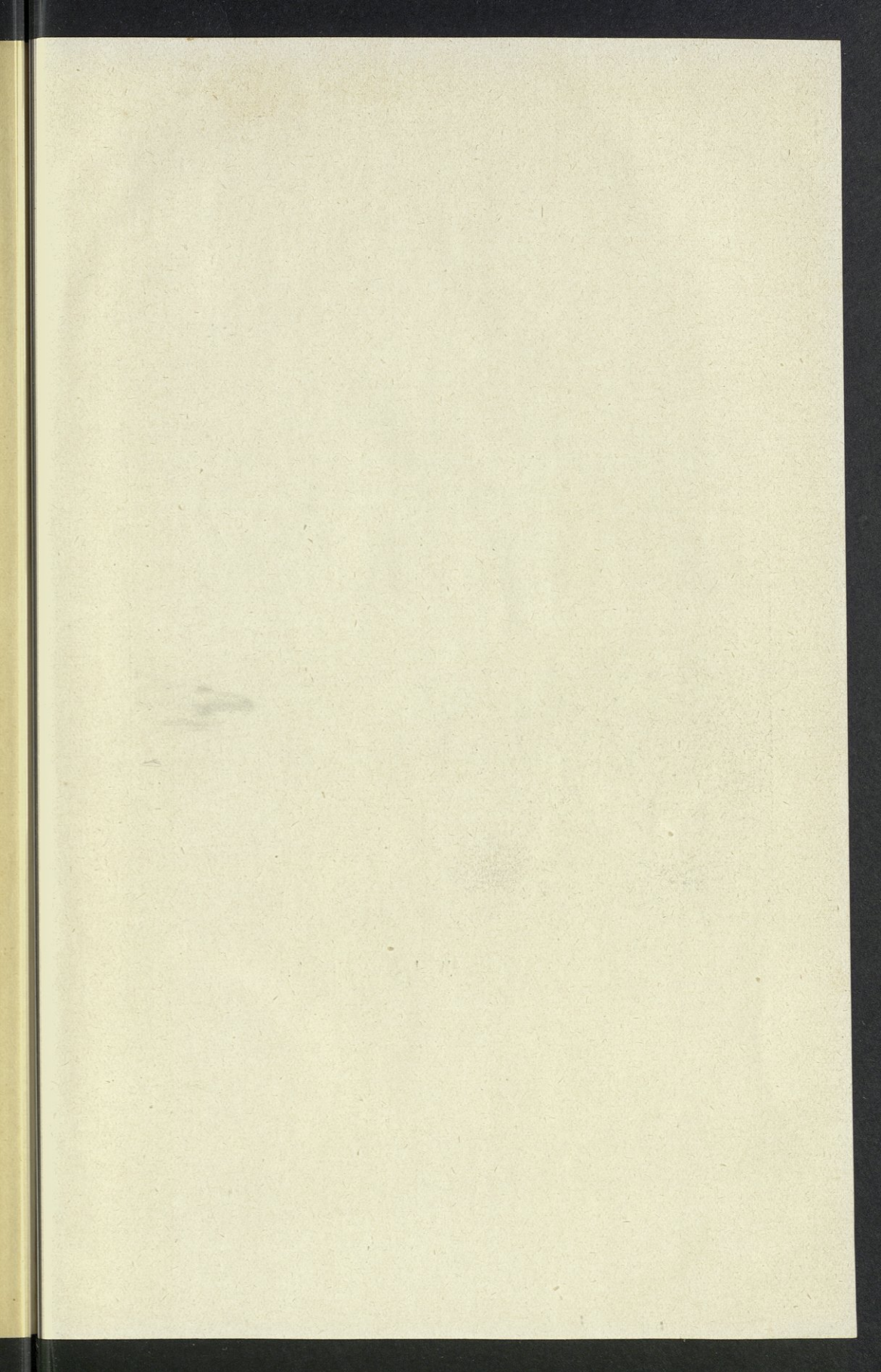
نجد في أيامها الأولى

كانت نجد من الوجهة الدينية كسائر الأمصار الأخرى : مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة . قد كان فيها كثير من القبور تنسب إلى الصحابة يحج الناس إليها ويطلبون منها حاجاتهم ويتوسلون إليها لدفع كربهم . فكانوا في الجُمُيلة يؤمون قبر زيد بن الخطاب لتحسين حالهم وإجابة ملتمسهم ، كما كان أهل الدرعية — التي صارت فيما بعد مقر حكم آل سعود — يزورون مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض . وأغرب من ذلك توسلهم بفحل النخل في بلدة « منقوحة » واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تزوج لعامها ، فكانت من تقصده تقول : « يا نخل الفحول ، أريد زوجاً قبل الحلول ! » وكان في الدرعية غار يقصدونه ويزعمون أنه كان ملجأ لإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة ، واتخذت في أحد الجبال الصخرية

(١) في كتاب « لمع المشاهير في سيرة محمد بن عبد الوهاب » أن الشيخ رحل إلى فارس أيضاً وتعلم بها الحكمة المشرقية ، كما تعلم في رحلته أيضاً صنع البنادق وتحضير الدخيرة وغير ذلك من فنون الحرب



خرائب العيننة موطن الشيخ محمد بن عبد الوهاب



ماوى لها ؛ فانشق لها الكهف بمعجزة لتأوى إليه . فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية . أما من حيث الأحكام فلم يكن هناك قانون أو شريعة إلا ما قضت به أهواء الأمراء وعما لهم . ومن حيث السياسة فقد كانت بلاد العرب منقسمة إلى ولايات عديدة ، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاره أية رابطة ، ومن أشهر هؤلاء الأمراء بنو خالد في الاحساء ، وآل معمر في العيينة ، والأشراف في الحجاز ، والسعود في الدرعية ، والسعدون فيما بين النهرين ، وعدا هؤلاء أمراء لا داعى لذكرهم هنا . وقد كان سكان بلاد العرب وهم الحضرة في حروب دائمة مع البدو سكان البادية ، وكذلك كان الأمراء على قدم الاستعداد عندما تسنح الفرص للتعدى على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد ، وباختصار فهذه كانت حالة بلاد العرب عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه ، وقد استقر به النوى في العيينة ، حيث جد به العزم أن ينقذ نجداً مما يحيط بها من البلاء ، فبدأ يدعو الناس إلى أن يعودوا إلى دين الله ويتركوا كل ما جد من البدع وغيرها مما يتنافى مع روح الكتاب والسنة ، وفي الوقت نفسه طلب إلى الأمراء ذوى الشأن أن يطبقوا أحكام الشرع ، وقد قام بدعوته مسالماً لا يدعو إلى شدة أو عنف ، وراسل علماء عصره في البلاد الإسلامية الأخرى ، وأظهر ألمه لما أصاب الإسلام وحضهم على أن يكونوا من زمرة المصلحين الدينيين ، فكان ذلك سبباً طبيعياً لغضب خصومه . وأولئك الذين خافوا على سلطانهم من تعاليمه ، وأخيراً فقد اضطر أن يهاجر من العيينة التي هدها بالغزو سليمان آل محمد رئيس بنى خالد ، وأمير الاحساء والقطيف إذا لم يطرد محمد بن عبد الوهاب . ففي عام ١١٥٧ هـ — ١٧٤١ م تركها إلى الدرعية مقر السعود حيث قابل زعيمهم محمد بن سعود ، وهناك تحالفا على الدفاع عن الدين الصحيح والعمل على الرجوع إلى تعاليم الكتاب والسنة وإتقاد جزيرة

العرب من البدع ، وتعميم الدعوة بالإسلام بين البدو والحضر ، وتوطيد النفس على ما يواجههم من الصعاب ، فإنهم متى نصرُوا الله نصرهم « وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين » ، وهكذا كان ، فإن ما تمكن من قلوبهم من حب الحق جعلهم يتغلبون منفردين ومجتمعين

لقد سكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدرعية وواصل ليله بنهاره في نشر الدعوة بالوعظ وكتابة الرسائل مكتفياً بهذه الوسيلة السهلة ، ومحمد بن سعود يؤازره بما يملك من الوسائل ، ولكن خصوم الدعوة كانوا يعملون على تأليف القلوب لمحاربة الدعوة بكل الوسائل ، فلم ير الشيخ محمد وابن سعود بدءاً من الاستعانة بالسيف بجانب الدعوة الدينية . ولقد استمرت هذه الحرب الدينية التي تشبه في كثير من الوجوه الحروب التي استعرت نيرانها بين الكاثوليك والبروتستانت في الغرب أكثر من ستين عاماً

وفي عام ١١٧٠ هـ (١٧٦٥ م) مات الأمير محمد بن سعود وخلفه ابنه « عبد العزيز » الذي اقتفى أثر أبيه في مساعدة الشيخ ابن عبد الوهاب على نشر دعوته في سائر بلاد العرب

وفي سنة ١٧٩١ م مات محمد بن عبد الوهاب بعد أن قام بواجبه خير قيام ، ووضع من الكتب والرسائل ما أصبح أساساً يسير عليه خلفاؤه ، وقد سار أولاده على خطة أبيهم من التحالف مع آل سعود والتعاون معهم حتى أصبح الجميع كبيت واحد

وفي سنة ١٨٠٥ م كان جميع شبه جزيرة العرب بما في ذلك جزء كبير من اليمن وعمان يخضع لسلطان السعود ، تؤدي واجباتها الدينية حسب الدعوة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب . ولقد عز على الترك أن يروا دولة دينية تقوم في بلاد العرب — بلاد صاحب الشريعة الإسلامية ، كما عز عليهم أن يروا دولة

حديثة مدينة يقيم دعائهما محمد على في مصر ، فأشعلوا نار الحرب بين الاثنين ، فكانت محنة عظيمة على نجد عامة وعلى السعود خاصة ، لكن القوة الغشوم وإن نالت من سلطة الحكام فإنها ما كانت لتصل إلى قلوب أهل الإيمان

ما هي تعاليم الوهابية ؟

لم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نبياً كما ادعى نبيهم الدانمركي ولكنه مصطلح مجدّد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق ، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ، ولا آراء خاصة ، وكل ما يطبق في نجد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح . ويخالفون من عداهم ، وتكاد تكون تعاليمهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم ، وإن كانوا يخالفونهم في مسائل معدودة من فروع الدين . وهم يرون فوق ذلك أن ما عليه أكثرية المسلمين من العقائد والمعاملات لا ينطبق على أساس الدين الإسلامي ، وإننا نلخص فيما يلي المسائل التي اشتهروا بها ، والتي تعد كأنها طابع خاص بالتجديدين

أولاً ، التوحيد : يعتقدون استناداً إلى كلام الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السلف أن معنى لا إله إلا الله ترك كل معبود غير الله ، والتوجه إلى الله وحده ، وأن العبادة إذا جعلت لغير الله صار ذلك الغير إلهاً مع الله ، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك ، فالمشرك مشرك سواء سمي شركه شركاً أو توسلاً ، وليس لديهم من شك في أن من قال يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر ، أو غيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مشرك يهدر دمه ، ويستباح ماله

ثانياً ، الشفاعة : لا ينكرون شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة

حسبما ورد ، وهم يثبتونها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد أيضاً ، وتُسأل من المالك لها وهو الله وإذنه فيها لمن شاء من الموحدين ، فيقال : اللهم شفّع نبينا محمداً فينا يوم القيامة ، اللهم شفّع فينا عبادك الصالحين أو نحو ذلك ، وأما ما يجرى على ألسنة الناس من قولهم : يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها ، كأدركني أو أغثنى أو نحو ذلك فإنه من الشرك ، إذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح

ثالثاً ، القبور : الكلام على القبور يتناول أولاً : البناء عليها وزيارتها ، ثانياً : ما يفعله الناس عندها من الدعاء والصلاة وغيرها ، ثالثاً : ما يقام عليها من القباب والمساجد ، رابعاً : السفر إليها . أما زيارة القبور فهي مندوبة للاعتبار والاتعاظ والدعاء للميت وتذكير الآخرة ، ويراعى فيها الطريقة التي سنّها النبي (صلى الله عليه وسلم) في الزيارة ، أما الذبح للقبر والاستغاثة به والسجود له ، فهي شرك ، وأما تخصيص القبور والبناء والكتابة عليها فكلاهما من الأمور المبتدعة المنهى عنها ، وهم يستدلون على ذلك بأحاديث كثيرة وردت وبأقوال السلف الصالح وعملهم ، ولذا فقد هدموا في مكة والمدينة القبور المرتفعة وسوّوها ، كما أزالوا القباب عند استيلائهم على الحرمين الشريفين في القرن الماضي ، كما أزالوها مرة أخرى في الفتح الحاضر سنة ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ و ١٩٢٦ م) أما شد الرحال والسفر إلى القبور فبدعة

رابعاً : إعلان الحرب على البدع الشائعة في الأمصار مثل الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاداً منه أنه قرّبه ، ومثل الزيادات على الأذان المشروع

وبالجملة فإنهم يحرصون على العادات الشرعية أن تكون بالصفة التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بلا زيادة أو نقص

ويلحق بهذا ما هو شائع في كثير من الأمصار من خروج النساء وراء الجنائز ، وخروجهن على القبور ، والاحتفالات السنوية المسماة بالموالد ، وإقامة الحفلات للأذكار ، وما يفعله بعض الدراويش من الرقص والمزمار ؛ فإن ذلك كله محرم ، وقد منعوا ما كان موجوداً منه في الحجاز

و بسبب ذلك كان الخلاف بين الحكومة العربية السعودية وبين الحكومة المصرية على الحمل وقبوله في الحجاز ، والنجديون يحتجون بأنه بدعة لا يصح إقرارها في بلد الوحي والدين ، والمصريون يقولون إنه عادة وشعار للحج ليس إلا خامساً ، الجهاد : مما لا جدال فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يعتبر ما انصرف من العبادات لغير الله إسلاماً ، ولذا فإنه كان يبدأ الأمر بالدعوة إلى التوحيد ، وتنفيذ أوامر الله بلا هوادة ، فمن أطاع فقد سلم ، ومن خالف أو عاند فقد حل دمه وماله ؛ وعلى هذا الأساس كانت غزواتهم في نجد وخارج نجد من اليمن والحجاز وضواحي سوريا والعراق

كل بلد يدخلونها حرباً فهو حلال لهم ، إن أمكنهم البقاء بها ألحقوها بأملأهم ، وإن لم يمكنهم البقاء اكتفوا بما يصل إلى أيديهم من الغنيمة ، وهنا يجيء الخلاف بينهم وبين معارضيتهم ، فإن غيرهم يقول إن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم ماله ودمه ، أما هم فيقولون إن القول لا عبرة به ما لم يدعمه العمل ، فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو لا يزال يدعو الموتى ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهو كافر مشرك ، حلال الدم والمال ، ولا عبرة بقوله ، ولهم على هذا أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ليس هنا موضع تفصيلها

والجهاد أو إعلان الحرب من حقوق الإمام ينظر فيه إلى المصلحة أو دفع لمصرة ، فإن رأى المصلحة تعين عليه إعلان الجهاد ووجب على سائر رعيته متابعتها

والدخول في سلك الجندية ، وعلى هذا كانت الغزوات القديمة والحديثة معتبرة من الجهاد الشرعى

سادساً ، الاجتهاد : للشيخ محمد بن عبد الوهاب بعض رسائل في الدعوة إلى الاجتهاد والرد على أهل التقليد والمغاندين ، استند في أكثرها إلى ما كتبه ابن القيم في أعلام الموقعين

ولكن الشيخ محمد وإن كان له بعض مسائل اجتهادية مثل جعل دية المسلم ٨٠٠ ريال بدل مائة ناقة فإنه في الحقيقة يخطو خطوات الإمام أحمد ، ويعتمد على كتب الفروع المؤلفة على طريقته

ومما لا شك فيه أن علماء نجد في بدء النهضة الإصلاحية كانوا أكثر إحاطة بالسنة وعلماء بالشرعية ، وأوسع مدارك ، وأبعد نظراً في نظرهم للأحكام إن الحكومة العربية الحاضرة — وهي الحكومة القائمة على أساس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب — اضطرت إلى اقتباس كثير من القوانين التجارية وسمتها نظاماً ، لأن كتب الفقه لم تتناول كثيراً من المعاملات التجارية التي يتعامل بها أهل هذا الجيل ، كما اضطرت إلى تشكيل محكمة تجارية سمتها المجلس التجارى للنظر في المنازعات التجارية ؛ ولا أعلم لماذا لا تلحق هذه النظم بأبواب الفقه كي يدرسها الطلاب أسوة بالمسائل الفقهية الأخرى التي أصبحت ملحقة بالتاريخ ، مادام هنالك يقين بأن هذه النظم لا تتعارض مع أحكام الكتاب والسنة إن هنالك مجالاً واسعاً للإصلاح الدينى وإدخال كثير من التجديد على أبواب الفقه ، ولكن يعوزنا همة العلماء ورغبة الأمراء

* * *

والنجديون يحرصون أشد الحرص على تنفيذ أحكام الشريعة في تحريم لبس الحرير للرجال وتحليهم بالذهب ، كما يحرمون التدخين ، ويجلدون المدخن أربعين

جلدة . ومما لا شك فيه أن حكومتهم الأولى كانت أصرم في هذا من
الحكومة الحالية

ولقد كانت مسألة الدخان من المسائل التي دار البحث فيها بين الحكومة
المصرية والحكومة العربية سنة ١٩٢٦ م ، ومال مفتي مصر فيها إلى الكراهة ، كما
أنه أورد رأى فريق من العلماء ممن يرى التحريم

لقد روى بالجرّيف في رحلته إلى نجد سنة ١٨٦٢ م أنه سمع من بعض
النجديين أنهم يرون أن شرب الدخان أشدّ لديهم من الخمر والزنا ، وبعض المحرمات
المنصوص عليها ، ولا شك أن هذه الرواية قد سمعها من جاهل ، فقد سمعت شيئاً
قريباً من هذا من بعض النجديين المقيمين بالكويت ، ولكنهم لم يكونوا من
العلماء ولا يعبرون عن رأى علماء نجد الذين يعدون مثل هذا القول جرأة على الدين
إن علماء نجد وان أجمعوا على تحريم الدخان فلم أسمع أحداً من علمائهم يقول
مثل هذا القول ، كما أنى لم أقف على شيء مثل هذا فيما كتبه متقدموهم أو متأخروهم
وعلماء نجد يجرمون التصوير ويكرهون الموسيقى ، ولا يقبلون أى تأويل
في ذلك

ما ينسب إلى النجديين وهم أبرياء منه

لا شك أن الحرب النجدية المصرية في القرن الماضي وما أعقب ذلك من
خلاف بين آل سعود والأتراك قد صحبه كثير من الدعايات ضد النجديين وكثير
من الأشياء التي نسبت إليهم مكذوبة

(١) لقد نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والآخذين بدعوته كراهية
النبي صلى الله عليه وسلم ، والخط من شأنه وشأن سائر الأنبياء والأولياء والصالحين
لقد نسب هذا إلى الإمام ابن تيمية وإلى تلاميذه ، كما لا يزال ينسب إلى

كثير من العقلاء والمصلحين في الهند وغيرها حتى ممن ليست لهم أى صلة
بنجد وأهلها

إن منشأ هذه النسبة هو أن النجديين استناداً إلى حديث « لا تشد الرحال
إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » ، يرون
أن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يعملها أحد من الصحابة
أو التابعين ولم يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق ابن تيمية وابن
عبد الوهاب طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين بهذا الرأي

(٢) إن النجديين يمنعون استقبال قبر الرسول عند الدعاء ، كما يمنعون
السجود عند قبره وقبر غيره ، ويمنعون التمسح والترغ عند القبر ، كما يمنعون كل
ما من شأنه الاستغائة أو الطلب مما شاع عمله عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقبور الصالحين في مصر و بغداد والهند وكثير من الأمصار

(٣) هدم القباب والأبنية المقامة على القبور وإبطالهم لسائر الأوقاف التي
رصدت على القبور والأضرحة

(٤) إنكارهم على البوصيرى قوله في البردة :

يا أكرم الخلق مالى من أؤذبه سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله : « ومن علومك علم اللوح والقلم »

وقوله :

إن لم تكن فى معادى آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
فإن هذا القول مجازفة وغلو ، وفيه مخالفة صريحة لنصوص القرآن والأحاديث
الصحيحة ، وهم فوق هذا يعتقدون أن من اعتقد هذا على ظاهره فهو مشرك
كافر ، فاتهمهم خصومهم بكرهية النبي ونسبوا إليهم أقوالاً هم أبرياء منها ، نسبوا
إليهم القول بأن العصا خير من النبي إلى غير ذلك من التهم غير الصحيحة . ولقد

سمعت في نجد أن حكام نجد الشمالية أثناء خصومتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأتراك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها : لا إله إلا الله محمد رسول (بمخلف ميم محمد) أى لأحد رسول الله ، وهذا كله تنفير للأتراك من خصومهم ، وهم يعلمون حق العلم ان هذا كذب

ولقد حضر إلى مكة أثناء الحرب الحجازية النجدية في سنة ١٩٢٥ م بعض أفاضل السنغاليين وتَطَوَّان ، وكانوا أثناء حديثهم سيكون لشدة تأثرهم ؛ لقد أخبرونا أنهم سمعوا في الإسكندرية أشياء كثيرة تنسب إلى النجديين لم يجدوا لها أثراً في الحجاز ، لقد سمعوا من بعض الناس أن الوهايين هدموا الكعبة لأنها حجر ، وسمعوا أنهم في الأذان يقولون أشهد أن لا إله إلا الله فقط ولا يقولون وأشهد أن محمداً رسول الله

إن النجديين أحرص الناس على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم يكرهون الغلو ويقاومون البدع مهما كان نوعها ، ومهما كان الدافع لها ، ويقولون إن المحبة هي الاهتداء بهدى الرسول وأتباعه ، أما الابتداع وتعطيل الشريعة وتقديم الأهواء فهو كراهة لا محبة ، وفي القرآن الكريم « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني »

ومما ينسب إلى أهل نجد تكفيرهم من عداهم ، وهو بلا شك تزوير من خصومهم ، وإن وقعت بعض أشياء من بعض جفاة الأعراب والجهال فليس من الإنصاف أن ينسب ذلك إلى أهل نجد

أما الشيخ ابن عبد الوهاب وتلاميذه فإنهم لا يكفرون من صحت ديانتهم ، واشتهر صلاحه وحسنت سيرته وإن أخطأ في بعض المسائل ، ولكنهم يكفرون من بلغته دعوة الحق ووضحت له الحجة وقامت عليه وأصر مستكبراً ، هذا في الأفراد ، أما في البلاد (ما يعتبر منها بلاد إسلام وبلاد كفر) فإننا نقبس ما كتبه

العلامة الشيخ حمد بن عتيق من رسالته التي وضعها عن مكة : هل هي بلاد كفر أو بلاد إسلام ؟ هنالك أصلان لاعتبار البلد مسلمة :

(١) التوحيد : وهو أن يكون الله معبود الخلائق لا سواه ، والتوحيد

لا يصح مع وجود الشرك

(٢) طاعة النبي في أمره وتحكيمه في دقيق الأمور وجليلها وتعظيم شرعه

ودينه والإذعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه

فإذا تحقق وجود هذين الأصلين علماً وعملاً ودعوة وكان هذا دين أهل البلد ،

أى بلد كان ، بأن عملوا به ودعوا إليه ، وكانوا أولياء لمن دان به ، ومعادين لمن

خالفهم ، فهم موحدون

أما إذا كان الشرك فاشياً مثل دعاء الكعبة والمقام ودعاء الأنبياء والصالحين ،

وفشا مع ذلك الربا والظلم ، ونبتت السنن ، وفشت البدع والضلالات ، وصار

التحاكم إلى الظلمة ، وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة ، فلا شك أن هذا

البلد يعتبر بلد كفر ولا عبرة بالصلاة والحج والصوم والصدقة

إن التوحيد قد تقرر في مكة بدعوة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، واستمر

أهل مكة عليه ردهاً من الزمن ، ثم فشا فيهم الشرك فصاروا مشركين وصارت

بلادهم بلاد شرك ، مع أنهم قد كانوا على بعض أشياء من الدين ، فكانوا يحبون

ويتصدقون على الحجاج وغير الحجاج

أثر التمسك بالشرعية الإسلامية في الحياة العامة

وأثر الانصراف عنها

إن العقيدة الراسخة عند النجديين أمرائهم وعلماؤهم : أن الله مكنهم في جزيرة

العرب ، وأن سلطانهم في تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة وإظهار دين الله ،

وجعل سلطان التوحيد في الجزيرة هو السلطان الأول ، وإزالة كل أثر من
آثار الشرك

ولقد قال الإمام سعود في خطبته بعد دخوله مكة سنة ١٢١٨ هـ : إنا كنا
من أضعف العرب ، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه ، وكل يهزأ بنا
ويقاتلنا

ولا يزال الملك عبد العزيز في كل مناسبة يشير إلى هذا ذكراً فضل الله عليه
وعلى أجداده من قبل ، وأن ما وقع على آل سعود في أيامهم الأولى لم يكن إلا
عقوبة من الله لتهاونهم في أمر المحافظة على الدين والانصراف إلى أمور الدنيا
ولذا فإن المشايخ من وقت لآخر ما زالوا يقدمون النصيحة لإمامهم ويوصونه
بالمحافظة على الدين ، والأخذ على أيدي المتهاونين إذا رأوا شيئاً من التراخي والتهاون
من ذوى النفوذ والسلطان

ففي أيام الإمام فيصل كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وولده الشيخ
عبد اللطيف لا يتوانيان عن النصيحة ولفت نظره إلى عماله ورعاياه ، وتذكيره
بعاقبة التفريط ، وإن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .



المراجع العربية

- أخبار مكة للأزرق
تقويم البلدان
معجم البلدان
رحلة ابن بطوطة
رحلة ابن جبير
القاموس المحيط
تاريخ ابن غنام
تاريخ ابن بشر
لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب « نسخة خطية بالملكية الملكية البريطانية »
مقدمة ابن خلدون
تاريخ الخبرتي
الغنى والشرح الكبير
فتح الباري شرح صحيح البخاري
مجموعة المسائل والمسائل النجدية
تاريخ مكة
العقد الثمين
الاعلام باعلام بلد الله الحرام
تاريخ العصامي
مسالك الأبصار
- لأبي الفداء
لياقوت الحموي
للفيروزبادي
« نسخة مخطوطة بالملكية الملكية البريطانية »
مطبوع بمكة
« نسخة خطية بالملكية الملكية البريطانية »
للسيد دحلان
للفاسي
لقطب الدين المسكي
لابن فضل الله العمري

الكتب الانجليزية

- Travels through Arabia M. Niebuhr 1792 Vol 2
Nates on the Beduins and Wahabiays J. S. Burckhardt 1831
Vol 1
Travel in Arabia J. S. Burckhardt 1829 Vol 2
A. Brief History of Wahaby sir H. J. Brydges 1834 (One Vol)
Historical Geography of Arabia. C. Fastee 1844 (Two Vol)
Central and Eastern Arabia. W. G. Palgrane 1877
The Southern Arabia J. T Bent 1900
The Penetration of Arabia. T. G. Hagarth 1904
History of Arabia Andrew Crichton 1833 (Two Vol)
The Heart of Arabia)
Arabia of the Wahhabis) H. stj B Phiby
Arabia Deserta Charls Daughty
In unknown Arabia. R E Cheesman 1926 (One Vol)
The Persian Gulf Sir A. Welson 1928 (One Vol)
Revolt in the Arabia T. E. Lawrance 1927
The independen Arab young 1933
Northern Negd A. Mucil 1928
Hand book of Arabia 1920

وهذا غير المجلات والصحف

ذيل

خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في مواضع من الكتاب

المعاهدة الانجليزية مع ابن السعود

في ٢ كانون أول (يناير) سنة ١٩١٥ ميلادية

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الحكومة البريطانية من جهة ، وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود أمير نجد والاحساء والقطيف وجبيل وجميع المدن والمرافئ التابعة لهذه المقاطعات من جهة أخرى

الحكومة البريطانية باسمها وعبد العزيز باسمه وباسم ورثته وأخلافه ورجال عشيرته ، عينت الحكومة البريطانية الكولونيل السير برسي كوكس معتمداً في سواحل خليج العجم مفوضاً لأجل أن يعقد معاهدة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن فيصل السعود ضمن المقصد الآتي :

توطيد وتوكيد الصداقة الموجودة بين الطرفين منذ زمن طويل وتأييد منافعهما المتقابلة : ان الكولونيل السير برسي كوكس وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود المعروف بابن السعود اتفقا وتعاقدا على المواد الآتية :

أولاً : إن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجداً والاحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها التي تعين هنا ، والمرافئ التابعة لها على سواحل خليج العجم — كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وآبائه من قبل وهي تعترف

بابن سعود حاكماً مستقلاً على هذه الأراضى ورئيساً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأعقابهم الوارثين من بعده على أن يكون خليفته منتخباً من قبل الأمير الحاكم ، وأن لا يكون مخاصماً لإنجلترا بوجه من الوجوه أى أنه يجب أن لا يكون ضد المبادئ التى قبالت فى هذه المعاهدة

ثانياً : إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضى ابن سعود أو أعقابهم من بعده دون إعلام الحكومة البريطانية ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخبرة مع ابن سعود لأجل تسوية الخلاف ، فالحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد هذه الحكومة ، وفى مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن سعود أن تتخذ تدابير شديدة لأجل محافظة وحماية منافعه

ثالثاً : يتعهد ابن سعود أن يمتنع عن كل مخبرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فإنه يتعهد بإعلام الحكومة عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على الأراضى التى ذكرت آنفاً

رابعاً : يتعهد ابن سعود بصورة قطعية أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الأراضى التى ذكرت آنفاً ، ولا يمنح امتيازاً فى تلك الأراضى لدولة أجنبية أو لتبعية دولة أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية وأنه يتبع نصائحها التى لا تضر بمصالحه

خامساً : يتعهد ابن سعود بأن يبقى الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة مفتوحة وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم إلى الأماكن المقدسة ورجوعهم منها سادساً : يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل فى أرض الكويت والبحرين وأراضى مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية إنجلترا والذين لهم معاهدات معها

سابعاً : الحكومة البريطانية وابن سعود يتفقان فيما بعد بمعاهدة على التفاصيل التى تتعلق بهذه المعاهدة

المعاهدة العقودة

بين السيد الإدريسي وبريطانيا العظمى

في ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٥

- (١) إن هذه المعاهدة التي هي معاهدة صداقة وولاء قد وقع عليها الماجور جنرال شو Shaw المعتمد في عدن باسم حكومة بريطانيا العظمى والسيد مصطفى ابن السيد عبد الله باسم حضرة السيد محمد علي بن محمد بن أحمد بن ادريس — السيد الإدريسي وأمير « صبيا » وأطرافها
- (٢) المقصد من هذه المعاهدة هو اعلان الحرب على الأتراك وتوطيد عرى الصداقة ما بين حكومة بريطانيا والسيد الإدريسي المذكور آنفاً وأعضاء قبيلته
- (٣) الإدريسي يتعهد بقتال الترك وأنه سيجتهد لطردهم من مواقعهم في اليمن وأن يتعقبهم ، وله أن يوسع أراضيه على حساب الأتراك
- (٤) عمل السيد الأساسي يتجه ضد الترك فقط ويمتنع عن كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى ما دام هذا لا يضع يده بيد الترك
- (٥) تتعهد الحكومة البريطانية بالحفاظة على أراضى السيد الإدريسي من كل اعتداء يقع من قبل أى عدو كان على السواحل ، وبضمانه استقلاله في أراضيه الخاصة ، وباستعمال كل الوسائل السياسية عند ختام الحرب في سبيل تأليف مطالب السيد الإدريسي مع الامام يحيى أو أى خصم آخر
- (٦) إن الحكومة البريطانية لا تقصد توسيع أراضيا في غرب البلاد العربية ، ولكنها تننى بصورة صريحة أن ترى رؤساء العرب في حالة سلمية وأخوية ، كل منهم في منطقته وكل موال للحكومة البريطانية
- (٧) إنه كدليل على تقدير الحكومة البريطانية للأعمال التي سيقوم بها

السيد الإدريسي فهي ستعاونه بالمال والمؤونة ، وتستمر على معاوته طول الحرب ،
وستكون هذه المعاونة متناسبة مع ما يقوم به السيد الإدريسي من الأعمال

(٨) تسمح الحكومة البريطانية للإدريسي أثناء الحصار البحري المضروب
على سواحل تركيا في البحر الأحمر أن يتاجر مع عدن وسواحلها ، وهي تضمن
استمرار هذه الحالة ما دامت العلاقات الحسنة موجودة بين الطرفين

(٩) تكون هذه المعاهدة نافذة المفعول على أثر موافقة الحكومة الهندية عليها

يوم الجمعة ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٥
الموافق ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٣

التوقيع

B. G. L. Shaw
معمد بريطانيا في عدن

التوقيع

السيد مصطفى بن السيد عبد العلى

توقيع

هاردينج

حاكم الهند العام

ملحق : تعطى جزيرة فرسال للإدريسي منعاً لمطالب إيطاليا

معاهدة سايكس بيكو سنة ١٩١٦

ترجمة عن الانكليزية

قد تم التفاهم بين كل من الحكومتين الفرنسية والبريطانية

(١) إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا بحكومة عربية مستقلة أو حكومات عربية متحدة أو مستقلة أو تؤيداها في الأماكن المشار إليها بحرف (A) وحرف (B) على الخريطة الملحقة بهذا ، وأن تكون هذه الحكومة أو الحكومات تحت سيادة زعيم عربي ، وأن يكون لفرنسا في المكان المشار إليه بحرف (A) ولبريطانيا العظمى في المكان المشار إليه بحرف (B) أولية الحق في المشاريع والقروض المحلية ، وأن كلا من فرنسا في حرف (A) وبريطانيا في حرف (B) تقدم وحدها المستشارين والموظفين الأجانب الذين تطلبهم الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة

(٢) يسمح لكل من فرنسا في المنطقة الزرقاء وبريطانيا في المنطقة الحمراء أن تنشئ من الادارة أو الحكومات مباشرة أو غير مباشرة ، ما تريد أو ما ترى تدبيره موافقاً مع الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة

(٣) أن ينشأ في المنطقة الخضراء إدارة دولية مشتركة يقرر شكلها بعد استفتاء روسيا أولاً ، ثم استفتاء الحلفاء الآخرين واستفتاء مندوبي شريف مكة

(٤) أن يعطى لبريطانيا العظمى ثغر حيفاء و ثغر عكاء ، ويضمن لها المقدار الكافي من مياه دجلة والفرات في منطقة (A) لإرواء منطقة (B) وتتعهد حكومة جلالة الملك أن لا تخبر في زمن كان دولة من الدول للتنازل لها عن جزيرة قبرص بلا موافقة حكومة فرنسا

(٥) تكون الاسكندرونة ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة الامبراطورية

البريطانية ، وأن لا يكون فيها تمييز في تعيين ضرائب الميناء أو التسميلات فيما يتعلق بالبضائع أو السفن البريطانية ، وأن يكون للبضائع البريطانية حرية المرور في الاسكندرونه وفي سكك الحديد التي في المنطقة الزرقاء سواء كانت هذه البضائع صادرة عن المنطقة الحمراء أو المنطقة حرف (B) أو المنطقة حرف (A) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البضائع البريطانية على أية سكة حديد كانت أو ضد البضائع البريطانية والسفن البريطانية في أى ميناء من الموانى المذكورة سابقاً لهذه المناطق ، وأن تكون حيفا ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة فرنسا وممتلكاتها ومحيطاتها ، وأن لا يكون فيها تمييز بتعيين ضرائب الميناء أو التسميلات فيما يتعلق بالسفن الفرنسية والبضائع الفرنسية ، وأن يكون للبضائع الفرنسية حرية المرور في حيفا وفي السكك البريطانية التي في المنطقة الحمراء سواء كانت هذه البضائع صادرة عن المنطقة الزرقاء أو المنطقة حرف (A) أو المنطقة حرف (B) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البضائع الفرنسية على أية سكة حديد كانت ، أو ضد البضائع والسفن الفرنسية في أى ميناء من موانى المناطق المذكورة آنفاً (٦) أن لا تمتد سكة حديد بغداد جنوباً في منطقة (A) إلى ما وراء الموصل ولا تمتد شمالاً في منطقة (B) إلى ما وراء سامرى إلى أن يتم إنشاء سكة حديد تصل ما بين بغداد وحلب في وادى الفرات وذلك بموافقة الحكومتين (٧) أن يكون لبريطانيا العظمى وحدها الحق بأن تنشئ وتدبر وتملك سكة حديد توصل حيفا بالمنطقة (B) ويكون لها الحق الدائم في نقل الجيوش عليها في أى وقت كان . والمفهوم بين الحكومتين أن هذه السكة هي لتسهيل المواصلات بين بغداد وحيفا . والمفهوم أيضاً أنه إذا حالت الصعوبات الهندسية والنقعات دون انشاء هذا الخط في المنطقة الحمراء وحدها فان الخطوط الآتية هي : بانياس .

نيس معرب . صلخد . تذا . صدى ومسمية تصل إلى المنطقة (B)

(٨) تبقى الرسوم الجمركية معمولاً بها عشرين سنة في جميع أنحاء المنطقتين الزرقاء والحمراء كذلك في المنطقة (A) والمنطقة (B) ، ولا تزداد الرسوم إلا بعد اتفاق الحكومتين

ولا تضرب رسوم داخلية تكون عاتقة بين المناطق المذكورة آنفاً . أما الرسوم على البضائع الواردة فتؤخذ في الميناء التي تصل إليها البضائع ، وتسلم إلى حكومة المنطقة الواردة إليها

(٩) لا يجوز للحكومة الفرنسية في أي زمن من الأزمان أن تخبر دولة ثانية في أمر التنازل لها عن حقوقها ، ولا يحق لها التنازل عن هذه الحقوق لغير الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة إلا إذا وافقت الحكومة البريطانية على ذلك . وعلى الحكومة البريطانية مثل هذه الجهود للحكومة الفرنسية فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء

(١٠) تتعهد كل من حكومة فرنسا وحكومة بريطانيا العظمى أن لا تمتلك أرضاً في جزيرة العرب ، وأن لا توافق على امتلاك دولة ثالثة لأرض هناك سواء كان ذلك على السواحل الشرقية منها أو جزر البحر الأحمر على أن هذا لا يمنع من تعديل حدود عدن بسبب اعتداء الترك

(١١) أن المخبرات مع العرب لوضع حدود للحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة يستمر كما كان بالنيابة عن الحكومتين الفرنسية والبريطانية

(١٢) قد وقع الاتفاق على أن الوسائل اللازمة للسيطرة على توريد السلاح إلى الأراضي العربية تستشار فيها الحكومتان

كتاب من أمير نجد إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جناب الأجل الأنعم يمين الشيم أمير مكة المكرم سيدنا الشريف
حسين باشا بن السيد على دام مجده وعلاه آمين

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن
شريف خاطركم العاطر لا زلت بكال الصحة والسرور حازين الأوصاف الحميدة .
أحوالنا من كرم الله جميلة ، وتقدم لسعادتك قبل هذا كتاب نرجو أنه وصل وأتم
مسرورين . ثم نعرض لدولتكم العزيز أنه بموجب شفقتكم وعلو هممكم وأنظاركم
العالية قدمنا أخينا عبد العزيز عبد الله السعود لموجب خدمتكم وأحببنا المصاوغه
معه لموجب التبرك بإقدامكم ، وأرسلنا معه الصقلاوية والحمداني وكحيلان ، ولا والله
قصدنا في إرسالها لأنكم بحاجة ولا شك في غايتنا نبي تقرب أنفسنا منكم
فاننا هنا حاسبين أنفسنا من خواصكم ، والله ثم لكم ، وإلا هديتنا لحضرتكم
رءوسنا وما تحت أيدينا ، ولكنها هي صوغه للأولاد والكرام ، وحررنا هذا
الكتاب لموجب التعرض لخدمتكم وما يبدو منه اللازم وإلا أمرك علينا تام على
كل حال ، ومهما تفعلونه معنا وتحطون أنظاركم علينا تجدون إن شاء الله مضاعفاً
بالخدمات والسمع والطاعة . هذا ما لزم تعريفه والولد برسم الخدمة مع إبلاغ السلام
حضرة الإخوان السادات الكرام على وفيصل وزيد ، ومن عندنا أولادنا محمد
وسعود وكافة السعود يسلمون ودمتم محروسين ما

١٨ ن سنة ١٣٢٨

خادم الدولة والملة والوطن
أمير نجد ورئيس عشائرها
عبد العزيز السعود

(ختم)

من أمير نجد الى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جناب الأجل الأجد الأنعم بهي الشيم أمير مكة المكرمة سيدنا
الشريف الحسين باشا ابن السيد على دام مجده وعلاه آمين
بعد إهداء مزيد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال
عن شريف خاطركم العاطر لازلتم بكال الصحة ووافر السرور حائزين الأوصاف
الحميدة ، أحوالنا من كرم الله جميلة بأشرف وقت أخذنا مشرفكم المكرم فسرنا
ما تضمنه من صحة أحوالكم واعتدال أوقاتكم ، وما عرف جنابكم كان لدى ابنكم
معلوم مخصوصاً ما عرف جنابكم من جهة عتيبه والقصيم وانهم يلقون إليكم من
الأكاذيب الذي ليس لها حقيقة ، ويتظاهرون عند حضرتكم فنحن نقول عما قالوا
سبحانك هذا بهتان عظيم ، فأما من جهة نظركم علينا وعليهم فهذا هو شأن مثلكم
وهو مقامكم العزيز ، ونحن متيقنين إن حنا بأنفسنا أقرب منهم ومن غيرهم
لسعادتكم وأذني جواب يصدر منكم إلينا بمنع السو عنهم إذا كان صادر من شيء
فنحن نتمثل به لموجب رضا الله ثم لخدمة سعادتكم مع ما إني ما والله أعلم أن أحد
من أهل نجد يطلب مني مثقال حبة من خردل من ظلم إلا إن كان عدو ضعيف
جاني وبلجنايته سبب ، وقول العدو ما يؤخذ في عدوه ، وإلا أدام الله وجودكم نجد
يوم جيته ما فيه من جميع مأموريته أحد كلها مناصيب لابن رشيد ، وولانا الله
عليه بهداية الله ثم هدايتكم ، وأمرنا كل في منصبه ؛ فمنهم من أطاع واستقر وإلى
الآن بمكانه ، ومنهم من ظلم الرعية وبنا غدر وأعانا الله عليه وأحسننا فيه ، فالآن
ابنكم وخادمكم ومملوك فضلكم ثاني نفسه سامع مطيع لله ثم لخدمتكم لأذني واحد
من أهل القصيم أو من عتيبه يدعى على بأذني شيء منه ظلم فكجا تأمرون افعل امتثالاً

لأمر الله ثم أمركم ، وجميع ما زوروه على حضرتكم دواء الكذب المقابل ؛ فإن كنت المجرم فأنا تحت أمركم كما تأمرون افعل ومصطبر لأدبكم فان كانوا هم الكاذبين وتحقق عند جنابكم ذلك ، فنحن قد دحنا لهم من الزلات أكثر وحقنا على جنابكم أن تكونوا على حذر من أقوال الغاشين للإسلام والمسلمين ، وأنا والله وبالله وتالله إن رضاكم وامثال خدمتكم عندي أعز من رضا عبد الرحمن وخدمته ، ثم أنا معطيكم عهد الله وأمان الله ، أني ولد لك سامع مطيع ما أخلف شوفتك في جميع أمر ، وأنا تحت أمركم إن كان تريدون المكافحة بيني وبين المزورين في أي وقت تبونه أحضر ، فان كان تحبونه من بعيد فالمرجة بيننا ونحن تحت تدبير الله ثم تدبيركم ، وإنما لا يزورون على حضرتكم أني مستغزى أهل نجد قصدي محاربتكم أو مكابرتكم لا والله لا والله لا والله إني ما استغزيتهم إلا لموجب بني خينا وبعض الفساد إلى ما يخفى جنابكم . ولا يقطع عقلكم أن قدومي بها المحل قصدي محاربة أو أمر يغضب خواطركم إلا إنما هو تقرب لخدمتكم وعن البعد الذي يحصل به الاتحاد للأعداء ، ويزورون أعظم مما زوروا سابق ، واجبنا تعجيل الطارش لموجب رد جوابكم العزيز ، ونحن بانتظار تدبير الله ثم تدبيركم ، وتحت الأمر هذا ما لزم . والرجاء ابلاغ سلامنا الاخوان السادات الكرام ومن عندنا أولادكم محمد وسعود ، وكافة السعود يقبلون أياديكم ودمتم محروسين ما

١٥ ل سنة ١٣٢٨

خادم الدولة والملة والوطن
أمير نجد ورئيس عشائرها
عبد العزيز السعود

(ختم)

مشروع الوحدة العربية كما يفهمها الملك حسين

(صورة وثيقة)

الأساسات المتعلقة بنجد التي يتمكن معها سكون البلاد وصياتها من كل موانع الترقى والسعادة والفلاح المطلوبة لها حسب فكري المخصوص ، فالأصل الأصيل الذي يمكن قبله تقرر عمل هو تفريق سكان الغطف والارطاوية والفروثى وفريثان ونحوهم من المنازل التي يسكنها الزمرة الموسومة بالإخوان الحادثة من سنتين التي هي عبارة عن معسكرات ، وقبل هذا والتعهد به أى بتفريق سكنة تلك المنازل ، وأن كل شخص يذهب إلى قبيلته المنسوب إليها لا ثمره لأى عمل كان كما أشير برقيمنا ١٢ الحجة سنة ١٣٣٦ هـ ، ومع ذلك فعلى سبيل المعلومات والتسهيل لا بأس من الإتيان بما سيدكر أدناه على وجه الاختصار

- (١) الأحكام بكتاب الله وسنة رسوله
- (٢) أمراء نجد يكن تعيينهم على تعاملهم وقاعدتهم الجارية المعروفة
- (٣) لغو الضريبة التي تؤخذ على جمال المتسعة بصورة كلية وهو المعروف بالباج
- (٤) أمير نجد له حق تعيين صنوف المأمورين في داخل إمارته
- (٥) لاحق لأمير نجد أن يخبر أى دولة كانت في أى مسألة كانت بأى شكل وصورة ، وهذه أيضاً من حقوق المركز وعائد إليه ، وتكن برأيه وواسطته واستحسانه

(٦) الحدود من الجنوب والجنوب الشرقى والغربى الجبل المعروف بالعرض وما سامته والشقرا ومسكة وتربه ووادى الدواسر تكن جميعها تابعة للمركز ، والغرب والغرب الشمالى حدود عنيزة والقصيم والشمال والشرق معلومة

- (٧) القبائل السهول وسبيع الأسفلين تابعون للمركز
- (٨) لا يمنع القبائل التابعين للمركز ولا سواهم من أى أرض يحتلوها للرعى

أو أن يمتاروا من أى قرية من القرايا التابعة لأمير نجد وإن وقع من القبائل
المدكورة تعدى فى الحال يرفع خبره للمركز لاجراء مقتضاه

(٩) أمثال أوامر المركز وتنفيذها فى حق من يرد إلى داخل حدود الإمارة
المدكورة ممن لم يكونوا من أهلها

(١٠) كل من يرد من أهالى نجد إلى المركز أو إلى أى بلاد فى داخلية
المملكة يعاملوا بمثل معاملة أهالى تلك البلاد فى كل شئونها

(١١) المحافظة على كل حقوق وكافة معاملات من يكونوا فى الخارج من
أهالى نجد أى فى بلاد أجنبية فهى عائدة للمركز ومن حقوقه

(١٢) المركز يتعهد بحفظ كيانه وصيانة أدنى حقوقه من كل تعدى

(١٣) يجتنب بكل حذر واهتمام ما يوجب القلاقل والشغب فى داخلته
أو فيما جاوره من المملكة

هذا يكن دستوراً لكافة الأمراء ومن يكونوا أمثال أمير نجد على أن

الإدريسى حدوده قضاء صبية المعروفة فى زمن الترك ، وكذا إمام صنعاء ما كان

يتصرف فيه من الأراضى فى زمنهم هذا ملخصه . ولكل من تأمل مسلكى

وخطى فى ظرف هذه الأعوام نحو الإمارة المدكورة رغماً عن عجرفاتها وخطى عند

ما توجهت لأبها ، ونهج ابنى فيصل على ذلك الأثر عند توجهه إلى تهائم عسير

لعين تلك الغاية التى توجهت إليها يدرك لأول وهلة سلامتنا من شوائب المقاصد بما

تدون أعلاه . أما عنيزة والقصيم أى بريدة وملحقاتها فلهم الرأى ينتخبوا ابن سعود

للاتحاق به أو ابن الرشيد أو يكونوا مستقامين على أنفسهم الخيار لهم فى ذلك ، ولزيادة

الاقناع والسلامة من الشوائب فانهم إذا انتخبوا المركز فهو لا يقبلهم وعلى أى حال

فهم تحت ما ذكر من الشرائط على أن مسألة تفريق سكان الغطف والارطاوية

القرايا المدكورات أعلاه من أمهات المواد المتعلقة بقبول البقاء فى رياسة البلاد ما

صورة بلاغ من المعتمد البريطاني بجدة

عما أشاعه الأتراك من تقسيم البلدان العربية

جدة في ٨ فبراير سنة ١٩١٨

جلالة صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم بعد بيان ما يجب بيانه من الاحترام والتوقير ، قد أمرني جناب فخامة نائب جلالة الملك أن أبلغ جلالتم البرقية التي وصلت إلى فخامته من نظارة الخارجية البريطانية بلندن ، وقد عنوتها حكومة جلالة الملك ملك بريطانيا العظمى باسم جلالتم ، وهذا نصها بالحرف الواحد :

إن الرغبة والصرحة التامة التي اتخذتموها جلالتم في إرسالكم التحريرات التي أرسلها القائد التركي في سوريا إلى سمو الأمير فيصل وسمو الأمير عبد الله إلى جناب نائب جلالة الملك كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ، وإن الإجراءات التي اتخذتموها جلالتم في هذا الصدد لم تكن إلا رمزاً يعبر عن تلك الصداقة والصرحة التي كانت دائماً شاهد العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ، ومما لا يحتاج إلى دليل أن السياسة التي تنسج عليها تركيا هي إيجاد الارتباب والشك بين دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم إرشادات جلالتم قد بذلوا الهمة الشماء ليظفروا بإعادة حريتهم القومية . إن السياسة التركية لا تفتأ تغرس ذلك الارتباب بأن توسوس للعرب أن دول الحلفاء يرغبون في الأراضي العربية وتلقى بأذهان دول الحلفاء أنه يمكن إرجاع العرب عن مقصدهم ، ولكن أقوال الدساسين لن تقوى على إيجاد الشقاق بين الذين اتجهت عقولهم إلى فكر واحد وغرض واحد

إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاها مازالت واقفة موقف
الثابت لكل نهضة تؤدي إلى تحرير الأمم المظلومة وهي مصممة أن تقف بجانب
الأمم العربية في جهادها ، لأن تبنى عالماً عربياً يسود فيه القانون والشرع
بدل الظلم العثماني ، ويتحد التنافس الصناعي الذي أحدثته الصفات الرسمية التركية
إن حكومة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير
الأمم العربية ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك
التحرير وتقصد أن تستمر عليه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين
تحرروا من السقوط في وهدة الدمار ، وتساعد الذين لا يزالون تحت نير الظالمين
ليناألوا حريتهم

وفي الختام أتمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحتشامات والتنيات ما

نائب المعتمد البريطاني بجمدة
الكولونيل باست

صورة ما تحرر لفخامة نائب الملك بمصر

من الملك حسين وشرح أغراضه من الثورة العربية

ما رأيته خصوصاً بهذا الاثناء عن اعتناء فخامتكم وتأكيدها في إزالة أسباب دواعي سوء التفاهم الذي لا ارتاب بأن المقصود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثير حسيات مخلصكم خاصة لذا ولما تكون المواد البسيطة أيضاً من ذلك المعنى رأيت أن أتبين من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع عظمتها في النهضة وما بنيت عليه من مواد الاتفاق المقدم طيه بيانها بأني ما طلبت للبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طلبته من المواد التي تعهدت عظمتها بها رغبة مني في تأسيس حكومة أو تشكيل دولة لاستأثر بحاكميتها أو حرصاً على جاهها أو رياستها، ولكن عند ما دعنتي بريطانيا إلى ما دعنتي إليه، وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضاً تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة لم يسعني إلا الإجابة وطلبها أقله تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي :

أولاً — لحفاظة الكيان الإسلامي بالنظر لما حل وما سيحل بتركيا

ثانياً — صيانة العظمة البريطانية من الاستهداف مما سترمي به عكس مقاصدها

ثالثاً — سلامتي من الاتهام بالتواطؤ معها ضد الأساس المقصود بالنهضة

نعم إنني لم أجد من جناب الفاضل الأديب المستر استورس عند اجتماعي بحضرته في السنة الأولى بمجدة، ثم بعده بحضرة الشهم الهام السير مارق سايكس ثم في السنة الماضية بالقمندان الهام هوغارت الموقر ما يشير إلى ما يخالف أو يخل بتلك المقررات غير أن ما في طبيعة مشروعنا وتتماته الحياتية من الرقة وما يتصادف من بعض حالات يستدعي سياقها زيادة تعين الأمر وتأكد الحقيقة عن الحدود

فقط وإلا باقى المواد ، فانا نعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكراً يملأ اخلاقيين خصوصاً أمر الاعانة عما لو فهمت الغلط فى مقرراتنا المذكورة أساساً ، أو حدث ما يوجب تعديلها الأمر الذى لا أقول إنه يمس كيان العالم الإسلامى ، ولكن أظن وبعض الظن اثم أنه لا يخلو من شىء من ذلك هذا على فكرى الخصوصى فمتى أضفنا عليه تظاهر عجزى بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتحتم على الانسحاب من الأمر والتنازل عنه ، لاعتقادى الشخصى أن تعديل مقرراتنا المذكورة ، بصرف النظر عما فى إخلاله بالغايات المقصودة وعرضتنا لحذر موادنا الثلاثة آفة البيان وطمس صحيفة تاريخى ، فهو يزيل ويسقطنى من ثقة واعتماد بلادى وأقوامى الأقر بين ، حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التى أعلنتها لهم ، وصرحت به شفاهاً وتحريراً فى ظرف هذه المدة وأسست عليه الأعمال ، وأكون خدعت نفسى وغششتكم يا أصدقائى بما وراء هذا من اضطراب البلاد بالفتن والثورات ونحوه ، مما لا يمكن لى معه حتى الاستفادة لذاتى وما يزيل كل ظن حكومة جلالة الملك بى ، وأكيد إخلاصى يجبرنى أن أقول من الآن إن مبادئ هذه الخطرية على وشك التحسس بها بالنسبة للطلبات المتكررة المختلفة عن أمرهم بإعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أدفعهم به إلا قولى إن استقلالى هو استقلال عموم أنحاء البلاد ، ولكنهم يقيموا الحجة على دفعى هذا بأوجه آخر ، وعليه فإن كان ولا بد من التعديل فلالى سوى الاعتزال والانسحاب ، ولا اشتبه فى مجد بريطانيا بالأى يتلقى هذا منا إلا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد عرضى أو فكر عرضى ، وإنها لا ترتاب فى أنى وأولادى أصدقائى الذين لا يتغير ولاؤهم وإخلاصهم ، ثم تعينوا البلاد التى تستحسن إقامتنا فيها للسفر إليها فى أول فرصه وإن رأت ذلك ، ولكن مشاكل الحرب الحاضرة تقضى بتأجيله إلى ختامها ؛ فمعرفةا وجميل مكارمها يفرض علينا الثبات أمام ما سيتضاعف علينا من

المهمات ونحوه من العموم مما لا مقاومة لدينا أمامها إلا حسن النية فالأمر إليها .
أما عطف الأمر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة لنا به
ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننتظر منه سلباً أو إيجاباً ، ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف
مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلناها فنحن من المطرودين من رحمة
البارى جل شأنه الرقيب على قولى هذا الذى أتوسل إليه الآن أن يتولانا
جميعاً بعنايات رأفته الأحدية ، وقبول ما أقدمه لفخامتك فى الختام من جزيل
احتشاماتى هو من سجايا شيمكم ما

٢١ ذى القعدة سنة ١٣٣٦

٢٨ أغسطس سنة ١٩١٨

الإعانة الانكليزية

جدة في ١٣ ابريل سنة ١٩١٩ — ١٢ رجب سنة ١٣٣٧

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم
صاحب الجلالة

بعد بيان ما يجب بيانه لجلالتكم من التوقير أتشرف باحاطة علم جلالتكم بأن
حكومة جلالة الملك قد رخصت بدفع مبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه (مائة ألف جنيه)
لإعانة شهر ابريل ، وهذا بتنقيص ٢٠,٠٠٠ جنيه (عشرين ألف جنيه) ، أما
الثمانين ألف جنيه الشهرية فجارى دفعها طبعاً إلى دمشق علاوة على المائة ألف .
ومن حيث هذا التخفيض لا يخفى على جلالتكم أنه عند ما تشرفت بالبحث مع
جلالتكم في مسألة الإعانة في شهر فبراير الماضى قد أخبرت جلالتكم أن حكومة
جلالة الملك رغبت في عمل تخفيض عظيم في إعانة شهر مارس بناء على ما كنتم
جلالتكم قد وافقتم عليه مع ذلك طلبتم جلالتكم أن إعانة شهر مارس يجب أن
تبقى كما كانت بلا تغيير إلا أنكم وعدتم بتنقيص كبير في ابريل فعرضت رغائب
جلالتكم على حكومة جلالة الملك فصارت موافقة خصوصية على صرف إعانة شهر
مارس بتمامها ، مع العلم بأنه كان مفهوماً أن تنقيصاً عظيماً قد عمل لشهر ابريل بناء
على وعد جلالتكم ، وعند ما كنت بمصر كانت حكومة جلالة الملك قد عينت هذا
التخفيض إلى أربعين ألف جنيه ، إلا أن فخامة نائب جلالة الملك رأى أنه لمناسبة
الأحوال الحاضرة يحتتمل أن جلالتكم تفضلون أن يخصم من ابريل عشرين ألف
جنيه فقط ، وقد صارت الموافقة بذلك من قبل حكومة جلالة الملك على شرط أن
جلالتكم تعملون كل سعى لتخفيض مبلغ شهر مايو إلى ثمانين ألف جنيه وأن

تعطوني الميزانية ببيان مطالب جلالتم المتنوعة ، وإني قد أخبرت حكومة جلالة الملك منذ بضعة شهور أن جلالتم قد وعدتوني بالميزانية بعد سقوط المدينة مباشرة وأؤمل أن جلالتم تتمكنون من إعطائي التفاصيل عن الإيراد والمصاريف المنتظرة للحجاز عند ما أتشرف بمواجهة جلالتم قريباً ، وعندئذ أستطيع أن أرفع طلبات جلالتم بصورة فعلية ، وإني سوف أستطيع طبعاً البحث مع جلالتم في جميع التفاصيل ، إلا أن الميزانية المطلوبة من قبل حكومة جلالة الملك لا تشمل مثل تلك المفردات كتصليح الخط والاحتياجات الخصوصية (خلاف الادارية) للمدينة وخلافها التي لا تدخل في ميزانية اعتيادية ولكنها تكون في الواقع ونفس الأمر مختصة بقروض مخصوصة وما شا كل ذلك ، ولا تشمل أيضاً مصاريف الإدارة العربية بدمشق ، لأن تلك الادارة تتناول اليوم مائة وخمسين ألف جنيه شهرياً ، وإني لمتطلع باشتياق لمشاهدة جلالتم ثانياً ، وأرجو الله أن تكونوا جلالتم بصحة جيدة ، وتفضلوا بقبول خالص تمنياتي الطيبة وعظيم احترامي ما

مخلصكم

ولسن باشا

جدة في ١٧ يونيه سنة ١٩١٩. موافق ١٨ رمضان سنة ١٣٣٧
صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم
صاحب الجلالة

بعد بيان مايجب بيانه من التوقير قد اندهشت جداً عند تلقي تحرير جلالتم
نمرة ١٥٣٤ بتاريخ ١٦ يونيه وإني لم أفهم السبب الذي جعل جلالتم تكتبون
أنكم يلزمكم طلب الاستقالة والانسحاب رداً على خطابي بخصوص الإعانة ، وإني
قد أبرقت لجلالتم عند ما اطعت على برقيتكم لسمو الأمير زيد التي تقولون فيها
أن لا إعانة تدفع بعد الشهر القادم ، وذلك أكد لي أن خطابي لم يكن كامل
الوضوح أو غير ظاهر العبارات الأمر الذي أبدى مزيد أسفي عليه . وأن جلالتم
تذكرون أن حكومة جلالة الملك رغبت في تنقيص الإعانة وجعلها ثمانين ألف
جنيه في شهر ابريل الماضي ، وسألتكم عن تفصيلات لميزانية الحجاز ، وقد
أعطيتموني جلالتم ذلك وقد أرسلت إلى لندرة ، وبعد ذلك قررت حكومة
جلالة الملك عدم جعلها ثمانين ألف وصدقت على استمرارها مائة ألف جنيه إلى
نهاية شهر يوليو ، وهذا ما قصدت أبدأه لجلالتم في تحريري ، وهذا لا يدل على
أنه بعد شهر يولييه لم يكن فيه إعانة كما ذكرتم جلالتم في برقيتكم لسمو الأمير
زيد ، وعليه أتمس أمركم بأني أرفع العبارة الخاصة بالإعانة من البرقية ، وإننا اليوم
في وقت حرج ، ولذا أرجو جلالتم رجاء صميماً أن تطرحوا فكرة طلب الاستقالة
في هذا الوقت الذي فيه بلادكم ، وأمر الاسلام في أشد الحاجة لكم ، وأحب أن
أطلب من جلالتم أن تستمروا على انتمائكم لحكومة جلالة الملك ولنفخامة الجنرال
النبي ولنفسى كما فعلتم على الدوام ، وقد طابت نفس هذا الطالب في خطابي بتاريخ
أمس ، فرغماً عن عظيم ارتياحي لاشتغالي لأجل النهضة العربية ، ثم وعظيم سروري
لاشتغالي في هذه السنين كلها مع جلالتم ، كما ورغماً عن افتخاري بتمثيل بريطانيا

العظمى مع جلالتم ، فاني مشتاق للتمكن من القيام للاجازة والاستراحة قليلا ،
ولكن هو واجبي أن أبقى كل ما أمكن من الزمن ، وبذلك أوامل أن أكون
مقدماً بذلك بعض الخدمات الصغيرة لجلالتم ، نعم إنه بعد عناء الثلاثة سنين
الماضية الشديد ، أنا أعلم أنه من المتعب جداً لجلالتم ملاقة هذا الوقت الحرج
الحالي ، ولكنني أطلب من جلالتم طلباً صميماً أن تطرحوا ظهرياً كل فكرة
خاصة بترككم مركزكم العظيم مهما صعبت الوضعية ، ولاشك حيث إن جلالتم
قائد النهضة العربية العظيم بل وحليف بريطانيا العظمى المخلص إذا تنازلتم عن
الأعمال في الآونة الحاضرة كان في ذلك البلية العظمى ، وقد عرفتموني جلالتم
هذا الزمن الطويل ، وأنا على يقين أن جلالتم تعتقدون في صدق اخلاصي ،
وأن هذا الخطاب لم يكتب إلا بكامل الاخلاص المحض ، ومالي إلا أن أرفع أكف
الرجاء إلى حضرة ذى الجلال أن يمن على جلالتم بالقوة والمقدرة على الاستمرار
على العمل . وفي خاتمة خطابي أتمس قبول خالص تمنياتي وعظيم احتشاماتي القلبية
انخالصة ؟

مخلصكم

ولسن باشا

مذكرة المستر لويد جورج

رئيس الوزارة البريطانية

عن الاحتلال المؤقت لسورية وفلسطين والعراق ريثما يبرم أمر الانتداب

- (١) تتخذ التدابير اللازمة حالاً لانجلاء الجنود البريطانية عن سورية وكيليكية ومن جعلتها نفق جبال السلسلة (طوروس)
- (٢) لقد أعلن كل من الأمير فيصل والحكومة الفرنسية أن في القدرة الشروع في الانجلاء عن سورية وكيليكية في أول نوفمبر سنة ١٩١٩
- (٣) إن المسؤولية في وضع الحاميات في المقاطعات التي يتم إخلاؤها يكون على مقتضى عهود وتصريحات الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية ليس فقط بينهما بل بين كل منهما وبين العرب
- (٤) تستبدل على مقتضى ذلك حاميات سورية في غربي خط (سايكس - بيكو) وحاميات كيليكية بجنود فرنسوية ، وتستبدل حاميات دمشق وحمص وحماة وحلب بجنود عربية
- (٥) إنه بعد انجلاء الجنود البريطانية لا تبقى مسؤولية ما على الحكومة البريطانية ولا على القائد البريطاني العام في المناطق التي أخلتها الجنود
- (٦) المقاطعات التي تبقى فيها الجنود البريطانية هي فلسطين وتكون حدودها مطابقة للحدود القديمة المسماة (دان إلى بئر السبع) ، والعراق ومن جعلتها الموصل فيكون هذا الاحتلال مطابقاً للاتفاق العقود في ديسمبر سنة ١٩١٨ بين الموسيو كليمنصو والمستر لويد جورج
- (٧) إن الحكومة البريطانية مستعدة في أي وقت كان أن تبحث في أمر الحدود بين فلسطين وسورية ، وإذا وقع خلاف بشأن هذه الحدود فالحكومة

البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم (حكم) يعينه الرئيس ولسون
(٨) إنه بمقتضى مبادئ اتفاق (سايكس بيكو) يحق للحكومة الفرنسية
أن تعترض على منح الحكومة العربية للحكومة البريطانية الحق في إدارة وإنشاء
وامتلاك خط حديدي يصل ما بين حيفا والعراق وذلك في طريق تقرر بدل
التخطيط في أى جهة كانت إلى موازاة (دير الزور) شمالاً، ويحق كذلك للحكومة
البريطانية أن تنشئ أنابيب للبتروول ، كما يحق لها إنشاء سكة الحديد ، ويكون
للحكومة البريطانية علاوة على ذلك حق دائم في جميع الأزمنة للقيام بتحسين
التسهيلات للسكة المذكورة والأنابيب وأن تنقل الجيوش على السكة الحديدية ،
ويمكنها أن تتمتع بهذه الحقوق حتى في زمن الحرب ، وذلك بدون خرق حياد
الحكومة الفرنسية والحكومة العربية ؛ وإذا وقع خلاف في رسم الطريق لسكة
الحديد وأنابيب الزيت (البتروول) فالحكومة البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم
(حكم) يعينه الرئيس ولسون

(٩) الحكومة البريطانية تعلن الحكومة الفرنسية والأمير فيصل أن
غايتها الإسراع في الرسم لتجد طريقاً إن أمكن للسكة الحديدية ولأنابيب البترول
في الأراضي التي هي تحت الوصاية البريطانية حتى تجتلب بذلك التمتع بالحقوق
المذكورة آنفاً (أى حتى لا تستعمل حقها في المرور في الأراضي العربية)

(١٠) إنه إلى أن تقرر الحدود بين فلسطين والعراق يكون للقائد العام
البريطاني الحق في احتلال مخافر أمامية على الحدود التي تدعيها الحكومة البريطانية
(١١) لما كانت الحكومة الفرنسية قد اتخذت على عاتقها حماية الشعب
الأرمني فالحكومة البريطانية توافق على إرسال جنود فرنساويين حالاً عن طريق
حرسين والاسكندرونة لهذا الغرض ما

رد سمو الأمير على مذكرة المستر لويد جورج الأولى

« النص »

لندن في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩

حضرة صاحب الفخامة :

لى الشرف بأن أضع بين يدي فخامتكم خلاصة جوابي على المذكرة التي تفضلتم بإعطائي صورة منها يوم الجمعة في ١٩ سبتمبر ١٩١٩ وذكركم أنكم رفعتم للمسيو كلنصو في ١٣ سبتمبر نسخة منها أيضاً ، وكذلك للمندوب الأميركي المستر فولك في ١٥ منه فأقول :

(١) إن هذا الاتفاق الأخير محجف تماماً بحقوق العرب ويخالف ما كانوا يتوقعون من الحكومتين الجليلتين خاصة ومن العالم المتمدن عامة بعد الذي قاموا به من مقاتلة الخلافة وجعل البلاد المقدسة ميداناً للحرب انتصاراً لمبدأ جاهر به الحلفاء رسمياً وفي محافلهم وكتاباتهم الماثورة

(٢) إن العرب الذين جرى الاتفاق على بلادهم وبدون علم منهم البتة لا يمكنهم أن يعترفوا بما وقع ولا أن يتحملوا تبعه الرضى بما يفضى إلى بوارهم على غير ما تم اجترحوه

(٣) إن معاهدة سنة ١٩١٦ التي جعلت دعامة هذا الاتفاق ليست معروفة رسمياً عند العرب ولا هي مما يسوغ أن يعول عليه بعد الذي وقع من اجماع الحلفاء والدول المشتركة على نحو المعاهدات السرية وبعد الذي تلقاه العرب بشأنها من وزارة خارجية جلالة الملك نفسها رداً على اعتراض والذى عليها عند ما وقعت إليه نسخة منها منشورة في جريدة (المستقبل) الباريسية نقلاً عن صحف

الشام التي أذاعها فيها جمال باشا التركي في يونيو سنة ١٩١٨ لإثارة الخواطر ، وهذا نص البرقية :

« إن البولشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بترغراد معاهدة معقودة ، بل محاورات ومحادثات مؤقتة بين إنجلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك ، وذلك قبل النهضة العربية ؛ وإن جمال باشا إما من الجهل أو الخبت غير في مقصدها الأساسي وأهمل شروطها القاضية لضرورة رضى الأهالى وحماية مصالحهم . وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى »

وقد زكى هذا القول المنوط برضى الشعب ومشيئته ما فعلته الدولتان المعظمتان (إنجلترا) و (فرنسا) من تأكيد ذلك بالمشور الذى أصدرته معاً في نوفمبر سنة ١٩١٨ ، فضلاً عن قانون جمعية الأمم الذى لم ينضب مداده بعد ، وآخرها بلاغ الكولونيل ماينس هارجن بحضور المسيو لافوكارد : « إن الحكومة البريطانية لا ترغب أى شعب على قبول انتداب لا يريده »

(٤) إن القائد العام الذى يقود جيوش الحلفاء المشتركة قد بلغنا رسمياً في أوائل احتلال سورية وغيرها مرة عن طريق المندوبين السياسيين بالقول والكتابة أنه المسئول الرسمى الوحيد عن إدارة البلاد جميعها باسم الحلفاء ولدى مؤتمر السلام بواسطة نظارة الحربية البريطانية ، وقد أيد هذا القول الضابط السياسى الأعلى البريطانى الكولونيل (ماينس) أثناء الاجتماع الرسمى فى الشام يوم الثلاثاء فى ٩ سبتمبر سنة ١٩١٩ بحضور المتمد الافرنسى المسيو لافوكارد . وقد دام هذا الاحتلال سنة كاملة ولا أرى من الأسباب الكافية ما يدعو إلى تغيير هذا النظام فى هذه البرهة القصيرة الباقية لعقد الصلح — كما تقولون — مع تركيا

(٥) يأبى العرب أن يعترفوا بأمر لا علم لهم به وباجتماع لم يشهده أحد منهم

و بقرار لم يشتركا فيه في الوقت الذي تستوى فيه مسؤولية الجميع لدى القائد العام
لجيوش الحلفاء

(٦) إن المعروف رسمياً أن التدابير الحاضرة المتخذة في سورية مؤقتة . وقد
جاء في تلك (المذكرة الملحقة) أيضاً أن التدابير المقصودة مؤقتة ، فامعنى استبدال
أمر مؤقت بمثله ، وما الفرق بين التدبيرين حتى يقوم أحدهما مقام الآخر ويعمل
بموجبه في وقت غير مناسب ومع سهولة إبقاء الحالة حتى القرار الأخير ؟ وإني أخذر
أولى الشأن من قادة الأمم أن تنفيذ هذه الخطة الجديدة سيؤدي إلى ما لا تحمد
عقباه في البلاد العربية وتقع المسؤولية على عاتق الذي أبرم ذلك القرار الظالم المعقوت
(٧) جاء في الفقرة الثالثة من المذكرة الملحقة بأن هذا التدبير والتغيير في

مواقع الحاميات العسكرية قد جرى على مقتضى عهود وتصريحات إنجلترا وفرنسا
ليس فقط بينهما بل بين كل منهما وبين العرب . وبما أنني لا أملك نسخة من
هذه العهود والتصريحات القاضية بتمزيق وحدة البلاد ولا سيما بين العرب وفرنسا
مباشرة ، فأرجوكم أن تفضلوا باعطائي نسخة منها موقعة فإنه لا علم لي بغير المعاهدة
المعقودة بين بريطانيا العظمى والعرب وعلى خلاف ما يقضى به الاتفاق الأخير
و بالتصريح الذي أصدرته الحكومتان معاً لإعطاء الشعب حرية الاختيار (١٩١٨)

(٨) ومع أن المعاهدة تذكر أن التدبير مؤقت فإني أحتج بشدة على ما ورد
في المذكرة الملحقة بشأن التخوم وتحديداتها ، وإني أرى في ذكر الحدود واستعداد
الحكومة البريطانية لقبول التحديد برهاناً قاطعاً على تجزئة البلاد ودخولاً لا مسوغ
له في شأن مصيرها قبل أن يصدر أى قرار من مؤتمر السلام عنه

(٩) إني أسأل بريطانيا العظمى التي صرحت أنها لا تقبل انتداباً في سورية
عما جرى بعهدتها السابق الذي بنت عليه معاهداتها مع العرب فإنها أكدت لهم
(أنها تعترف باستقلال العرب وتأخذ بناصره) ، فهل ترضى بريطانيا العظمى أن

تقول للعرب لا شأن لى معكم بعد فإن مصالحى اليوم غير مصالحى بالأمس ، وهى التى قد طالما جاهرت بانصاف الشعوب المظلومة وقاتلت دون الضعيف المستهدف للمطامع الخسيسية الأشعبية ؟ ذلك ما أترك الحنكم فيه لوجدان فحامتكم وللرأى العام البريطانى الكريم

(١٠) إذا كان لابد من (انسحاب) الجيوش البريطانية فى سورية فلماذا لا تنسحب أيضاً سائر الجيوش الأوربية وتترك المسئولية للحكومة العربية المستعدة لقبول تلك المسئولية لدى الحلفاء والدول المشتركة معهم لحماية الأمن العام فى البلاد ريثما يبرم مؤتمر السلام قراره بشأن مصير سورية

(١١) هذه هى الملاحظات الابتدائية التى أردت بسطها لفحامتكم وفى الختام أطلب إلغاء ذلك التدبير المقترح بين فرنسا وانجلترا بالكافية ، لأنه يخالف المراد من قانون جمعية الأمم ويناقض العهود المبنية على أساس الشرف القومى ؛ وإنه فوق ذلك رجوع غير عادل إلى سياسة الاستعمار الأشعبى الذى ينبغى هدم بنيانه بعد هذه الحرب هدماً لا قيام بعده ، وسيضطر العرب من أن يدافعوا عن وحدتهم ووجودهم بأقصى ما لديهم من قوة وحمية ، ثم انهم لا يعدمون وسيلة ينشرون فيها للعالم المتمدن أجمع ما جرى من تمزيق المعاهدات وتبديل الخطة الموضوعة مهما قيل فى شأنها أنها مؤقتة فإن الحالة النفسية لأهالى البلاد تحملهم على الاعتقاد بأن هذا الترتيب مقدمة إلى تقسيم واقع ، ولن يقبلوا فى ذلك معذرة أو حجة ، ولا أدرى كيف رضى القائد مع معرفته بتلك الحقائق أن يعرض البلاد التى ساعد على تحريرها إلى قلاقل مؤكدة ، ولا جرم أنه من الأنفع ترك الحالة على ما هى عليه أو انسحاب الجيوش الأوربية برمتها ريثما يبرم القرار الأخير

هذا ما أردت بيانه لفحامتكم تخلصاً من كل مسئولية لديكم ولدى العالم أجمع وتقبلوا بقبول فائق احتراماتى وتعظيماتى ما

التوقيع

.....

نص الكتاب الاضافى

لندن فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٩

رئيس الوزارة البريطانية المعظم :

حضرة صاحب الفخامة :

لى الشرف أن أقدم لفخامتكم المحفوظة التالية — علاوة على المذكرة التى

قدمتها لفخامتكم بالأمس والمؤرخة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩

استدعانى حضرة القائد العام للجيش المتحالفة فى سورية ، وسألنى بالأمس

أن أبحث معه بشأن (انسحاب) الجيوش البريطانية من البلاد ، وقد أنبأت فخامتكم

بأنى أرفض البحث فى هذا الموضوع ، وبينت الأسباب الموجبة لذلك الرفض

وها أنى أذكر فخامتكم أيضاً بأن الجنرال البريطانى فى بيروت عند ما أجبر

الجيوش العربية على الانسحاب من المنطقة الساحلية قد كتب لقائدها العربى

الجنرال شكرى باشا بأن الموجب لهذا التغيير عسكرى محض ومؤقت إلى أن يصدر

قرار مؤتمر السلام بشأن مستقبل البلاد . والقوات البريطانية هى التى تولت بنفسها

انزال الأعلام العربية المرفوعة على بنايات الحكومة وغيرها بواسطة الأهالى

ولهذه الأسباب أطلب أحد أمرين : إما إعادة السواحل إلى الجيوش العربية

كما كانت عليه الحالة فى أوائل الاحتلال ، وهى تتولى مسئولية الأمن وحماية

البلاد إلى أن تبرم النهاية ، وإما ابقاء الحالة على ما هى عليه الآن إلى الحين المذكور .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والاجلال

التوقيع

.....

كتاب آخر من الأمير فيصل لرئيس الوزارة البريطانية

١٩ أكتوبر سنة ١٩١٩

رئيس الوزارة البريطانية المعظم :

حضرة صاحب الفخامة :

لقد تفضلتم فأنبأتمونا عند اجتماعنا في (جيلدهول) منذ يومين أن الأزمة الأخيرة حالت بينكم وبين الرد على مذكري المؤرخة في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ وأنكم عازمون على ارسال الجواب في أقرب مدة ، فأشكركم على ذلك اللطف الجزيل ، وإنما لما كانت الأزمة قريبة الوقوع تجاسرت على تقديم هذا الكتاب سلفاً وإني أضع فيه أمامكم المطالب الآتية :

لقد بسطت لكم سابقاً آرائي عن الوفاق الأخير في باريس ، ولا أقصد الآن إلا أن أوكد لكم بأنني لم أزل على ذلك الرأي ، ومهما يكن في ذلك الوفاق من حسن أو قبح ، فالواقع أنه سينظر إليه من جمهور السكان بسخط عظيم والأرجح أن انسحاب الجيوش البريطانية من سورية يؤدي إلى كارثة عظيمة يكون فيها القضاء على العالم العربي وعلى المشروع العمومي الذي يزود عنه الخلفاء ، وإني شديد الرغبة أن أتجنب كل ما يؤدي إلى احراج المركز أو مايؤول إلى اضطراب الحبل بين الخلفاء والعرب وما يمكن أن يفضي أيضاً إلى جعل التسوية على قاعدة مقبولة من المستحيل ، وأريد أن أبذل جهدي لأؤيد الوفاق المكتوب بالدم المراق من الجميع نصرة للحق والعدل . ورغبة في منع أي حادث يؤدي إلى زيادة الخطورة في المركز رأيت أن أعرض لفخامتكم ما يأتي :

(١) إلغاء القرار الباريسي أو في الأقل إرجاء العمل به

(٢) أن تعرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل

والنظر فيها من قبل المؤتمر بأجمعه أو من لجنة أخرى فرعية يعينها المؤتمر تؤلف من أعضاء بريطانيين وفرنساويين وعرب تحت رئاسة أحد الأمريكان للبحث في هذه المسألة الخطيرة ولتقديم قرار عن ذلك إلى مؤتمر السلام

إني أعتبر إلغاء ذلك القرار الباريسي من الأوليات الحيوية للوصول إلى حل مرضى وانه إن لم يعمل بذلك فالكارثة في سورية يعجل وقوعها ، وربما تطراً أمور تمنع المباحثات الودية ، ولذلك فأنا أثق بأن مطالبى هذه التى هى جوهرية لمصالح الجميع تقابل من فخامتكم بالاستحسان ، وإني معتمد على مساعدة الحكومة البريطانية لتأكيدها . وأرجو من فخامتكم أن تتكرموا علىّ بالجواب فى أسرع أوان ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

التوقيع

.....

صورة الكتاب الوارد من رئيس الوزارة البريطانية

١٠ دونج ستريت

(لندن) ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٩

يا صاحب السمو :

وصلنى كتابكم المؤرخ فى ١٩ أكتوبر الذى ترتأون فيه أن الاقتراحات عن احتلال سورية بعد الانسحاب البريطانى ينبغى أن تلغى أو على الأقل تؤجل وأن القضية كلها تعرض على مؤتمر الصلح أو على مؤتمر فرعى يعينه المؤتمر لأجل التسوية النهائية بدون تأخير

لا أظن أنه يجب علىّ أن أبحث مرة ثانية فى الدواعى التى حملت حكومة

جلالته على عرض الاقتراحات المذكورة في المذكرة ، لأنها قد أوضحت كفاية في الكتاب المرسل إليكم من قبل وزير الخارجية . ولتلك الأسباب المذكورة لا يظهر لى أن الاقتراح الذى تبدونه الآن يمكن العمل به ، فحكومة جلالته قد أقرت عزمها على أنه يستحيل عليها أن تداوم على احتلال سورية بالجيش البريطانى ، وقد أعلنت منذ ستة أشهر مضت لمؤتمر السلم ولذاتكم أيضاً أنها لا تقبل انتداباً فى سورية فى أية حال من الأحوال ، فاحتلالها للبلاد الذى كبدها نفقات طائلة قد طال أكثر ما كان فى انتظارها على أمل أن مؤتمر السلام يقدر على مباشرة البحث فى القضية التركىة بعد بضعة شهور ، ومرض الرئيس ولسون المكدر الذى بدون مشاركته بالعمل معنا لا يمكن الوصول إلى بت نهائى سيؤجل عوضاً عن أن يعجل البت فى هذه القضية . وعليه فمن المستحيل لحكومة جلالته أن تسحب الاقتراحات التى أبدتها للعمل فى القضية السورية أثناء التأجيل إلى أن يفصل فيها مؤتمر السلام

على أنها تسر جداً بأن تدبر سريعاً اجتماعاً بين ذاتكم ومفوض فرنساوى وأمريكانى وبريطانى لتسوية القضايا المتعلقة بالانسحاب المنوى وقوعه للجيش البريطانى فى أول نوفمبر على أحسن طريقة حبية مرضية للجميع
وكما أنبأتكم قبلاً أنى أرغب فى استماع مطالعات سموكم شخصياً فى مواجهة ثانية عن هذه المسألة نهار الاثنين القادم الساعة الرابعة فى ١٠ دوننج ستريت ، وإن لى الشرف أن أكون خادم سموكم المطيع ما

لويد جورج

رئيس الوزارة البريطانىة

مذكرة من وزارة الخارجية الانكليزية للأمير فيصل

نظارة الخارجية البريطانية

لندن في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ :

يا صاحب السمو :

لى الشرف أن أنبئكم بوصول الملاحظات الابتدائية التى تفضأتم بتعليقها على مذكرة رئيس الوزارة التى قدمها للموسيو كليمنصو ولشخصكم عن الاحتلال العسكرى فى سورية وفلسطين والعراق ريثما يبرم مؤتمر السلام قراره بشأن الانتداب ولقد أرسلنا نسخاً منها أيضاً إلى كل من المستر فولك مندوب الولايات المتحدة الأميركية وإلى السنيور تيتونى مندوب المملكة الإيطالية

وبناء على ما يلوح لنا من أن هنالك سوء تفاهم فى مغزى المذكرة فانى أريد قبل كل شىء أن أبين أن تلك الوثيقة المذكورة لا تمثل بأى وجه من الوجوه اتفاقاً بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية ، بل تشتمل على مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكرى فى الولايات التى كانت فيما سبق من الزمن تابعة لتركيا — إلى أن يقرر مؤتمر السلام مسألة مستقبلها نهائياً وهذه المقترحات التى تتسك بها الحكومة البريطانية لم تضعها إلا بعد أن قررت أنه يستحيل عليها أن تستمر على احتلال سورية بالجيوش البريطانية ، وقد دعتكم الحكومة البريطانية إلى أوربا وأسرعت فى تديير أمر سفركم قبل أن تبلغ هذا القرار للحكومة الفرنسية أو المؤتمر ، ووضعت تلك المقترحات فى يدكم للنظر فيها على أثر وصولكم

ويظهر أن سموكم تنظرون إلى هذا التديير المقترح لاستبدال الجيوش البريطانية

بالفرنسية والعربية كأنه من بعض الوجوه مغاير للعهود التي عقدتها حكومة جلالته الملك مع والدكم الجليل جلالته الشريف حسين ملك الحجاز . ودفعاً لحصول أدنى سوء تفاهم بشأن هذا الأمر فإني أبعث إليكم بالمراسلات التي دارت بين والدكم الجليل ملك الحجاز وبين نائب جلالته الملك بمصر وأدّت بموجب الشروط التي تشمل عليها إلى دخول العرب في الحرب ضد تركيا . وهذه الأوراق تحتوي على جميع المكاتبات المختصة بهذا الموضوع وهي في حيازة حكومة جلالته الملك أما الوثيقة التي قدمتموها سموكم لرئيس الوزارة في الاجتماع الذي انعقد منذ بضعة أيام فهي فقط خلاصة الشروط التي طلبها الملك حسين في وقت سابق ولكنها لم تؤخذ بعين الاعتبار ولم تُقبَل ، ولذلك لا دخل لها في المسألة الموضوعية على بساط البحث

وإنه لمن الواضح لسموكم من المكاتبات المرسلّة طيه أن حكومة جلالته الملك بيّنت من الأول أنه في رأيها أن مقاطعات مرسين واسكندرونة وبعض أقسام سورية الواقعة إلى غرب مقاطعات دمشق وحمص وحمّة وحلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية خالصة وإنه ينبغي إخراجها من الحدود المقترحة والتخوم التي كانت الحكومة البريطانية مستعدة أن تعترف باستقلال العرب فيها ، ولها ملء الحرية أن تتصرف فيها بما لا ينافي مصالح حليفتها فرنسا — وهذه الفقرات واردة في كتاب السر هنري مكماهون إلى جلالته الشريف بتاريخ ١٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥ وقد أجاب جلالته الشريف حسين عن هذا الكتاب في ٥ نوفمبر بقوله : « إنه يتنازل عن الحاحه بإدخال ولايتي مرسين واطنة في المملكة العربية » ولكنه صرّح بأن :

« ولاية حلب وبيروت وسواحلهما إنما هي ولايات عربية خالصة »
وردّاً على هذا الكتاب قال نائب جلالته الملك بمصر في ١٤ ديسمبر ما يأتي :

« إنه يرحب بمواقفة جلالة الشريف على استثناء ولاية مرسين وأطنه من حدود الأمصار العربية »

وزاد على ذلك ما يأتي :

« أما فيما يختص بولاية حلب وبيروت لحكومة بريطانيا العظمى قد نظرت بعين الاعتبار إلى ملاحظتكم . ولكن بما أن مصالح حليفتنا داخلية في هذه المسألة فيقتضى لذلك اعتبارات مهمة ومراسلات أخرى عن الموضوع تقدم لكم في حينها »
وأما الحاجة إلى مكتابة جديدة فقد استغنى عنها لورود كتاب من جلالة الشريف حسين مؤرخ في أول يناير سنة ١٩١٦ يقول فيه :

« إنه بخصوص الأقسام الشمالية وسواحلها قد أوضحنا قبلاً في كتابنا السابق ما يمكننا القبول به من التغييرات ، وقد وجب ذلك لاتمام المطالب التي بلوغها منوط بمشيئته سبحانه وتعالى ، إن هذا الشعور ذاته وهذه الرغبة التي تبعثنا على تجنب كل ما يمكن أن يضر بالمعاهدة بين إنجلترا وفرنسا والاتفاق المعقود بينهما مدة الحرب ورزاياها ، على أننا نجد أنه من واجبنا أن نؤكد لحضرة الوزير أنه عند سنوح أول فرصة بعد انتهاء الحرب نطالبكم بما نغض النظر عنه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها »

وقد شرح جلالته ذلك الرأي بقوله فيما بعد :

« من المؤكد أن الأهلين في بيروت لن يقبلوا هذه الاستثناءات وربما أجبرونا أن نتخذ أموراً جديدة قد تعود على بريطانيا العظمى » بما لا يقل عن مشاكلنا الحاضرة ، لأننا نعتقد ونؤكد أن مصالحنا متبادلة ، وهذا الأمر هو الذي جعلنا أن لانخاطب دولة غيركم ، ولذلك يستحيل علينا أن نسمح بأي تحوير يتحول فرنسا أي نفوذ أو أي شبر واحد من الأرض في تلك البقاع »

وفي ٢٥ يناير أجاب نائب الملك بمصر بما يأتي :

« أما عن الأقسام الشمالية فقد لاحظنا بمزيد الرضى أنكم ترغبون أن تتجنبوا كل ما يضر بالمعاهدة بين بريطانيا العظمى وفرنسا ، لأن ذلك كما تعلمون عزمنا الأكيد ، وأنه لا يمكن أن يطراً أى شخص يخفف ولو في الأقل الدرجات تضامننا على مداومة الحرب إلى نتيجة النصر . وعلاوة على ذلك فالصداقة بين بريطانيا العظمى وفرنسا متى تقرر النصر تزيد رسوخاً وثباتاً لأنها تكون موثقة بدماء الانجليز والفرنسيين الذين ماتوا جنباً لجنب ذائدين عن العدل والحرية »
تلك كانت آخر المكاتبات التي دارت عن هذا الموضوع قبل المهاجمة المشتركة التي انتهت في نوفمبر سنة ١٩١٨ باندحار الجيوش التركية التام

ويتضح من هذه المراسلات أمران :

الأول : « أن الحكومة البريطانية مرتبطة بمواثيقها مع الملك حسين أن تعترف بتأسيس مملكة عربية مستقلة تشمل حدودها على المدن الأربع ، وهي الشام وحماة وحمص وحلب »

الثاني : « أن الحكومة البريطانية قد أوضحت بلا ابهام لجلالة والدكم قبل دخول العرب في الحرب أنهم يعتبرون أن لفرنسا حقوقاً خاصة في البقاع الواقعة إلى غرب هذه المدن الأربع »

وحكومة جلالته تحب أن تزيد على هذا أنه في سنة ١٩١٦ حينما اقتضت المصلحة الحربية العمومية أن يبرم اتفاق مع فرنسا وروسيا على احتلال الولايات التركية عند سقوط تركيا ألحت حكومة جلالة الملك على الاحتفاظ باستقلال العرب في الولايات التي وعدت أن تحتفظ بها في مراسلاتها مع الملك حسين ولم تبلغ هذا الاتفاق للملك حسين لأنه كان مطابقاً للعهود التي دخلت معه بموجبها من قبل وقد كان موقف حكومة جلالة الملك في كل هذه المحابر واضحاً دائماً وغير

متبدل ، وقد دخلت مع حليفها الفرنسيين والعرب بموجب شروط لا تتغير بل كل واحد منها متمم للآخر . وحكومة جلالاته تعلق اهتماماً عظيماً على صداقة حليفها واشتراكهما في العمل ، وتنوى أن تقوم بتعهداتها لكل واحد منهما

وأما الآن فأقول شيئاً عن سؤال سموكم عن السبب الموجب لنهاية الاحتلال العسكري البريطاني لسورية عوضاً عن تأجيله حتى يتقرر الصلح مع تركيا وحلفائها إن حكومة جلالة الملك يسرُّها أن تعترف اعترافاً تاماً بالمساعدة التي لم يكن غنى عنها والتي بذلها الملك حسين وشخصكم الكريم والجيش العربي بالاسلحتي قيادتكم تأييداً لقضية الحلفاء ، فإن حماسة ونشاط جيوش سموكم كانت عضداً مهماً في الحرب التي انتهت بقهر الاستبداد التركي . ولكن حكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تنسى أن الحصنة الكبرى في قهر تركيا قد كانت من نصيب المملكة البريطانية ، فانها منذ البداية إلى النهاية قد أرسلت إلى ميدان الحرب الشرقي ما ينيف على مليون وأربعمائة ألف جندي ، وأنفقت سبعمائة وخمسين مليوناً من الجنهات . وقد كانت هذه الأتقال علاوة على الضحايا الكبرى التي اضطرت إليها في أوروبا لحطم قوة الألمان التي كانت تدعم الامبراطورية العثمانية . فشعوب الامبراطورية البريطانية قد خسرت أكثر من تسعمائة وخمسين ألف نسمة في ذلك السبيل ، وجرت على نفسها ديناً فادحاً يبلغ تسعة آلاف مليون جنيه لتأييد حرية أم أوروبا والشعوب التي كانت من قبل تئن تحت النير التركي . وقد تمكنت شعوب الامبراطورية البريطانية بهذه النفقات من مساعدة الشعوب العربية والأمم الأوربية المستبدها وحطمت نير المستبد ، لتسير في الطريق المؤدية إلى النجاح والاستقلال والنفوذ في العالم ؛ وعلاوة على هذا الجهد أثناء الحرب فالامبراطورية البريطانية قد تركت حاميات في الولايات المحتلة مدة سنة منذ إمضاء الهدنة واحتملت الأتقال العظيمة والمتعبة لتأييد النظام والسلام في البلاد التي تحررت من

الحكم الأجنبي ، راجية أن مؤتمر الصلح يأتي بحلٍّ مرضٍ عاجلاً لجميع المشاكل الصعبة المتعلقة بمستقبل الشرق الأوسط ، ولكنه ليس من الإنصاف أن يسأل « المكلف » الانجليزى بأن يتحمل أكثر مما تحمل من أثقال احتلال الولايات التي لا تنوى الامبراطورية أن تقبل فيها مسئولية دائمة . وقد جاهرت حكومة جلالتها في مارس الأخير لمؤتمر السلام ولذاتكم أيضاً أنها لا تقبل انتداباً في سورية في أية حالة كانت . والآن بناء على تأجيل الولايات المتحدة الأمريكية قرارها باستعدادها لقبول أو رفض المشاركة في تأييد خير ونجاح شعوب الشرق الأوسط فلا أمل في تقرير سلم نهائى مع تركيا قبل مضى بعض الوقت من السنة المقبلة وعلى هذه الحالة قد قررت حكومة جلالة الملك أنه يستحيل عليها إبقاء جيوشها بعد في سورية وأعلنت المؤتمر بذلك وهى تنوى سحبهم في أول نوفمبر القادم وقد ذكرت سموكم في مذكرة أخرى مؤرخة في ٢٣ سبتمبر مسألة الشروط التي عليها أخلت القوات العربية مدن الساحل حين تقدم الجيش ، فحكومة جلالتها لا تريد أن تفكر بأن سموكم تعتبرون امتثال أوامر القائد العام الذى كنتم تحت أمره (وهى أوامر كانت عنده قوة كافية لإنفاذها) نتيجة مقابلة . أما ان سموكم قد اعتقدتم أن الاحتلال البريطانى سيدوم إلى إمضاء السلام فأمر أفهمه جيداً ، لأن ذلك كان أيضاً في رأى حكومة جلالتها في ذلك الوقت ، وقد أطالت أجل الاحتلال البريطانى أكثر مما كانت تظن هى أو غيرها في الأرجح ، لكن بالنظر إلى العبء الفادح الواقع عليها فمن حقها أن تلجأ أن احتلالها ينبغى أن ينتهى ، وهى عند ما أنبأت مؤتمر السلام بما سبق ذكره عن عزمها على سحب جيوشها حالاً عرضت حكومة جلالتها مشروع الاحتلال المؤقت للبقياع التي كانت سابقاً تركية كما هو منشور في المذكرة ، وهى لا ترى أن هنالك اقتراحاً يمكن العمل به في خلال هذه المدّة . ولا يوجد رجل ثقة يعتقد بقدرة الشعب السورى على القيام

بشؤون نفسه في الوقت الحاضر ، فتجربة هذا الحل الذي تشيرون به يكون مضرًا لترقى الشعب السوري سريعاً — وبملاء الحرية — وبالنتيجة لاستقلال الشعوب السورية والعربية ، وعلاوة على ذلك فإنه ينبغي ريثما يتقرر الصلح مع تركيا أن تمتل قوة أوربية من الدرجة الأولى البقاع الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الأناضول ، وبعضها هذا الاقتراح كما هو مفصل في المذكرة قد نظرت حكومة جلالة الملك إلى التعهدات التي تحملتها نحو حلفائها العرب والفرنسيين وهي تعهدات كما سبق إيضاحه قد بُينت للملك حسين قبل دخوله في الحرب ، وهي لم تستطع إلا بعد صعوبة أن توطد لسموكم تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتمل على دمشق وحماة وحمص وحلب كما سبق الوعد للعرب مع الملك حسين أما فيما يتعلق باحتلال فرنسا لبقية سورية فهي تسأل سموكم أن تدكروا أن العرب مديونون بنيل حريتهم بدرجة عظمى للضحايا العظمى التي تكبدتها الأمة الفرنسية في هذه الحرب ، وحقيق أن المساعدة الفرنسية في سورية عينها لم تكن عظيمة لاشتغال فرنسا في العراق في جهات أخرى غيرها ، ولكنها في ميادين الحرب الحيوية في أوربا قد خسرت مليون وأربعمائة ألف جندي ، وتكبدت ديناً لا يقل عن الدين الذي تكبدته بريطانيا العظمى لسحق القوة التي أيدت الاستبداد التركي والتي لولا معوتتها لم تستطع القوة الحربية التركية أن تدوم أكثر من بضعة أسابيع ، ولذلك لحكومة جلالة الملك تؤمل من سموكم أن ترضوا بالاقتراحات التي بُينت في مذكرتها عن احتلال سورية ريثما يتم الصلح مع تركيا ، وأما الاعتبارات التي تذكرونها عن مستقبل الشعب السوري والعربي ستطلب بإلحاح من مؤتمر السلام الذي أتم أحد أعضائه الموقرين والذي يكون له القوة التامة للبت في المسألة العربية كلها والذي لا يقتصر في أعماله على رأى سموكم ورأى الشعب العربي فقط ؛ بل يتناول سائر التعهدات والمجاهرات الصادرة من الدول العظمى

وإن حكومة جلالة الملك لا تشك أبداً في أن أحسن الطرق للشعب العربي هو أن يقبل التدبير المؤقت المقترح ، وأن يدخل في تدابير حامية عملية لأجل انفاذها مع حليفته بريطانيا العظمى وفرنسا ، وهي كما أشارت سابقاً تلح الآن بأن سموكم تبحثون حالاً في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية ، وحكومة جلالته تعمل ما في وسعها بكل سرور لتسهيل اتفاق مرضح بين حليفها فيما يتعلق بالاحتلال سحابة هذه المدة

وتعتبر الحكومة البريطانية أنها مقصرة بواجبها نحو حلفائها العرب إذا لم توضح بحرص وبكل مودة أنها لا تقدر أن تتصور شيئاً أشد مثلاً لآمال العرب ونجاحهم في مؤتمر السلم وبعده من طريقة المقاومة العسكرية الملح إليها في كتاب سموكم ، وهي بصفتها صديقة العرب الخاصة والمريدة لهم كل خير تدعوهم إلى قبول التدبير المقترح

وعلاوة على ذلك أرجو أن يكون هذا الكتاب معيناً على نجاح محادثاتنا في المستقبل مع سموكم ، والتي أتطلع إليها بكل سرور ، وإني أثق أنه يكون وسيلة لتمهيد العلاقات بين هذه البلاد وحليفها الفرنسيين والعرب

وإني أتمس من سموكم أن تثقوا بأن للحكومة البريطانية العاطفة والاعجاب بالشعب العربي اللذين حملاها على تأييد جلالة الملك حسين في ثورته ضد الترك ، واللذين يمثلان طرق العلاقة مع سموكم في الحرب العظيمة الظاهرة التي اشتركتم سموكم في الجهاد فيها زمناً طويلاً

ولى الشرف أن أكون خادم سموكم الخاضع المطيع ما

اللورد كرزون اوف مدلتون

وكيل خارجية حكومة جلالة الملك

مذكرة

إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في فرساي

استدعاني فخامة رئيس الوزارة البريطانية من دمشق في خلال شهر سبتمبر لمفاوضة الدول العظمى في المسألة السورية وسألني فخامته في لوندرة مذكرة تحتوى على تغييرات معينة في الادارة الحالية في سورية ، وقال إن نسخاً منها سلمت لمندوبي فرنسا وأمريكا وإيطاليا ، وقد فهمت من المكاتبات والمعاملات التي تبعت ذلك أن المذكرة المشار إليها لم تكن مبنية على اتفاق بين بريطانيا العظمى وأية دولة أخرى ، وإنما هي بيان لقرار اتخذته بريطانيا العظمى لأسباب اقتصادية فيما يتعلق بانسحاب جيوشها من بعض الولايات العربية ، ويقال إن المسألة كلها اتفاق عسكري مؤقت وليس له صفة إدارية أو سياسية ، وإنما اتخذ لحفظ النظام إلى القرار النهائي الذي سيصدره مؤتمر السلم عن حكومة البلاد المستقبلية

فأنعمت النظر في هذه المكاتبات ، ولما كنت أراقب عن كثب الحالة العامة في البلاد العربية منذ عقدت الهدنة مع الترك (ولا يخفى على حضرتكم أنى في موقف يؤهلني للحكم بأحوال بلادى) فقد وصلت إلى النتيجة الآتية :

إن تنفيذ هذا المشروع مخالف لحقوق الأمم ، ومجحف بحقوق شعبي وبلادى ، ومحل بالأمن العام في الشرق كله ، وإني واثق أن الدول العظمى ذات المصالح في الشرق يصيبها من الضرر بقدر ما لها من المصالح هناك ، وأن الدولتين لا يمكن أن تكونا عاملتين بالمشاكل التي قد تقع من تغيير الحالة الحاضرة المؤسسة منذ الاحتلال لأن هذا الاتفاق يغير الادارة المؤقتة منذ الاحتلال بلا اتخاذ تدبير مؤقت يقوم مقامه لما أخبرتني الحكومة البريطانية عن هذا المشروع الذي يسمونه (مشروعاً مقترحاً) مبنياً على معاهدة سايكس — بيكو سنة ١٩١٦ احتججت ودونت

الأسباب التي دعنتني إلى ذلك . فلما تحققت الحكومة البريطانية حرج الموقف قبلت اقتراحي بتعيين لجنة أمريكية وبريطانية وفرنسية وعربية للنظر في المسائل المتعلقة في الجلاء الآتي ، ولتأسيس إدارة واحدة مؤقتة تقوم مقام الادارة الحاضرة فلما عرض هذا الاقتراح على الحكومة الفرنسية أخبرني اللورد كرزن وزير خارجية بريطانيا العظمى أن المسيو كلنصو لم يستحسن هذا الاقتراح ، وأعرب عن رغبته في أن يراني في باريس ، وعلاوة على ذلك فإن الحكومة الفرنسية رفضت الموافقة كما هي أخبرتني بنفسها على اقتراح بريطانيا إلا فيما يختص بجلاء الجيوش البريطانية في أول نوفمبر ، فالحكومتان نظرتا فقط إلى ما يختص بمصالحهما في المسألة ولم تقدرا التقدير اللازم لما يكون لذلك من التأثير في الشعب السوري ، ولما كانت على مسؤولية سلامة ونجاح بلادى فقد أخبرت الحكومة الفرنسية كذلك عن الأسباب التي تمنعني عن الموافقة على هذا الاتفاق ، وأعدت عليها الاقتراح بتأليف اللجنة المختلطة ، فرئيس الوزارة الفرنسية في رده على رفض قبول أى اقتراح من اقتراحاتي اعتقاداً منه أن المجلس الأعلى قد اتخذ قراراً في هذا الأمر ، وقال إن الجنود الفرنسية مستعدة لحفظ النظام في منطقتها ومساعدتي على ذلك في منطقتي حالما أطلب ذلك منها ، وأظن أن المسيو كلنصو يعتقد أن الحركة التي نخشاها يكون سببها المحرضون ، وليس انفجار ذاتى لشعور وطنى . وإني في ريب من أن المجلس الأعلى والرأى العام في العالم المتمدن أجمع يوافق على اتخاذ الوسائل لاختاد الحركات الوطنية المشروعة مما لا يكون من نتأجه إلا سفك الدماء ، وقد فهمت أن المجلس الأعلى لم يتخذ أى قرار في هذا الأمر ، والذي أعلمه أن غاية ما فعله أنه دون هذا الاتفاق في ١٥ سبتمبر . ويظهر أن المجلس الأعلى فهم أن هذا المشروع المقترح لم تكن الغاية منه سوى استبدال الجيوش ، وأنه لم يشمل أى تغيير سياسى أو إدارى في بلاد العدو المحتلة

التي تدار شؤونها الآن باسم الحلفاء ، فمن الواضح إذن أن المشروع المقترح لم يوافق عليه أولو الأمر المناط بهم ذلك ، ويجب أن يعاد النظر والمناقشة فيه في المجلس الأعلى ، وإني أعرض فيما يأتي الأسباب الجوهرية التي قد تدفع الشعب إلى اليأس من مستقبله ، والتي أبني اعتراضى عليها على الاقتراح :

(١) يصعب على أن أفهم أن المشروع عسكري محض ، ويظهر لي أنه يحتوي على أمور اقتصادية وسياسية لا يمكن البت فيها إلا في مؤتمر السلم ، فإن مجرد نزع السلطة العليا في الإدارة من يد واحدة ، وقسمة البلاد إلى ثلاث مناطق مختلفة مرجع كل منها حكومة دون غيرها ، وكل منها تعمل على نظام مختلف لهو بلا ريب تغيير ذو شأن لا يمكن أن يقال إنه إجراء عسكري ، فإن بعض المسائل كالاتفاق على السكك الحديدية ومناطق النفوذ وغير ذلك لا تدخل في جملة الوسائل المتخذة لحفظ النظام حتى يصدر القرار النهائي في المسألة السورية من قبل مؤتمر السلم

(٢) إنه بموجب التدبير المقترح تقسم الولايات العربية إلى ثلاث مقاطعات : واحدة منها تحت الإدارة البريطانية ، والثانية تحت الإدارة الفرنسية ، والثالثة تحت الحكومة العربية ، ومعنى ذلك أن الأمة السورية التي قد طالما تآقت إلى وحدة الإدارة قد تقطعت أوصالها وجعل لكل جزء منها حكومة خاصة ؛ فالضرر الناشئ عن ذلك هو ضربة قاضية على البلاد ؛ فإن المنازعات بين سكان المقاطعات المختلفة التي قد تكون تحت رحمة ، أو جهل الموظفين الذين قد ينشطوا منها ، أو تزداد المزاحمة بين الحكام المختلفين ؛ فيقف ذلك في سبيل الفوائد التي تنجم عن وضع البلاد تحت إدارة واحدة

ثم إن الجزء الذي ترك للحكومة العربية يقال إنه ولاية عربية مستقلة ، ومع ذلك فقد وضع تحت نفوذين مختلفين ، أحدهما بريطاني والآخر فرنسوى ، وكل

مساعدة لأحد هذين الجزأين يجب أن تطلب من الدولة التي لها النفوذ هناك . فهل سمع في تاريخ العالم أن أمة من الأمم أمكنها الرقي في أحوال معاكسة كهذه ؟ ولا شبهة أن هذا التدبير يثبط عزائم الأمة ، ويكون مدعاة لحنقها فتزول ثقها بالحلفاء ، وتبذل جهودها في الدفاع عن وحدة البلاد . نعم إن الأمة ضعيفة ويتعذر عليها المقاومة الطويلة ، لكننا لا نتحجم عن الموت في سبيل مطالبها العادلة ؛ فمن يكون مسؤولاً أمام العالم المتمدن عن مسؤولية كهذه ، ولا يستطيع أحد أن يقنع الأمة أنها على ضلال فيما قد وضعته نصب أعينها . وكل من اختبر الشعور الغالب على الأمة لا بد من أن يعتقد بأن الأمن العام ممكن توطيده بدون إراقة الدماء

(٣) قد اقترح سحب الجيوش البريطانية على أساس لا يعترف به العرب ولا حكومة الولايات المتحدة التي أعلنت عند دخولها الحرب أنها لا تعترف بأى اتفاق سرى ، وأنا أشير بهذا إلى اتفاق سايكس — بيكو المبرم سنة ١٩١٦ م الذي تصرف بالبلاد كأنها ضيعة من الضيع أو سلعة من السلع في زمن كان فيه فتيانها يهرعون من سورية إلى الصحراء لبذل نفوسهم في سبيل استقلالها ، فإن كل عمل يكون أساسه غير معترف به في مؤتمر السلم لا يمكن تنفيذه بلا مناقشة خاصة في ذلك المؤتمر

(٤) لما احتل الحلفاء سورية أمرني القائد العام أن أستدعي عمالي من السواحل ، وصرح للشعب السوري أنه يريد احتلال البلاد وتأسيس حكومة موحدة فيها باسم الحلفاء ، وأن تبقى إدارته المشكلة على هذا النمط معمولاً بها إلى أن يحين الزمن الذي يمتضى فيه مؤتمر السلم قراره النهائي ، وقد اعتبر السوريون هذا التصريح عهداً من الحلفاء ، وإن بلادهم تكون أمانة في ذمة القائد نيابة عن الحلفاء ، وإن ذلك يكون أساساً لحكومة واحدة ، وعد على القيام بها كما ذكر آنفاً ، وإني أعتقد أنه لا يمكن تغيير القواعد الأساسية في هذا التدبير قبل حلول

الأجل أو قبل إنشاء إدارة أخرى مبنية على المبادئ عينها . أما بريطانيا العظمى فإنها تعترف بهذا العهد ، ولكنها تقول إنها لم تكن تحسب حساباً لطول الزمن إلى أن يمضى مؤتمر السلم قراره ، فهل هذا التأخير واقع ذنبه على الأمة العربية السورية ، أو هل ظهر منا أقل إخلال بولائنا نستحق هذا العقاب ، فقد كنا دائماً على تمام الولاء للحلفاء من اليوم الذى ثرنا فيه على الترك ، وأقل ما نرجوه هو القيام بوعد القائد العام

(٥) إن ثورة العواطف الشاملة الآن الولايات العربية وجميع الولايات الإسلامية فى تركية الأسيوية التى أعظم أسبابها المداخلة الأجنبية بلا تروى لم تعد خافية على أحد ، وكل من له أقل إلمام بما هو جار فى المقاطعة السورية لهو فى أشد الاقتناع أنه لا بد من وقوع المشاكل وفى أماكن متعددة إذا تغيرت الحالة الراهنة فى الإدارة الحاضرة

فإنى لذلك أتوسل إليكم باسم الإنسانية وحفظاً للسلام وباسم الأمة العربية وباسم المصالح المتعددة التى لفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا فى الشرق أن لا تفتح أبواب جديدة لمشاكل أخرى التى قد ترى أوائها ولا يعلم أواخرها إلا الله ، وإن حوادث أزمير وغيرها لا تزال حديثة العهد ، وأنا أخشى أن يمتد الشر إلى جميع العالم الإسلامى ظناً من الناس أن هنالك غاية معلومة للنكاية بالإسلام ، ولعلكم تفكرون أن قيام العرب بزعامة والذى الملك كانت الضربة الأولى على سياسة التعصب الذميمة ، فالعرب حاربوا الترك المساهمين لأنهم كانوا ظالمين ، وانضموا إلى صفوف الحلفاء لاعتقادهم أنهم يحاربون دفاعاً عن الحق والعدل بلا نظر إلى الأديان ، وطالما حاربت التعصب فى كل زمان ومكان مدة الحرب ، فاجتمع العرب حولى بكل صوب ودين وكان اتحادنا وطنياً لا دينياً ، وعدد كبير من العاملين معى الآن فى سبيل الوطن ليسوا من دينى ، هذا كاف ليرهن لكم

مقدار أسنى إذا انحطت هذه الفكرة الوطنية وتحولت إلى نزاع ديني بسبب سوء التفاهم والتدبير فينبغي إذن أن توافقوني على قولي : إن من مصلحة الجميع حفظ السكينة التامة في الزمن القصير الباقي قبل القرار النهائي في المؤتمر لإثارة الفتنة لسبب غير معقول ، وأرى أنه يجب أن تعلم الدول العظمى خطورة الموقف لمتخذ الحلفاء أصحاب المصالح وإخواننا في الحرب التدبير اللازم للنظر في مصلحة كل حكومة على مقتضى مبادئ العدل التي اشتركنا في الدفاع عنها ، وأصر على طلي أن أعرض بنفسى بياناً وافياً عن قضيتي التي تهتم بلادى أكثر من سواها ، لأن نتائج كل عمل يقام به ، تقع على وعلى بلادى سواء كان ذلك شراً أو خيراً

التوقيع : (فيصل)

قرار

أشغال كليسيا وسورية العسكرية

لقد قبل موسيو كمنصو باسم الحكومة الفرنسية اقتراحات موسيو لويد جورج بجلاء الجيش البريطاني عن سورية وكليسيا واستبدال هذه القوى بجنود فرنسية في كليسيا ، وفي غرب خط سايكس بيكو في سورية . ومن المفهوم الصريح أن الحكومة الفرنسية بقبولها هذه الاقتراحات لم تتعهد بقبول أى قسم آخر من الاتفاقات المقترحة في مذكرة لويد جورج المؤرخة في ١٣ ايلول سنة ١٩١٩ والمتعلقة باحتلال سورية وفلسطين والعراق حينما يصدر القرار بقضية الانتداب فالمؤتمر دون هذا الاتفاق المنوه عنه بصفة اتفاق مؤقت لا غير لتسوية الاحتلال العسكري فقط ، وهو لا يؤثر على حل قضايا الانتداب والحدود التي يجب رؤيتها بصفتها جزء من قضية الصلح العامة مع تركيا

صورة البرقية المرسلة إلى جلالة الملك في مكة

٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩

الحكومة الفرنسية رفضت اقتراحي باسم جلالتم بشأن سورية مع أن
المجئرا قبلته ، وهي مصرّة على اشغال أقسام مهمة من مقاطعات دمشق وحلب
تمسكا بمدكرة لويد جورج التي قدمها للمؤتمر في ايلول وأخبرت جلالتم عنها ،
ولما كان هذا مخالفاً للحقوق والعهود بين بريطانيا وجلالتم عنمت على تبليغ
الدول بأن جيشكم في سورية سيقاوم كل تجاوز يخل بمحدود المناطق الحاضرة ،
وإني حررت لحكومة بريطانيا اليوم أو كد لها عظم ثقتنا باخلاصها ، وأذكرها
بعهودها لجلالتم في ٢٤ اكتوبر . أننا لا نريد إلا أن نكون على وفاق تام مع
حليفنا الأولى بريطانيا التي هي سند نجاحنا ومع سائر الحلفاء ، وفرنسا أيضاً إذا
رضيت باقتراحي الأخير الذي لا حياة بدونه الآن وهو ابقاء الحدود الحاضرة كما
هي ، وتأليف لجنة تحفظ وحدة الادارة بين المناطق الثلاث حتى قرار المؤتمر النهائي ما

الموضوع : احتجاج على احتلال البقاع

من : سمو الأمير فيصل المعظم

إلى : رئيس وزارة فرنسا المسيو كليمنصو

التاريخ : ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩

(النص)

فخامة الوزير :

أخبرني المسيو غورو اليوم شفهيّاً الساعة الثالثة بعد الظهر أنه على أثر حادثة
ضابط الارتباط الفرنسي ، وجرح جاويشه بتاريخ ١٤ ديسمبر مشيت الجنود

الافرنسية فى اليوم الثانى للحادثة نحو بعلبك بحجة تأمين النظام والأمن ، ولعمري إن هذا القرار الذى اتخذته الجنرال غورو دون أن يدع لحكومة دمشق فرصة لاتخاذ التدابير اللازمة بهذا الشأن مما يخالف الاتفاق المعقود بيننا ، والذى ينطبق صراحة بأن القوة الموجودة فى تلك الجهات إذا كانت غير كافية يؤتى بالمدد من دمشق تأميناً للنظام وإعادة الأمن الذى تسأل عنه الحكومة العربية دون سواها .
إنى واثق بأن الحكومة الافرنسية لا يمكنها أن ترضى عن مثل هذا العمل الذى يناقض علناً نص اتفاقها ، وإنى لا أشك أبداً أن الحكومة الافرنسية لا بد أن تعمل بما يوحى إليها شرف تعهداتها ، وأن تصدر الأوامر اللازمة للجنرال غورو ليسحب هذه الجنود من الأماكن المحتلة خلافاً لاتفاقنا السابق ، وحباً بالمحافظة على مواده ، ومع أنى أرجو أن تظمنونى عن هذا الأمر ، فلى الشرف أن أقدم لفخامتكم فائق تحياتى ما

المخلص

فيصل

صورة كتاب

من الميسو برتولو إلى سمو الأمير فيصل

باريس — بلا تاريخ

أخذ يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

مولاي

أريد أولاً أن أبين لكم السرور الذي خامر رئيس مجلس الوزارة عند ما أخذ
علماً بالاتفاق الذي أوصلتنا روح التآلف المتبادل بشأن اللجنة العسكرية التي ينبغي
أن تفصل في الاختلافات التي قد تحدث بين مناطق الاحتلال المختلفة وبشأن
الموقف المؤقت في البقاع

أما من حيث هذه النقطة الأخيرة فإني أعتبر أن الصراحة التامة التي ينبغي
أن تكون رائد محادثاتنا تقتضي أن يكون معلوماً فيما بيننا أنه مقابلة لرغبة شخصية
أظهرتموها، واحتراماً لعواطفكم الودية الخالصة التي أبديتها، تنازلت الحكومة
الفرنسية مؤقتاً عن حقها الذي صادق عليه المؤتمر بخصوص احتلال أراضي البقاع
بجنود فرنسية

وإذا لم يؤكد هذا الاتفاق المؤقت الذي وصلنا إليه باتفاق مرض وقاطع
إلى ثلاثة أشهر فليكن معلوماً أن الفريقين يستأنفان حرية العمل، ومع هذا فإني
لا أشك في أن روح الائتلاف التي يشعر بها الفريقان لا تسمح لهذا الاتفاق القاطع
إلا أن يبرم لخير منافع الجميع قبل انتهاء هذه المدة

وأرجو أن تعتقدوا يا مولاي بشعائر الاحترام العالي والعاطفة الحبية التي أدين

بها لسموكم الملكي

برتولو

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو برتلو مدير الأمور السياسية العام
في نظارة الخارجية الفرنسية — باريس ٢٦ نوفمبر سنة ٩١٩

عزيزي حضرة المدير

أتشرف بإبلاغكم طيه نص البرقية التي أُرغب إرسالها إلى الأمير زيد وفقاً
لمنطوق اتفاقنا

وإني أشكركم على المساعي التي بذلتموها في سبيل الوصول إلى ائتلاف صميم
بين فرنسا وسوريا ، وفي هذا الصدد لا يسعني إلا أن أرجوكم بأن تتفضلوا
وتخبروا حضرة رئيس مجلس الوزارة باعترافي بحمليه لقبوله اقتراحاتي بخصوص
قضية الاستبدال

وإنك يا عزيزي المدير لا تشك بأنني سعيد لتمكني بفضل معاوتكم الناجمة
من الوصول لهذا الائتلاف الأول الذي أوّمل أن يتبعه في القريب العاجل ائتلاف
أعم ونفع أعظم لخير الجميع ؛ وإني لم أزل منذ وصولي إلى باريس أصر كما هو
معلوم لديكم على هذه النقطة ، وهي أن قصدي كان الوصول إلى عقد ائتلاف مع
الحكومة الفرنسية التي مع قبولى ما يضمن للشعب السوري سيادته الوطنية
ستمح للبلاد بطلب منى معونتها المالية ومستشارين بقصد التعاون الودى مع
الحكومة الوطنية المؤسسة من قبل الأهلين

وتقبل يا حضرة الرئيس بيان احترامى العالى ما

فيصل

صورة البرقية

المرسلة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٩

إلى سمو الأمير زيد في دمشق

أخبركم بكل ارتياح وسرور أن الحكومة الفرنسية قبلت بتأليف اللجنة التي طلبتها والتي ستكون مؤلفة من فرنسي وإنجليزي وعربي لأجل تسوية المشاكل التي قد تحدث بين المناطق ، وابتغاء لتطمين أهالي سورية بأن الاتفاق الأخير هو عسكري محض ومؤقت ، فالجنود الفرنسية لا تحتل البقاع ولا محلا آخر من منطقتنا الحاضرة ، والجنود العربية سوف تنسحب من البقاع دليلا على ثقتنا المتبادلة ، ويبقى الدرك العربي هناك مكلفاً بحفظ النظام والأمن تحت أوامر القائمقام ، وعند اللزوم يؤتى بمفرزات دركية من دمشق ، هذا إذا كانت القوى الموجودة غير كافية

وسيعهد إلى هيئة مؤلفة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عرب معاً أن تلاحظ بالاتفاق حسن تنفيذ وظائف الشرطة والدرك في تلك الجهة ، وترفع تقريرها إلى القائمقام

المفاوضات جارية مع الحكومة الفرنسية باخلاص وثقة متبادلة ، فليطمئن الأهليون وليهدأ بالهم ، وقد بلغت الحكومة الفرنسية هذا الاتفاق إلى الجنرال غورو

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو برتولو مدير الأمور السياسية العام

في نظارة الخارجية الفرنسية

باريس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

حضرة المدير العام

تشرفت بإعرابى لكم في كتابى الأخير بتاريخ ٢٦ الجارى عن امتنانى وشكرى على الاتفاق الذى مكننا بفضل وساطتكم السعيدة من حل المشككة التى نجحت عن انسحاب الجيش البريطانى ، وقد بعثت إليكم بصورة البرقية المحتوية على التعليمات التى أرسلتها لأخى زيد واقترنت بموافقتكم

وإنى بهذه المناسبة أسمح لنفسى بتذكيركم بأن البرقيات التى أرسلت إلى سورية لم يرد فيها مسألة سحب المفرزة المدفعية الفرنسية التى يجب أن تنسحب مع الجيوش البريطانية من دمشق في وقت واحد

وعلى كل أكون لكم شاكرًا إذا بلغتم الجنرال غورو معتمد الجمهورية العالى كى يأمر بتنفيذ هذا الانسحاب

إن هذا كله لهو فى الحقيقة فأل خير يؤمنى بأن الائتلاف الذى ألحتم إليه فى برقيتكم المرسلة إلى الجنرال غورو ، وإن لم تتعرض له حتى الآن ، فإنه لا يلبث أن ينجلى بفضل مذاكرات تؤدى بنا إلى اتفاق مبنى على منافعنا المشتركة

وتفضلوا يا حضرة المدير بقبول فايق احترامى

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو برتلو

باريس في ٤ ديسمبر سنة ١٩١٩

حضرة المدير العام

لى الشرف أن أقدم لكم طى هذا الكتاب برقية لأخى الأمير زيد فأرجوكم
أن تتلطفوا بإرسالها إلى الشام وأن توصوا بإبلاغى جوابها سريعاً
وإنى مع الانتظار أكون لكم شاكرًا إذا تفضلتم بإعطائى ما لديكم من
المعلومات التى تهمنى بشأن الحالة الحاضرة فى سورية
وتفضلوا يا حضرة المدير العام بقبول فايق احترامى ما

فيصل

صورة البرقية

الأمير زيد — دمشق

إن خبر إبعاد الجنرال الهاشمى استوجب عظيم استعرابى . انتظر بكل سرعة
المعلومات المفصلة ما

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو كلنصو

باريس في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩

يا حضرة الرئيس :

لا أزال تحت حسن تأثير الاستقبال الجميل الذي تطلقتم به عليّ ، وإني أحسب من أعز واجباتي أن أشكركم على ذلك

وقد وافقت امتثالاً لرغبة حضرتكم على تأخير سفري إلى أن يعود المسيو برتو ، وذلك أملاً أن نحل في هذه البرهة مسألة حدود لبنان ، وإني كنت سعيداً جداً لتكثني من أن أقدم في هذه المناسبة دليلاً جديداً على رغبتى القوية في الوصول إلى اتفاق حقيق

ولا شك أن العطف والاهتمام اللذين أظهرتموهما لي بعثا لي جسارة على أن أعرض بكل اخلاص على سعادتكم ما يخامرني من القلق الذي لم تكن وضعية الجنرال غورو في البقاع إلا لتزيده شدة ، ورغماً عن محاذرتي في إضاعة وقتكم الثمين فإني لا أرى مندوحة عن أن أخلص لحضرتكم الموقف الحاضر كما هو :

إنه من مقتضى الاتفاق الذي عقدناه في الخامس والعشرين من الشهر المنصرم أن « لا تحتل الجنود الفرنسية البقاع ، وأن تنسحب منه الجنود العربية ولا يبقى محلياً وخاصة في بعلبك وحاصبيا وراشيا إلا الدرك التابع لأوامر القائمقامين ، وستؤلف بعثة تفتيشية من ثلاثة ضباط عرب وثلاثة ضباط فرنسيين يرسلون معاً إلى تلك النواحي كي يلاحظوا بالاتفاق حسن تنفيذ وظائف الدرك والشرطة المسؤولين عن الأمن ، وإذا وجد ضباط العرب والفرنسيون قوة الدرك الموجودة

هناك غير كافية فتعزز بقطعات دركية أخرى يؤتى بها من دمشق »
فهل التجاوز الذي وقع على الضابط الفرنسي وجاويشه يبرر الاخلال بهذا
الاتفاق ويجيز القرار الذي اتخذه الجنرال غورو ؟ خصوصاً أن السلطة المحلية هي
المسئولة وحدها عن ارجاع الأمن ، وأن جلب القوى من دمشق عند الضرورة
منصوص عنه في الاتفاق !

لذلك فاني أرى من واجبي أن أصر على لزوم الاحتفاظ بهذا الاتفاق الذي
هو أول اتفاق عقد بيننا ليكون له وقع حسن في نفوس الأهلين ، وليسهل لي القيام
بمهمتي ، ويزيد في الثقة المتبادلة بيننا ، اللازمة لتنمية مناسباتنا المستقبلية
وقبل أن ننظر في فصل مسألة حدود لبنان التي نعمل الآن على حلها ، فان
حضرتمكم إذا أعطيتم أمراً بسحب الجنود من المحلات التي احتلتها خلافا لاتفاقنا
تكونون قد أظهرتم دليلاً جديداً على اهتمامكم العالي بنجاح مذاكراتنا ، وخففتهم
بذلك عنى عبئاً ثقيلاً

وأرجو بأن يجد طلي هذا قبولا حسناً لدى سعادتكم ، فاني أرجوكم أن
تتفضلوا بقبول فائق شعائر احترامي الخالصة .

فيصل

مشروع المعاهدة الهاشمية — الإنكليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الناهض بأقوامه العرب مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكمها حامى حمى بلد الله الأمين ومدينة جده سيد المرسلين ، وجلالة ملك البلاد المتحدة بريطانيا العظمى وارلندا والأمالك البريطانية فيما وراء البحار وامبراطور الهند بالاصالة عن نفسيهما وبالنيابة عن وراثتهما وخلفائهما مدفوعين بالرغبة الخالصة لتوطيد وتقوية عرى الصداقة والولاء المؤسسة بين بلادها أثناء الحرب التي اقتحمها معاً على الدول الجرمانية وتركيا محمواين أيضاً برغبة تمكين مصالحهما وتأييد السلام الدائم والاتحاد بين الشعوب العربية

ولما كان صاحب الجلالة الهاشمية قد سمي وعين صاحب السمو الملكي الأمير زيد وحضرة صاحب الاقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل خارجية جلالته الهاشمية مفوضين من قبل جلالته لعقد معاهدة مع صاحب الجلالة البريطانية للوصول إلى هذه الأغراض

ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد سمي وعين جناب الميجر و . ا . م . ع . ر . ا . م . C . معتمد وقنصل جلالته بمجدة مفوضاً من قبل جلالته لعقد معاهدة للوصول إلى هذه الأغراض مع صاحب الجلالة الملك حسين

قد اتفق صاحب السمو الملكي الأمير زيد والشيخ فؤاد الخطيب و جناب الميجر مارشال على المواد الآتية وتعاقدا عليها :

المادة الأولى — سيكون السلام والمودة دائمين بين صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الجلالة البريطانية وورثائهما وخلفائهما ، وقد اتفق كل من الفريقين العالين المتعاقدين على استعمال جميع الوسائل التي تبيحها قوانينه لمنع استخدام بلاده

كقاعدة لحركات موجهة ضد مصالح الآخر الحالية أو المستقبلية وقد وعدوا بذلك المادة الثانية — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن تستعمل نفوذها في المساعدة على تسوية أى خلاف على الحدود يحدث بين صاحب الجلالة الملك حسين وأجد جيرانه الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلوات معاهدة ، وسيكون صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين حراً في كل الأوقات أن يطلب وساطة صاحب الجلالة البريطانية في حالة حدوث مثل هذا الخلاف

المادة الثالثة — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن تمنع بجميع الوسائل السلمية المتيسرة لديها — وخصوصاً بإيقاف الإعانات من أى نوع كان — كل تعد على بلاد صاحب الجلالة الهاشمية من المقاطعات المجاورة التي بينها وبين صاحب الجلالة البريطانية صلوات معاهدة

المادة الرابعة — قد بلغت جلالة الملك حسين المعاهدات المعمول بها الآن بين الحكومة البريطانية العالية والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود يعترف بهذا جلالة الملك حسين بالمعاهدات المذكورة الموجودة الآن بين الحكومة البريطانية العالية ، والسيد محمد بن علي الإدريسي ، وكذا بين الحكومة البريطانية العالية ، والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود ، ويتعهد جلالته بأن يمتنع عن الإتيان بأى عمل يعرقل أو يمكن أن يعرقل تنفيذ هذه المعاهدات الكلى بواسطة الطرفين المتعاقدين

المادة الخامسة — يتعهد جلالة الملك حسين بأن يحافظ بكل مافى وسعه وقوته على السلام والصلوات الودية مع جيران جلالته الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلوات معاهدة ، وأن يمتنع عن التعدي بدون موجب فعلا أو شكلاً على هذه البلدان المجاورة ، وأن يعارض ويمنع بقدر استطاعته أى

مؤامرة أو دسيسة داخل بلاد جلالتها الهاشمية تكون موجهة ضد هذه البلدان أو ضد مصالح حكامها
في المسائل الهامة التي تحدث بين حكومة صاحب الجلالة الهاشمية والمقاطعات
الجاورة يكون لصاحب الجلالة الملك حسين الخيار في طلب وساطة صاحب الجلالة
البريطانية كما ذكر في المادة الثانية

المادة السادسة — اتفق وتواعد كل من الفريقين المتعاقدين العالين على
قبول معتمد الآخر والاعتراف به ، فيجوز لجلالة الملك حسين أن يعين معتمداً
للحكومة العربية الهاشمية في لندن ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين معتمداً
بريطانياً يقيم في جدة أو أى مدينة أخرى على ساحل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية
ولا يعين صاحب الجلالة البريطانية معتمداً بريطانياً بمكة المكرمة والمدينة المنورة
احتراماً لصفتهما المأثورة

وكذا سيكون لجلالة الملك حسين إذا أراد ذلك أن يعين وكيلاً قنصلياً في
انجلترا والقطر المصرى والهند ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين وكيلاً قنصلياً
في جدة وفي موانى أخرى لصاحب الجلالة الهاشمية التي تراها الحكومة البريطانية
من آن لآخر مناسبة ، وسيتمتع هؤلاء المعتمدون والوكلاء القنصليون بالامتيازات
السياسية والقنصلية المعتادة

المادة السابعة — يعترف بهذا جلالة الملك حسين بالاحتياطات المؤقتة
للحكورتينا التي اتخذتها الحكومة البريطانية العالية في القمران كما تقتضيه شروط
الاحتياطات الطبية المسنونة في العقد الدولى الصحى لعام ١٩١٢ أو أى عقد صحى
آخر يكون مقيداً للحكومة المذكورة

ومن جهة أخرى فإن بريطانيا توافق على الاعتراف بالاحتياطات التكميلية
التي يلزم اتخاذها في جدة وفي موانى أخرى من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية تطبيقاً

لنصوص الطبية الواردة في الاتفاق أو الاتفاقيات المذكورة ، وذلك بمقتضى لوائح يصدرها جلالة الملك حسين

المادة الثامنة — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن لا تتداخل بأى حال من الأحوال في الإجراءات التي يتخذها جلالة الملك حسين لراحة الحجاج والاعتناء بهم داخل بلاد جلالته الهاشمية مع مراعاة ما جاء في المادة العاشرة

ويتعهد جلالة الملك حسين من جهته بأن يساعد كل مجهود يبذله الرعايا البريطانيون المسلمون ، والأشخاص أو الجمعيات المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية للاشتراك في سبيل رفاهية الحجاج في الحجاز ، وصحتهم وتموينهم كما يفعل جلالته فيما يختص بعين زبيدة

المادة التاسعة — قد اتفق كل من الفريقين العالين المتعاقدين على أن يحدد مبلغ معين على كل حاج بصفته رسوم ، وأن يعين مقداره لغاية أول يوم من جمادى الأولى من كل سنة ، وذلك للاحتياجات الصحية التي يتخذها كل منهما ، وستكون هذه الرسوم شاملة لمصروفات جميع الاحتياجات الصحية حين يوم نزول الحجاج إلى البر ، وتكون داخلة في ثمن تذكرة السفر التي تصرف من شركات الملاحة المختلفة

ويستولى الملك حسين على الرسوم المفروضة للاحتياجات التي تتخذ في موانئ جلالته الهاشمية ، وبالمثل تستولى الحكومة البريطانية العالية على الرسوم المفروضة للاحتياجات التي تتخذ في القمران

المادة العاشرة — وافقت الحكومة البريطانية العالية على أن تعترف بالتبعية الهاشمية لجميع رعايا جلالة الملك حسين الذين يوجدون في أى وقت كان داخل بلاد صاحب الجلالة البريطانية ، أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية ، أو الواقعة تحت الانتداب البريطاني شرطاً أن يكون هؤلاء الرعايا الهاشميون حائزين على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين تثبت التابعة الهاشمية لحاملها

ووافق جلالة الملك حسين من جهته على أن يعترف بالتبعية البريطانية لجميع رعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يوجدون في أى وقت داخل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية مادامت أسماء هؤلاء البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية بريطانيا العظمى مسجلة في قنصلية بريطانية في البلاد الهاشمية

ومع ذلك فإن أحكام هذه المادة لا تسرى على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جده وغيرها من الموانئ التي يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلا قنصلياً فيها

المادة الحادية عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تمتلك الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المتمتعين بحماية صاحب الجلالة البريطانية تسلم في حالة موتهم في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية إلى الممثل البريطاني فيها أو إلى أى سلطة يعينها لهذا الغرض ليتصرف فيها حسب القوانين التي تنطبق على الحالة ، ويراعى مثل بريطانيا في البلاد المذكورة أن الرسوم والضرائب الواجبة على تلك الممتلكات بمقتضى الشرائع الهاشمية تسدد في حينها

المادة الثانية عشرة — وافق بهذا صاحب الجلالة الملك حسين على أنه في جميع القضايا التي تنشأ في البلاد الهاشمية ، ويكون أحد الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية مدعياً فيها أو مدعى عليه يحضر ممثل قنصلي بريطاني في المحاكم الهاشمية أثناء سماع القضايا ، وفي الأحوال التي يظهر فيها المعتمد البريطاني رغبته في إجراء مخبرات سياسية مع صاحب الجلالة الهاشمية ، فلا تداع الأحكام ولا تنفذ خلال مدة المخبرات المذكورة ، ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية

صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانى التي يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلها قنصلياً فيها المادة الثالثة عشرة — وافق جلاله الملك حسين على أن يأمر بتسليم الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية المقبوض عليهم بأمر من الحكومة الهاشمية إلى السلطة القنصلية البريطانية في الأحوال التي تضمن فيها السلطة المذكورة استحضارهم متى طلبتهم منها الحكومة الهاشمية ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانى التي يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلها قنصلياً فيها

المادة الرابعة عشرة — وافق جلاله الملك حسين على أن تنظر السلطة القنصلية البريطانية في القضايا التي تقع بين الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية حضرة صاحب الجلالة البريطانية ، والتي لا تمس مصالح الرعايا الهاشميين ولا تسرى أحكام هذه المادة في الأحوال التي يرغب فيها الفريقان المتقاضيان أن يرفعا القضية إلى المحاكم الهاشمية كالمخصوص في المادة الثانية عشرة ، وكذا لا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في البلاد الهاشمية خارج جدة أو الموانى التي يمكن أن يعين فيها صاحب الجلالة البريطانية وكيلها قنصلياً المادة الخامسة عشرة — وافق جلاله الملك حسين على أن يشعر المعتمد البريطاني في جميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى نفي أحد الرعايا البريطانيين أو شخص متمتع بحماية صاحب الجلالة البريطانية من بلاد جلالته الهاشمية ، وأن المعتمد البريطاني يكون مسئولاً عن نفي الشخص المعين في مدة معقولة

المادة السادسة عشرة — وافق صاحب الجلالة البريطانية على أن يتنازل في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية عن جميع الامتيازات والاستثناءات التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون أو الأشخاص المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية بمقتضى الامتيازات الأجنبية بين بريطانيا العظمى والحكومة العثمانية إلا ما ذكر في هذه المعاهدة

المادة السابعة عشرة — يعترف جلالة الملك حسين بموقف صاحب الجلالة البريطانية الخصوصى في العراق وفلسطين ويتعهد أنه في المسائل الواقعة تحت نفوذ جلالته الهاشمية في تلك البلاد يفرغ استطاعته لمساعدة صاحب الجلالة البريطانية

المادة الثامنة عشرة — تثبت بهذا الحكومة البريطانية العالمية اعترافها بعلم صاحب الجلالة الهاشمية شرطاً أن المراكب غير مراكب الحكومة الهاشمية التي ترفع العلم المذكور تكون مسجلة في جدة أو ينبع أو في أى ميناء محدد معلوم من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية وأن تكون حائزة على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين وتنطبق بصفة عامة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطيها عادة المراكب البحرية الرئيسية لمراكبها

ويثبت جلالة الملك حسين من جهته بهذا اعترافه بالأعلام التي ترفعها المراكب التجارية التابعة لأى قسم من أملاك صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية أو الواقعة تحت الانتداب البريطانى ، بشرط أن المراكب التي ترفع هذه الأعلام تكون حائزة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطيها عادة الدول البحرية الرئيسية إلى مراكبها

المادة التاسعة عشرة — يصرح بهذا كل من الفريقين المتعاقدين العالين أنه أثناء مدة هذه المعاهدة لا يدخل في أية معاهدة أو اتفاق أو تفاهم مع فريق ثالث يكون الغرض منه موجهاً ضد مصالح الفريق الآخر المتعاقد العالى

المادة العشرون — لا يتغلب أى شرط من الشروط الواردة فى هذه المعاهدة على أى قيود تكون قيدت بها أو ستقيد فى المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين العالين بأحكام عهد عصبة الأمم أو بأى عهد آخر يكون لعصبة الأمم أن تتخذه ويدخل فيه أحد الفريقين

المادة الحادية والعشرون — يعمل بهذه المعاهدة من تاريخ التوقيع عليها وتبقى نافذة المفعول مدة سبع سنوات من ذلك التاريخ ، وإذا لم يخبر أحد الفريقين العالين المتعاقدين الآخر قبل مضى السبع السنوات المذكورة بستة شهور بعزمه على فسخ المعاهدة فيستمر معمولاً بها لحين مضى ستة شهور من اليوم الذى يرسل فيه أحد الفريقين العالين المتعاقدين إعلاناً كهذا

حررت هذه المعاهدة الحالية باللغتين العربية والإنجليزية ، وستحفظ صورة من كل منهما فى سجلات الحكومة الهاشمية وأيضاً صورة من كل منهما فى سجلات حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وقد وقع عليها بمجدة المفوضون المذكورون بعاليه فى اليوم الحادى والعشرين من شهر اكتوبر سنة ألف وتسعمائة واحد وعشرين ميلادية الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وأربعين من التاريخ الهجرى

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله وتوفيقه نحن الحسين بن على الناهض بأقوامه العرب مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكمها حامى حمى بيت الله الأمين ومدينة جده سيد المرسلين ، نسدى السلام على من يقرأ هذه الوثيقة

لما كان قد عقدت معاهدة بيننا وبين دولة بريطانيا العظمى تشتمل على إحدى وعشرين مادة ووقع عليها فى مدينة جدة فى اليوم التاسع عشر من شهر

صفر عام ألف وثلثمائة وأربعون هجرى الموافق لليوم الحادى والعشرين من شهر
اكتوبر عام ألف وتسعمائة وواحد وعشرون ميلادى حضرة صاحب السمو الملكى
الأمير زيد وحضرة صاحب الاقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل الخارجية اللذان
خولناهما الإذن بذلك

فنحن بعد إنعام النظر فيها نؤكد التوقيع عليها بالاصالة عن أنفسنا وبالنيابة
عن وراثنا، ونعد أننا سنرعى بكل إخلاص وأمانة الأمور المدونة فى تلك المعاهدة،
وأنا لا نتحمل أن يتقصها أحد أو يتعدى عليها بأى حال من الأحوال مادام ذلك
فى طاقتنا

وتزكية لجميع ذلك وتأكيدها لقانونيته قد أمرنا بإمضاء هذه الوثيقة بختمنا
ووقعنا عليها بيدنا الملوكية

حرر فى ديواننا الملوكى فى جدة فى اليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف
وثلثمائة وأربعون هجرية الموافق لليوم الحادى والعشرين من شهر اكتوبر سنة
ألف وتسعمائة واحد وعشرون ميلادية م

مرة ١٥٢١ م — ٥١

الوكالة البريطانية

سرى

جدة فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

إلى صاحب السعادة الشيخ فؤاد الخطيب وزير الخارجية بمكة

سيدى :

أشرف بأن أرسل لكم طى هذا نسخة عربية من المعاهدة كما حضرناها
نحن ونسخة انجليزية من كتابكم إلى الكولونيل ت . ا . لورنس حسب طلبكم
ولى الشرف أن أكون ياسيدى خادمكم المطيع م

و . ا . مارشال

وكيل بريطانيا وقتصلها

من وزير الخارجية بجدة

إلى الكولونيل ت. ا. لورنس

أتشرف بأن أرسل لكم للاطلاع نسخة من محاضر المناقشات التي جرت بين الأمير علي نائباً عن الملك حسين وبينكم في ٧ سبتمبر سنة ١٩٢١ م

نجد :

أقام الأمير علي البرهان علي أن رانيه وخرمة وترية وبيشة وما حولها تابعة لمقاطعة الحجاز ، فتقبل الكولونيل لورنس هذه الحجج ، ووافق علي عرضها علي وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات لإرسالها لابن سعود لإبداء ملاحظاته ، وإذا سلم بصحة هذه الحجج لإعلانه أن هذه الأماكن كانت تابعة وتتبع الآن للحجاز ، وأنه إذا كان لا يزال له ممثلون هناك فسيسحبهم ، وبعد ذلك فأى السكان أبي الطاعة للحكومة الهاشمية فيعامل كثائر ، وإذا رفض ابن سعود أن يقبل هذه الحجج فالحكومة البريطانية تبلغ رده للملك حسين ليبدى ملاحظاته عما يرى اتخاذه من الخطط

اليمن :

أبان الكولونيل لورنس الموقف الخالي في اليمن وشاطئ البحر الأحمر بين عدن والحجاز ، والظروف التي احتل فيها السيد الأدريسى الحديدية ، وأن احتلاله للحديدية مؤقت كوصى علي حقوق الحلفاء إلى أن تقرر مصيرها الأخير بمعاهدة الصلح مع تركيا ، وأن الحكومة البريطانية تكون سعيدة أن ترى حداً مشتركاً بين الحجاز واليمن بالطرق الدبلوماسية ، وقال الأمير علي : إنه يعتقد أن هذه

النتيجة تتم متى احتلت الحكومة العربية الهاشمية ثانية خرمة ورائيه وبيشه وأوضح الكولونيل لورانس أن بريطانيا العظمى لم تعترف ولن تعترف الآن بأى سيادة فى عسير ، وليست مرتبطة بأى شىء يحدد حريتها فى هذا الصدد سوى مادة واحدة فى المعاهدة مع السيد الإدريسى تفره على كل أرض أخذها من الأتراك فى أثناء الحرب . وقال الأمير على : إن هذا التأخير سيعطى الحكومة العربية الهاشمية الفرصة لمد نفوذها جنوباً بالطرق السامية

بلاد العرب :

وقال الأمير على إنه ليس هناك مسائل متعلقة بشاطىء بلاد العرب من عدن إلى أعلى الخليج الفارسى ، لأن معظم هذه الأماكن تشملها معاهدات عقدت مع حليفته بريطانيا العظمى تضمن لها استقلالها .

فلسطين :

أثار الأمير على مسألة أهالى فلسطين العرب ، فأجاب الكولونيل لورنس بأن الوفد الإسلامى المسيحى يتناقش فى هذه اللحظة مع الحكومة البريطانية فى مصيرهم السياسى ، وأنه لا يمكن أن يعمل أى تصريح عن فلسطين إلى أن تظهر نتيجة هذه المناقشات ، فإذا حصل الوفد على حل مرض لهم فلا تبقى مسئولية على الملك حسين ، فوافق الأمير على على ذلك ، وقال : وإذا أخفق الوفد فالملك حسين يستأنف الدفاع عن مطالب العرب القومية فى تلك البلاد لأن أهالى فلسطين طلبوا منه المساعدة ، ومبدأه هو تأييد رغبات الأهالى بصرف النظر عن الأشخاص

ابن رشيد :

قال الأمير على : إن أمير جبل شمر الجديد محمد بن رشيد قد دخل في علاقات ودية مع الحكومة الهاشمية فأشار عليه الكولونيل لورنس بأنه إذا كان قد حصل اعتراف أو اتفاق رسمي فيجب على الحكومة العربية الهاشمية أن تبلغه للدول مباشرة

الوحدة :

قال الكولونيل لورنس إن الحكومة البريطانية ترحب بأى خطوات يتخذها العرب لتوحيد البلاد العربية ، ولكن يجب أن يكون القائم بهذه المسألة هم العرب أنفسهم

أكد الأمير على أهمية عقد معاهدة تسليم مجرمين بين الحكومة العربية الهاشمية وابن سعود بمجرد تقرير حدودها

العلاقات النجدية — الحجازية

نمرة ٢٣٤ م — ١١/٧/١

جدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٣

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم أيده الله
بعد أداء فايق التحية وعظيم التوقير فقد وصاني يا مولاي خطاب جلالتم
نمرة ٧٤ رقم ٨ رجب سنة ١٣٤١ الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٣ ، ووردتني أيضاً
مكاتبة وكيل الخارجية وضمنها البرقية المرسلة إلى أعتابكم من قبل أمير جهينة ،
وها أنا أبلغ نحوى الاثنين للجهات الاختصاصية . وإني أشكر جلالتم على تفضلكم
بإفادتي عما وقع وعمّا تخشون أن يقع في المستقبل . وأما عن أولئك الذين كانوا
يعتدون على بلي فالحمد لله على ما رجعوا مقهورين خاسرين ، ولكن اعذرني
يا مولاي إن قلت إن ذلك ليس بعداء بريطاني كما يصفه وكيل الخارجية . إن
بريطانيا العظمى لا ترحم من أى اعتداء في شبه الجزيرة ولكن بالعكس ، فإنه
من صالح بريطانيا العظمى أن يسود السلام في جميع بقاعها ، وأن تلتحم تلك المراكز
التي فرقها النزاع في الوقت الحاضر بفضل العلاقات الودية . وإنه لا يخفى على
جلالتم مقدار شدة الاهتمام ورغبة حكومة جلالة الملك بأن نرى أن مسائل الخلاف
فيما بين جلالتم ونجد قد انحلت وأن صحيفة جديدة في التاريخ العربي قد ابتدأت ،
فهل تمنى ذلك شيء سخيف أو غير مرغوب فيه أو هل من المستحيل إنجازها ؟

إن هناك بعض أشخاص يفتكرون أن مصالح شبه الجزيرة وسلامها وخيرها
أهم بكثير جداً من هذا الشرط أو ذلك الشرط ، وإن أولئك الذين يفتكرون
ذلك لا يسعهم إلا التأسف عند ما يرون أن الآمال من المفاوضات والمباحثات

التي قد تنشأ منها فائدة عميمة نهائية تتحطم دائماً عند عقبة الشروط . وتذكرون
جلالتكم ما قيل وكتب حينما أعطى لحجاجهم امتياز زيارة مكة في العام الماضي .
وإني لا أريد أن أدعي أن ليس لجلالتكم الحرية في التمسك بالرأى بأن إيفاء
الشروط التي تضعونها أهم بكثير من أى شيء ينتج من المفاوضات بين الحجاز
ونجد ، بل إن لجلالتكم الحرية التامة في التمسك بهذا الرأى أو استنكار التسليم
بغيره ، إلا أن جلالتكم تضعون ثقة في نتيجة البحث مع ابن سعود في مصالح شبه
الجزيرة وحدود البلاد وخلافه ، وإن تضعوا ثقة في عدالة الحكم الذي إن
احتاج الأمر إليه فإن حكومة جلالة الملك يكون لها السرور والفخر بإيفاده ،
وأن تكون هذه المباحثات أو هذا التحكيم العرفي بسيطة ومباشرة وليست متوقفة
على الإصرار بإجراء هذا الشيء أو ذاك أولاً ، وأن يتقدم سلام وخير بحيث
الجزيرة كل اعتبار آخر . فهل في ذلك عدم لياقة بالكرامة أو جبن ؟ أو هل هو
عرضة لتأويلات الأعداء ؟ أما عن الأولى والثانية فلا ، وأما عن الثالثة فنعم .
ولكن جميع الأعمال العظيمة عرضة لتأويلات ، وإني لأعتقد أن عملاً كهذا من
جلالتكم يكون له أعظم شأنًا وأجمل وأبدع مكانة من أعظم الأعمال العربية في
الحرب . وتفضلوا يا مولاي بقبول خالص احترامي وعظيم أشواقى ؟

نائب معتمد وقنصل بريطانيا

وكيل قنصل

جرافتى سميث

العلاقات النجدية — الحجازية

(مستعجل) نمرة ٥٤٢ م — ٢/٢

جدة في ٧ يونيو سنة ١٩٢٣ م

حضرة صاحب الاقبال وكيل الخارجية بمكة المحترم

سلاماً واحتراماً وبعد ، أتشرف بأن أخبركم بوصول تلغرافكم نمرة ٦٧ الذي وصلني ليلة أمس عن موضوع حجاج نجد . إن هذه المسألة المهمة كانت موضوع خطاب الميجر مارشال نمرة ٨٤ بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ م الذي فيه قد تبلغتم إقبالكم بأنه خارجاً عن الموضوع . إن حكومة جلالة الملك تضغط بأى كيفية على ابن سعود لتخفيض عدد الحجاج النجديين حتى إلى سنة أخرى . فكم سنة الآن مُنِعَت أهالي نجد من أداء هذه الفريضة المقدسة بناء على الطلب الشخصى من صاحب الجلالة الهاشمية . وإنى لا أحتاج أن أجمل شرح المساعى والمباحث التى عملتها حكومة جلالة الملك للتشجيع على تسوية حبية فى المسائل المعلقة بين حكومتكم وحكومة ابن سعود ، وأن هذه الجهود التى كانت لتربية الصلات السلمية فى شبه الجزيرة لم تحرم من ملاقاته عقبه من جراء إصدار حكومتكم بأن المسائل التى تحت البحث يجب الحكم فيها مقدماً قبل أن تصير موضع تحكيم ما . وليس فى ذلك مبالغة بأن يقال أن الإرجاء المستمر لأى سعى للمفاوضات الحبية مباشرة مع ابن سعود من أشد علائم تثبيط العزم بالأمر السياسية العربية الحاضرة . وإنى أذكر هذه النظرة السياسية فى الموضوع لأنها هى التى يظهر أنها تضيف على هذا البحث ، بحث الحج النجدى ، إحساسات واعتبارات خارجة عن صفته الدينية المستثناة . وإنى أرجوكم أن تعتقدوا بأنى لست أكتب هذه الأسطر بروح المعارضة

الصرقة أو كنعصحة وعظ . فإن الموضوع أكبر من أن يكون موضوع شجار
واهم من أن يجعل في كلمات خفيفة الوزن . وهل هناك برهان على نموذج الكمال
في الاتحاد العربي أعظم من أنه يفوق ويسمو كل إدراك ، وأنه يحصل في النظر
بصفة تشمل شبه الجزيرة ليست تقصر على أقاليم . وهل هناك حدود صارمة جداً
بحيث تحول بين المسلم وتأدية فريضة الحج المقدسة ؟

وتقبلوا عظيم التوقير
نائب ومعمد وقنصل بريطانيا في جده

وكيل قنصل

جرافتي سميث

قاموس الأعلام

<p>— ١٥٨ — ١٥٦ — ١٦١ — ١٦٠ — ١٨٨ — ١٧٤ — ٢١٨ — ٢١٢ — ٢٣٢ — ٢٢٨ — ٢٣٦ — ٢٣٣ — ٢٧١ — ٢٣٨ — ٢٧٨ — ٢٧٥ — ٢٨١ — ٢٨٠ — ٢٨٣ — ٢٨٢ — ٢٨٦ — ٢٨٤ — ٢٩٠ — ٢٨٨ — ٢٩٦ — ٢٩٢ — ٢٩٩ — ٢٩٧ — ٣٠٢ — ٣٠٠ — ٣٠٧ — ٣٠٤ — ٣١٥ — ٣١٠ — ٣٢١ — ٣١٦ — ٣٢٤ — ٣٢٣ — ٣٢٧ — ٣٢٥ — ٣٥١ — ٣٥٠ ٤١٣ — ٣٦١</p>	<p style="text-align: center;">* *</p> <p>— ٢٥٤ — ١١٨ / ٢٥٧ / ١٢٨ — ٣٢٣ — ٣٢٢ / ٣٢٥ — ٣٢٤ / ٢٥١ ٣٦ — ٢٥ ٣٣٢ — ٣٣١ — ١٤٩ } — ٣٣٣ — ٣٣٢ } ٣٣٥ } ٢٦١ ٣٢ — ٣١ — ٢١ } ٣٦ — } ٣٢٤ — ١٥٨ (ابن جلوي (الأمير) — ١٤١ — ٥٢٨ } ١٤٢ } ٢٦٥ ١٢٣ (ابن خليفة) ٣٠٩ (ابن داود (الشيخ) ابن رفاة</p>	<p>ابراهيم باشا ابراهيم بن جميعه ابن بنجاد ابن بشر ابن بطوطه ابن تويرت ابن تيمية (الامام) ابن تيمان ابن جبير الأندلسي ابن جلوي (الأمير) ابن خلدون ابن خليفة ابن داود (الشيخ) ابن رفاة ابن الرشيد ابن السعود (جلالة الملك) انظر (عبد العزيز) ابن سبهان ابن عبد الوهاب (الشيخ) انظر (محمد) ابن غتام ابن القيم (الامام) ابن مساعد ابن معمر ابن مهنا أبو عريش</p>
---	---	--

١٦١ — ١٥٨ —		٥٥	أبو السكياش
١٦٤ — ١٦٢ —		٤٧ — ٤٥ — ٤٤ }	أبها
٢٣٤ — ١٧٤ —		١٤٩ — }	
٢٦٠ — ٢٤٣ —		٢٢ — ٢١ — ١٦	
٢٦٥ — ٢٦٢ —		— ٣٤ — ٣٢ —	
٢٦٧ — ٢٦٦ —	(تابع)	٤٧ — ٤٤ — ٤١	
٢٧٢ — ٢٦٩ —	الاحسا	— ٩٢ — ٤٩ —	
٢٧٦ — ٢٧٥ —		١٠٠ — ٩٩ — ٩٦	
٣٠٦ — ٢٧٨ —		١٤٣ — ١٣٦ —	
٣١٨ — ٣١٧ —		١٥٣ — ١٤٤ —	
٣٢٥ — ٣٢٠ —		— ١٧٢ إلى ١٦٦	
٣٣٦ — ٣٣٤ —		— ١٧٦ — ١٧٤	
١٠١	احمد بن جابر	— ١٧٩ — ١٧٨	
— ٣٣٩ — ١٤٩ }	احمد بن حنبل	— ١٨٣ — ١٨١	
٣٤٢	(الامام)	— ١٨٦ — ١٨٤	
٢٢٨ }	احمد بن سعيد	— ١٩٠ — ١٨٩	(الأتراك) (الترك)
	(الشريف)	— ١٩٢ — ١٩١	
٣٢ }	احمد السنوسي	إلى ٢١٠ — ١٩٣	
	(السيد)	— ٢٣١ — ٢١٣	
٥٠ — ٤٩ — ٤٥	الادارسة	— ٢٣٤ — ٢٣٢	
٤٨ — ٤٧ — ٤٦ }		— ٢٥٨ — ٢٣٥	
— ١٦٩ — ١٢٨ }		— ٢٦٠ — ٢٥٩	
— ٢٥٢ — ٢٣١ }	الادريسي	— ٢٦٢ — ٢٦١	
— ٢٦١ — ٢٥٣ }		— ٢٦٧ — ٢٦٦	
٤١٤ }		— ٢٧٥ — ٢٧١	
— ١٨٢ — ١٧٩ }	أرثر مكماهون	— ٢٨٦ — ٢٧٦	
١٨٦ — ١٨٤ }	(السير)	— ٣٥٦ — ٢٨٩	
٣٢٨ — ٣١٨	الارطاوية	— ٣٦٢ — ٣٦١	
٣٨	اريجيا	٣٦٧	
٣١	الأزرقى	— ٨ — ٤ — ٢	
٣٩٣ — ٩٦	أزمير	٥٤ — ٥١ — ١٢	
٩٦ — ٣٦ — ٢١ }		— ٧٩ — ٧٨ —	
— ١٧٠ — ٩٩ —		٨٢ — ٨١ — ٨٠	
— ١٧٦ — ١٧٢	الآستانة	— ٨٥ — ٨٣ —	
— ٢٤١ — ١٩٠ }	(استنبول)	٩٣ — ٨٨ — ٨٧	
— ٢٥٤ — ٢٥٢ }		١٠٦ — ١٠٥ —	
٢٧١		١٢٢ — ١١٨ —	
٣٦٤ }	استورس	١٣٧ — ١٣٦ —	
	(المستر)	١٤٨ — ١٤٣ —	الاحساء

— ٢٧٠ — ٢٥٢ } ٢٩٠ }	إيران	— ٣٥٤ — ١٨٠ } — ٣٧٢ — ٢٥٥ }	اسكندرونة
٣٨٩ — ٣٥٣ ٤٨	إيطاليا الايطاليون	٣٨٢ } — ١٩٤ — ١٥١ } ٣٣٣ — ٢٤٥ }	اسكندرية
* ب *		٢٣	اصطبل عنتر
١٠	بابل	٣٨٣ — ١٨٥	اطنه
٣٦٣ (الكولونيل)	باست	٢٧٥ — ٦١ — ٥١	الافلاق
— ١٧٤ — ١٧٣ } — ١٩٤ — ١٧٥ } — ١٩٦ — ١٩٥ } — ٢٠٢ — ١٩٨ } — ٢٠٥ — ٢٠٤ } — ٣٩٠ — ٣٧٨ } ٤٠٢ — ٣٩٨ }	باريس	٤٨	الأقصر
— ٧٨ — ١٥ — ٨ } ٨٦ — ٨٥ — ٨٤ } — ١٠٣ — ٩٦ — } — ١٠٥ — ١٠٤ } — ١٠٨ — ١٠٦ } إلى ١١٣ — ١٠٩ } — ١٢٦ — ١١٩ } — ١٣٠ — ١٢٩ } — ١٣٧ — ١٣٥ } — ١٤٠ — ١٣٨ } — ١٤٨ — ١٤٤ } — ١٥٧ — ١٥٠ } — ١٦١ — ١٥٨ } — ١٦٥ — ١٦٤ } ٢٦٥ — ٢٦٣ }		— ١٧٩ — ٨٨ } — ١٨٦ — ١٨٤ } ٢٧٦ } ١٩٣ — ١٩١ } — ٣٨٩ — ١٩٨ } ٣٩٣ }	الألمان
٥٩	البدع	٢٣ — ١٧	ألمانيا
— ١٠٩ — ٦١ } ١١٦ — ١١١ }	البدع	١١٣	أمريكا
— ٢٠٤ — ٢٠٣ } — ٣٩٨ — ٣٩٧ } ٤٠٢ }	برتلو (مسيو)	٢٩٨ } — ١٧٦ — ١١٤ } — ٣٧٤ — ١٩٣ } ٣٩٥ }	أم نعبان أمين الحسيني (السيد)
		٩٩ — ٤٩ — ١١ } ١٧٧ — ١٦٥ — } ١٨١ — ١٧٨ — } ١٩٠ — ١٨٨ — } ١٩٣ — ١٩١ — } ٢٠٢ — ١٩٤ — } ٢٢٥ — ٢١٣ — } ٢٣٢ — ٢٢٦ — } ٢٣٤ — ٢٣٣ — } ٢٨٢ — ٢٧٩ — } ٣٠٣ — ٢٨٧ — } ٣٠٦ — ٣٠٤ — } ٣٨٤ — ٣٢٢ — }	أنجلترا
		١٤٢	الأنجليز
		١٩٤	الأندلس انطاكية

٢٦٢ — ٩٧	بوشهر	— ٢٨٠ — ٨٥	برسی کوكس
— ١٧٢ — ١٥١	بيروت	٣٥٠ — ٢٨٢	(سير)
— ١٩٤ — ١٧٤		٤٧ — ٤٤ — ٤٣	البرك
٣٨٣ — ٣٧٧		١٦٨	بركهرت
٣٢٧	بيسكو (الكولونيل)	— ١١٧ — ١١٦	بروس (مستر)
٤٤ — ٤٣	پيشه	١١٩	
١٩٤	بيلان	٦٩ — ٢٤ — ٣	بريدة
		— ٧١ — ٧٠ —	
		— ٢٦٩ — ٧٥	
		٣٢١	بساتين
		١١٢	
		٨٣ — ٧٨ — ٣٥	البصرة
٢٢ — ٢١ — ٢٠	تبوك	— ٩١ — ٨٨ —	
— ٢٣٤ — ٤٤	تربه	٩٦ — ٩٥ — ٩٣	
— ٢٨٦ — ٢٨٠		١٠٦ — ٩٩ — ٩٧	
٣١٥ — ٢٨٨		١٣١ — ١١٧ —	
٢٥٩ — ٢٥٨	تركي بن عبد الله	١٣٧ — ١٣٦ —	
— ١٩٦ — ١٩١	تركيا	١٤١ — ١٣٨ —	
— ٢٩٨ — ١٩٧		١٦٥ — ٢٥٢ —	
— ٣٦٢ — ٣٥٣		١٨١ — ١٧٤ —	
— ٣٨٢ — ٣٦٤		١٩٣ — ١٨٧ —	
— ٣٨٦ — ٣٨٥		٢٧٠ —	
٣٨٧		٢٠٣	بعلبك
٤٣	تعشر	٧٧ — ٧٦ — ٣٦	بغداد
٦٥	تعامية	— ٩٦ — ٩٤ —	
٦٧	تمبر	— ١٤٢ — ٩٩	
٤٢	تمنيه	— ١٥٣ — ١٥٢	
٤٢	تنومه	— ١٧٢ — ١٦٦	
		— ١٩٠ — ١٨١	
١٦ — ١٤ — ٦	تهامة الين	— ٢٦٧ — ٢٦٦	
— ٤١ — ١٧ —		— ٢٨٥ — ٢٨٠	
٤٧ — ٤٥ — ٤٢		٣٥٥ — ٣٤٤	
٣٠٠ —		٢٦٢ — ٢٦١	بلجريف (الرحالة)
٦٨ — ٦٧	التويم	٢٢٦ — ٢١٨	بلفور (اللورد)
٣٨١ — ١٩٧	تيتوفى (السنيور)	— ٢٦٢ — ٩٧	بلي (الكولونيل)
		٢٦٣	
٧٦ — ٧٥ — ٣٨	تياء	١٠٩	لورى

ت

— ١٧٠ — ١٦٨
 — ٢٥٠ — ٢٣٣
 — ٢٩١ — ٢٩٠
 — ٣٢١ — ٢٩٤
 — ٣٦٣ — ٣٦٢
 — ٢٦٧ — ٣٦٤
 — ٤٠٩ — ٣٦٩
 — ٤١٢ — ٤١١
 ٤١٣

(تابع)
 جدة

٢٧٠ — ١٠٠ } جراح بن صباح
 (الشيخ)

١١٣ } الجزيرة
 (النبي صالح)

— ١١١ — ١٠٧ } جزيرة البحرين
 (أوال)

— ١١١ — ١٠٨ } جزيرة المحرق
 — ١١٣ — ١١٢ }
 ١٤٤ — ١٤٠ }

٨٦ الجش
 ٦٨ — ٦٧ جلاجل

٣٢٩ } جلوب
 (المفتش الادارى)

— ١٩٣ — ١٧٧ } جمال باشا
 ١٩٥ }

٣١٤ — ٩٥ — ٩٤ الجهرة

٥٧٦ — ٧٦ — ٥١ } الجوف
 ١٥٨ — }

٦٤ الجوز

٤٦ — ٤٥ — ٤٣ } جيزان
 ٤٧ — }

ح

١٧ الحائط
 ١١٢ حالة أبو ماهر

ث

٥٨ — ٥٦ نادق
 ٦٦ — ٦٥ ثرمدا
 ١٣ نمكنة جرول
 ٢٨ الثانية

ج

٩٨ — ٩٧ — ٩ } جابر بن عبد الله
 ١٥١ — } (الشيخ)

— ١٥٥ — ١٠١ } جابر بن مبارك
 — ١٦١ — ١٦٠ } الصباح (الشيخ)

٢٧٨ }
 ٩٦ جابر العتيبي

— ٧٢ — ٣ — ٢ } جبل أجا
 ٧٥ — ٧٤ — ٧٣ }

٤ — ٢ جبل الأصفر
 ٧٧ جبل البروز

٢٣ جبل رضوى
 ١٦ جبل السراة

٧٤ — ٧٣ — ٧٢ } جبل سلمى
 ٧٥ — }

— ١٠ — ٦ — ٣ }
 ٥٣ — ٥٢ — ٥١ }

— ٧٢ — ٦٩ — } جبل شمر
 ٧٧ — ٧٦ — ٧٥ }

٢٥٧ — ٩٨ — }
 ٧٨ جبل الطف

٤ — ٢ جبل طويق
 ٨٥ جبيل

٥٩ — ٥٨ — ٥٥ } الجبيلة
 ١١٠ جد حفص

— ١٧ — ٧ — ٥ }
 ٢٦ — ٢٥ — ١٨ }

— ١٤٣ — ٤٥ — } جدة
 — ١٦٧ — ١٦٦ }

— ٢٩٠ — ٢٨٧
 — ٢٩٢ — ٢٩١
 — ٢٩٥ — ٢٩٤
 — ٢٩٧ — ٢٩٦
 — ٣٠٠ — ٢٩٩
 — ٣١٨ — ٣٠٥
 — ٣٢٥ — ٣٢١
 — ٣٣٦ — ٣٢٩
 — ٣٤١ — ٣٣٧
 — ٣٦٢ — ٣٤٥
 — ٣٦٩ — ٣٦٧
 — ٤٠٧ — ٣٨٢
 ٤١٣
 ١١٣
 ١٠٠ — ٤٩ — ٤٧
 ٥٥ — ٥٢ — ٥١
 — ٦٠ — ٥٩ —
 ٦٥ — ٦١
 ٥٨ — ٥٦
 ٢٨ — ٢١ — ١٣
 — ٤٩ — ٤٤ —
 — ١٥٥ — ١٤٤
 — ١٦٩ — ١٦٣
 — ١٧٦ — ١٧٠
 — ١٧٨ — ١٧٧
 — ١٨٦ — ١٨٥
 — ١٩٢ — ١٨٨
 — ١٩٤ — ١٩٣
 — ١٩٨ — ١٩٧
 — ٢١٠ — ٢٠٢
 — ٢١٣ — ٢١٢
 — ٢٢٥ — ٢١٨
 — ٢٢٧ — ٢٢٦
 ٢٢٨ — ٢٢٧ هاشم
 ٢٣١ — ٢٣٠ —
 — ٢٣١ هاشم —
 — ٢٣٣ — ٢٣٢
 — ٢٣٥ — ٢٣٤
 — ٢٣٨ — ٢٣٧

(تابع)
الحجاز

الحد
 الحديدية
 الحريق
 حرمة

- بين بن علي
 (الملك)

٥٤ — ٥٣ — ٧ — ٣
 ٧٥ — ٧٤ — ٥٦
 ١٥٨ — ١٠٠ —
 ٢٦٨ — ٢٦٧ —
 ٢٧٧ — ٢٦٩ —
 ٣٢٥ — ٢٠٢ —
 ٢١ إلى ١٤ — ١٢
 — ٢٦ — ٢٣ —
 ٣٩ إلى ٣٥ — ٣١
 — ٤٩ — ٤١ —
 ٥٤ — ٥١ — ٥٠
 — ١٢٢ — ٧٧ —
 — ١٢٩ — ١٢٦
 — ١٣١ — ١٣٠
 — ١٣٣ — ١٣٢
 — ١٤٣ — ١٣٦
 — ١٥٠ — ١٤٤
 — ١٦٠ — ١٥٩
 — ١٦٣ — ١٦٢
 إلى ١٦٦ — ١٦٤
 — ١٧٦ — ١٧١
 — ١٨٩ — ١٨٨
 — ٢٠٧ — ١٩٠
 — ٢١٤ — ٢١١
 — ٢٢٦ — ٢٢٥
 — ٢٢٨ — ٢٢٧
 — ٢٣١ — ٢٣٠
 — ٢٣٧ إلى ٢٣٣
 — ٢٤٠ — ٢٣٩
 — ٢٤٥ — ٢٤١
 — ٢٥٠ — ٢٤٩
 — ٢٥٢ — ٢٥١
 — ٢٥٦ — ٢٥٥
 — ٢٦١ — ٢٥٩
 — ٢٦٣ — ٢٦٢
 — ٢٧٩ — ٢٧٠
 — ٢٨٢ — ٢٨٠
 — ٢٨٤ — ٢٨٣
 — ٢٨٦ — ٢٨٥

حابل

الحجاز

✽ خ ✽

٢٦٠ — ٢٥٩	خالد بن سعود
— ١٢٣ — ١٢٢	خالد بن لوئى (الشريف)
— ٢٨٩ — ٢٥٢	
٣١٧	
٥٥ — ٥١ — ٢	الخرج
٦١ — ٦٠ — ٥٩	
— ٢٦٤ — ٢٦٢	
٢٧٥	
٤٥	خميس مشيط
٢٢ — ١٧ — ٥	خير
٣٨ — ٢٤ —	

✽ د ✽

٦٧	الداخلة
٢١	دار الحمراء
٨٦	داروس
٦٥ — ٦٤	دام
٦٥	الداهنة
٢٢٩ — ١٦٨	دحلان (السيد)
٥٧ — ٥٦ — ٥٥	الدرعية
— ٢٢٩ — ٨٣	
— ٢٤٤ — ٢٤٣	
— ٢٤٧ — ٢٤٥	
— ٢٥٣ — ٢٤٨	
— ٢٥٥ — ٢٥٤	
— ٢٥٩ — ٢٥٧	
— ٣٣٦ — ٢٧٠	
٣٣٨ — ٣٣٧	
٢٦٠ — ٦٠ — ٥٩	
١٠٩ — ٨٦	الدمام
— ١٧٢ — ٣٦	دمشق
— ١٨٣ — ١٨٠	
— ١٩٨ — ١٩٤	
— ٢٠٤ — ٢٠٢	
— ٢٠٧ — ٢٠٥	

— ٢٤١ — ٢٤٠
— ٢٧٦ — ٢٤٢
— ٢٨١ — ٢٨٠
— ٢٨٣ — ٢٨٢
إلى ٢٨٦ — ٢٨٤
— ٢٩٢ — ٢٨٩
— ٣٥٨ — ٣٥٧
— ٣٦٤ — ٣٦٠
— ٣٨٣ — ٣٨٢
— ٣٨٧ — ٣٨٥
— ٤٠٤ — ٣٨٨
— ٤٠٧ — ٤٠٥
— ٤٠٩ — ٤٠٨
— ٤١١ — ٤١٠
٤١٤ — ٤١٣

(تابع)
حسين بن علي
(الملك)

٤ — ٣

حضر موت

— ١٧٢ — ٩٦
— ١٨٧ — ١٨٠
— ٢٠٠ — ١٩٨
— ٢٠٩ — ٢٠٢
— ٣٧١ — ٣٥٥
— ٣٨٤ — ٣٨٢
٣٨٧ — ٣٨٥
٤٦ — ٤٤ — ٤٣
— ١٨٠ — ١٧٢
— ٣٧١ — ١٩٨
— ٣٨٤ — ٣٨٢
٣٨٧
— ١٨٠ — ١٧٢
— ٢٤٣ — ١٩٨
— ٣٧١ — ٢٧٩
٣٨٤ — ٣٨٢
١٠١
٢٤ — ١٧
٦٧ — ٦٠ — ٥٩
١٧
— ٣٥٥ — ٣٥٤
٣٧٢

حلب

حلى

حماة

حمص

حمض

الحناكية

الحوطة

الحوطة

حيفا

— ٢٥٨ — ١٤٩
— ٢٦١ — ٢٦٠
— ٢٦٤ — ٢٦٢
— ٢٦٦ — ٢٦٥
— ٢٦٨ — ٢٦٧
— ٢٧٢ — ٢٦٩
— ٢٧٥ — ٢٧٣
— ٢٨٩ — ٢٨٨
— ٣٠١ — ٢٩٠
— ٣٠٨ — ٣٠٥
— ٣١٨ — ٣٠٩
— ٣٢٥ — ٣٢١
٣٢٨ — ٣٢٦
٢٠٩

(تابع)
الرياض

✽ ز ✽

١١٧ — ١١٥
١١٤ — ١١١
— ٦٧ — ٨ — ١
٦٨
٣٢ — ٢٩ — ٢٨
٣٣
— ٢١٢ — ٢٠٢
— ٣٦٩ — ٣٥٧
— ٣٩٩ — ٣٩٨
— ٤٠٤ — ٤٠١
٤١٢

الزيارة
الزلاق
الزلفي

زمزم

زيد بن حسين
(الأمير)

✽ س ✽

١٠٢ — ١٠١ — ٩
١٦١ — ١٦٠ —
٢٧٩ —
٢٦٦
١١٣
٥٢ — ٥١ — ٤
٦٧ — ٦٥ — ٥٥
٢٧٥ — ٢٥٧

سالم بن مبارك
(الشيخ)

سليبيع
ستره

سدير

— ٢١٠ — ٢٠٨
— ٢٤٥ — ٢٣٤
— ٣٣٤ — ٣٣٣
— ٣٦٨ — ٣٦٧
— ٣٨٢ — ٣٧١
— ٣٩٦ — ٣٨٧
— ٤٠١ إلى ٣٩٨
٤٠٣

(تابع)
دمشق

٨٧ — ٦٥ — ٧
٢٦٦

الدواسر

٢٧٠

الدورة

— ٢٨٣ — ١٠١

— ٣٢٢ — ٣٢١

إلى ٣٢٥ — ٣٢٤

٣٢٨

الدويش

٣٢٨ — ٣٢٧

ديكسون
(السكولونيل)

✽ ر ✽

٢٩٣ — ٢٤ — ١٧

رايح

٢٦٣ — ٦١ — ٥

الربع الخالي

— ١٥٢ — ١٠٠

رجب النقيب

٢٧١

(السيد)

— ٢٩٧ — ١٧٢

رشيد رضا

٢٩٨

١١٠

رفاع الشرقي

١١٠

رفاع الغربي

١٠٠

الروس

— ٣٧٤ — ٣٥٤

روسيا

٣٨٤

٦٧ — ٦١ — ٥٦

الروضة

٥٦ — ٥٥ — ٧

٦٠ — ٥٩ — ٥٧

٩٧ — ٨٧ — ٦٩

— ١٢٢ — ٩٩ —

— ١٣٠ — ١٢٤

الرياض

٣٨٤ — ٣٧٤ — } ٤٠١ — }	(تابع) الشام	٢١١ (اللوورد) ٢٣١ سعد بن عبد الرحمن
— ٢٣٤ — ٥١٦ — ٢٧٩ — ٢٣٩ — ٢٨٥ — ٢٨٠ } — ٢٩٠ — ٢٨٧ } — ٣١٤ — ٣١١ } ٣١٨	شرق الاردن	— ٢٤١ — ١٢٨ — ٢٤٥ — ٢٤٣ — ٢٤٩ — ٢٤٧ — ١٥١ — ٢٥٠ — ٢٥٣ — ٢٥٢ إلى ٢٦٢ — ٢٥٦ — ٢٧٠ — ٢٦٧ ٣١٨ — ٣٠٩
٦٥ — ٨ — ١ } ٦٦ — }	شقرا	٢٦٦ سلطان الدويش
٤٣ الشقيق	٦٠ — ٥٩	السامية
٣٥٢ شو (الجنرال)	٦٢	السليل
٢٩٨ شوكت على (مولانا)	١١١	ستابس
* ص *		٦٩ — ١٨ — ١٠ — ١٧١ — ٧٧ — ١٩٠ — ١٨٤ — ١٩٦ — ١٩٥ — ١٩٨ — ١٩٧ — ٢٠٠ — ١٩٩ — ٢٠٨ إلى ٢٠٢ — ٢١٨ — ٢١٠ — ٢٦٢ — ٢٤٣ — ٣٤١ — ٢٩٣ — ٣٧١ — ٣٦٢ — ٣٨١ إلى ٣٧٥ — ٣٨٦ — ٣٨٥ — ٣٨٩ — ٣٨٧ — ٣٩٥ — ٣٩٢ — ٤٠٠ — ٣٩٩ ٤٠١
٩٩ — ٩٧ } ٤٨ — ٤٧ — ٤٥ ٢٧١ ٢٩ ١٧ ٤٦ ٥٥	صباح بن جابر (الشيخ) صبيا الصريف الصفا الصقراء صعدة صلبوخ	٤٠١
— ٤٤ — ٧ — ٥ } — ٢٩٩ — ٤٦ } ٣٦١ }	صنعا	٨٤ سيهات
* ض *		
٥٩ الضبعية		
* ط *		
١٨ — ١٦ — ١٣ } — ٤٠ — ٣٩ — } ٤٧ — ٤٤ — ٤١ } ١٢٣ — ١١٨ — } ٢٢٣ — ١٧٠ — }	الطائف	١٤٢ — ٥٤ — ٧ } ١٨٠ — ١٧٧ — } ٢٤٦ — ٢٠٠ — } ٣٣٢ — ٣٣١ — }
		الشام

١٧ — ٥ — ٢
 إلى ٤١ — ٣٧ —
 ٦١ — ٥٠ — ٤٧
 ١٩٠ — ١٧١ —
 ٢٢٨ — ٢٢٧ —
 ٢٦٢ — ٢٣١ —
 ٣٠٠ — ٦٩٩ —
 ٣٦١ — ٣٠٩ —
 — ١٧ — ٥١٦ }
 ٧٧ — ٢١ }
 ٧٥
 ٨٨ — ٨٥ } هامش
 ٢٧٩ — ١٠٦ — }
 ٢٣ — ٥
 — ٢١١ — ١٦٦ }
 — ٢١٨ — ٢١٤ }
 — ٢٤٢ — ٢٣٧ }
 — ٢٩١ — ٢٩٠ }
 ٣٨٣ — ٣٥٧ }
 ٥٥
 — ٦ — ٤ — ٢
 — ٨٤ — ٧٨
 — ١٢٥ — ١٠٦
 — ١٣١ — ١٢٩
 — ١٥٠ — ١٣٧
 — ١٦١ — ١٥٧
 — ١٦٥ — ١٦٤
 — ٢٦٢ — ٢٤٤
 ٢٦٣
 ٧٠ — ٦٦ — ٣
 — ٢٦٥ — ٧١ }
 — ٣٦٠ — ٢٦٩ }
 ٣٦١
 ٥٢ — ٥١ — ٧ }
 — ٥٩ — ٥٥ — }
 — ٦٥ — ٦٠ — }
 ٢٥٧ }

العقبة
 عقدة
 العقير
 العلا
 علي بن الحسين
 (الملك)
 العاربية

عمان

عنيزة

العارض

— ٢٥٣ — ٢٣٤ }
 — ٢٨٨ — ٢٨٦ }
 ٣٠٤ — ٢٨٩ }
 عسير ٢٥٥ — ٢٥٢
 ٥٨ — ٥٥ — ٥٢ }
 ٦٧ — ٦٢ — }

ع

٨٢ — ٦٩ — ٤٠ }
 ٢٦٧ — ٢٣١ — }
 ٣٥٨ — ٢٨٨ — }
 — ٢٧٤ — ٢٧٣ }
 ٢٧٥ }

— ٤٩ — ٥ — ٢ }
 ٣٥٣ }

١١١

٣٩ — ١٠ — ٨
 — ٨٨ — ٦٩ —
 — ١٠٦ — ١٠٠
 — ١٩٠ — ١٣١
 — ١٩٩ — ١٩٥
 — ٢٠٦ — ٢٠٠
 — ٢٣٨ — ٢١٠
 — ٢٤٣ — ٢٣٩
 — ٢٦٢ — ٢٤٤
 إلى ٢٨٠ — ٢٧٩
 — ٢٨٧ — ٢٨٥
 — ٣١٤ — ٣١١
 — ٣٢٠ — ٣١٨
 — ٣٢٦ — ٣٢١
 — ٣٢٩ — ٣٢٧
 — ٣٧١ — ٣٤١
 ٣٨١ — ٣٧٢
 ١٠٩

(تابع)
الطائف

طوسون

طويق

عتيبة

عجلان

عدن

عراد

العراق

عسكر

— ١٠٠ — ٧٤	عبد العزيز الرشيد (انظر ابن رشيد)	٢٦١	عباس باشا الأول
٢٧١ — ٢٣١			
— ٢٠٦ — ١٦٩	عبد الله (الأمير)	— ٢٦٦ — ١٤٠	عبد الرحمن بن فيصل (الامام)
— ٢١٤ — ٢١١		إلى ٢٧٢ — ٢٧٠	
— ٢٣٤ — ٢٢٧		٣٠٢ —	
— ٢٤٠ — ٢٣٦		٢٠ — ١٥ — ١١	
— ٢٤٨ — ٢٤٧		— ٣٣ — ٣٢ —	
٣٦٢	٥٠ — ٣٩ — ٣٧		
١١٧ — ١١٦	عبد الله بن احمد (الشيخ)	— ٦٠ — ٥٦ —	
٢٩٨ — ٢٩٧	عبد الله بن بلهد (الشيخ)	٨٥ — ٨٣ — ٧٠	
— ١٢٢ — ٨٧	عبد الله بن جلوى	— ١٠٢ — ٩٩ —	
— ٢٧٥ — ٢٦٠		— ١٢٢ — ١٢١ —	
٣١٧		— ١٢٧ — ١٢٤ —	
— ٢٥٣ — ١١٨	عبد الله بن سعود	— ١٣٣ — ١٢٩ —	
٢٥٧		— ١٣٦ — ١٣٥ —	
٢٦٦	عبد الله بن صباح	— ١٤٠ — ١٣٧ —	
١١٦	عبد الله بن طريف (الشيخ)	١٤٩ — ١٤٢ إلى	
إلى ٢٦٢ — ٨٣	عبد الله بن فيصل	— ١٦٣ — ١٥٢ —	عبد العزيز بن سعود (الملك)
— ٢٩٨ — ٢٦٧		— ١٦٥ — ١٦٤ —	
٣١٧	— ٢٢٩ — ٢٢٨ —	٢٣١ — ٢٣١ هـ	
٢٢ — ١٧	العويرض	٢٣٥ — ٢٣٤ —	
— ١١٧ — ١١٦	عيسى بن علي (الشيخ)	٢٤٢ — ٢٣٧ —	
٢٦١	العيون	٢٤٤ — ٢٤٣ —	
٧١	عين زبيدة	٢٤٩ — ٢٤٥ —	
٣٥	عين الزرقاء	٢٧٠ — ٢٦٤ —	
١٩	عين الوزيرية	إلى ٢٨٧ — ٢٧٦ —	
٢٦	العينة	٣٠١ — ٢٩٥ —	
— ٥٨ — ٥٥	الفاط	٣٠٥ — ٣٠٣ —	
٢٥٧		غالب الشريف	٣٠٧ — ٣٠٦ —
٦٨ — ٦٧	غالب الشريف	٣١٧ — ٣١٢ —	
— ٢٢٩ — ١٦٨		٣٢١ — ٣١٨ —	٣٢١ — ٣٢٠ —
		٣٤٧ — ٣٣٨ —	
		٣٥٧ — ٣٥٠ —	
		٤٠٥ — ٣٥٩ —	
		٢٢٩ — ٢٢٨	عبد العزيز الحصبيني (الشيخ)

— ٢٢٣ — ٢٢٢ }
 — ٢٢٥ — ٢٢٤ }
 — ٢٨٦ — ٢٢٦ }
 — ٣٧١ — ٢٩٠ }
 — ٣٨١ — ٣٧٢ }
 ٤١٤

(تابع)
 فلسطين

٧٥ — ٧٤ — ٣
 ١١٩ — ٨٣ — ٥٦ }
 ٢٦٠ — ٢٣٠ — }
 ٢٦٣ — ٢٦٢ — }
 ٢٦٥ — ٢٦٤ — }

فيد
 فيصل (الامام)

— ٢٥٩ — ٢٥٨ }
 ٢٦١ — ٢٦٠ }

فيصل بن تركي

— ١٩٢ — ١٧٧
 — ٢٠٠ إلى ١٩٤

٢٠٦ إلى ٢٠٢

٢١٠ — ٢٠٩ —

٢١٤ — ٢١٢ —

٢٢٧ — ٢١٨ —

٢٣٨ — ٢٣٤ —

٢٤١ — ٢٤٠ —

٢٨٠ — ٢٧٩ —

٣٦١ — ٣٥٧ —

٣٧١ — ٣٦٢ —

٣٧٨ — ٣٧٢ —

٣٩٥ — ٣٨١ —

٤٠٠ — ٣٩٨ —
 ٤٠١

فيصل بن حسين
 (الملك)

— ٢١٨ — ١٦٠ }
 ٢٨٧ }

فيصل بن السعود
 (الأمير)

٣١٧ — ٢٤٩

فيصل الدويش

٩٣

فيلكه

٣٨١ — ١٩٧

فولك (المستر)

﴿ ق ﴾

١٤٢ — ٩٤ — ٣٦ }
 ٢٢٨ }

القاهرة

— ٢٤٥ — ٢٣٠ }
 — ٢٥٠ — ٢٤٩ }
 ٢٥٣ — ٢٥٢ }

(تابع)
 غالب الشريف

٦٥

غسله

١٦

العور

— ٢٠٦ — ٢٠٢ }
 — ٢٠٩ — ٢٠٨ }

غورو (الجنرال)

— ٣٩٦ — ٣٩٥ }
 ٤٠٠ — ٣٩٩ }

﴿ ف ﴾

٢٨٧ — ٢٠ }

فؤاد الأول
 (ملك مصر)

٢١٨ — ١٩٨ }

فؤاد الخطيب
 (الشيخ)

٢١

فخري باشا

٥٩

فرزان

٩٦ — ٣٣

الفرس

— ١٩٣ — ١٧٦

— ٢٠٦ — ١٩٩

— ٢٠٨ — ٢٠٧

— ٣٥٤ — ٢٣٠

— ٣٧٤ — ٣٥٥

— ٣٨٧ — ٣٨٣

— ٣٨٩ — ٣٨٨

٣٩٨ — ٣٩٣

فرنسا

— ١٩٠ — ١٨٨

— ١٩٨ — ١٩٤

— ٢٠٥ — ٢٠٢

— ٢٠٦ — ٢٠٢

الفرنسيون

— ٢٩٠ — ١٤٩ }
 ٣٠٨ }

فلي (مستر)

١٩٠ — ١٠ — ٧

١٩٣ — ١٩١ —

٢٠٥ — ١٩٥ —

٢١٤ — ٢٠٦ —

فلسطين

﴿ ك ﴾				
			١٩	قبا
			٢٥	قبة حواء
	٩٣	كبر	٤٥ — ٤٣	القرنية
— ١٧٧ — ١٧٦	}	كنشتر (اللورد)	٥١	قريات الملح
١٧٨			٦٥	القصب
— ١٠٠ — ٢١	}	كرزون (اللورد)	٧٢	قصبية
— ٣٨٨ — ١٩٨			— ٧ — ٣ — ٢	
٣٩٠			٥٢ — ٥١ — ٨	
٣٠ — ٢٨ — ٢٧	}	الكعبة	— ٥٤ — ٥٣ —	
— ٣٣ — ٣١ —			— ٦٦ — ٦٥ —	
— ٣٤٤ — ٣٥			١٢٩ — ٧١ — ٦٩	
٣٤٥			٢٣٠ — ١٥٨ —	القصيم
٣٠٤	(الجزال)	كلايتون	٢٦٨ — ٢٥٧ —	
— ١٩٩ — ١٩٥	}	كليكيه	٢٧١ — ٢٦٩ —	
٢٠٠			٢٢٣ — ٢٧٥ —	
— ١٩٨ — ١٩٥	}	كليمنصو (سو)	٣٦٠ — ٣٥٨ —	
— ٢٠٠ — ١٩٩			٣٦١	
— ٣٧٣ — ٣٧١			— ١٠٣ — ٩	
٣٩٠ — ٣٨١			— ١١٥ — ١٠٦	
— ٩ — ٨ — ٤			— ١٢٤ — ١١٨	قطر
٨٠ — ٧٨ — ١٥			— ٢٦٢ — ١٥٧	
— ٨٨ — ٨٦ —			٢٧٢	
٨٩ — ٨٨	هامش		٧٩ — ٣٥ — ٤	
— ١٠٢ إلى ٩٠ —			— ٨٤ — ٨٣ —	
— ١١٧ إلى ١١٤			— ١٠٣ — ٩٦	
— ١٢٩ — ١٢٦			— ١٠٧ — ١٠٦	
— ١٣٥ — ١٣١			— ١١٨ — ١١٤	
— ١٤٠ — ١٣٨			— ١٦٢ — ١٥٨	القطيف
— ١٤٤ — ١٤٣		السكويت	— ١٧٤ — ١٦٤	
— ١٤٨ — ١٤٧			— ٢٦٠ — ٢٥٨	
— ١٥١ — ١٥٠			— ٢٧٧ — ٢٦٩	
— ١٥٧ — ١٥٥			— ٣٢٠ — ٣١٨	
— ١٥٩ — ١٥٨			٣٢٥	
— ١٦٤ — ١٦٢			٧٥	قفار
— ٢٦٠ — ٢٣٩			١١٢	قلانو
— ٢٦٦ — ٢٦٣			١٦	القفدة
— ٢٧٢ إلى ٢٦٩			٤٧ إلى ٤٣	

— ٢٢٧ — ١٩٣
— ٢٥٢ — ٢٣٥
— ٢٥٦ — ٢٥٣
— ٢٦٧ — ٢٦١
— ٢٨٧ — ٢٨٦
— ٢٩٤ — ٢٩١
— ٢٩٨ — ٢٩٥
— ٣١٨ — ٣٠٩
— ٣٤٣ — ٣٣٢
— ٣٦٤ — ٣٤٤
— ٣٨٢ — ٣٦٧
٣٨٤
٤٣
٣٩
١١٠
١٦ — ١٦ } هامش
٢١ — }
٥ — ٧ — ١٧ إلى
٢٠ — ٢٥ إلى ٢٧
— ٢٧ هامش
٢٩ — ٣١ — ٣٤
— ٣٥ إلى ٣٨
٤٠ — ٤٤ — ٤٦
— ٤٩ إلى ٦٠
— ١٢٣ — ١٢٦
— ١٢٧ — ١٤٣
— ١٤٥ — ١٦٢
— ١٦٦ إلى ١٧٠
— ١٧٦ — ١٧٧
— ١٧٩ — ١٨٥
— ١٩٠ — ٢٢٥
— ٢٢٨ — ٢٢٩
— ٢٣١ — ٢٣٢
— ٢٣٣ — ٢٤٠
— ٢٤٥ — ٢٤٩
— ٢٥٠ — ٢٥١
— ٢٥٣ — ٢٦٠
— ٢٨٥ — ٢٨٦

(تابع)
مصر

المضاي
المطري
المعاصر
معان

مكة

— ١٧٤ — ٨٣ }
٢٦٦ }
٢ — ٣ — ٦
٢ — ٥ — ٧
١٨ إلى ٢٤ — ٣١
— ٣٤ — ٣٥
— ٣٨ — ٣٩
— ٤٠ — ١٣٣
— ١٤٣ — ١٤٩
— ١٦٧ — ١٦٨
— ١٧٤ — ١٩٢
— ٢٢٨ — ٢٥١
— ٢٥٣ — ٢٨٦
— ٢٩١ — ٢٩٧
— ٣٠٤ — ٣٠٧
— ٣١٨ — ٣٤٠
٤٠٦
٦٦ — ٦٧
— ١٨٠ — ١٨٥ }
— ١٨٧ — ٣٧٢ }
— ٣٨٢ — ٣٨٣ }
٢٩
٢٠ — ٢٦ — ٢٧
— ٣٢ — ٣٣ — ٣٦
— ٩٦ — ١١٦
— ١١٧ — ١١٨
— ٢٦٣ }
— ٢٥٧ — ٢٥٨ }
٢٥٩ }
٦٤
— ٧ — ٨ — ١٠
— ١٨ — ٢٠ — ٢١
— ٢٦ — ٣٤
— ٦٩ — ١٠٦
— ١٣٧ — ١٦٦
— ١٦٧ — ١٦٩
— ١٧٢ — ١٧٣
— ١٧٦ — ١٨٤

مدحت باشا

مدين

المدينة

المنذب

مرسين

المروة

المسجد الحرام

مسقط

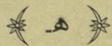
مشاري بن سعود

مشرف

مصر

— ١٢٩ — ١٢٦
 إلى ١٣٥ — ١٣٢
 — ١٣٩ — ١٣٧
 — ١٤٩ — ١٤٣
 إلى ١٥٦ — ١٥٠
 — ١٦١ — ١٥٩
 — ١٦٤ — ١٦٢
 — ١٦٩ — ١٦٨
 — ١٨٨ — ١٧١
 إلى ٢٣٠ — ٢٢٩
 — ٢٤٣ — ٢٣٩
 — ٢٤٩ — ٢٤٤
 إلى ٢٥٢ — ٢٥٠
 — ٢٦٦ — ٢٦٤
 — ٢٦٩ — ٢٦٨
 — ٢٧٢ — ٢٧١
 — ٢٨٠ إلى ٢٧٥
 — ٢٨٧ إلى ٢٨٢
 — ٢٩٣ — ٢٩١
 — ٢٩٥ — ٢٩٤
 — ٣٠٣ — ٣٠٠
 — ٣٠٦ — ٣٠٥
 — ٣١٤ — ٣١٢
 — ٣١٨ — ٣١٦
 — ٣٢٢ — ٣٢١
 — ٣٢٥ — ٣٢٣
 — ٣٢٩ إلى ٣٢٧
 إلى ٣٣٥ — ٣٣١
 إلى ٣٤١ — ٣٣٨
 — ٣٥٠ — ٣٤٥
 إلى ٣٥٨ — ٣٥٧
 ٣٦١

٢٨٢ — ٢٨١ } نوكس
 (الكولونيل)



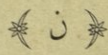
٣٥٣ هارديج
 ٢٩٦ هاشم بك الأتاسي
 ٣١١ هجرة الأرطاوية

— ٢٩٠ — ٢٨٩
 — ٢٩٣ — ٢٩١
 — ٢٩٦ — ٢٩٥
 — ٣٠٢ — ٢٩٧
 — ٣٠٨ — ٣٠٤
 — ٣١٦ — ٣٠٩
 — ٣٢٠ — ٣١٧
 — ٣٤٠ — ٣٣٠
 — ٣٤٦ — ٣٤٥
 — ٣٥٤ — ٣٤٧
 — ٣٥٨ — ٣٥٧
 — ٣٦٧ — ٣٦٢
 — ٤٠٤ — ٣٦٩

(تابع)
 مكة

٤١٣
 ٥
 ١٨٥
 ١٩
 ٥٩
 — ١١٠ إلى ١٠٧ }
 ١٢٠ — ١١٢ }
 ٥٩
 ١٨٩
 ٤٣
 — ١٩٣ — ١٨٧ }
 ٣٥٥ }
 ٢٢ — ١٧
 ٤٩ — ٤٧ — ٤٦

المسكلا
 مكماهون (السير)
 المناخة
 المناصف
 النامة
 منقوحة
 مور (الجتال)
 الموسم
 الموصل
 المويلح
 ميدى



— ٤ — ٢ — ١
 إلى ١٢ — ٩ — ٨
 ٤٤ — ٤٢ — ١٦
 إلى ٥٠ — ٤٩ —
 ٦٩ — ٦٠ — ٨٦
 — ٩٧ — ٨٥ —
 — ١٠٥ — ١٠٢
 — ١١٧ — ١٠٦
 — ١٢٢ — ١٢١

نجد

١٧	وادي فاطمة (مر الظهران)	٢٢٥	هبررت صمويل (السير)
٧٨	وادي فروق	٨١ — ٨٠ — ٧٩	الهفوف
٦٧	وادي المشجر	٢٦٥ —	
٢٢ — ١٧	الوجه	— ١٨ — ٨ — ١	الهند
٦٥ — ٥٢ — ٥١	الوشم	٢٩ — ٢٦ — ٢٠	
٢٥٧ — ٦٦ —		— ٦٩ — ٣٦ —	
٦٦ — ٦٥	وشيقر	٩٠ — ٨٨ — ٨٤	
٦٥	الوقف	— ١٠٦ — ٩٦	
٦٤	ولامين	— ١٢٦ — ١١١	
٣٧٠ — ٣٦٨	ولسن باشا	— ١٦٥ — ١٣٩	
٣٨٠ — ٣٧٢	ولسن (الرئيس)	— ٢٨٦ — ١٩٢	
٧٦	وهيب بك	— ٢٩٤ — ٢٨٧	
٢٢٢	ويزمن (الدكتور)	— ٢٩٦ — ٢٩٥	
		٤٠٤ — ٣٤٤	هو غارت
		٣٦٤	

❖ ي ❖

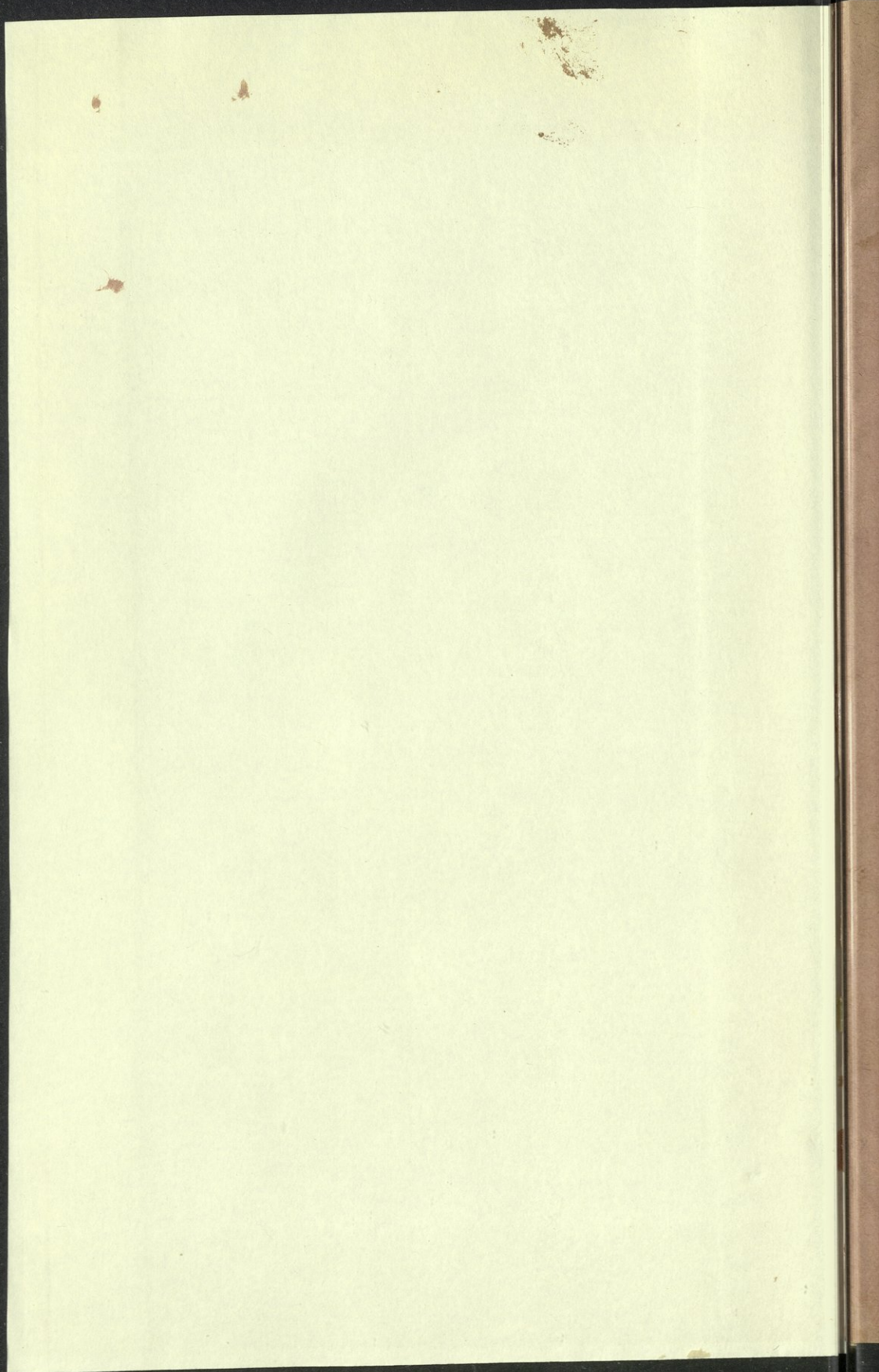
❖ و ❖

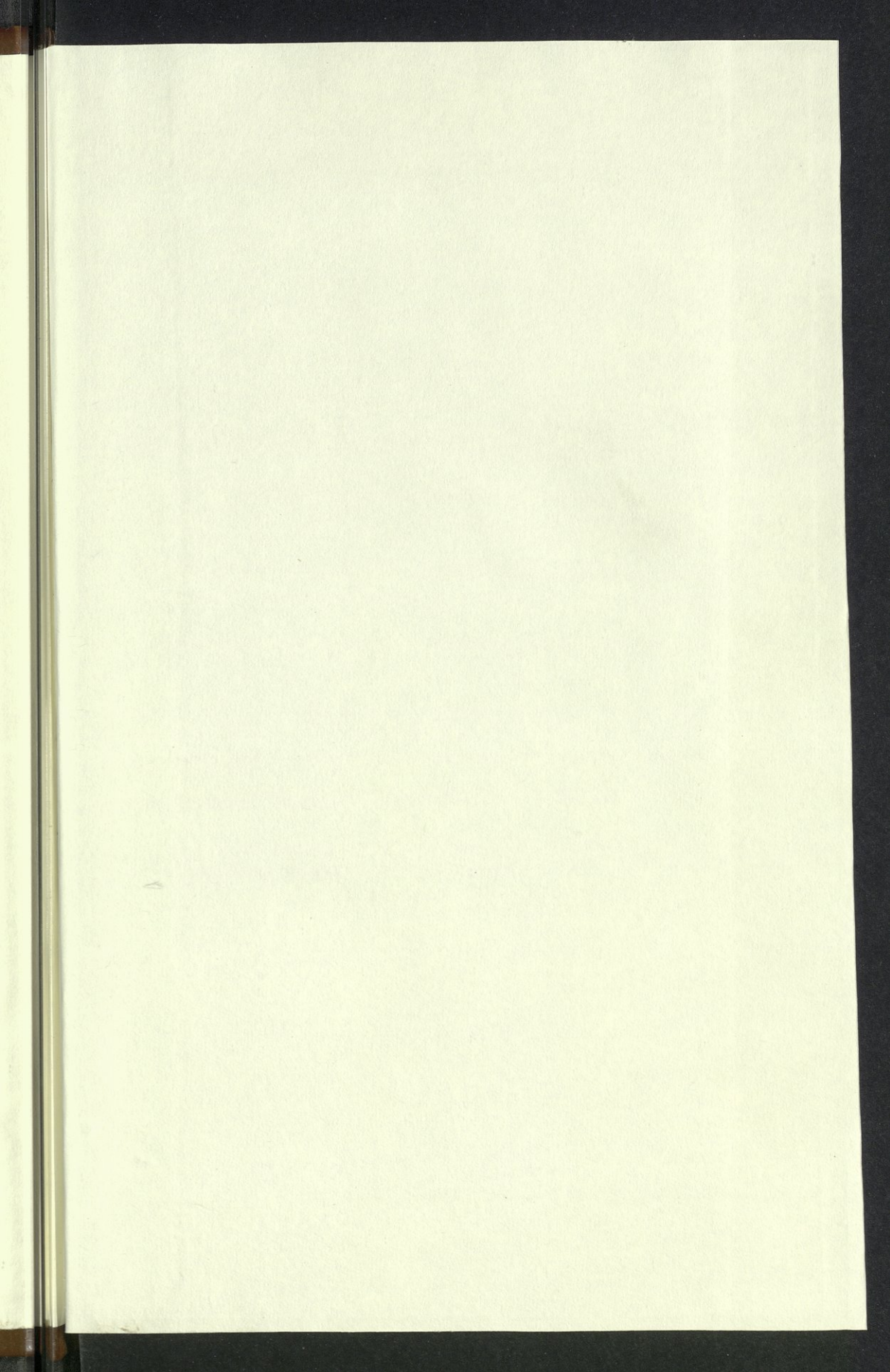
— ٢٢٨ — ٤٩	يحي (الامام)	٦٥ — ٤٥	وادي بيشه
٣٥٢ — ٣٠٠		٢٤ — ٢٢	وادي الحنض
٥٩ — ٣٨ — ١٤	اليمامة	٥٦ — ٥٥ — ٢	وادي حنيفة
— ٦١ — ٦٠ —		٦٩ —	
٢٦٢			
— ٥ — ٣ — ٢	اليمين	٤٤ — ٤٢ — ٤	وادي البواسر
١٦ — ١٤ — ٧		— ٥٢ — ٥١ —	
— ٣٨ — ٢٥ —		٦٣ — ٦٢ — ٦١	
٤٦ — ٤٤ — ٤١		٣٦٠ — ٢٦٣ —	
— ١٣٦ — ٦١ —		٤١	وادي رانيه
— ١٥٠ — ١٤٣		٦٧ — ٣ — ٢	وادي الرمه
— ١٩٠ — ١٧١	٧٢ — ٧٠ —		
— ٢٤٣ — ٢٢٧		٢٤	وادي ريديه
— ٢٤٩ — ٢٤٤		٧٦	وادي السرحان
٢٩٩ — ٢٩٨		٤١	وادي شهران
٣٤١ — ٣٣٨ —		٤١	وادي العقيق
٤١٣ — ٣٥٢		٢٣	وادي عين
٢٣ — ١٩ — ١٧	ينبع		
٢٥٢			

تصويبات

صواب	خطأ	صفحة	سطر
وقطر	ونظر	٩	١٤
على رعاياهم	على رعاياهم البدو	٩	١٤
والعلاء	وميناء العلاء	١٧	١٢
وقع بهذا السطر كلمة « صحيح مسلم » وهي في غير موضعها		٢٩	٢٣
حسدأ له	حواله	٢٣	١٢
وقد كفيهم	وقد كفيهم	٢٣	١٣
الصواب وضعها في سطر ٢٠	بيروت مكة	٣٤	١٣
البرك	البرك	٤٧	٩
وواحة السليل	ومستعمرة السليل	٦٢	٨
ومساحة الواحة	ومساحة المستعمرة	٦٢	١٠
واحة مخادم	مستعمرة مخادم	٦٣	١١
أشجار الأثل	أشجار الأثل	٦٥	٤
(العامل)	(العاهل)	٧٠	١٠
وقارة	وقادة	٧٦	١٨
قلعة صاهود	قلعة صاهور	٨١	٤
العجمان	التجمان	٨٥	٧
إذا جاد المطر	إذا جاء المطر	٩٢	٥
»	»	٩٢	١٢
العوازم	القوازم	٩٢	٢٠
الحنيني	الحنين	١١٠	١٣
البخارية	التجارية	١١١	١٤
قلالي	قلاني	١١٢	١١
الشيوخ	الشيخ	١٢١	١٠
الدفعة	الدمعة	١٣٢	١١
اشجع	اسجع	١٣٣	٥
الهنديين	الهندوس	١٦١	٢١
ومواصلته	ومواصله	١٦٤	١١
من كل شائبة	في كل ثانية	١٧٨	١٠
دائمة	دائمة	١٨١	١١

صواب	خطأ	صفحة	سطر
إلينا	إليهم	١٨٤	٦
حضن	حضن	١٨٧	١٧
استقلالاً تاماً	استقلالاً	١٨٨	٥
الجنرال مود	الجنرال مور	١٨٩	٧
لانسدون	لانسداى	١٩١	٢٠
سايسكى بيكو	سايسكى بيكو	١٩٢	٢١
أما عطف الامر	أما عطف الامير	١٩٣	٦
أشارت الحكومة البريطانية	أشارت المملكة العربية المتحدة	١٩٤	١١
توجه	تتوجه	١٩٤	١٦
والاصرار	والاحرار	١٩٦	١٦
التالية	العالية	٢٠٠	١٤
بالاتنادب	باتنادب	٢٠٤	٤
الادارات	الادارت	٢٠٤	٥
الاستعمار	لاستعمار	٢٠٨	٢٢
مادية	عادية	٢١٢	٢٢
ما كان	التي كانت	٢١٩	١٠
سنة ١٩٢٢	سنة ١٩٢١	٢١٩	١٩
إحدى	حدى	٢٢٠	١
٤٠٠ أو ٣٠٠	٤٠ أو ٣٠	٢٤٨	٦
التمر	البلح	٢٤٨	١٧
تمكن	تمكنوا	٢٤٩	٢١
بن سعود	بن سعيد	٢٥٨	١٥
سنة ١٢٣٤	سنة ١٢٣٤	٢٥٩	٤
بسيادة الاتراك الاسمية	بسيادة الاتراك	٢٦٢	٢٠
بالتعصب والشدة	بالتعصب الدينى	٢٦٤	٥
الحجاز بين	الحجاز بين	٢٦٥	٨
سنة ١٣٠٩	سنة ١٣٠٠	٢٦٩	١٨
(م ١٨٩٨)	(م ١٨٩٥)	٢٦٩	٢١





A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00489834

